دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان مهيار الديلمى

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٤٤ هـ – ١٩٢٥ م

فهـــــرس

قوافي الجزء الأول من ديوان مهيار

(ملحوظة) ليس للشاعر قواف من حروف الثاء والخاء والذال .

ترجمة مهيار

عن كتابي

"وفيات الأعيان" و"المنتظم، في تواريخ الملوك والأمم"

جاء في "وفيات الأعيان" لابن خلكان ما نصّه :

هو "أبو الحُسَين"[1] مِهْيارُ بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسيّ الديلميّ الشاعر المشهور، كان مجوسياً فأسلم، ويقال : إنّ إسلامه كان على يد الشريف الرضيّ أبي الحسن محمّد الموسويّ وهو شيخه وعليه تخرَّجَ في نظم الشعر، وقد وازن مهيارُ كثيرا من قصائده، وكان شاعرا جزلَ القول مقدما على أهل وقته وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وهو رقيقُ الحاشية طويلُ النَّفَسِ في قصائده، وقد ذَكَره "أبو الحسن الباخَرزِي"[2] في كتابه المسمَّى "دُمية القصْر" فقال في حقّه :

"هو شاعر، له في مَناسك الفضل مَشاعر، وكاتب، تحت كلّ كلمةٍ من كلماته كاعب، وما في قصائده بيت، يُتَحكَّم عليه بلو وليت، وهي مصبوبةٌ في قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الدهرُ المذنبُ عن الذنوب"

---

(١) نبّه القارئ الى أن كنية مهيار في كتاب وفيات الأعيان "أبو الحسين" وفي كتاب "المنتظم" "أبو الحسن" وبهذه الرواية الأخيرة وردت كنيته مرّات عديدة في ديوانه ، وهو النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة — والتي نقل منها هذا الجزء — تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) فليتنبّه القارئ الى ذلك إذ ليس من حقّنا الفصل أو الترجيح في هذا الخلاف الخاص باسم أبيه. (٢) هو أبو الحسن عليّ بن الحسن الباخرزيّ الشاعر المشهور، صنّف كتابَ "دمية القصر، وعصرة أهل العصر" وهو ذيل "يتيمة الدهر" للثعالبيّ، وقد قُتِل "بباخَرز" في ذي القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة ؛ و"باخَرز" هذه ناحيةٌ من نواحي "نيسابور" تشتمل على قُرًى ومزارع .

وذكره "أبو الحسن علىّ بن بَسّام" فى كتابه المسمّى "الذخيره، فى محاسن أهل الجزيره" وبالغ فى الثناء عليه، وذكَرَ شيئا من شعره

وتُوفّىَ مِهيارُ ليلة الأحد لخمس خلون من جُمادَى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة هجريّة . انتهى

* * *

وجاء فى "المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم"[1] للإمام أبى الفَرج الجَوْزىّ ما نصّه :

مِهْيار بن مَرْزَوَيْه أبو الحسَن الكاتب الفارسىّ

"كان مجوسيًّا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصار رافضيًّا غاليًا، وفى شعره لطفٌ، إلا أنه يذْكُر الصحابةَ بما لا يصلح

قال له "أبو القاسم بن برهان" : يا مهيار، انتقلتَ بإسلامك فى النار من زاوية الى زاوية، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنتَ مجوسيًّا فأسلمتَ فصرتَ تسبُّ الصحابة

وكانت امرأةٌ تخدمُه ، فكنَسَت الغرفةَ، فوجدتْ خيطا لخزّته فاذا هو خيطُ هِمْيان[2] فيه مالٌ، وكان قد ترك الدارَ قومٌ من الخراسانيّة الحاجّ، فأخبرتْهُ فلم يتغيَّر، وقال لها : قد تعبتُ حتى خبأتُه فلماذا نبشتيه ؟ وكان فيه ألفا دينار، وسُعِىَ به الى "جلال الدولة"[3] فقبض عليه ثم أطلقه، وتوفّى فى جمادى الآخرة من هذه السنة . انتهى

---

(١) نسخة فتوغرافيّة محفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٩٦ (تاريخ) وما نقلناه منها عن مهيار فى الجزء السابع من هذه النسخة : فيمن توفّوا سنة ٤٢٨ هجريّة .

(٢) الهميان : الكيس .

(٣) جلال الدولة : أحد الملوك من "بنى بُوَيه" الذين اختصّهم ووزراءَهم مهيارُ بطائفة كبيرة من مدائحه فى هذا الجزء والجزءين التاليين وتخصّ بالذكر من أولئك الوزراء "أبا سعد بن عبد الرحيم" الملقب "بعميد الدولة"، لكثرة ما امتدحه به مهيار من القصائد .

كيف صُحِّحَ هذا الجزء

نُقِلَ هذا الجزءُ من النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) وخطها من خطوط أوائل القرن السابع .

وقد عانينا كثيرا من المشاقّ فى قراءة هذه النسخة وآستجلاء غامضها وآستكناه عويصها ، حتى آضطُررنا الى تصحيف كثيرٍ من الألفاظ التى ذهب إعجامها أو وُضعَ خطأً فى غير محلّه . وبعض هـذه الألفاظ قد يحتمل تصحيفا آخر ولكنا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من آنسجامها مع أخواتها حتى يأخذ بعضهـا برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمٌ " تأتيــه "   مع الربيع جُــدُدُ

المقصود فى هذا البيت كلمة "تأتيه" وهى فضلا عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم آتزان البيت بهـا فإنها توجب أن تكون القافية منصوبةً ، فصحّفناها الى " نابتة " والى " ثابتة " ورجّحنا الأولى لألتئامها مع قوله " الربيع " وقوله "جُدُد" وهى لا تخفى على أهل الذوق ، ومن الواضح أن الشعر ذو وجوه ومناحٍ وكثيرا ما يُختلف على البيت الواحد وكلّ آختلاف له وجهٌ من الظن وناحيةٌ من الرأى . والواقع ، أنه لو أُطلق لنا العنان لنجرى وراء الأهواء سامعين لكل مُدْلٍ برأيه فيما صحفناه أو حورناه أو رجحناه لوقفنا فى وسط المضمار ولأعيانا الشوط وضاقت صحف هـذا الجزء عن آستيعاب الألفاظ التى توافق كل هوى .

وآضطُررنا أيضا الى تحوير كثيرٍ من الكلمات التى لا تتفق ومعنى البيت ، والى زيادة طائفةٍ أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبياتُ لتحل محـل المفقود وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر غير جازمين بأنها هى بعينها إذ قد تختلف هذه الكلمات

فيما لو وجدت نسخة أخرى، ولكا زدناها لتعطى صورة تكميلية فحسب لهذه الابيات فى آتزانها ومعناها . وسنضع أمثلة لكل ما نوهنا عنه ناقلين صفحتين كاملتين من النسخة الفتوغرافية ليكونا مثالا لباقيها ودليلا على ما عانيناه من التفكير الطويل فى القراءة حتى كادت تزهق النفس مما نكابده من السأم والملل، وبدهيّ أن جهدَ القارئ أقلُّ بكثير من جهد المصحّح، وما أسهلَ القراءةَ بعد ما يتمّ تصحيحُ الإنشاء، وبخاصّةٍ أنه لم يكن تحت أيدينا نسخةٌ أخرى للمراجعة عليها حتى نستأنسَ بها وتخفف عنا مؤونةَ البحث والتفكير، اللهمّ إلا تلك النسخة المطبوعة سنة ١٣٠٦ وهى على آنتهائها بحرف "الدال" مشحونةٌ بالأخطاء حتى صرنا لا نعوّل عليها عند المراجعة .

وقد شرحنا جملةً من الكلمات التى خلناها مغلَقةً فى معناها وآتبعنا فى ذلك وضعَ شرح الكلمة فى أسفل الصحيفة فلا نعود اليهُ إلا عند ضرورةٍ تلجئنا الى إعادة الشرح .

وقد لفت نظرَنا بعضٌ من العلماء والأدباء الى قلّة الشكل ، والى شرح كلماتِ كلِّ صحيفةٍ على حِدَتها حتى لا يتكلّفَ القارئُ البحثَ عنها فى صُحُفٍ سبق فيها شرحُها، وهو رأيٌ وجيهٌ سنأخذ به، متقبّلين مع الشكر كلّ ما يعنّ لأولى العلم والأدب حتى نقوم باتباعه فى الجزءين التاليين [وهما كالأوّل تحريفا وطمسا وغموضا]، وندعو الله أن يوفّقنا بهدايته .

ومما هو جديرٌ بالذكر والتنويه تلك العناية السامية والهمّة العالية اللتين بذلهما حضرة العالم القانونىّ عبد الحميد بك أبى هيف مدير دار الكتب المصريّة فى إنجاز طبع هذا الجزء ، فقد كان حفظه الله يتفضّل بالآختلاف الينا من حينٍ الى حين، مطّلعا بنفسه على ما نقوم به من العمل، مسديا الينا أدقّ الآراء، مفيضا علينا من علمه الجمّ وآطلاعه الواسع ، حاثًّا لنا على المثابرة ، مما كان يبعث فى نفوسنا النشاط

ويبعد عنها الكلل والضجر ، فليس ببدع اذا خصصناه بالذكر على هـذا الفضل ، مهدين اليه أبلغ آيات الثناء .

وما ننس لا ننس حضرتى صاحب العزة الشاعر الأشهر حافظ بك إبراهيم والأستاذ الأديب النابه الشيخ أحمد زكى العِدْوِى فى مشاركتهما لنا فى آستجلاء ما كان يشكل علينا فى كلّ صفحةٍ ، سواءٌ أكان من ناحية اللفظ أم من جهة المعنى وآنسجام الأسلوب ، مما جعلنا مقرين لهما بالحمد والشكر ، ناسجين لهما بردين من سناءٍ وفخر م

"أحمد نسيم"

بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية

أمثلة

من كلماتٍ صُحِّفَتْ خطأً أو ذَهبَ إعجامُها

صحيفة	سطر	
		الأصل : عليَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولهِ　يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "شَحوبُها"
٤٧	٥	صوابه : عليَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولهِ　يجرِّر أذيالَ السحابِ "سَحوبُها"
		الأصل : وفي التُّربِ مما استصحب الطيفُ نعمةٌ　يراوح قلبي "بِشْرُها" المتغرِّبُ
٥١	١٦	صوابه : وفي التُّربِ مما استصحب الطيفُ نعمةٌ　يراوح قلبي "نَشْرُها" المتغرِّبُ
		الأصل : لئن دَرَست منها "الحظوظُ" فإنه　لَيبقَى طويلا عَرفُها في المساحبِ
٥٦	٦	صوابه : لئن دَرَست منها "الخطوطُ" فإنه　لَيبقَى طويلا عَرفُها في المساحبِ
		الأصل : فألسنهم غيظا "بوارد طبه"　وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
٣٨٦	٤	صوابه : فألسنهم غيظا "بوارد رطبة"　وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
		الأصل : في ليلةٍ ... "بت" غيرَ حديثِها سُمّارُها
٣٩٩	١٣	صوابه : في ليلةٍ [لم] "يَنْثُ" غيرَ حديثِها سُمّارُها
		الأصل : ولقد ظننت بها وراء لثامها　خيرا فكشَّفَ "فتحَها" "الأشفارُ"
٤٢٤	١٥	صوابه : ولقد ظننت بها وراء لثامها　خيرا فكشَّفَ "قُبحَها" "الإسفارُ"

أمثلة

من كلماتٍ محرَّفة

صحيفة	سطر	
		الأصل : على "شرطِ" عزٍّ لا تحولُ رسومُهُ　وسرجِ نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ
١٣٦	٩	صوابه : على "صَرحِ" عزٍّ لا تحولُ رسومُهُ　وسرجِ نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ

صحيفة	سطر	
		الأصل : ومثلك أسرى لا يُسامُ فداؤها هوانا "وقلبى" لا تُساقُ دياتُها
١٧٠	١٠	صوابه : ومثلك أسرى لا يُسامُ فداؤها هوانا "وقتلَى" لا تُساقُ دياتُها
		الأصل : وفيحاءَ من "دُونِهم" زرتُها وأخلقْ بها جنّةً أن تُزارا
٣٥١	٦	صوابه : وفيحاءَ من "دُورِهم" زرتُها وأخلقْ بها جنّةً أن تُزارا
		الأصل : ولم أدر والشك "يلق" اليقين الى أىّ شقّ طريقى أصيرُ
٣٩٢	١٥	صوابه : ولم أدر والشك "ينفى" اليقين الى أىّ شقّ طريقى أصيرُ
		الأصل : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضلَ" بيضًا وسُمْرا
٤٠٩	١٢	صوابه : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضاءَ" بيضًا وسُمْرا

امثلة

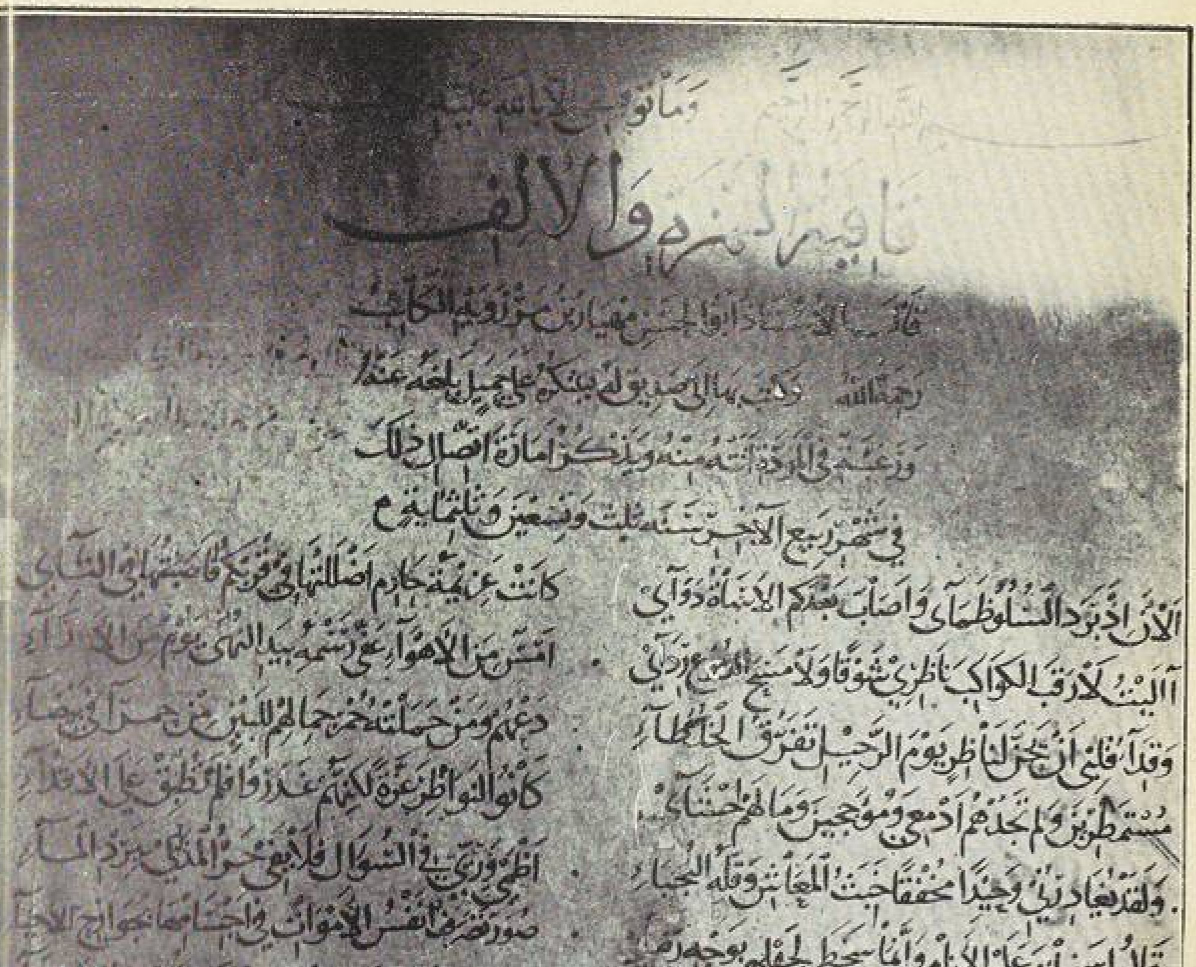
من أبياتٍ سقطَ بعضُ ألفاظها

صحيفة	سطر	
		الأصل : حرامٌ وإن أمحضتَ ... ... مطعمٍ علىّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
١٦	١١	صوابه : حرامٌ وإن أمحضتَ [أطيبُ] مطعمٍ علىّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
		الأصل : بك آنتصر الملوك ... ... فيما دعَوك لنصره نِعم النصيرُ
٣٥٩	٥	صوابه : بك آنتصر الملوك [وأنت] فيما دعَوك لنصره نِعم النصيرُ
		الأصل : وأشارك النُّوّاحَ فيك بأننى ... ... فالتأبين نوح الشاعرِ
٣٤٧	١٢	صوابه : وأشارك النُّوّاحَ فيك بأننى [أرثيك] فالتأبين نوح الشاعرِ

صحيفة	سطر	
		الأصل : عرِيت من ظبائها الأنس ... ... وآعتاضت الظباءَ العُفْرا
٤٠٧	٤	صوابه : عرِيت من ظبائها [الآنساتِ ال بيِض] وآعتاضت الظباءَ العُفْرا
		الأصل : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ ... ... السنين عصرا فعصرا
٤١١	١٢	صوابه : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ [طوالَ] السنين عصرا فعصرا

وما الى ذلك كثيرٌ غير الذى تجاوزنا عن ذكره لكثرته بالأصل ممّا يحتاج الى مجلّد على حدته وسيلمُ القارئُ ببعض ما نوهنا عنه فى أماكنه من هذا الجزء ؞

"أحمد نسيم"

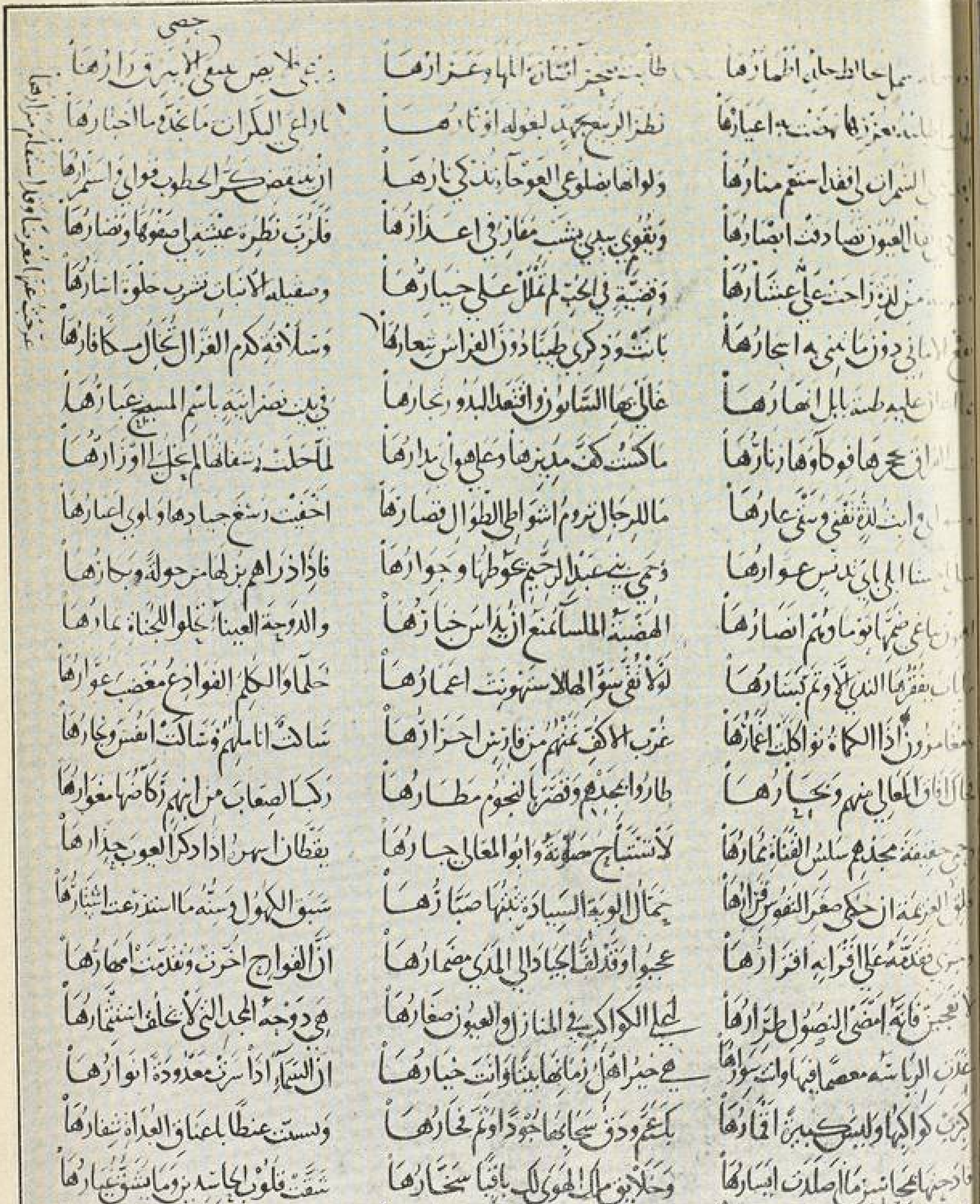


باب الهمزة والألف

قال الأستاذ أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب رحمه الله وكتب بها إلى صديق له ينكر عليه جميلا بلغه عنه وزعم في المودة أنه منه ويذكر أمارة اتصال ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثلث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ برد السلو ظمائي ... وأصاب بعدكم الأساة دوائي

نموذج من صحف الأصل الفتوغرافى [صفحة (١) يقابلها صفحة (١ — ٣) من هذه الطبعة]



نموذج آخر من الأصل الفتوغرافى [صفحة (١٦٢) يقابلها صفحة (٤٠٠ — ٤٠١) من هذه الطبعة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

قافية الهمزة والألف ١

قال الأستاذ أبو الحسن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب رحمه الله تعالى وكتب بها الى صديقٍ له يشكره على جميلٍ بلّغه عنه، ورغبةٍ فى المودة أتته منه، ويذكر أَمارة آتصال ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ بردَ[1] السلوُّ ظَمائى[2] ... وأصاب بَعدكم الأُساةُ[3] دوائى

كانت عزيمة حازمٍ أضللتُها ... فى قربكم فأصبتُها فى النائى

آليتُ لا رَقَبَ الكواكبَ ناظرى ... شوقا ولا مَسَحَ الدموعَ ردائى

أمسُ من الأهواء عَفّى رسمَه ... بيد النُّهى يومٌ من الآراءِ

وقَذاءُ قلبى، أن يحنّ لناظرٍ ... يومَ الرحيل — تفرّقَ الخُلَطاءِ

دعهم ومَنْ حَمَلَتْه حُمْرُ جِمالهم ... للبين من حمراءَ فى بيضاءِ

مستمطِرين ولم تجُدهم أدمعى ... ومؤجَّجين وما لهم أحشائى

(١) يقال: بَرَدَه وبرّده: جعله باردا. (٢) الظَّماء: أشدّ العطش. (٣) الأُساة جمع آسٍ وهو الطبيب.

ملاحظة: الأرقام المكتوبة فى مثل هذه العلبة ( ) على الهوامش الخارجيّة تدلّ على رقم الصفحة فى النسخة الأصليّة المنقولة بالتصوير الشمسىّ.

كانوا النواظـرَ عِزّةً لكنّهم … غَـدروا فـلم تُطِق على الأقذاءِ (١)
ولقـد يغـادرنى وحيـدا مخفقا … خَبَثُ المعاش وقِـلّةُ النجباءِ
أظمى ورِيّى فى السؤال فلا يفى … حَرُّ المـذلّةِ لى بـبَرْد المـاءِ
قالوا سخِطتَ على الأنام وإنما … سخطى لجهلهمُ بوجه رضائى
صُوَرٌ تَصَرَّفُ أنفسُ الأمواتِ فى … أجسامها بجـوارح الأحيـاءِ
أُلـقِى الى الصَّـمّاء بِثّى منهُـمُ … وأُعـير شمسِىَ ناظـرَ العَشْـواءِ (٢)
بأبى غريبٌ بينهـم فى داره … متوحِّــدٌ بتعـدّد النُّظَـراءِ
يَفْـديك مستامون (٣) لا عن قيـمةٍ … مُسْمَوْنَ والمعنَى سوى الأسماءِ
يتطاولون ليبلُغوك ولم يكن … ليضمَّهـم وعلاك خـطٌّ سـواءِ
واذا جريتَ على الرِّهان وبُهِّمهـم … لاقٍ (٤) الخَـلوقُ (٥) بجبهـة الغـرّاءِ
والشامةُ البيضـاءُ تَنعَت نفسَهـا … بوضوحها فى الجِلدة السـوداءِ
عَجَزتْ قرائحُهـم، وأغدرُ غادرٍ … – يومَ الخصام (٦) – الفاءُ بالفأفـاءِ (٧)
لبّيـك عِـدّةَ ما أتانى غافـلا … عنـك الرواةُ بطيّب الأنبـاءِ
وغلوتَ فى وصفى، فقلتُ سجيّةٌ … ما زلتُ أعرفها من الكرماءِ
عمِىَ الورى عن وجهها فرأيتُـه … – وهو البعيد – بناظرَىْ زرقاءِ (٧)
قد كنتُ أُظهرها وتخـفَى بينهـم … ما للغِـنى أثرٌ عـلى البخـلاءِ
لا آرتعتُ إذ أُعطيتُ منك مودّةً … .اذا أسرّ النـاسُ من بَغضائى

(١) الأقذاء، جمع القذى وهو ما يقع فى العين وما ترمى به من غَمَص ورَمَص. (٢) العشواء: الناقة لا تبصر أمامها. (٣) يقال: آستام بالسلعة وعليها: غالى، فقوله: مستامون أى مغالون. (٤) لاق: علِق. (٥) الخلوق: ضرب من الطِّيب. (٦) الخصام: الجَـدَلُ. (٧) الفأفاء: الذى يردد الفاء فى كلامه. (٨) زرقاء: يريد زرقاء اليمامة وهى امرأة من جَديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

وصـداقتى للفاضلين شهادةٌ   بالنقص ثابتـةٌ عـلى أعـدائى
نسبٌ، مُزِجنا، لا تميّزَ بيننا   فيــه ، آمتزاجَ المـاءِ بالصهباءِ
ومودّة الأبنـاء أحسنُ ما تُرَى   موروثةً عن نِسـبة الآباءِ

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم رحمه الله، يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

يا عينِ لو أغضيتِ يومَ النوى   ما كان يوما حَسَنًا أن يُرَى ٢
كلّفتِ أجفـانَكِ ما لو جرى   برمل يَبْرِينَ(١) شـكا أو جرى
جنايةً عرَّضتِ قلبى لهـا   فآحتملى، أَولَى بها مَنْ جنى
سَـلْ ظبياتٍ بالحِمى رُتَّعًا   خُضَّرَ منهنّ بياضُ الحِمى
نَشَـدتكنّ اللهَ، ما حيـلةٌ   صاد بهـا الأُسْدَ عيونُ المها؟(٢)
إن تك سِحْـرا أو لهـا فعـلُه   فالسحر يشفِى منه طِبُّ الرُّقَى(٣)
فيكنّ مَن حشوُ جلابيبـه   أهيفُ راوى الرِّدف ظامى الحشا
قلبى له مَرْعًى وصـدرى كَلًا(٤)   ليت كَلَا ظبىُ الحِمى ما رعى
يا بأبى غضبانَ لو أنه   يرضى بغـير القتل نال الرضا
أَغَصُّ بالمـاء حِفاظا لِمـا   فارقتُـه فى فمــه من لَمَى(٥)
ما لدماء الحبّ مطـلولةً   أهكذا فيهنّ دِينُ الدُّمَى؟(٦)

(١) يبرين : بلدة من أصقاع البحرين و بها الرمل الموصوف بالكثرة . (٢) المها جمع مهاة وهى البقرة الوحشيّة . (٣) الرقى جمع رقية وهى العُوذة يتعوّذ بها الإنسان من السحر . (٤) الكلأ : رطب العشب و يابسه ، وحذفت الهمزة للضرورة . (٥) اللمى مثلثة اللام : سمرة فى الشفة . (٦) الدمى جمع دُمْية وهى الصورة المنقّشة من الرخام .

إن كانت الأعراضُ مجـزيّةً   فعاقَبَ اللهُ الهـوى بالهـوى
لله قلبُ حسَنٍ صـبرُه   ما سُـئل الـذّلّةَ إلا أبى
وصاحب كالسيف، ما صادفت   ضَرْبتُـهُ غَرْباه(١) إلا مضى
يركب فى الحاجات أخطارَهـا   إمّا خَسًا(٢) فيهـا وإما زَكَـا(٣)
يَقِيـل إن هَجَّـر فى ظـلّه   ويحسب الليلَ البهيمَ الضُّحى
كأنه فى الخطب بالحـظّ أو   بدرِ بنى عبد الرحيم آهتـدى
فداء من يُحْسِن أن يوسع الـ   إحسانَ قومٌ خُلِقوا للفِـدى
جاد على الأملاك وآستظهروا   بالمنـع بُخْـلا فى زمان الغنى
تبعث أحشاؤهـم غيظَـه   الى حلوقٍ حسبتْه الشَّـجا(٤)
أراهُمُ عجـزُهم ناهـضٌ   بالثقل، ما آستُضوِئ إلا وَرَى
من معشرٍ تَضْـمنُ تيجانُهم   صُوعَ(٥) المعالى وعِيابَ(٦) النُّهى
تُرفَع منهم عن جباهٍ بها   أُبْهـةُ الملْكِ عفـا أو سـطا
للعـزّ حَشْـدٌ دون أبوابهـم   يُشْـعِرك الخـوفَ ولمّا يُرى
اذا أحبّـوا غايةً حَرَّمـوا   دون مداهـا أن تُحَـلّ الحُبى(٧)
قـل "للحسين بن على" وما   نماك أصل الخـير حتى نمـا
أدّيت عنهم، فاحتبت(٨) روضةٌ   تنبت بالنضرة فضـلَ الحيـا
مناقبٌ يجمعنا مجـدهـا   جمعَ العُرى فى عُقَدات الرِّشا(٩)

---

(١) كذا بالأصل ولعلها "غِرَبَاهُ" وهى مسمار الدرع . (٢) الخسا : الفرد . (٣) الزكا : الشفع من العدد . (٤) الشجا : ما آعترض فى الحلق من عظم ونحوه . (٥و٦) صوع : جمع صاع وهو مكيال يكال به ، وعياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم ، وكلاهما من باب الآستعارة . (٧) الحبى : جمع حبوة وهى أن يضمّ الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليه ، وقد تكون باليدين عوض الثوب . (٨) احتبت : آشتملت . (٩) الرشاء بوزن كساء : الحبل وحذفت الهمزة للضرورة .

لذاك ما ظُلِّلَ لى واسعٌ … أرتَعُ منه آمنًا فى حِمَى
كأننى فى دُورِكم منكمُ … فى غيرِ ما يُحْظَرُ أو يُحْتَمى
فى نعمةٍ منكم اذا آستكْثِرَتْ … منها الفُرادَى، أعقبتها الثِّنَى(١)
يحسدنى الناسُ عليها ولو … قطَّعنى حاسدُها ما آعتدى
نشرتُها شكرا ولو أننى … طويتُها نَمَّتْ نميمَ الصَّبا
فلتبقَ لى أنت، مخفَّفا اذا … وجدت قولى، لا عدمتُ المُنَى
فى نعمةٍ ليست بعاريَّةٍ(٢) … تُضْمَن، أو مقروضةٍ تُقْتَضَى
يَعضُد فيها العامُ ما قبلَهُ … ويفضُل اليومَ أخوه غدا
فى كلّ يومٍ لك عيدٌ، فما … يغرب فى عينيك عيدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من … حظَّين فى آخرة أو دُنًى(٣)
أجرك مذخورٌ لهاذاك والـ … ـنَّيروزُ موفورٌ على حفظ ذا
ما طِيفَ بالأستار فى مثلِهِ … ودامت المَروةُ(٤) أختَ الصَّفا

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب، ذا السياستين أبا محمد بن مكرَّم رحمهم الله، ويذكِّره بقديم ما بينه وبينه من الخلطة، ويهنئه بعيد النحر من هذه السنة

مالكُمُ لا تغضبون للهوى … وتعرفون الغدرَ فيه والوفا؟
إن كنتُمُ من أهله فانتصروا … من ظالمى أو فاخرجوا منه بُرًا(٥)
أما تَرَوْن كيف نام وحَمَى … عينِى الكرى، فلم ينم ظبىُ الحِمى؟

(١) الثنى بالكسر والقصر : الأمر يعاد مرتين . (٢) العارية مشددة وقد تخفف : ماتدوول . (٣) دنى جمع دنيا . (٤) المروة والصفا : جبلان بين بطحاء مكة والمسجد . (٥) يريد براء : جمع برى .

وكيف خـلّانى بطيئا قـدمى ... عنـه ومرّ سابقا مع الونى؟ (١)

(٣٠) غضبانُ يا لهْفى كم أرضيتُه ... لو كان يَرضى المتجنى بالرّضا

ما لدليـلٍ نصلتْ (٢) ركابُه ... من الدجى، حاملةً شمسَ الضحى

ضلّ؟ ولو كان له قلبى آهتدى ... بناره، أو شام (٣) جفنىَ سـق

قالوا الغضـا، ثم تنفستُ لهم، ... فهم يدوسون الحصا جمرَ الغضا

بين الحُدوج (٤) مُترَفٌ (٥) يُزعجُه ... لينُ مهادٍ ورفيقاتُ الخُطا

عارضنى يُذكرنى الغصنَ به ... وأين منـه ما آستقام وآنثنى؟

حىً وقرّبَ بالكثيب (٦) طارقا ... من طيف حسناءَ على الخوفِ سرى

عاتبَ عنها واصـفًا مـودّةً ... ما أسارتْ (٧) إلا عُلالاتِ (٨) الكرى

أضمُّ جفـنىَّ عليـه فَـرَقًا (٩) ... من الصباح، وعلى ذاك آنجـلى

كأنى عُجْبًا به وشَـعَفًا ... محبةُ "العمدة" فى حُبّ العـلا

شمّـرَ للمجـدِ، وما تشمّرتْ ... له السنونَ، يافعٌ كهلُ الحجا

وقام بالرأى، فكان أوّلُ ... من رأيه وآخرُ الحـزمِ سَـوا

سمـا الى الغاية حتى بلغَتْ ... همّتُـه به السـماءَ وسمـا

فابن الملوك بالملوك يقتـدى ... وآبن البحار بالبحار يُبتغَى

سكنتموها فاضحين جُودَها ... مُبخِّليها بالسماحِ والنَّـدى

تشـاتم المُلكَ وقـد تهجّمتْ ... سـائلةٌ بلَغتِ المـاءَ الزبى (١٠)

---

(١) الونى : التعب . (٢) نصلت : خرجت . (٣) شام ، يقال شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (٤) الحدوج جمع حدج وهو مركب للنساء . (٥) المترف : المتنعم الذى لا يُمنع من تنعمه . (٦) الكثيب : التل من الرمل . (٧) أسارت : أبقت . (٨) علالات جمع علالة وهى البقية من كل شىء . (٩) فرقا : فزعا . (١٠) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء .

واعترضت وجه الطريق حيّةٌ صمّاء، لا تُصغى لحدثات الرُّقى
أنكر فيها المَلْكُ مجرى تاجِه وقام عن سريره وقد نبا
لفّتْ على العراق شطرًا وانثنت لفارسٍ، فدبَّ سمٌّ وسرى
لم تدرِ أنّ "عُمانَ" حاويًا ما خَرزاتُ سحرِه إلا الظُّبا
يتركها، تفحص عن نيوبها، درداءَ (١) تستافُ (٢) الترابَ باللَّها (٣)
سَبقًا أتتك، وحمتك حُمّرا عن هذه الدولة هاذاك العشا
مهلا بنى مُكْرَمٍ، من سماحكم قد أثمر المصفرُّ واخضرَّ الثرى
إن كنتم الغيثَ تبارون به فحسبكم، ما يفعل الغيثُ كذا
يا نجمُ، كانت مقلتى تنظرُه حتى استنار بدرَ تمٍّ واستوى
صحبتُه ريحانةً فلم يزل دُعاى، حتى طال غصنا ونما
أذكرُ ذكرتَ الخيرَ ما لم تنسَهُ من صحبتى، ذكرَكَ أيامَ الصّبا
وحُرمةٌ شروطُها مكتوبةٌ على جبين المجد، راعوا حقَّ ذا
ما نعمةٌ تقسمُها إلا أنا بها أحقُّ من جميع مَنْ ترى
أيُّ جمالٍ زنتنى اليومَ به زانك بين الناس من مدحى غدا
لا تعدم الأيامُ أو عبيدُكم نعماءَ منكم تُحتَذى وتُجتَدى
ولا تزل أنتَ مدى الدهر لنا كهفا الى أن لا ترى الدهرَ مَدَى
كلُّ صباحٍ واجهتك شمسُهُ عيدٌ، وكلُّ ليلةٍ ليلُ مِنَى
إن نحروا فرضًا، فقم نافلة (٤) فانحر عداك حَسَدًا بلا مُدَى
وابقَ على ما قد أحلّ مُحرِمٌ وما دعا عند الطواف وسعى

(١) الدرداء : التى ذهبت أسنانها . (٢) تستاف : تشم . (٣) اللها جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق أو مابين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم . (٤) النافلة : كل ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

وقال فى اللوح

ما مُكْرَمٌ هينُ الآباء يكرهه … أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنـه آباءُ؟
صِينَ لدى الله بآسمٍ واحدٍ وغدا … مُشَهَّرًا فيه بين النـاس أسماءُ
تَلْقَ به شِقّةً عيناك، وهو غدًا … فيـه شـقاءٌ لأقوامٍ ونَعْمـاءُ
اذا وسمتَ علاماتٍ به فبدت … تلوح، فهى له سِـتْرٌ وإخفاءُ
فإن كسته ثيـابَ العزّ ناسجةٌ … يدُ صَناعٍ(١)، نفتْهـا عنـه خَرقاءُ

وقال فى النيلوفر

ساهرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى … ريّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّما
رائحةٌ فى السِّربِ لم تقتنص … ظبـاؤه إلا بأمرِ الدُّجَى
مُلثّمٌ فوها، وإن لم يكن … فى شفتيهـا مالهـا من لَمَى
حَيّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سُمّهـا … وناقـعٌ سمٌّ أفاعى الصَّـفا
تعطيـك منهـا ألْسُنًا عِدّةً … مجتمعاتٍ كلّهـا فى لَمَـا

قافيـــة البـاء

وقال وهى من أوّل قوله فى غرضٍ له

أيهـا العـاتبُ ما ذا … لـك وما أعرفُ ذنبى؟
أتظنُّ الدمعَ دَيْنًـا … نتقـاضـاه بعتـبى؟

---

(١) صناع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حفظي لك وآرتبتَ بحبّي
فبعينِ الله، يا ظا لمُ، عيناي وقلبي

✢ ✢ ✢

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هليل[(١)] بن المحسّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتاباً فى غير مكانه، ونسبه الى هجرٍ كان أبو الحسين جانيَهُ، وذلك فى ذى القَعدة من هذه السنة

عَذيرِيَ مِنْ باغٍ علَيَّ أُحبُّهُ ولم أَرَ بغيًا قبلَهُ جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجرِ، والهجرُ دينُه وقد كان حُلوًا لو حلا ودُّه العَتْبُ
وأسلك طُرْقَ الوصلِ وهو مجنّبٌ فإن ضلَّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبًا[(٢)] من تجنّيك يا "أبا الـ حسين" سهامًا لا يقوم لها قلبُ
أذِكرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فيَّ أسهلُهُ صعبُ
وذمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرِّعتْ منى رجالٌ، بجورِها كئوسُ آنتقامٍ، مُرّها فى فمى عَذْبُ
بأيِّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلى لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفّحْ صحابَ الخيرِ والشرِّ وآنتقد بقلبك، تحرُزْنى اذا نُبِذَ الصَّحْبُ
ولا تُمكِّنْ من يقينك رِيبةً فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ[(٣)] لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكِّنوا من نارِ فتنتهم شَبُّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرِها على العبد، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلّكان وشذرات الذهب "هلال". (٢) ندوب جمع نَدْبة وهي أثر الجرح. (٣) العضب: القاطع.

* * *

وقال وكتب بها الى أبي القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافي مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافي أبي العباس الضبّي وأنفذهما معًا فى هذا التاريخ

حَمامَ اللّوى رفقًا به، فهو لُبُّهُ ... جوادًا رِهانٍ نوحُكنّ ونَحْبُهُ
قَراكُنّ[1] من لا يَنْقَعُ الطيرَ ماؤه ... ولا يُشبعُ النُّوقَ السواغبَ[2] عُشْبُهُ
وطِرنَ حيث القانصُ آمتدّ حَبلُهُ ... وطالت، فلم تعدُ القوادمَ[3]، قُضْبُهُ[4]
أعمْدًا تُهيّجن آمرأً بانَ[5] أُنسُهُ ... وأسلمَهُ حتّى أخوه وصَحْبُهُ؟
أمرّ ومُهرى مُغرَمَيْنِ على اللّوى ... فأساله أو[6] كاد ينطق تُربُهُ
من الحيّ تَسْتَقُ العِرَضْنَةَ[7] عِيسُهُ[8] ... إزاءك، حتى آمتدّ كالسطر رَكْبُهُ
وفى الظُّعْنِ[9] محسودُ الحواضرِ مُترَفُ ... تُلاثُ[10] على خدّ الغزالة نُقْبُهُ[11]
تطولُ على الصوّاغ حين يمدّها ... خلاخيلُهُ المَلأى، وتقصر حُقْبُهُ[12]
جَهدنا، فلم نُدرِك، على أنّ خيلَنا ... سواءٌ عليها سهلُ سيرٍ وصَعْبُهُ
وقد فَطِنتْ للشوق، فهى تسرّعا ... تكاد تعدّ السيرَ يومَ تَغِبُّهُ
أكُلّ ظَمائى، غائصٌ ما يَبُلُّه؟ ... وكلّ سَقامى، مُعوِزٌ مَنْ يُطِبُّهُ؟
تلاعبتَ بى يادهرُ حتى تركتنى ... وسيّانِ عندى جِدّ خطبٍ ولِعْبُهُ
وأبعدتَ مَنْ أهوى فإن كنتَ مزمعا ... لتسلبنى عنهم «فسعدٌ» وقربُهُ

(١) قراكنّ: ضافكنّ. (٢) السواغب: الجياع. (٣) القوادم: ريشات فى مقدّم الجناح، الواحدة قادمة. (٤) القضب: جمع قضيب وهو الدقيق من السهام. (٥) بان: غاب.
(٦) أو: بمعنى حتى. (٧) العرضنة: الأعتراض فى السير من النشاط، أو العدو فى آشتقاق.
(٨) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. (٩) الظعن جمع ظعينة وهى الهودج.
(١٠) تلاث: تلفّ. (١١) نقب جمع نقاب وهو معلوم. (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شىء تعلّق به المرأة الحلىّ وتشدّه فى وسطها.

بودّى، وهل يغنى عن المرء ودُّه … وأشـياعُهُ فيما يحاول حِزبُهُ؟
سلكتُ مجازَ العزّ بينى وبينه … تُحَطُّ روابيه وتُهتَكُ حُجْبُهُ
ولو أنّ أرضا مَهلكا، هـان قطعُها … ولو أنّ ماءً من دمٍ، ساغ شربُهُ
الى قمرٍ، طرفى تعـلّلَ دونه … وكم قمـرٍ غطّته دونىَ سُحْبُهُ
"أبا القاسم": المَرْعَى مَريرٌ نباتُهُ … يَبِيسٌ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ
أقول، وما داجتك زُورًا محبّتى … وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحِبُّهُ:
زكا غُصُنٌ من "آل ضَبّةَ" أصلُهُ … أبوك له فـرعٌ، وإنك عَقْبُهُ
علاءٌ، تملّتْ منه بالودّ نَجمُهُ … لصحبتها، واستبقتِ العزَّ عُربُهُ
رأى بك ما أنسى ابنَ غيلٍ شُبولَهُ … نخيرا بخيرٍ أو فشرًا يذبُّهُ
قليلا، على حكم النجابة، شِبهُهُ … كثيرا، على ما توجب السنُّ، تِربُه(١)
لئن أخّرتنى عن فِنائكما التى … عتبتُ لهـا دهرى، فلم يُجْدِ عَتْبُهُ
وسوّفنى رؤياكما فألطّ بى(٢) … فعـادتُهُ فى أخذ حقّىَ غصبُهُ
فياليتـه أدنَى مَزارىَ منكما … وأهلَى مَرعاه ودارىَ نَهبُهُ
وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيتـه … لعاجلِ أمرٍ سَرَّ، والعارُ غِبُّهُ
اذا أنا أبغضتُ الهوانَ وداره … فأهونُ ما فارقتُه مَن أُحبُّهُ
صِلونا، فإنا مُجدِبون بمنزلٍ … يضيق على الايام بالحُرّ رَحبُهُ
سواءٌ به يا "آل ضَبّةَ" ليثُهُ … اذا سار يبغى الرزق فيه، وضَبُّهُ
وكانوا عِيارًا(٣)، ربما جاد بعضهم … فأعدَى صحاحَ السَّرحِ يا "سعدُ" جُربُهُ

(١) الترب: من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث، يقال: هذه ترب فلانة. (٢) ألطّ بى أي منعني حق. (٣) عيار جمع عير وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وغلب على الوحشي.

يعـزّ عليكم، كيف يَرجعُ مُرمِلا (١) … غلامٌ من الآداب والمجـد كسبُهُ؟
تقـدّمني قـومٌ، وما ذاك ضائرى … لديكم، اذا ما أخلص الزُّبدَ وَطْبُهُ (٢)
أبانهُـمُ تلفيقُ جهـلٍ يَرُبُّهـم … وأخملنى تحقيـقُ فضـلٍ أُرَبُّهُ
تحلَّ بهـا يا "سعدُ" فهى قلادةٌ … يُزيِّنُ فيهـا فاخرَ الدرّ ثَقْبُـهُ
هـديّةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادكَ الـ … صَّداقَ لهـا مع فقره، فهو حسبُهُ
يرفِّعـهُ عن بذلة البعـد عتبُـهُ … وهمّتـه العليـا الى النـاس ذنبُـهُ
ولى أختُهـا عنـد الوزير تلوح فى … دجى الليل، أو تبدو فتَخجلُ شُهبُهُ
يلذُّ لهـا مَـدُّ النشـيد ولينُـه … ويُزهى بهـا رفعُ الكلامِ ونصبُهُ
لهـا حُسْنُهـا، لكن أريدكَ شافعًا … وخيرُ شـفيعٍ لى الى الجسم قلبُـهُ

✦

وقال وقد أنعم الله تعـالى عليه بالإسلام، ووفّقه لمـا كان يتردّد فى نفسـه من الاستنصار بلطفه وفضـله، وذلك فى سـنة أربع وتسـعين وثلاثمـائة، يذكر ذاك ويُهجّن قومَه بسـفَهِ ما هم عليـه ومعايبه، وكتب بهـا الى الكافى الأوحد يبشّره ويمدحه

(٦) دواعى الهوى لك أن لا تجيبا … هَجَـرْنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قَفَوْنا (٣) غرورَك حتى انجلتْ … أمـورٌ أَرَيْنَ العيونَ العيوبا
نَصَبْنَا لهـا أو بلَغنـا بهـا … نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لهـا مقْبلا … وغصنَ الشبيبة غضًّـا قشيبا
فقـل لمخوّفنـا أن يحـول … صِبًا هَرِمًا وشـبابٌ مَشيبا:

---

(١) المرمل : الذى نفد زاده . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) قفونا : تبعنا .

وِددْنا لعقّتِنا أننا ... وُلدنا اذا كُرِه الشَّيْبُ شِيبا
وبلِّغ أخا صحبتى عن أخيك ... عشيرته نائيا أو قريبا
تبدلتُ من ناركم ربَّها ... وخُبثِ مواقدِها الخُلدَ طيبا
حبستُ عنانِىَ مستبصرا ... بآيةِ يستبقون الذُّنوبا
نصحتكمُ لو وجدتُ المُصيخ(١) ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبا
أفيئوا فقد وعد الله فى ... ضلالةِ مثلكمُ أن يتوبا
وإلا هلمّوا أُباهيكمُ ... فمن قامَ والفَخْرَ، قام المصيبا
أمثلُ محمدٍ المصطفَى ... اذا الحكم وُلِّيتُموه لبيبا
بعدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفصلٍ مكانَ يكون الخطيبا
وثَبْتٍ(٢) اذا الأصلُ خان الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عاب الحسيبا
وصِدْقٍ بإقرار أعدائه ... اذا نافق الأولياءُ الكذوبا
أبان لنا اللهُ نَهْجَ السبيل ... ببعثته وأرانا الغيوبا
لئن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ ... ـن يُخرِجُ فى الفَلَتاتِ النجيبا(٣)
أَلِكْنى(٤) الى مَلِكٍ بالجبا ... ل يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا
فتًى يطرقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيا وجنابًا رحيبا
قوافىَّ تلك وَرَدْنَ النميـ ... ـرَ من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا
عوارىَ تُكسَى ٱبتساماته ... وفى القول ما يستحقُّ القُطوبا
ومن "آل ضَبّةَ" غصنٌ يهُزُّ ... جنيًّا، ويغمزُ عودًا صَليبا(٥)
وكانوا اذا فتنةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَنْ يُجلِّى الكروبا

(١) المصيخ: المصغى. (٢) الثبت: الثابت. (٣) الهجين: الذى ولد من أمة وأبوه عربى أو من أبوه خير من أمه. (٤) ألكنى: أرسلنى. (٥) صليبا: شديدا.

تداعوه : يا أوحـدًا كافيًا لنـا مستخَصًّا الينا حبيبا
فكان لنـا قمرا ما دجتْ وماءً اذا هى شُبّتْ لهيبـا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" ارتدى عَواراً بأن راح منـه سليبـا
فإن يُمسِ موضـعُه خاليـا فمـا تُعرَفُ الشمسُ حتى تَغيبا
لك الخيرُ مَوْلًى، رَميتُ المنى رِشاءً اليـه، فروّى قَليبـا (١)
لحظّى فى حبس سَـيْرى اليـك رأْىٌ سأنْظُرُه أن يؤوبا
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت قوارفُ (٢) منع تُجدِّدُ النُّـدوبا
ولى عزمةٌ فى ضمانِ القبولِ سَتُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبوبا
وإلا فتحملُ شكرا اليـك يَشُوقُ الخلِىَّ ويُغرِى الطروبا
وعذراءَ تُذْكِر نُعمـاكَ بى وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُشكَرُ بِجَـأَةَ عُنوانها اذا هو أعطاك وَسْمًا غريبا
فوفِّ، فقـد جَعَلَ الدِّينُ ما تنفّلتَ فى الجودِ فرضا وُجوبا
وقد كنتُ عبدا قصباً وجُدتَ فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا!

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بهـا الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُندارىّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد ، يشكره على كثرة وصفه إيّاه وإطرائه له ، وبلغه ذلك عنـه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ وخِلّى دون كلِّ هـوًى حبيبى
ومـولاى البعيـدُ يقـول خيرا قريبٌ قبـل مولاى القـريبِ

(١) القليب : البئر. (٢) قوارف : قواشر، من قوطم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها .

(٧)

ومادحَى المصرِّحُ شاهدًا لى — فـداءُ لمعـرِّض فى مَغيبِ
فـلا تتطلَّبى غَلَطاتِ شـوقٍ — فما إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أَرَدْتِيـنى ليملكنى نفاقا — سليمُ الوجه ذو ظَهرٍ مريبِ
وألسنـةٌ تظاهرنى صِحاحًا — وأعلمها بطائنَ للعيـوب
قد اعتـذر الزمانُ بودّ خِلٍّ — محا ما كان أسلفَ من ذُنوبِ
أتتنى ـ طاب ما أتتِ ابتـداءً — بلا حقٍّ عليه ولا وُجوبِـ
يدٌ منـه وَفَتْ بيـد الغمام الـ — مصيب ، همَتْ على العام الجديبِ
فمثَّـله التصوُّرُ لى بقلبٍ — يَرَى بالظنّ من خَلَلِ الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بها فتمِّم — وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى — يمينُ القَيْن يشحذ عن قضيبِ
بنا ظمأٌ وعنـدكُمُ قَليبٌ — وأنت رِشاءُ هاذاك القَليبِ
"أبو العباس" موئلنا و "سعدٌ" — فقل فى الطود ، أو قل فى الكثيبِ
رضيتك ثمّ لى ذخرا لنشر الـ — سليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سكنتُ اليه كُرهًا — كما سكَن العِـذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلِمتْ صَفاتى — على ما دسَّ قـومٌ من ذنوبى
اذا نَظَـر الحبيبُ بعينِ عطفٍ — فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيب

* * *

وقال بعـد عوده من حضرة الكافى الأوحد ، وقد تأخّر كتابه ورسومٌ له ، لغلبة الأشغال عليه ، وكتب اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شـفى الله نفسا لا تَذِلُّ لمطْلَبِ — وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا ، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ — لخطبٍ ، تلقَّاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيـدا من الأفكار ماكُنَّ حطَّةً ... فإن تك فى كسب المكارمِ تَقـرُبِ
تمرَّنْ بأخلاقى، فتى الحىّ، إن تكن ... رفيقـا، فإمّا عاذرى أو مؤنبى
تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن ... غنيًّـا تطامنْ للغنَى وتحبَّبِ
اذا لم تَجِدْ ما يُعظمونك رغبـةً ... وأردت النَّصْف منهـم فارهبِ (١)
فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـمُ ... وتقعدْ مع الوُسطَى تدُسْكَ فتَعْطَبِ
أفق يا زمانى، ربمـا أنا صائر ... الى سهلِ ما أرجو بفـرطِ تصعُّبِي
أغرَّك فى ثوب العفافِ تزمُّـلى ... وأخـذى مكانَ الآمل المترقِّبِ؟
اذا أنا طـالت وقفـتى فتـوقَّنى ... فإن لهـا لا بدّ وثبـةَ مُنجِبِ
ويا صاحبى، والذلّ للرزق موردٌ ... أضَنُّ بنفسى عنـه وهى تجودُ بى
خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهـا ... قد استوطأتْ من ظهرها غيرَ مركبى
حرامٌ وإن أمحضتَ مطـعم (٢) ... علىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
أأنت على هجـر اللئام معنِّفى؟ ... نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أو اغضبِ
أألقَى البخيـلَ أجتـديه بمدحةٍ ... خصمان فيهـا شاهـدى ومغيِّبى
وأكذِبُ عنـه فى عبارةِ صادقٍ ... كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مكذبى
تعـوّدته خُلقًـا، ثنـائى لمحسنٍ ... أقول بمـا فيـه، وذمّى لمذنبِ

(١) هكذا بالأصل وهو مختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظمونك رغبة ✻ ورمتهم أن ينصفوك فرهّبِ

وهو مختلف عن الأصل فى لفظه ، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبـةً ✻ به وأردتَ النَّصْف منهم فارهبِ

بزيادة "به" فى أول الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله ✻ حرامٌ – وإن أمحضتَ – أطيبُ مطعمٍ ✻

فما سرّنى فى الحقّ أنّى مع العدا ... ولا عابَ أنّى فى المحال على أبى
وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها ... فأُبتُ بها محمودةً فى المُعَقَّبِ
أريدُ بها "الكافى" بقلبٍ معذَّبٍ ... مُرادَ "ٱبن حُجْرٍ" قبلها "أمَّ جُنْدَبِ"(١)
وليلِ تِمامٍ(٢) قد قليتُ نجومَهُ ... اليه، يُردنَ الشرقَ، يَذهبن مَذهبى
وما لٱنفرادى مالها من تجمُّعٍ ... ولكن بقلبى ما بها من تلهُّبِ
وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَهُ ... متى يَبْغِ ظَنُّ العينِ أُخراه يُكْذَبِ
تراه — ولم تظفر مُحلِّقةٌ به — الـ ... ـعُقابُ بعينَىْ عاجزٍ فى تهيُّبِ
سَلكتُ فأدّانى بقلبٍ ملفَّحٍ ... عظائمَ ما ألقى، وجسمٍ مجرَّبِ
إرادةُ حظٍّ أتعبَتْنى، ومن تكن ... له حاجةٌ فى ذمّةِ الشمسِ يَتْعَبِ
فِدى الأوحد "الكافى" جبانٌ، لسانُهُ ... شجاعٌ، بحيث القولُ غيرُ مصوَّبِ ٨
بخيلٌ، لو انّ البحرَ بين بنانه ... وفرّقها عن قطرِهِ لم تَسرَّبِ
يساميه تغريرا برأىٍ مُشعَّثٍ(٣) ... يكدُّ ولا يُجدى، وعِرضٍ مشعَّبِ(٤)
ومنتسبٌ يومَ التفاخر مُسفِرٌ، ... اذا ٱنتسب "الضبّىُّ" قيلَ: تنقَّبِ
أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنخْ ... مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فٱركبِ
لعلك تأتى شِرعةَ الجودِ سابقا ... بهاذاك، مع فرط التزاحم تَشربِ
وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى ... فكلّهُمُ فيما مَلكتَ بنو أبِ
أنا ذاك، لم تكفِ ٱشتياقى زورةٌ، ... بَلى، زادنى بالبعدِ شجْوًا تقرُّبى
اذا كنتَ تهوى الشىءَ إمّا رأيتَه ... وأحببتَ أن تَشقَى، فزرْ ثمّ جنِّبِ

---

(١) يشير الشاعر هنا الى قول ٱمرئ القيس بن حجر

خليلىَّ مرّا بى على أمّ جُنْدَبِ ... لنقضى لُباناتِ الفؤادِ المعذَّبِ

(٢) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالى الشتاء. (٣) مشعّث: مفرّق. (٤) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ استقلّوا لقصدكم حنينَ الفتى العُذرىّ مرّ بربربِ
ووالله لم أهجركم العامَ عن قِلًى ولا أنّ سيرًا نحوكم كان مُنْصِبى
وما صاحبي قلبٌ بظنٍّ مُرَجَّمٍ الى غيركم فى العالمين مُقلِّبى
اذا أطربَ الإبْلَ الحُداءُ فإننى اليكم متى غنّيتُ فالجودُ مُطربى
ونفسى لكم، تلك التى لودادها ولو أُغْضِبتْ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ
أأمدحُ منها ما اختبرتم! وإنما يُظَنُّ بعتق السيفِ ما لم يُجرَّبِ
هجرتُ لك الأقوامَ حبًّا فوفّنى يَمِنْ بِى الى جدوى يديك تحزُّبى
وأشمتّهم ذا العامَ أنك جُرتَ بى ومذهبُك العدلُ الصحيحُ ومذهبى
لئن عتبوا أنى تفرّدتُ دونهم بمدحك، فاشهدْ أننى غيرُ مُعتِبِ
فإن خَبُثَتْ أيديهمُ لِى وأسْهَكَتْ(١) فرُبَّ نوالٍ طاهرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأميرَ سندَ الدولة أبا الحسن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيَهُ بها فى شهر ربيع الأول سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانِكَ بعضَ الجِدّ للَّعِبِ واْهجُرْ الى راحةٍ شيئًا من التعبِ
ما كلُّ ما فات من حظٍّ بليّتُهُ عجزٌ، ولا كلُّ ما يأتى بمجتلَبِ
لا تحسَبِ الهمّةَ العلياءَ مُوجِبةً رزقًا على قِسمة الأقدارِ لم يجبِ(٢)
لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أسعدَهم ما انحطّتِ الشمسُ عن عالٍ من الشُّهُبِ(٣)
أو كان أسْيَرُ ما فى الأُفْق أسلمَهم دام الهلالُ فلم يُمحَقْ ولم يغبِ
يا سائقَ الرَّكبِ غربيًّا وراءك لى قلبٌ الى غير نجدٍ غيرُ منقلبِ

(١) أسهكت: أنت فى عَرَقها بريح خبيثة. (٢) فى الأصل: لم تجب. (٣) فى الأصل: مِنْ.

تلفُّتًا، بخلال الضِّيقِ مُتَّسَعٌ   ورُبَّ منجذِبٍ فى زِىِّ مجتنِبِ
قِفْ نادِ يا "آل بكر" فى بيوتكمُ   بيضاءُ يُطرِبها فى حُسنها حَرَبى
لما رأت أُدْمَةً(١) نُكْرًا وغائرةً   شهباءَ(٢) راكضةً فى الدُّهم(٣) من قُضُبى(٤)
لوتْ ـ وقد أضحكتْ رأسى الخطوبُ لها ـ   وجهًا الى الصدّ يُبكينى ويَضحَك بى
لا تعجبى اليومَ من بيضائها نظرًا   الى سِنِىَّ، فمن سودائها عجبى
ما زلتُ ـ علمًا بأنّ الهمّ مخترمٌ   عُمرَ الشبيبةِ ـ أبكيها ولم أشِبِ
وُسُومُ شَيْبٍ، فإن حقّقتِ ناظرةً   فإنهنّ وُسُومٌ فىَّ للنُّوَبِ
تُرَى نداماىَ ما بين الرُّصافةِ فالـ   ـبيضاءِ(٥) راوين من خمرٍ ومن طربِ؟
أو عالمين ـ وقد بُدِّلتُ بعدَهمُ ـ   ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشبى؟
فارقتهم، فكأنى ـ ذاكرًا لهمُ ـ   نضوٌ تلاقت عليه عضّتا قتبِ
سقَى رضاىَ عن الأيام بينهمُ   غيثٌ، وبان عليها بعدَهم غضبى
إذ نَسكُبُ الماءَ بُغضًا للمزاج به   ونطعمُ الشُّهدَ إبقاءً على العنبِ
يمشى السُّقاة علينا بين منتظرٍ   بلوغَ كأسٍ ووثّابٍ فمستلِبِ
كأنما قولنا للبابلىّ: أدر   حلاوةً، قولنا للمَزْيَدىّ: هَبِ
فِدَى علىٍّ جبانُ الكفّ مقتصرٌ   من الفخار على الموروث بالنسبِ
يُرَى أبوه ولا تُرْضِى مكارمُه   الأرضُ صحّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ
ومُشْبَعون من الدنيا وجارُهمُ   بادى الطَّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

(١) الأدمة : السمرة فى الإنسان، ولون مشرَبٌ سوادا فى الإبل . (٢) الشهباء : البيضاء يصدعها سواد . (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود . (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَض، وكلّ ألفاظ البيت من باب الاستعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية . (٥) الرصافة والبيضاء : اسما بلدتين .

قـل للأمير، ولو قلت : السماءُ به   مفضوحةُ الجَـوْد[١]، لم تَظْلِمْ ولم تَحُبِ[٢] :

أعطيتَ مالَك، حتى رُبَّ حادثةٍ   أردتَ فيها الذى تُعطِى فلم تُصِبِ

لو سُمتَ نفسَـك أن ترتاضَ تجرِبةً   بحفـظ ذاتِ يدٍ يومين لم تَطِبِ

كأنّ مالَك داءٌ أنت ضامِنُـه   فما يُصِحُّك إلا علّةُ النشبِ

لو كان يُنصفك العافون لاحتشموا   بعضَ السؤالِ ، فكفُّوا أيسرَ الطلبِ

يا بدرَ عَوْفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أَسَد   وأَسَـدٌ[٣] شامةٌ بيضاءُ فى العـربِ

أنـتمُ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفةً[٤]   أخبارُكم، وعُلًى تَـلْدٌ[٥] من الحِقَبِ

أحلَى القـديم حديثًا جاهليتُكُمْ   وقَصُ أسلافكم من رتبـة الكُتُبِ

ما كنتمُ مذ جلا الإسلامُ صفحتَه   إلا سـيوفَ نبىٍّ أو وصىِّ نبى

بكم "بِصِفّينَ" سـدَّ الدِّينُ مَسكنَهُ   و "آلُ حَرْبٍ" له تختال فى الحُرَبِ

وقام "بالبَصْرة" الإيمانُ منتصبًا   والكفرُ فى "ضَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ

حـتى تقيَّلتها إرثًا، وأفضـلُ ما   نقلتَ دينَك شَرْعًا عن أبٍ فأبِ

اذا رأيتَ نجيبًا صحَّ مـذهبُـهُ   فاقطع بخـير على أبنائه النُّجُبِ

لا ضاع، بل لم يضعْ يومَ انتصرتَ به   وأنت كالوِرْدِ، والأعداءُ كالقَـرَبِ[٦]

وقـد أتوكَ برايـاتٍ مكـرّرةٍ   لم تدرِ قبلك ما اسمُ الفرّ والهـربِ

تمشى بهـم ضُمَّـرٌ، أَدْمَى روادفَها   غرورُ فـرسانها بالفـارسِ الدَّرِبِ

لمـا دعوتَ "عليًّا" بينهم، ضَمِنتْ   لك الولايةَ فيهـم ساعدُ العطبِ

حكت رءوسَ القنا فيـه رءوسُهمُ   حـتى تموّهتِ الأعناقُ بالعَـذَبِ[٧]

(١) الجود : المطر. (٢) لم تحب : لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشطر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه ورابعه الساكنان. (٤) الطارفة : الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ : سير الليل لورد الغد. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبة وهى خرقة تشدّ على رأس الرمح ، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة .

وطامعٌ فى معاليــك آرتقى فهوى وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضلا تمّ فيك الى عيبٍ يعــوّذُه من أعينِ النُّوَبِ
أحبتكم ، وبعيــدٌ بين دَوْحتنا(١) فكنتُ بالحبّ منكم أىَّ مقتَرِبِ!
وودُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابتَــهُ يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفَّــعَ الصونُ إلا عن مناقبكم أسبابَ مدحِىَ فى شِعرى وفى خُطَبِى
فمــا ترانِى أبوابُ الملوك مــع الـ زّحام فيهــا على الأمــوال والرُّتَبِ
قَناعــةٌ رَغِبتْ بى عن زيارة مســ ـدولِ الســتورِ وعن تأميلِ محتجبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منــك لو طَرَقت تَســامُ مُلكَكَ لم تُحــرَمْ ولم تخِبِ
ملأتُ بالشكرِ قلبَ الحافظ الغزِلِ الـ ـفؤادِ منهــا وأُذنَ السامع الطَّــرِبِ
فــرأىُ جُودِك فى أمثالهــا لفــتًى أتاك بالحرمتين الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فمــا سببٌ اليــك أوكدُ فى الأمرين من سببى

✤

وقال وكَتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ،وقد ورد من فارس يهنّئه بخِلَعٍ أُفيضت عليه بها، وتكرِمةٍ لحقتْه فيها، وبسلامته وبالمِهْرَجانِ(٢)، ويقتضيه حاجةً كانت له

رعى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ سميعٍ عــلى بُعــدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّــرَ فتيانا من الذمِّ طهّــروا غيوبَهــمُ(٣) أن تُنْتَحى بعيــوبِ
ســواءٌ على عُسرى ويُسرِى وفاؤهم وألســنُهم فى مَشــهَدى ومَغيبِى
أحبُّوا المعــالى وهى مُنصِبةٌ لهــم فمــا قَنِعوا من وصــلها بنصيبِ

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة الباسقة .
(٢) المِهْرَجانُ : عيد الفرس ، وهى كلمة مركّبة من "مِهْر" و "جان" ومعناها : مَحَبَّةُ الروح .
(٣) فى الأصل : عيوبهم .

لجارهم من دارهم مثـل ما لهم … على راحـةٍ من عيشهم ولُغـوبِ (١)
اذا جئتهـم مستصرِخا ثارَ مجدُهم … بكلِّ مُجيبٍ فى الخطـوب مَهيبِ
وكرّم عيشى عنـدهم وأعاده … بما فاض من حُسْنٍ عليـه وطِيبِ
تعـيّرنى "لَيْـلَى" الوفاءَ بعهـدِهم … عـلى بُعـدِهم، أنّبتِ غـيرَ مُنيبِ!
خُلقتُ رقيق القلب، صـعباً تقلُّبى … أرَى لبعيـدٍ ما أرَى لقـريبِ
وما زلتُ أهـوَى كلَّ شىء ألفتُـه … وصاحبتُه حـتى ألفتُ مَشـيبى
وتُنكِر أضـفارى (٢)، كأنْ لم تَرَ الصِّبا … سـقَى وَرَقى يوماً وهزَّ قضـيبى
ولم ألقَ أشراكـا فأثنى حبالَهـا … على ما آشتهتْ من أعينٍ وقلوبِ
فما زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصْبِحِى … بأسمـاله (٣) حتى آستردَّ قشـيبى
فداءُ بنى "عبـد الرحيم" ووِدُّهم … هوى كلِّ ممذوق الوداد مُريبِ
ولا بَرِحتْ، تسقِى "الحسينَ" وعَرْصَهُ … بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ
مجلجِـلةُ الأرجاءِ، صادقُ برقِهـا … حَلوبٌ لمـاء الشِّـعرِ غـيرُ خَلوبِ
مَرَتْها (٤) رياحُ الشـكر حتى تلاحمتْ … بمـا نسـجتْها من صَـباً (٥) وجَنوبِ
فصابت، فعمّت ماسقته، فأخصبتْ، … عـلى أنها لم تُسْـقِ غيرَ خَصيبِ
وجازاه ملكا فى الجـزاء فضـيلةً … وأدّى ثوابَ الشكر حقَّ مُثيبِ
أخى، وأخى الموروثُ غـيرُ موافِقٍ … ومولاى (٦)، وآبنُ العمِّ غـيرُ نسيبِ
ضميرٌ على حكم اللسان، وبعضُهم … أخـو مَلَقٍ يُبـلَى أخـوه بذيبِ
وعن حفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغى … به غَلٌّ (٧) أسرارٍ وعينُ غيـوبِ

(١) اللغوب: التعب. (٢) أضفار: جمع ضَفْرٍ وهى كلّ خصـلة على حدتها كالضفيرة.
(٣) الأسمال جمع سَمَلٍ وهو الثوب الخَلَقُ. (٤) مرتها: آستخرجتها. (٥) الصَّبا: الريح الشرقية، والجنوب: ريح تقابل الشَّمال. (٦) المولى: ابن العم. (٧) الغَلّ: الماء جرى بين الأشجار.

فكم غمّــة عمياء أعضــلَ داؤها ... رماها برأيٍ من نُهاهُ طبيبِ
وشاهــدةٍ (١) بالفخر أوفتْ صــفاتُها ... على كلّ معــنًى فى الجمال عجيبِ
أتت شَرَفًا من سيّدٍ، وكأنها ... أتت من محبٍّ تُحفــةً لحبيبِ
صَفَتْ وَصَفَت حتى آستطالت جنوبها ... بوافٍ، ومــدّتْ باعَها برحيبِ
ونيطتْ بأخرى مثلِها فتظاهــرا ... على ظهــر طَودٍ فى قميص قضيبِ
ومنحولةٍ (٢) جسمَ الهــواءِ نحيــلةٍ ... كأنّ الهوى فيها رَمَى بمصيبِ
من الريح، لولا أن "يَذْبُلَ" تحتها ... وقارُك ، مرّتْ عنك مرَّ هُبوبِ
اذا دقَّ مسًّا وقْعُها جلَّ رفعُــها ... الى منصبٍ فى القَــريتين (٣) حسيبِ
وذى شيبتين (٤) آستوقف الصبحَ والدجى ... على ناصــلٍ من لونه وخضيبِ
كأنّ السحابَ جَوْنَها و بياضَها ... تفــرّعَ من صافٍ به ومَشوبِ (٥)
تشبّثَتِ الأبصــارُ حتى تمكّنتْ ... وقــد كرّ من هادٍ (٦) له وسَبيبِ (٧)
تَوقَّ الأذى من عُرْفه بخميــلةٍ ... وحَكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ (٨)
وأعجبَــه فى رِدفــه ووشاحــه ... ملابسُ تكسو منــه كلَّ سليبِ
نصيبٌ من الدنيا أتاك ففُــزْ به ... ولا تنسَ من فضــلِ العطاء نصيبى
كفى المِهرجان مُــذكِرًا وذريعــةً ... الى محُســنٍ فى المكرُماتِ مُطيبِ
بقــاؤك ألفًــا مثــلَه فى كفالتى ... دعوتُ، ومنّ اللهُ فيــك مجُيبى
فــا زال فيــكم كلُّ خيرٍ طلبتُــه ... قُضى لِىَ فى إدراكــه وعُنِى بى

(١) يقصد بقوله "وشاهدة" خلعة ضافية . (٢) منحولة : معطاة . (٣) القريتين : اسم بلد . (٤) يصف جوادًا . (٥) فى الأصل "شُبوب" وهو خطأ . (٦) الهادى : العنق . (٧) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس. (٨) العسيب : عظم الذنب أو منبت الشعر منه .

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى الحسن الهُمَانىّ فى عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنئه ويُعرِّض بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ — وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغى عندكم قلبًا سمحتُ به، — وكيف يرجِعُ شىءٌ وهو موهوبُ؟
ما كنتُ أعرفُ مامقدارُ وصلِكُمُ — حتى هجرتم، وبعضُ الهجر تأديبُ
أستودع اللهَ فى أبياتكم قمرًا — تراه بالشوق عينى وهو محجوبُ
أَرضَى وأسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه — وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ
أمَّا وواشـيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ — وهل يُجابُ وبذلُ النفس مطلوبُ؟
لو كان يُنصِفُ ماقال: آنتظرْ صِلَةً — تأتى غدًا، وآنتظارُ الشىء تعذيبُ
وكان فى الحبّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ — منـــه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ
يا لَلَّواتى بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى — خـدودهنّ من الألوانِ منسوبُ
تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسوِّده — بصبغةٍ وكلا اللونَيْنِ غِربيبُ(١)
ما أنكرتُ أمسِ منه ناصلًا يَقَقًا(٢) — ما تُنكرِ اليومَ منـه وهو مخضوبُ ١١
ليتَ الهوى صان قلبى عن مَطامعه — فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ
إنى لأسغَبُ(٣) زهـدًا والثرى عَمَمٌ(٤) — نبتًا، وأظماوغَرْبُ(٥)الغيثِ مسكوبُ
ولا أرِقُّ لحِرصٍ خابَ صاحبُـهُ — سعيًا، ويعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ

---

(١) الغربيب: الشديد السواد، يريد أن كلا اللونين فى الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب، أسود فى لونه لأن كليهما لا ترضاه العين، وقد قال المتنبى

ابعدْ بعدت بياضًا لا بياضَ له — لأنتَ أسودُ فى عينى من الظُّلَمِ

(٢) اليقق: الأبيض. (٣) أسغب: أجوع. (٤) العمم: اسم لكل ما آجتمع وكثر.

(٥) الغرب: الدلو العظيمة.

عُقبى الطاعة فى مالٍ يمنّ به   عُصارةٌ لا يُغطّى خُبثَها الطِّيبُ
طَهِّرْ خِلالَك من خِلٍّ تعابُ به   وآسلمْ وحيدًا فما فى الناس مصحوبُ
إنى بُليت بمضطرٍّ رفيقُهمُ،   والماءُ يملُحُ وقتًا وهو مشروبُ
كم يوعد (١) الدهرُ آمالى، ويُخلفها   أخًا أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ (٢)
أسعى لمثل سجايا فى "أبى حسنٍ"   وهل يُبلِّغنى الجوزاءَ تقريبُ (٣)!
فِدى محمدٍ المنسىِّ نائلُه   مُراجعٌ، نيلُه المنزورُ محسوبُ
حالٌ تحدّثه الأحلامَ جاهلةً   لحاقَه، وأخو الأحلامِ مكذوبُ
إن قدّم الحظُّ قومًا غالطًا بهمُ   أو بيّتهمْ عناياتٌ وتقريبُ
فالسيف يُخبَرُ قطعًا وهو مدّخرٌ   والطِّرْفُ يكرُمُ طبعًا وهو مجنوبُ (٤)
حذارِ من حدَثِ النعماء مؤتنفٍ (٥)،   علاؤه بشفيع الوجه مجلوبُ
تسوءه سائلا : من أين سؤددُه؟   إنّ اللئيم بما قد ساد مسبوبُ
أأنت أنت وفى الدنيا "أبو حسنٍ"؟   صدقتَ إن لفى الدنيا أعاجيبُ
اذا رأيتَ ذيولَ السَّرح آمنةً   لم يَحمِها، فلأمرٍ يحلمُ الذيبُ
يا مُلبسى الشيمةَ الغرّاءَ ضافيةً   علىّ، إن قلَصتْ عنّى الجلابيبُ
عَلِقتُ منك بعهدٍ لا مواثقُه   تُنسى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ
وأحمدتْك آختباراتى وقد سبَرتْ   غَوْرَ الرجال وكدّتها التجاريبُ
فلتجزينّك عنّى كلُّ غاديةٍ   لها من الكَلِم الفيّاضِ شؤبوبُ (٦)
اذا وسمتُ حَياها باسمك آنحدرتْ   له الرُّبى وأطاعته المصاعيبُ

(١) فى الأصل "يعد" (٢) عرقوب : اسم رجل كان أكذب أهل زمانه و يضرب به المثل فى الخلف . (٣) التقريب : ضربٌ من العدو . (٤) فى الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذى تقوده الى جنبك . (٥) حدث النعماء مؤتنف : حديث النعمة جديد العهد بها . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعَلّق بالأستارِ مكروبُ
تُرجى وتُخشى فَسِيحَ الباب ممتنِعاً إن الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

⁂

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ وآستقلّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعده ويذكُرُ المسرّة بقُربِه

أفلحَ قومٌ اذا دُعوا وَثَبُـوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نهضاتُهُم عزائمَهُمْ أن تُستشارَ[1] العاداتُ والعُقُبُ[2]
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهم مُطالبَـةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بما طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يَصبِرُ للـ أوزار مستسلما ويَحتسِبُ
إن فاته حظُّ غيرِهِ فله منه آغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكنٍ إلا غلاماً يريحه التعبُ
تَضمَّنَ السيرُ صدرَ حاجتِه والثِّقتان التقريبُ والخَبَبُ[3]
من مبلغُ البينِ يومَ دلّهنى : آبَ ، بما سرّ بَعدَك ، الغيَبُ[4]
رُدَّ شبابى من "الحسين" كما كان ، وعادت أياميَ القُشُبُ[5]
يا قادما أُتهِمُ البشيرَ به من فرح ، أنّ صِدقَه كذِبُ
سِرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْدَك أنّ المقيمَ مغتربُ

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغَيَبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهو الجديد .

أحتشم البدرَ أن أراه فأل ـحاظِى عنـه بالدمع تحتجبُ (١٢)
وكم تصدَّى عمـدًا ليخدَعَنى يَسـفِر عن غيهبٍ وينتقبُ
فـلم أزده على مسارقة ال ـجفن ولحظٍ بالكره يُستلبُ
وعَـبْرةٍ ريِّه (١) وَحليتَـه، يُشرَبُ من مائها ويُختَضَبُ
ويومِ بينٍ صَبَرتُ قبلَك، أن يفوتنى الحزمُ فيـه والأربُ
حَملتُـهُ ثابتَ الحشا ذَكَرَ ال ـقلبِ، وموجُ الحُمولِ مضطرِبُ
سلوانَ أجزِى بالصدّ جانيَـه بملك رأسى إن أظلم الغضبُ
ونظـرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن ال ـبيتِ وفيه الجمالُ والحسبُ
بسُـنَّةِ غيرِ ما آقتضَى أدبُ ال ـحبِّ حفاظًا، وللهوى أدبُ
وآنقدتُ طوعا فى حبل (٢) ظالعة (٣) تجنَبُنى أو يقـالَ: مُجتَنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهـدُها سـوداءَ تُرضَى حباً وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاحِ واعظةً: لا يَلتـقِ الأربعونَ واللعبُ
أعدَى بها الشَّيبُ وهى واحدةٌ ألفًا، ويُعدِى الصحائحَ الجُرُبُ (٤)
يا ساكنًا ثائرَ العـزيمة مـ ـسِّ الصِّلِّ من تحت لينه يثبُ
قد عَلِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ ـلُ الرأىِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أنّ قلوبا غِشًا، تميل مع الـ ـدولة أهـواؤُها وتنقلبُ
وأنّ سِرًّا متى آصـطفاك له أخلصَ ما فى إنائِه الذهبُ
لما تجلَّى وجهُ الحـذارِ وليـ ـمَ آبنٌ على غدره وخِيفَ أبُ

(١) فى الأصل: زيّه. (٢) الحبل: الرسن. (٣) يريد بقوله "ظالعة": شعرة فى رأسه شائبة تجنبه مجالس أنسه ولهوه وقد شبهها بالناقة الظالعة وهى التى تغمز فى مشيها. (٤) الجرب جمع أجرب وهو غير الصحيح.

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجحةٍ يسبِقُ حِرصًا حديدَه العَقِبُ
لم يَثْنِ فأل الشهورِ عزمتَـه لا صَـفَرٌ عائقٌ ولا رجبُ
جَرَتْ عليه أو مرّت الريح تلقـ ـاها بوجه أديمُـه كَرَبُ (١)
قَلِيـلةُ الجَرْىِ وهى جامدةٌ له كيوم الجـوزاءِ يلتهبُ
سفَرتَ فيها سَفارةَ الليثِ لا يرجعُ إلا فى كفِّه الطلبُ
لسـعيه ما أهمَّه الدمُ والـ ـلحم ولكن لغيرِه السَّلَبُ
حتى ٱستقامت على تأوّدهـا (٢) وٱنتظمتْ فى رءوسِها العَذَبُ
جزاكَ حسنَى ما ٱسطاع إنْ وَزَنَتْ فعـلَك تلك الأقدامُ والرتبُ
أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ ـتدّ الى مَطـرَحِ المُنَى سـببُ
وضافياتٍ تطول فى مذهب الـ ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسـحبُ
أُهْدِىَ، من مُزنة السماء لهـا ماءٌ، ومن نور شمسها لهبُ
اذا علتْ مَنكِبًا علَا، فعيـو نُ الدهرِ زُورٌ (٣) عن أفقه نُكُبُ (٤)
أوكيتَ (٥) رأسًا منها مُوافِيـهُ (٦) فكلُّ رأسٍ لمجـدِه ذَنَبُ
وصافناتٍ (٧) بين المواكب كُثـ ـبانٌ (٨) وفى الروع ضُمَّرٌ قُضُبُ
ضاقت مكانَ الحصورِ وٱتسعتْ أضالعًا لا تُقِلُّها الأُهَبُ (٩)

---

(١) قد ورد هذا البيت فى نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقـ ـاها بوجه أديمـه كرَبُ

والكَرَبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأوّد : الأعوجاج . (٣) زور : جمع أزور وهو المائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المائل أيضا . (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أى شدّ رأسها بالوكاء، وهو الرباط . (٦) فى الأصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهبة وهي العدّة .

تَغيبُ فى جريها قوائمُها ... فما تُرَى أذرعٌ ولا رُكَبُ
من كلّ دهماءَ أنسُها الليلُ تعـ ... ـزوه الى لونها وتَنتسِبُ
ثارت فطارت فخاضت الأُفُقَ الـ ... ـعُلوِىَّ تجتاحــه وتَنتقبُ
فَمِنْ ثُرَيّاه أو مَجَــرّته ... لجامُها العسـجدىُّ واللَّبَبُ (١)
مواهبٌ لا يُرَبُّهُنَّ أبٌ ... إلا شفيقٌ على العلا حَدِبُ (٢)
من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَرَدوا ... ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا
مُثْرِينَ مجــدًا ومُقْتَرِينَ لُهًى (٣) ... والمجدُ طَبْعٌ والمالُ مكتسَبُ
فُرسانُ يومِ الطعانِ إن طَعَنوا ... بالألسن المشكلاتِ أو ضَرَبوا
لا يَرجِعُونَ الكلامَ كَزًّا من الـ ... ـعِىِّ ولا يعـرفون ما كَتَبوا
دعا فؤادِى شوقى اليك على الـ ... ـبعدِ، فلبّيكَ والمَدَى كَثَبُ (٤)
جوابَ من لا يُرام جانبُــهُ ... منذُ غَدَا وهو جارُك الجُنُبُ (٥)
ولا يُبالى اذا سلمتَ له ... ما حَصَدتْ من نباتها الحِقَبُ
حَمَلْتَ دُنيايَ فآسترحتُ، وقد ... طال عناءُ الآمالِ والتعبُ
وقُمتُ مذ قادنى هُــداك على ... مَحَجّــةٍ لا تدوسها النُّــوَبُ ١٣
فليحمدنِّى فى كلّ قافيــةٍ ... تزيدُ حسـنا فى دُرّها الثُّقَبُ
أمسحُها (٦) فيك أو تَقِرّ وقــد ... أوغل (٧) فى أمّ رأسها الشَّغبُ (٨)
حُلِّيَ من المعدن الصريح، اذا ... غشَّ تِجارُ الأسعارِ ما جَلَبوا

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع آستئخار الرحل. (٢) الحدِب : المتعطف. (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها. (٤) كثبٌ : قريبٌ. (٥) الجارُ الجنب : جارك من غير قومك. (٦) أمسحها : أحسّنها. (٧) أوغل : يقال أوغل فى الشىء : اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤدّى الى الشر.

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك لل … ـمعَنى، وتَرضَى لسانَها العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسـدُها … ضرورةَ الحقِّ وهـو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحـزِنُهُ … ومن أنينِ الحمامةِ الطَّرِبُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ … ـدنيا رحًى، أنتمُ لها قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم … ومِنكُمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فـدَاكُمُ خاملون لو كاثَرُوا الـ … ـرملَ بأعدادهم لما حُسِبوا
لا يَخلُقُ العَـدلُ فى خلائقهم … لينًا، ولا يُكرَمُونَ إن شربوا
أَخَّرَ أَقدامَهـم وقدّمكـم … أنهُـمُ يحسبون ما كَتَبوا

✦

وقال وكَتَب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضبْ … ما غالَبَ الدهرُ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبْحَ ما خيَّبنى؟ … اذا علمـتُم كيفَ أجملتُ الطلَبْ
اذا اجتهـدتُ لم يَعِبْنى فعـلُهُ … ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى عـلى الهُـزال راتعٌ … يحسَبُ ما أسمنَهُ مما اكتسبْ
ومن يَرَأْ (١) مِن بِلَّةِ الخِصْبِ دَرَى … أنّ الحظوظَ منحـةٌ بلا سَـبَبْ
لله ما أبصـرَنى بزَمَـنِى! … لو سَلِمَ المَجلومُ (٢) من عَيْبِ الأزبّ (٣)
جَنباىَ للحَمْـلِ، وجاء لائما … أملسُ لم يَقْمِص (٤) لعضّات القَتَبْ
جرِّبْ كما جرَّبتُ فى الناس تجِدْ … أصدقَ ظنِّك الذى فيهم كذَبْ
تستحفل الضَّرعَ فإن لامستَه … عاد بَكِيئًا (٥) جلدُه بلا حلَبْ

(١) يَرَأْ : يمتلئ من الطعام، وفى الأصل : يرا . (٢) المجلوم : المحلوق . (٣) الأزبّ : كثير شعر الوجه والعثنون . (٤) يقمص : يثب . (٥) البكئ : الناقة قل لبنها وفى الأصل "بكيًا".

إنك ما آستعففتَ أنتَ المُجتبَى — وما ثطفت (١) فأنتَ المُجتنَبْ

نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها — توقَّ مَن تأمنُ وآهجرْ مَن تُحبّْ

كم من أخٍ ملأتُ كَفّيَّ به — أحسبُ فى الوفاء غيرَ ما حسبْ

حَمَلتُه أطوى حياءً عيبَهُ — كما حملت (٢) جلديك الجربْ

وحالياتٍ من جمالٍ ونَسَبْ — نفّرهُنّ عَطَلٌ من النشب (٣)

بكَرْنَ إشفاقاً يعبنَ مقعدى — على الخمول : ما لهذا لا يثبْ؟

نراه تحتاً ونرى مَنْ تحتَه — فى الفضل فوْقاً، يالهَذا مِن عَجَبْ!

أمَا جَنَى خيرا له آدابُه، — أعاذكُنَّ اللهُ مِن شرِّ الأدبْ

هو الذى أخّرنى مَشارِفَ (٤) ال — سبق، فأظمَا شفتى على القَرَبْ

لا تغترِرنَ بابنِ أيوبَ اذا — أُعجِبَ منه بالصفايا والنُّخَبْ (٥)

فإنه ممّن ترينَ واحدٌ — وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ

يطلبه قومٌ، وما آجتهادهم — فى حلبةٍ مُدركُ رأسٍ بذَنَبْ

أكُلُّ من تشجّرتْ نسبتُهُ — صَحّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!

وساعدتْهُ يدُهُ ونفسُهُ — بالفضل والبذل فسادَ ووَهَبْ

تزحزحوا — فليس من أوطانكم — للأسَد الوَرْدِ (٦) عن الغاب الأشِبْ (٧)

ولا يروقنّكمُ تشادُقٌ — فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفى بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حَمَلَتْ جلديك الجَرَبْ *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالى من الأرض وقد آستعاره هنا للسبق .

(٥) الصفايا والنخب جمع صفىّ ونخبة وهما ما يُصطفى ويُنتخب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر .

دَعُوا قنا الأقلامِ إن نكصتُمُ — لحاذقِ الطعنِ اذا شاء كَتَبْ
من تاركى السيوفِ وهْى زُبَرٌ(١) — شدائدٌ أسرى بجزّارِ القصبْ
قومٌ اذا نار الوغى شبّتْ لهم — كتائبا فلوا شباها بالكُتُبْ
إن شووروا لم يَعجلوا أو سُئلوا — لم يقفوا تلفّتا الى العُقُبْ
لا ظَهرُهم لِغيبةٍ إن ذُكروا — يوما، ولا مِلحهُم على الرُكَبْ(٢)
وقَصَّ(٣) آثارَهم محمدٌ — شهادةٌ، إنَّ النجيبَ آبنُ النُجُبْ
فلا تزلْ نوافذٌ صوائبٌ — يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبْ
ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ — مودةٌ خالصةٌ من الرِّيَبْ ١٤
وآختلف النيروزُ والعيدُ، وما — توافقا فى بُعُدٍ ولا قُرُبْ
تأخذ ما تشاء من حظّيهما — مقترحًا محتكما وتنتصِبْ
وزائراتٍ طَبَّبَتْ(٤) أعطافَها — منك بذكرٍ لو عَداك لم تَطِبْ
جَواريًا مع الرياح بالذى — أوليتَ، أو سَواريًا مع السُحُبْ
كلُّ فتاةٍ قرّ لى شِماسُها(٥) — وذَلَّ فى فودىَّ منها ما صَعُبْ
تلقاك نفسا حرّةً من فارسٍ — بِنتَ الملوكِ، وفمًا من العربْ
تُروَى، فلو أطربَ شىءٌ نفسَه — لقد سمعتَ من قوافيها الطربْ
أضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُها — وحاسدوك إن علوتَ فى تَعَبْ

---

(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد. (٢) يقال: ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس: "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكته للركب قرّح ركبتيه فهو يضع الملح عليهما يداويهما به. (٣) قصّ: آقتفى. (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده. (٥) الشماس: الآمتناع والإباء.

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيوب أيضا

أَصَبتُ لو أَحمدْتُ أن أُصيبا وفزتُ لو كان الحِجا المطلوبا
وراضَ منّى الدهرُ ظَهرًا لم يكن ـلو أنْصَفَ الحظُّ لهـ مَركوبا
أقسمَ لا آزددتُ به فضيلةً دهرِىَ إلا زادنى تعذيبا
فكلّما آنستُ منه بأذًى بَقاهُ وآستأنف لى غريبا
رَميتُ حظى بوجوهِ حِيَلى فلم أُصِبْ ولم أقع قريبا
تنزهٌ يُعابُ أو محاسنٌ محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا
أُنظر الى الأقسام (١) ما تأتى به متى أردتَ أن ترى عجيبا
تجمَعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ وما تجمَعُ الرزقَ والأديبا (٢)
ليتَ كفانى الدهرُ مَعْ تخلُّصى مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا
أو ليتَ أعدَى خُلُقِى جنونُه فكنتُ لا سَمْحًا ولا لبيبا
يا صاحبَ الزمانِ مغترًّا به أنتَ دمٌ فآحذرْ عليك الذيبا
تبعثُ ألحاظُك من وفائه بارقةً صيفيّةً خَلوبا (٣)
سَلْنِى به وقِسْ علىَّ معَهُ فقد قتلتُ أهلَهُ تجريبا
بَعدَ عنائى وآجتهادى كلِّه بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا
جاءت به بعد التراخى غَلَطًا ثم نوتْ من بعدُ أن تتوبا

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدّين الماءِ والنارِ أصعب من الجمع بين الحظ فى الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبى

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بأصعبَ من أن أجمع الجَدَّ والفهما

(٣) فى الأصل " حلوبا " وهو تحريف .

أبلجَ بسّامَ العشىّ واضحا ريّانَ مخضرّ الثرى رطيبا
تصفو المدامُ وتروقُ ما آتمتْ حُسْناً الى أخلاقه وطيبا
للمجد قومٌ وقليلٌ ما هُم وفى القليل تجدُ المطلوبا
كالنجم للباعِ المديد بُعْدُه وللعيون أن يُرَى قريبا
لا تشكرنّ من فتىً فضيلةً وليس فيها مُعْرِقا نسيبا
فإنما أعطى "آبنَ أيوبَ" المَدَى فى الشرف آقتفاؤه "أيوبا"
يا لابسَ الكمال غيرَ مُعْجَبٍ تركتَ كلَّ لابسٍ سليبا
إن غادر الشكرُ لساناً ناكلا (١) وكان سيفا قبله مذروبا (٢)
فقد عقدتَ لَسَنِى (٣) وقُدتنى بالطَّوْلِ فى حباله جنيبا (٤)
حَسبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ عدَّ الذى أوليتنى محسوبا
فى كل يومٍ شارقٍ معونةٌ تبرّدُ حرّ جوْره المشبوبا
ونعمةٌ تسير فى نُضوحها خَرْقَ (٥) الجديب فيُرَى خصيبا
يُحجلنى آستقبالُها فتحسبُ الـ ـعينُ آبتسامى نحوَها قُطوبا
لو شئتُ لاَسترحتُ من أثقالها إن كنتُ من مكرُمةٍ متعوبا
كنتُ أخًا ، فلم تزل تَسبِغنى باللطف حتى خِلتُنى حبيبا
فإن قضى الثناءُ حقَّ نعمةٍ أو كاد أن يقضيَها تقريبا
وأقنعَ الميسورُ فاحبسْ شُرَّدًا تسألُ عنها الشمألُ الجنوبا
يَعلَقُ بالعِرض الكريم نشرُها وهى به طائرةٌ هُبوبا

(١) ناكلا : ناكصا . (٢) المذروب : المحدود . (٣) اللسن : الفصاحة . (٤) الجنيب : يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب . (٥) الخرق : القفر .

اذا بنيتُ البيتَ منها وَدّتِ الـ ... أسماعُ لو كانت له طُنــوبا (١)
يَخْــلُدُ مسموعا ويُغْنِي كلَّمـا ... عَوِّضتَ مُهْدًى عنه أو موهوبا (١٥)
عُدَّ السنينَ صومَها وفِطرَها ... تُخَفُ مَقْــروءا به مكتوبا

⁂

وقال وكتب بها الى مؤيَّد السلطان أبى القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبى محمد ٱبن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها، ودنانيرَ حملها اليه سنيّةٍ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه، يشكر منالَه ويصف فيها السفينةَ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أُنفذت الهــديّةُ على يده، وتعرُّضَه لهـا وٱستبدادَه ببعضها، ويذمُّ الغــلامَ ويسأل الغرامة، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجنابِ" (٢) ... متى عَرِيَتْ رُباكِ من القِبابِ ؟
وكيفَ تشعَّبَ الأظعانُ صبحا ... بدائدَ (٣) بين وُهْدِكِ (٤) والشِّعابِ ؟
بطالعــةِ (٥) الهلال على "ضُمَيرٍ" (٦) ... وغاربةٍ كمنقَضِّ الشِّهابِ
حَمَلْنَ رشائقًا ومبــدَّناتٍ ... رماحَ الخَطِّ تَنْبُتُ فى الرَّوابى
وأينَ رضاكِ عن سُقيا دموعى ... ربوعَكِ من رضاكِ عن السحابِ
بكيتُكِ للفراقِ ونحنُ سَفْرٌ (٧) ... وعُــدْتُ اليومَ أبكى للإيابِ
وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ ... قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّبابِ"
لهـا أَرَجٌ بمـا أبقاه فيهـا الـ ... ـتصافحُ بعدُ من ريحِ الخِضابِ
أمفصِحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ ؟ ... وكيف يُجيبُ رَسمٌ فى كِتابِ ؟

---

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء والنون وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت . (٢) الجِناب : اسم واد . (٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهْد جمع وَهْد وهو ما ٱنخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "بطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحلتِ ففى ترابِك منكِ رَسمٌ ... كما أنى خيالٌ فى ثيابِى
وفى الأحداج مُتعبةُ المطايا ... تُلينُ عرائكَ الإبلِ الصِّعابِ
بَعيدةُ مَسقطِ القُرْطين تُقرا ... خُطوطَ ذؤابتَيها فى الترابِ
تجمَّع فى الأساورِ مِعصماها ... ويقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقابِ
تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى ، ... ألا بالغـدر أجدرُ أن تُعابِى !
وما بِكِ أن نَحلتُ سوى نُصولٍ ... من السنواتِ أسرعَ فى خِضابى
جزِعت له كأنَّ الشيبَ منه ... يَسُلُّ عليكِ نَصْلاً من قِرابِ
فما ذنبى اذا وقعتْ عُقابٌ ... من الأيام طار لها غرابى ؟
وقد كنتُ الحبيبَ وذا نحولى ... وهـذا فى العريكة حدٌّ نابى
ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكْمِى ... وليس وسيلةٌ بسوى شبابى

* * *

ألا لله قلبُـكَ من حَمولٍ ... على عِلاَّتِ وَصْلٍ واجتنابِ
وحبُّكَ من وَفِىِّ العـهدِ باقٍ ... على بُعْـدٍ يُحيلُ أو اقترابِ
هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ ... وأنتَ على جبالِ "عُمانَ"(١) صابى
وكان المجدُ أعودَ حين يَهوِى ... عليكَ من المهفهفة الكَعابِ
وإن وراء بحرِ "عُمانَ" مُلْكًا ... رطيبَ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحابِ
رقيقٌ عيشُـهُ عَطِرٌ ثراهُ ... بِطُرّاقِ الفضائلِ غيرُ نابى
متى تنزِلْ به تنزِلْ بوادٍ ... من المعروفِ مَرعِىِّ الجنابِ
يدبّره من الأمراء خِرقٌ(٢) ... يَذلُّ لعـزِّه غُلْبُ(٣) الرِّقابِ

(١) كلمتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حبال" ، وأبان : اسم جبل ، وعمان : بلد باليمن . (٢) الخِرقُ : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غلظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَبَّاقا فوافَى ... يحلِّق عُرْفُهُ والنجمُ كابى
وقامَ بنفسِه يسعَى فقاقَتْ ... غريزةُ نفسِه شَرَفَ النِّصابِ (١)
وبانَ به لعينِ أبيهِ بَوْنٌ ... أراه الشِّبلَ أغلبَ ليثَ غابِ
على زَمَنِ الحداثةِ لم يفُتْهُ ... تقدُّمُ شِيبِهم قَدَمَ الشَّبابِ
سَمَا لمكانهم وهُمُ شُموسٌ ... فطال الطودُ أعناقَ الهِضابِ
وسيِّدُ قومِهِ من سوَّدوه ... بلا عَصَبيّةٍ وبلا مُحابى (١٦)
وقُدِّم بالفِراسةِ وهو طِفلٌ ... تُحلَّلُ عنه أنشِطةُ (٢) السِّخابِ (٣)
وما تَرْكُ الشريفِ على بنيهِ ... وهم منه، تجاوُزُهُ بعابِ
وإن كان الفتى لأبيه فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للسحابِ
بَلَوْهُ وجرَّبوا يوميهِ نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ
فما ظَهَروا مُخاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِروا مُضارَبةً بنابى
ولا عدِموا به لَسَنًا (٤) وقَطْعًا ... عمائقَ فى الإصابة والصوابِ
لذلك جاوروا بالبحرِ بحرًا ... كِلَا كرمَيهما طاغى العُبابِ
يقول لِيَ الغِنَى ورأى قُعودى ... عن السعى المموِّل والطِّلابِ
وعفةَ مذهبى ظَلِفًا (٥) وميلِى ... الى العيش المُرَمَّقِ (٦) وانصبابى :
أرى لك فِىَّ لو خاطرتَ مَرْعًى ... يبدِّل صحَّةً أُهُبَ الجِرابِ (٧)
أما لكَ فى بحارِ "عمانَ" مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاج الصِّعابِ ؟
ومَولًى يوسعُ الحُرُماتِ رَعْيًا ... ويعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

(١) النصاب : الأصل . (٢) أنشطة : يريد بها جمع أنشوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة .
(٣) السخاب بوزن كتاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحلب بلا جوهر ، والسُّك : طيب يعجن ويقرص ويترك يومين ثم يثقب بمسلة وينظم فى خيط قُنّب وكلما عتُق طابت رائحته . (٤) اللَّسَن : البيان .
(٥) الظَّلِف : النزه (٦) المرمّق : الذى يتبلغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلَّ "مؤيَّدَ السلطانِ" تحنو — عواطفُ فضله بعدَ آجتناب
قفاتُ ودونه متـــلاطماتٌ — زَواخرهنَّ كالأُسْـدِ الغِضابِ
صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ — نسـيمًا، أو نوازلُ كالجوابى (١)
وأخضرُ لا يروق العينَ يُطْوَى — عـلى بيضاءَ سوداءِ الإهابِ (٢)
تجاذبه الأزمَّةُ من حديدٍ — فَيَقْمِصُ أو يُقطَّرُ (٣) فى الجذابِ
اذا خُوصُ (٤) الرِّكاب شكون ظمأً — شكى رُكبانُها شَرَقَ الرِّكابِ
يروعُ حُـداءُ أحبُشِها النَّواتى (٥) — اذا شاقتـــك حاديةُ العِرابِ (٦)
اذا عثَرتْ فليس تُقالُ ذنبـا — وإن صدَعتْ فليست لآنشعابِ
ولستُ بسابحٍ فأقولُ : أنجـو — عسى إن ظهـرُها يوما كبَا بى
اذا حلَمتْ بها فى النوم عينى — طفِقتُ أجُسُّ هل رَطِبتْ ثيابى ؟
ومالى والخِطارَ وقـد سَقتْنى — سماءُ يديهِ من غـير آغـتراب
وجاءتنى مَواهبُـــهُ بعيـدا — بأفضـلِ ما يجىءُ مع آقترابِ
رغائبُ من يديه فاجأتنى — وَفَيْنَ رِضًا بآمالى الرِّغابِ
وزِدنَ على حساب مُناىَ لكن — "وِشاحُ" (٧) لم يكُنْ لى فى حِسابى
ندًى وَصَلَ السماحَ به ولكن — تولَّى عنــه حاجبُه حِجابى
أمرتَ بها (٨) كعِرضك لم يُدنَّسْ — بلا غِشٍّ يشوبُ ولا آرتيابِ
من الذهب الصريح فصار ممّا — يُبـدَّلُ فى يديه الى الذَّهابِ

---

(١) الجوابى جمع جابية وهى الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر وبقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة مطليّة الجِرْم بالجير والقار . (٣) يقطَّر: يُلقَى على قُطره أى جانبه . (٤) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٥) النواتى : جمع نوتىّ وهو ملّاح السفينة . (٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب ، وفى الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذى ناوأ الشاعر على جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسمنى مناصفة عليه وجاحدنى ليحبسه كتابى (١)
وقال ولم يهبك ولم يصنى : كذلك فيك منذ سنين دابى
اذا حملت رفدا أو كتابا اليك لواه نهبى واغتصابى
مكارم سقتهن الى محب ففاز بها مغير لم يحاب
بعثت بها الحثون، فضاع سرب أمنت عليه غائرة الذئاب
ولولا أن خدمته وقته وحرمة عز بابك والجناب
لما سلم البعوض على عقاب ولا عض الهزبر بشر ناب
أدل بكم فأحمنى، وكانت نواحيه ما كل للسباب
بخل عن الهجاء بذاك عندى وقل بما أتاه عن العتاب
سلبت نداك فى ناديك ظلما بغارة صاحب لك فى الصحاب
ثلاث سنين حولا بعد حول بكف "وشاح" مقتسم نهابى
وأنت خفير مالك أو يؤدى الى ولو بمنقطع التراب
اذا أنصفتنى فعليك دينا غرامة ما تجمع فى الحساب
أعد نظرا فكم أغنيت فقرا به وجبرت كسرا من مصاب
وكم نوديت يا بحر العطايا بجاء البحر بالعجب العجاب
وفت فيك المنى وقضت نذورى فوق علاك حق ترضها بى
وفى يدك الغنى فابعث أمينا الى به وصيره جوابى ١٧
ولا تحوج ظماى الى قليب سواك على مقامى وانقلابى
أذكرك الذى ما كنت تنسى سفورى تحت ظلك وانتقابى
وإنى إن بلغت النجم يوما لكان الى صنيعتك انتسابى

(١) يريد وجاحدنى كتابى ليحبس عنى الذهب.

✧

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ بِسَلْعٍ مُطْلِعٌ لى … قمرا طال مَغيبُهْ ؟

وأُصيلا بالحِمَى نغَّـ … ـصَ بالعاذلِ طِيبُهْ

كلُّ شيءٍ حَسَنٍ حا … شاكَ فالعين تُصيبُهْ (١)

عنَّفوا القلبَ على قا … تِلِه وهو حبيبُهْ

كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ … ـغَدْرَ (٢) فالقلب وَهُوبُهْ

وأقلُّ الناس ذَنْبًا … قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

✧

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَقَ اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسَن المختار بن عبد الله الذهبىّ ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وآبتـداءً ما يوجب الشكر ويُعرَف مثلُه من أمثاله فى هـذا الوقت ، وكتب بها اليه يشكره ويعتمد بفعله ، وأنفـذها فى رجب سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى ، وأهواءُ النفوسِ ضُروبُ … تَجانُبُ "قُوسَى" (٣) أن تَهُبَّ جَنوبُ

يدُلُّ عليهـا الريفُ أين مكانُهُ … ويُخبِرها بالمُـزْنِ كيف يصوبُ

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة ، وورد فى الأصل هكذا

كلّ شىء حسن … فى العين تصيبه

وهو مختل وزنا ومعنى ، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا

كل شىء حسنٍ فى الـ … ـعين فالعين تصيبه

(٢) فى الأصل : "العزر" . (٣) قوسى : اسم بلدة ، ومعنى البيت : أن هواه على آختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب "قوسى" وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال ، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها .

ونَمشي على روضِ الحِمَى ثم نلتقي   فيبلغُنى منهـا الغـداةَ هبوبُ
أمانِي بعيـدٍ لو رآها لسرَّها   مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودَمْع إذا غالطتُ عنه تشاهدتْ   قوارِفُ فى خدّى له ونُدوبُ
عَلَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهامُهُ   ترَى مَقْتَلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَيٌّ" لم يَرُعْنى بحلمه   حياءٌ، ولم يحبس بكاىَ رقيبُ
أُعير المنادى باسمها السمعَ كلّه   على علمه أنى بذاك مريبُ
وكم لِيَ فى ليل الحِمَى من إصاخةٍ   الى خَبَر الأحلامِ وهو كذوبُ
توقّرُ منها ثم تسفَّهُ أضلعى   ويجمُدُ فيها الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "ميٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ   على الكُرْهِ طيَّ الرَّثِّ (١) وهو قشيبُ (٢)
رأتْ شَعَراتٍ غيَّرَ البينُ لونَها   فأمست بما تُطريه أمسِ تَعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أخٌ لكِ شائبٌ؟   فأسوأُ منه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنَّ البياضَ ولونَه   اليكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحِينَ عَسَا (٣) غُصْنى طرحت حبائلى   الىّ، فهلّا ذاك وهو رطيبُ؟
تُظنّينَهُ من كَبْرةٍ فرطَ ما انحنَى   كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدّى (٤) سِنِيه، إنما العهدُ بالصّبا   وإن خانه صِبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ (٥) الرمح انحناءٌ، وإنما   تُعَدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومِيَ من قبل اكتهالى تَكَهُّلٌ   وغدرُكِ من قبل المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقِدُ الهمُّ تحته   لتُنكَرَ فيه شَيْبةٌ وشُحوبُ (٦)
لوانّ دَمِي حالتْ صَبِيغةُ لونِه   مُبيَّضةً ما قلتُ: ذاكَ عجيبُ!

(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّي" وهو تحريف. (٥) الخطل: الأضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

ألم تعلمى أنّ الليالى بجحافلٌ … وأنّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟
وأنّ النفوسَ العـارفاتِ بليّـةٌ … وحمـلَ السجايا العالياتِ لُغوبُ (١)
يُسـيغ الفتى أيامَهُ وهو جاهلٌ … ويغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ
وبعضُ مودّاتِ الرجالِ عقاربٌ … لهـا تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ
تواصَوا على حبّ النفاقِ، ودِينُهُ … بأنْ يتنـافَى مَشْهـدٌ ومَغيبُ
فمـا أكثرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم … على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !
وقبلَ ٱبنِ عبـدِ الله ماخلتُ أنه … يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ
ألا إن بانى المجـدِ يَخلُصُ طِينُهُ … وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ
سقى الله نفسا مذ رعت قُلَّةَ العُلا … فكلُّ مَراعيهـا أعمُّ خصيبُ
وحيًّا على رغمِ الغـــزالةِ غُرّةً … إذا طلعتْ لم تَدْجُ حـين تغيبُ
وحصَّنَ صدرا قلبُ "أحمدَ" تحته … يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ
من القوم بسّامون والجوُّ عابسٌ … وراضون واليومُ الأصمّ غضوبُ (٢)
رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو ساربٌ … لحاجتـه ، والبحرَ وهو وهوبُ
فتًى سوّدته نفسُـهُ قبـل خَطِّه (٣) … وشابت عُلاه وهو بَعْـدُ ربيبُ
وقدّمه ـ أن يعلقَ الناسُ عَقْبَهُ ـ … سماحٌ مع الريحِ العَصوفِ ذَهوبُ
ورأىٌ على ظَهرِ العواقبِ طالعٌ … إذا أخطأ المقـدارُ فهو مصيبُ
إذا ظنَّ أمرًا فاليقـينُ وراءه … ويصدُقُ ظنٌّ تارةً ويحوبُ (٤)
وخُلْقٌ كريمٌ لم يرضْـهُ مؤدّبٌ … تَمطّقَ (٥) فُوه الـنَّدَى وهو أديبُ

---

(١) فى الأصل : "الغالبات" . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : "قبل خطّه" أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يحوب : يأثم .
(٥) تمطّق : تذوّق .

تحمَّــل أعباءَ الرياســةِ ناهضا بها قاعدا والحادثاتُ وُثوبُ
وصاحتْ به الجُلَّى لسدِّ فُروجها فأقدمَ فيها والزمانُ هَيوبُ
وكم عَجَمتْهُ النائباتُ فردَّهـا رِدادًا وعاد النَّبْعُ[1] وهو صليبُ
هناك آتفاقُ النـاسِ أنك واحدٌ إذا كان للبـدر المنـير ضريبُ
وأعجبُ ما فى الجودِ أنك سالبٌ به كلَّ ذى فضل وأنتَ سَليبُ !
أأنسى لك النُّعمى التى تركتْ فمى يُصَـعِّدُ يبغى شُكرَها ويَصوبُ ؟
ملكتَ فؤادى عنـد أوّل نظرةٍ كما صـاد عُذريًّا[2] أغنُّ ربيبُ
وكنتُ أخاف البابلىَّ وسحـرَهُ ولم أدر أن الواسطىَّ[3] خَلوبُ
وغنَّـاك أقوامٌ بوصـفِ مَناقبى فرنَّحَ نَشـوانٌ وحَنَّ طروبُ
رفعتَ مَنارَ الفخرِ لى بزيارةٍ وسَمَّتَ بها مَغناىَ وهو جديبُ
وكنتَ لداءٍ جئتنى منـه عائدا شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ
وأنهلتَنى من خُلْقِك العذبِ شَربةً حَلَتْ لى، وما كلُّ الدواء يطيبُ
ولمـا جلا لى حُسنَ وجهك بِشرُهُ تبـيَّنَ فى وجه السَّقام قُطوبُ
أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا وذو المجـد يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ
فَطِنتَ لهـا أُكْرومةً[4] نام غَفْلةً من النـاس عنها مائقٌ وأريبُ
ذهبتَ بها فى الفضل ذكرًا بصوته سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ
لئن كان فى قَسْم المكارم شَطرُها فللدِّين فيهـا والولاءِ نصيبُ
وإن أكُ من ”كِسرَى“ وأنت لغيره فإنىَ فى حبِّ ”الوصىِّ“ نسيبُ
ستعلمُ أنَّ الصُّنع ليس بضائعٍ علىَّ، ولا الغَرسَ الزكىَّ يخيبُ

(١) النبع : شجر تعمل منه القسىّ والسهام . (٢) عذريًّا : رجلا من بنى عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق . (٣) البابلىّ والواسطىّ نسبة الى بابل و واسط . (٤) الأكرومة : فعل الكرم .

وتحمَـدُ منّى ما سـعيتَ لكسبه · وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ
ومهما يُثِبْكَ الشـعرُ شكرا مخلّدا · عليها، فإنّ الله قبلُ يُثيبُ
وتَسمعُ فى نادى النّدى أىَّ فِقْرةٍ[1] · يقوم بهـا فى الوافدين خطيبُ
متى آمتدّ بى عُمرٌ وطالت مودّةٌ · فربعك حُسنٌ من ثَنَاىَ وطِيبُ
ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغرٌ[2] · متى ما دنا من سَرْح عِرضك ذيبُ
محاسنُ قومٍ وَسمةٌ فى جباههـم · ولى حسـناتٌ بِسرّهن غُيوبُ
وما الحُسنُ ما تُثنى به العينُ وحدَها · ولكنّ ما تُثنى عليــه قلوبُ
لقد عقَلَتْ دنياك مذ قيّضتْك لى · وراح عليها الحِلمُ وهو غريبُ
أظنّ زمانى إن زجرتَ صروفَه · سـيرجع عمّـا ساءنى ويتوبُ ١٩
تخاتلنى الأخبارُ - أخلبَ برقُها - · بأنك يا بـدرَ الـكمال تغيبُ
فأمسكُ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَعٍ · لهـا بين أثناء الحـذار وجيبُ
بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى · جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ
فلا تصـدَعِ الأيّامُ شملَ محاسنٍ · تُسـافر مصحوبا بهـا وتؤوبُ
ولا تعـدَمِ الدنيا بقاءَكَ وحدَه · فإنك فى هذا الزمانِ غريبُ

✦ ✦ ✦

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيّدَ الملك أبا علىّ الرُّخّجىّ، ويشكر إنعامَه فى تقديمه وإكرامِه، وتطوّلَه فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتدّ لإحسانه بعاداتِ مُواصلة فى القول والفعل، عَقِيبَ تقلّدِه الوزارةَ بعـد آمتناعِه من الدخول فيها، ومدافعتِه بالتلبّس بها، وذَكَر ذلك فى القصيدة وماظهر من آثاره فى النظر، بعد نكول من سبقَ من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ الغُميرِ" جدوبُها كفى دارَ "هندٍ" أنّ جفنى يصوبُها
وقفتُ بها والطّرفُ ـ مما توحّشتْ ـ طريدُ رباها ، والفؤادُ جَذيبُها
وقد دَرَستْ ، إلا نَشايا(١) عواصفُ من الريح لم يَفطُنْ لهنّ هُبوبُها
خليليَّ ، هذى دار أنسى ، وربما يَبينُ بمشهودِ الأمور غُيوبُها
قِفَا نتطوّعْ للوفاء بوقفةٍ لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها
فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووجيبُها
وعيّرتُمانى زفرةً خفّ وَقدُها مَليًّا ، وعينًا أمسِ جفّتْ غُروبُها
فإن تكُ نفسى أمسِ فى سلوةٍ جنتْ فقد رجع اليومَ الهوى يَستتيبُها
وإن يفنِ يومُ البين جُمّةَ أدمعى فعند جُنونى للديار نصيبُها
تكلّفنى "هندٌ" ـ إذا النّحتُ(٢) ظامئًا ـ أمانىَّ لم تُنْهَزْ لِىَ ذَنوبُها(٣)
وأطلابُ أقصى ودّها أن أنالَهُ غِلابًا ، وقد أعيي الرجالَ غَلوبُها
بمنعطفِ الجزعَين لمياءُ لو دَعتْ "بمدينَ" رُهبانًا صَبَتْ وصليبُها
إذا نهض الجاراتُ أبطأَ دِعصُها(٤) بنهضتها ، حتى يخفّ قضيبُها
تبسّمُ عن بيضٍ صوادعَ فى الدجى رِقاقٍ ثناياها ، عِذابٍ غُروبُها
إذا عادتِ المسواكَ كان تحيّةً(٥) كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها
وكم دونَ "هندٍ" رُضتُ من ظَهرِ ليلةٍ أشدَّ من الأخطارِ فيها ركوبُها
فنادمتُها والخوفَ ، تُروِى عظامَها الـ ـمُدامُ ، ويُروَى بالبكاء شَريبُها

(١) نشايا جمع نشيّة وهى الرائحة . (٢) النّحتُ : عطشتُ . (٣) الذَّنوب : الدلو .
(٤) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (٥) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب فى أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدّمون الريحان تحيّةً وكان ذلك فى يوم من أيامهم اسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة : رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيّون بالريحان يومَ السباسبِ
فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا استاكت فسواكها يكون ريحانة يحيّى بها لما ناله من نكهتها .

إذا شربتُ كأسا سقَتْني بمثلها ... من الدمع ، حتى غاض دمعي وكُوبُها [1]
حَمَى اللهُ بالوادي وجوها كواسيا ... إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنا سَليبُها
بَوادى وَدَّ الحاضرون لو آنها ... مَواقِعُ ما أَلقتْ عليه طُنوبُها
إذا وصفَ الحُسْنَ البياضُ تطاعَتْ ... سَوَاهِمُ [2] يُفْدَى بالبياض شُحُوبُها
ولله نفسٌ ، مِن نُهاها عذولُها ... ومِن صَونها ـ يومَ العُذَيبِ ـ رقيبُها
لكلِّ محبٍّ يومَ يظفَرُ ريبةٌ ، ... فَسَلْ خَلَواتى : هل رأت ما يريبُها ؟
إذا آختلطت لَذَّاتُ حُبٍّ بعاره ... فأنعَمُها عنـدى الذى لا أُصيبُها
وسـاء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمَّتى [3] ... فهـل كان ممّـا سَرَّهن قشيبُها ؟
سواءٌ عليهـا كَثُّها [4] ونَسيلُها [5] ... وناصلُها [6] من عِفَّتى وخضيبُهـا
وتعجَبُ أن حُصَّتْ [7] قوادمُ مَفرِق [8] ... وأكثرُ أفعـالِ الزمانِ عجيبُهـا !
ومن لم تغـيِّره الليالى بعـدِّه ... طِوالَ سِنيهـا غَـيَّرته خُطوبُها
إذا سُلَّ سيفُ الدهرِ والمرءُ حاسرٌ [9] ... فأهون ما يَلقَى [10] الرءوسَ مَشيبُها
يعـدِّد أقـوامٌ ذُنوبَ زمانهم ... فمَن لِى بأيّام تُعَـدُّ ذُنوبُها
يقولون : دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ... ومَنْ ذا يدارى صخرةً ويُذيبُها ؟ ٢٠
وما أطمعَتْنى أوجهٌ بآبتسـامها ... فيُؤْيِسَـنى ممّا لديهـا قُطوبُها
وفى الأرض أوراقُ الغنى لو جذبتُها ... لَرَفَّ على أيدى النوال رطيبُها
إذا إبلى أمستْ تُماطَلُ رَعْيَهـا ... فهـل يَنفعنِّى من بلادٍ خَصيبُها ؟

---

(١) الكوبُ : كوز لا عروة له . (٢) سواهم : متغيرات . (٣) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٤) الكث : كثرة شعر اللحية . (٥) النسيل : ما يسقط من الشعر والريش . (٦) الناصل : الخارج من الخضاب . (٧) فى الأصل "خصّت" وهو تحريف ، وحُصَّتْ من قولهم : رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس . (٨) المفرق : وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر . (٩) الحاسر : من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنَّة له . (١٠) فى الأصل "تلق" .

عَذيرِىَ من باغٍ يودّ لنفسه ... نزاهةَ أخلاقٍ، ويُمسى يَعيبُها
إذا قصّرتْ عنّى خُطاه أدبَّ لى ... عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلْدى نسيبُها
ومِن أمَلِى فى سيّد الوزراء لى ... مطاعمُ يُغْنى عن سواها كَسوبُها
إذا ما حَمى مؤيّدُ المُلْكِ حوزةً ... من الصّمّ لم يقدِرْ عليها طَلوبُها
علىَّ ضَوافٍ من سوالفِ طَوْلِه ... يجرِّرُ أذيالَ السحاب سَحوبُها(١)
وعَذراءَ عندى من نداهُ وثيِّبٍ ... إذا جُلِيَتْ زانَ العُقودَ تَريبُها(٢)
عوارفُ تأتى هذه إثرَ هذه ... كما رافدَتْ أعلَى القناةِ كُعوبُها
إذا عَدّدَ المجدُ أتبرَيْنَ فوائتا ... عُقودَ البنانِ، أن يَعُدَّ حسيبُها
حلفتُ بمُستَنّ البطاحِ وما حَوَتْ ... أسابيعُها(٣) من مَنْسَكٍ وحَصيبُها
وبالبُدْنِ(٤) مُهداةً، تُقادُ رقابُها ... مُوَقَّفَةً(٥)، أو واجباتٍ(٦) جنوبُها
لقام الى الدنيا، فقام بأمرها ... — على فترة — جَلْدُ الحصا وصليبُها
وغَيرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه ... بدارٍ إذا كان الفسادُ يشوبُها
وقاها من الأطماع حتى لو أنه ... جرى الدّمُ فوق الأرض ما شَمَّ ذيبُها
ومدّ عليها حامياً يَدَ مُشْبِلٍ(٧) ... له عصبةٌ بعدَ النذيرِ وُثوبُها
يَدُّ كلَّ ريحٍ تَمتري ماءَ مُزْنِها ... فما ضرَّها ألّا تهُبَّ جنوبُها
أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصيرةً ... ومُذنِبَها قد جاءَ وهو مُنيبُها
وذَلّتْ فأعطاها يَدَ الصفحِ ماجدٌ ... إذا سِيلَ(٨) تَرَّكَ الذُّحولِ(٩) وَهُوبُها

(١) فى الأصل "تَحُوبها" وهو تحريف. (٢) يريد بالتريب: الترائب وهى عظام الصدر.
(٣) الأسابيع: يريد أسابيع أشهر الحج. (٤) البدن جمع بَدَنة وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة. (٥) فى الأصل: "موقفة" وهو تحريف. (٦) واجبات: ساقطات، وفى القرآن الكريم: (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا). (٧) فى الاصل: "مسبل" وهو تحريف، والمشبل: ذو الأشبال وهى أجراء الأسد. (٨) سيل: سُئِلَ. (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد.

لكَ اللهُ راعى دولةٍ رِيعَ سَرْحُها ... وراح أمام الطاردين عَزِيبُها (١)

طوتْ حُسنَها والماءُ تحت شفاهها ... غِراثًا، وأدنى الأرضِ منها عَشيبُها

إذا ما تراغت (٢) تقتضى نصرَ ربِّها ... فليس سوى أصدائها ما يُجيبُها

وقد غَلَبَ الطَّالِينَ عَرٌّ (٣) جلودها ... وفاتت أكفَّ المُلحمينَ نُقوبُها (٤)

لها كلَّ يومٍ ناشدٌ غيرُ واحدٍ ... تَقَفّى المُنَى آثارَها فيُخيبُها

ومُطَّلِعٌ يَفْلِي (٥) طريقَ خلاصِها ... فيعمَى عليه سهلُها وحَزيبُها (٦)

نفضتَ وفاضَ الرأىُ حتى انتقدتَها (٧) ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

مُحمَّلةً من ثِقْلِ مَنِّكَ أَوْسُقًا ... ينوء بها مركوبُها وجَنيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تَصْفُ حِياضُها ... وتُبْقِلْ مَراعيها وتُدْمَلْ نُدوبُها

فما رَأَمَتْ أَبْواءَها (٨) عند مالكٍ ... سواكَ ولا حنَّتْ لغيرك نِيبُها (٩)

تَسربلْ بأثوابِ الوزارةِ إنها ... لك انتُصِحتْ (١٠) أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منَّيْتَها الوصلَ مُعرضًا ... وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يك مولاها الغريبَ وجارَها ... فأنت أخوها دِنْيَةً (١١) ونسيبُها

بلطفِك فى التدبير شابَ غلامُها ... على السيرة المُثلَى وشبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلُ الولاةُ وقصَّرتْ ... قبائلُها عن نصرِها وشُعوبُها

فداكَ — وقد كانوا فداءَك — منهمُ ... جبانُ يدِ التدبيرِ فينا غريبُها

---

(١) العزيب : من الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : "غريبها" .
(٢) تراغت : صوّتت فضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) نقوب جمع نَقْب وهو قرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد ، وفى الأصل "وحزوبها" .
(٧) فى الأصل "اتقدتها" وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بَوّ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أم الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ابن عمى دنية بمعنى هو ابن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رَمى بك فى صدر الأمور ولم يخف — فلولا نيوبُ الليثِ مَن يستنيبُها
حَملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحته — وراعيته لما عَلَتْه جُنوبُها (١)
وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ — أخو الهزلِ مِمْراحُ العشايا لَعُوبُها

* * *

تزخرفتِ الدنيا له فصَبا لها — مُقارَضةً يَخشى غدًا ما ينوبُها
وكان فتى أيامِه وابنَ لينها — وأنت أبوها المتَّقَى ومَهيبُها
وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كبدِه — يَرَى بالدماءِ نَحْلةً يستذيبُها (٢)
مَخُوفُ نواحى الخُلُقِ، عُجْمٌ طباعُهُ — إذا عولجت، مُرُّ اللحاظِ مُريبُها
إذا همَّ فى أمرٍ بعاجلِ فتكةٍ — على غررٍ (٣) لم يلتفتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ (٤)، مَنّاهُ سلطانُ رأيه — مُنًى غَرّهُ مِخداجُها (٥) وكَذوبُها
ولم يك ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ — وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها
يواثب من ظَهْر الوزارة رَيِّضًا (٦) — زلوقًا (٧) وقد أعيا الرجالَ رُكوبُها
ومدّ بكفِّ العنفِ فضلَ عِنانها — فعادتْ له أفعَى حِدادًا نُيوبُها
رَمى الناسَ عن قوسٍ وأعجبُ مَنْ رمى — يدٌ أرسلتْ سهما فعادَ يُصيبُها
توقَّ خُطًا لم تدرِ أين عِثارُها — فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها
ولا تحسبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً — فخاصبُها من حيث يُرجَى صبيبُها

(١) فى الأصل "عليه". (٢) يستذيبها: يطلب ذوبها وهو العسل، وفى الأصل "يستدبها". (٣) الغرر: الخطر. (٤) اللُّوثة: الحُمْق. (٥) المخداج: الصيفة قلّ مطرها. (٦) يقال: ناقة رَيِّضٌ: أوّل ما ريضت وهى صعبة بعدُ. (٧) الزلوق: الناقة السريعة، وفى الأصل: "زليقا" ومعناها: الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت.

وكم أَصْرمتْ(١) تحت العصائب لِقحةٌ(٢) ... ودرّتْ لغير العاصبين حُلوبُها(٣)

أَبَى اللهُ أن يُسْقِى بك اللهُ أُمَّةً ... أردتَ بها سُقْيا وأنت طبيبُها

* * *

تَطَأْطأْ لمِنْ لو قمتَ نالك جالسًا ... فما كلُّ أولادِ الظنون نجيبُها(٤)

فقد دانت الدنيا لربِّ محاسنٍ ... محاسنُ قومٍ آخرين عيوبُها

فيا ناظمًا عِقدَ الكلام تَمَلَّه(٥) ... ويا ناشر النعماءِ حيَّاكَ طِيبُها

إذا الأنفس اختُصّتْ بحبِّ فضيلةٍ ... سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُها

توافَقَ فيك الناسُ حُبًّا وأمطرتْ ... بشكرك سُحبُ القولِ حتى خَلوبُها

ملكتَ مكانَ الودِّ من كلِّ مهجةٍ ... كأنك لُطفًا فى النفوس قلوبُها

إذا الشمس لم تطلُعْ علينا، وأمرُنا ... بكفِّك معقودٌ، فدامَ مَغيبُها

أنا العبدُ أعطتك الكرامةُ رِقَّهُ ... وجاءت به عفوا اليك ضُروبُها

رفعتَ بأوصافى طريفًا وتالدًا ... كواكبَ لى عمَّ البلادَ ثُقوبُها(٦)

وميّزتَنى حتّى ملكتُ بوحْدتى ... نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُها(٧)

وكم أملٍ أسلفتُ نفسى ودعوةٍ ... قنطتُ لها، واللهُ فيك مجيبُها

بلغتُ الأمانى فيك، فابلغ بِىَ التى ... تُنفِّس نَفْسًا، ملءُ صدرى كُروبُها

وللدهرِ فى حالِى جُروحٌ وإنه ... بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُها(٨)

ومهما تُعِزْ من نِعمةٍ فجزاؤها ... على الله، ثُمَّ الشعرُ عنى يُثيبُها

بكلِّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ... ويَسرى أمامَ الغاسقات دُبوبُها

تَرِمُّ(٩) لِىَ الأصواتُ يومَ بلاغها ... إذا ما علا أعوادَ شِعرٍ خطيبُها

---

(١) أصرمت: انقطع لبنها . (٢) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن . (٣) العاصب: الذى يشدّ بالعصابة فخذى الناقة لتدرّ . (٤) فى الأصل: "نجيبها" . (٥) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال" . (٦) ثقوبها: ضوءها . (٧) السبيب: شعر الناصية . (٨) رغيبها: واسعها . (٩) ترمّ: تصوّت .

يروقك منها جزلها وحميسها ... إذا راق من أبيات أخرى نسيبها
ترى الناس خلفى يلقطون[1] بديدها ... ويعجبهم من غيرك غصوبها
جواهر، لى تصديقها من بحورها ... صحاحا، وللعادى المغير ثقوبها
يمر بها لا بائعا يستحلها ... بملك ولا مستوهبا يستطيبها
بقيت لها مستخدما حبراتها ... ومنتقدا ما حرها وجليبها
موسعة أيام ملكك، معوزا ... على الحادثات أن يضيق رحيبها
وأعداك من شمس النهار خلوها ... وإشراقها، لكن عداك غروبها

وقال يمدح الوزير تاج الملك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظفره بأبى محمد بن سهلان، وعرض بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصوله فى ربقته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دين "سعدى" طيفها المتأوب[2] ... ونول إلا ما أبى المتحوب[3]
سرى فأراناها على عهد ساعة ... ومن دونها عرض "الغوير" "فغرب"[4]
فمثلها لا عطفها متشمس ... ولا مسها تحت الكرى متصعب
تحيي نشاوى من سرى الليل ألصقوا ... جنوبا بجلد الأرض ما تتقلب
إذا أنسوا بالليل جاذب هامهم ... حوافر قطع الليل، والنوم أطيب
وفى الترب مما استصحب الطيف فعمة[5] ... يرواح قلبي نشرها[6] المتغرب
فعرفنى[7] بين الركاب كأنما ... حقيبة رحلى باقى الليل مسحب

(١) فى الأصل: يطلقون. (٢) المتأوب: الطارق أول الليل. (٣) المتحوب: المتعبد الذى يلقى الحوب عن نفسه. (٤) الغوير كزبير، وغرب كسكر: اسما موضعين. (٥) فعمة: نفحة. (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف. (٧) فعرفنى: فطيبنى بعرفه.

ألا ربما أعطتك صادقةَ المُنَى   مصادَفَةُ الأحلامِ من حيثُ تكذبُ
ويومٍ كظلِّ السيفِ طال قصيرُهُ   على حاجةٍ من جانبِ "الرَّملِ" تُطلَبُ (٢٢)
بعثتُ لها الوجناءَ(١) تقفو طريقَها   أمامَ المطايا تستقيمُ وتَنكُبُ
فمالت على حكمِ الصَّبا "مُحجَّرٍ"(٢)   وللسيرِ فى أُخرى مَظَنٌّ ومَحْسَبُ
أعِدْ نظرًا وٱستأنِ يا طرفُ ربما   تكونُ التى تهوى التى تتجنَّبُ
فما كلُّ دارٍ أقفرتْ "دارةُ الحِمَى"   ولا كلّ بيضاءِ الترائبِ "زينبُ"
عجبتُ لقلبى كيف يستقبل الهوى   ويرجو شبابَ الحىّ والرأسُ أشيبُ
تضمُّ حبالَ الوصل من "أمِّ سالمٍ"   وحبلُكَ بعد الأربعين مُقَضَّبُ(٣)
وليس لسوداءِ اللحاظِ ـ ولو دنا   بها سببٌ ـ فى أبيض الرأس مَطْرَبُ
ولائمةٍ فى الحظّ تحسبُ أنه   بفضلِ ٱحتيالِ المرءِ والسعىِ يُجْلَبُ
رأت شَعَثًا غطَّى عليه تَصَوُّنى   وعيشًا بغيضًا وهو عندى مُحبَّبُ
وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليلِ سارحٍ   علىّ، لو ٱن المالَ بالفضلِ يُكسَبُ
ولكنه بالعِرضِ يُشرَى خِيارُهُ   ويَنمِى على قدرِ السؤالِ ويَخصِبُ
وما ماءُ وجهى لى إذا ما تركتُهُ   يُراقُ على ذلِّ الطِّلابِ ويَنضُبُ
وإنكِ لا تدرين، واليومُ حاضرٌ   بحالِ ٱختلالى، ما غدًا لى مُغَيَّبُ
لعلَّ بعيدًا ماطَلَتْ دونه المُنَى   سيحكُمُ "تاجُ المُلكِ" فيه فيقرُبُ
فما فوقه مَرمًى لظنٍّ موسَّعٍ   ولا عنه للحقِّ المضيَّعِ مَذهَبُ
وإن فاتنى مِن جودِهِ وٱصطفائِهِ   الى اليوم ما تُنْسِنى(٤) يداه ويوهَبُ
وأيبسَ رَبعى وحدَهُ من سحابةٍ   تبيتُ لمثلى من عطاياه تَسكُبُ
فرِجلِىَ كانت دون ذاك قصيرةً   وحظِّىَ فيما جازنى(٥) منه مُذنِبُ

(١) الوجناء: الناقة المسرعة. (٢) محجَّر: كمعظَّم ومُحدَّث اسم لجملة مواضع. (٣) المقضَّب: المقطَّع. (٤) تنسى: ترفع. (٥) فى الأصل "حازنى".

ولا لومَ أن لم يأتنى البحرُ، إنما — على قدر ما أسعى الى البحرِ أشربُ
حمَى بَيضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ — ذئابُ الأعادى الطُّلْسُ(١) عما يُذَبِّبُ(٢)
وزانت جبينَ المُلكِ دُرّةُ تاجِهِ — فما ضرّه أىُّ العمائمِ يُسلَبُ
وَفِى بالمعالى مستقِلًّا بحملها — متينٌ إذا خارت قُوى العزمِ صُلَّبُ
تريه خَفيّاتِ الشَّوا كلِّ فكرةٍ — بصيرٌ بها مِن خَطْفةِ النجمِ أثقبُ
إذا استقبلَ الأمرَ البطىءَ برأيه — تبيّنَ من أُولاهُ ما يتعقَّبُ
ومُزلِقَةِ المتنين تمنعُ سرجَها — وتُسألُ قُوسُ(٣) النجمِ: من أين تُصحَبُ
أبَتْ أن يُطيفَ الرائضون بجنبها — فقوّدتَها مملوكةَ الظهرِ تُركَبُ
ويومٍ بلون المشرفيّةِ أبيضٍ — ولكنّه مما يُفجِّرُ أصهبُ(٤)
إذا أسفرتْ ساعاتُه تحت نقعِهِ — عن الموتِ ظلّت شمسُه تتنقّبُ
صبرتَ له نفسًا حبيبًا بقاؤها — الى المجدِ حتى جئتَ بالنصرِ يُجنَبُ
كواسطَ، والأنبارُ أمسِ كواسطٍ — ومِن إيما يوميك لا أتعجّبُ
وكم دولةٍ شاختْ وأنتَ لها أخٌ — وأُخرى تُربّيها وأنتَ لها أبُ
ينامُ عزيزا كهلُها وغلامُها — وأنت عليها المُشبِلُ المتحدِّبُ
أرى الوزراءَ الدارجين تطلّبوا — على فضلهم ما نلتَهُ فتخيّبوا
تباطَوْا عن الأمرِ الذى قمتَ آخذا — بأعجازه واستبعدوا ما تقرّبُ
فلو لحقتْ أيامُهم بك خلتَهم — بهديك ساروا أو عليك تأدّبوا
نَهيتُ الذى جاراك راكبَ بغيِهِ — الى حَينه، والبغىُ للحَينِ مركبُ
وقلتُ: تفلّلْ(٥)، إنما أنتَ حابلٌ(٦) — على جنبك الواهى تحشُّ وتحطبُ

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأمعط من الذئاب . (٢) يذبّب : يدافع . (٣) قُوس جمع أقوس وهو المحنيّ . (٤) أصهب : أحمر . (٥) تفلّل : انهزم . (٦) الحابل : الذى معه حبله .

دع الرأسَ واقنع بالوسيطةِ ناجيًا ... بنفسك، إن الرأسَ بالتاج أنسبُ
وإن ولىَ الأمرِ دونك ناهضُ ال ... ـبصيرةِ طَبٌّ (١) بالخطوب مدربُ
وأهيبُ فينا من قُطوبك بِشرُه ... وما كلّ وجهٍ كالحٍ يُتَهيَّبُ
بفعلك سُدْ، إن الأسامِى (٢) مُعارةٌ ... وبالنفس فاخرْ لا بمن قمتَ تَنْسُبُ
تمنَّوكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلّقوا ... غُبارَك، وابنُ الريح فى السَّبق أنجبُ
فظنّوا تكاليفَ الوزارة سهلةً ... ومنكِبُ "رَضوى" (٣) فى العريكة يَصعُبُ
فلا زلتَ تلقَ النصرَ حيث طلبتَه ... بجَدّك يعلو أو بسيفك يَضرِبُ
تمُدُّ لك الدنيا مَطَاها (٤) ذايلةً ... فتركَبُ منها ما تشاءُ وتُركِبُ
الى أن ترى ظهرَ البسيطةِ قبضةً ... بكفيك يَلْقَ مَشرِقًا منه مَغرِبُ ٢٣
وقيِّضَ لى من حُسنِ رأيك ساعةٌ ... يُساعف فيها حظّى المتجنِّبُ
فتُمطِرنى من عدْلِ جودك ديمةٌ ... تبلُّ ثرى حالى بما أنا مُجدِبُ
لعل خَفيًّا كامنا من محاسنى ... تبوحُ به نُعماك عنّى وتُعرِبُ
ومَن لِىَ لو أنّى على العجز ماثلٌ ... بناديك يُصغِى المُفحَمون وأخطُبُ؟
فتشهد أنّى ما عدمتُ فضيلةً ... الى مثلكم مثلى بها يتقربُ
وتعلمَ منّى كيف أمدحُ ناظمًا ... فإنك تدرى ناثرا كيف أكتُبُ

وقال وقد تُوُفِّىَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوة الغريبة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفقَ قبل موته بسنين قلائل آنتساجُ مودّةٍ بينه وبينه سبقَ خبرُها، بدأ أبو الحسين بخطبتها، وقصدَه

(١) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (٢) الأسامى: الأسماء. (٣) رضوى: اسم جبل. (٤) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرع بضروب من التفقد وأصناف من الرعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفِّيَ بواسطٍ في شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ ... فلا تُوعِدَنِّي بعدها بالنوائبِ

هتكتَ بها سِترَ التجامُلِ بيننا ... ولم تلتفت فينا لِبُقْيَا المُراقِبِ (١)

وما زال ترمى صفحتى بين عاصدٍ (٢) ... ومنحرفٍ حتى رَمَيْتَ بصائبِ

فرأيكَ فى قَوْدى، فقد ذلَّ مِسْحَلى (٣) ... وشأنَكَ فى غمزى، فقد لان جانبى

ولا تحسَبنِّى باسطا يدَ دافعٍ ... ولا فاتحا من بعدها فَمَ عاتبِ

ولا مُسبِغا فَضفاضةً (٤) أبتغى بها ... شَبًا (٥) طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ

لِما كنتُ أستبقى الحياةَ وأحتمى ... وأجمعُ بُرْدِى من أكفِّ الجواذبِ

وَلَجتَ رُواقَ العزِّ حتى آقتحمتَهُ ... بلا وازعٍ عنه ولا ردِّ حاجبِ

وأنشبتَ فى صمَّاءَ عهدى بمتنها ... صفيقَ المَطَا زَلِيقةً بالمخالبِ

سددتَ طريقَ الفضلِ من كلِّ وجهةٍ ... وملتَ على العلياء من كلّ جانبِ

فلا سَنَنٌ (٦) إلا محجَّةُ تائهٍ ... ولا أملٌ إلا مطيَّةُ خائبِ

أبعدَ آبنِ "عبدِ الله" أحظَى براجعٍ ... من العيش، أو آسَى على إثْرِ ذاهبِ؟

وأُرسِلُ طَرفى رائدا فى خميلةٍ ... من الناسِ أبغى نُجعةً لمطالبى ؟

وأقدحُ زَندا واريًا من هَوَى أخٍ ... وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ ؟

وأدفعُ فى صدرِ الليالى بمثلِهِ ... فترجعَ عنّى داميات المناكبِ ؟

(١) فى الأصل: "كبُقْيَا". (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حد كل شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذاكَ قلبٌ عنـه غـيرُ مُغالِطٍ برجمٍ[1]، وحلمٌ بعدَهُ غـيرُ عازبِ
وأنَّ خُروقَ المجـدِ ليستْ لراقعٍ سواه، وصدعَ الجودِ ليس لشاعبِ
طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروجِها بقيَّـةُ أيامِ الكرامِ الأطايبِ
مُحَبَّرةً، سَـدَّى[2] وألحمَ وَشْيَها صَـناعٌ بحَوْكِ المكرماتِ الرغائبِ
كسا اللهُ عِطفَ الدهرِ حِيناً جمالَها فلما طغى قِيضَتْ لها يَدُ سالبِ
لئن دَرَسَتْ منها الخُطوطُ[3] فإنه لَيَبْقَ طويلا عَرفُها فى المَساحِبِ
وجوهرةً فى النـاس كانت يتيمةً وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ
أَبَى الحُسْنُ أن يحبَى بها عِقـدُ ناظِمٍ فتُسلِكَ، أو يسمو لها تاجُ عاصبِ
فُـدَّتْ اليهـا بالردى يَدُ كاسرٍ وكان يقيها المجـدُ من يدِ ثاقبِ
سلِ الموتَ: هل أودعتُه من ضغينةٍ تَنَـقَّمَ منها فهو بالوِتْرِ[4] طالبِى ؟
له كلَّ يومٍ حـولَ سَرحِىَ غارةٌ يشرِّد فيهـا بالصـفايا النجائبِ
سُـلافةُ إخوانى وصفوةُ إخوتى ونُخبَـةُ أحبابى وجُـلُّ قرائبى (٢٤)
فليتَ عفا عن "أحمدٍ" فادياً له بمُصرمَـةٍ[5] ممـا آقتنيتُ وحالبِ
أأَلآن لمـا آشـتد مَتْنِى بودّه وردّتْ ملاءً من نَداه حَقـائبى!
وجَمَّتْ لآمالِ العطاشِ حِياضُـهُ وكانت تُحَلَّى عن نِطافِ[6] المَشـارِبِ!
فُجِعتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الجَدَى جديدَ قميصِ الودِّ سَهْلَ المَجـاذبِ
كأنى على العهدِ القريبِ آعتلقتُـهُ بطُولِ آختبـارى أو قديمِ تجاربِى
سـدَدتُ فَمَ النـاعِى بكفِّى تطيُّرًا ولوَّيتُ وجهى عنـه لىَّ مُغاضِبِ

(١) الرجم: الظن. (٢) سَدَّى وألحم أى أقام سَدَاها ولُحمَتَها. (٣) فى الأصل: "الخفاوظ" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوتر: الثأر أو الحقد.

(٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضَرعها فآنقطع لبنها. (٦) نطاف جمع نُطفة وهى الماء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيَّنْ ما تقولُ لعلَّها … تكون كتلك الطائراتِ الكواذبِ !
فكم غامَ من أخباره ثم أقشعتْ … سحابتُه عن صالحِ الحالِ ثائبِ
فلمَّا بدا لِى الشرُّ فى كَرِّ قوله … ربطتُ نَوازِى أضلعِى بالرواجِبِ (١)
وملتُ الى ظِلٍّ من الصبر قالِصٍ … قصيرٍ ، وظَنٍّ بالتجمُّلِ كاذبِ
ونفْسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارُها … بعادتِهِ فى النازلاتِ الصعائبِ
وعينٍ هَفَا الحزنُ الغريبُ بجفنِها … فطاحَ ضياعا فى الدموعِ الغرائبِ
أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ … سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغاربِ (٥)
وأستروحُ الأخبارَ وهى تسوءنى … علائقَ منها فى ذيولِ الجنائبِ (٦)
فيُفصِحُ لى ما كان عنه مُجَمْجِماً … ويصدُقُنى ما كان عنه مُوارِبى
فَقيدٌ "بمَيْسانَ" (٧) آستوت فى آفتقاده … مَشارقُ آفاق العُلا بالمغاربِ
وقِيدَ الحياءُ والسماحُ فأُرْجِلا … عَقيرَيْنِ فى تُرْبٍ له مُتراكِبِ
تُسافُ عن جمرِ الغضا نادِباتُهُ … كأنّ فؤادى فى حُلوقِ النوادبِ
بكتْ أدمعا بِيضًا ودمَّتْ جِباهَها … فتحسَبُها تبكى دمًا بالحواجِبِ
دوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ … رسومُ الندى وآنقضَّ نجمُ الكواكبِ
ورُدَّتْ رِكابُ المُخمِسين (٨) بظِمئِها … تَكُدُّ الدلاءَ (٩) فى رَكايا (١٠) نواضبِ (١١)

---

(١) الرواجب جمع راجبة وهى المفاصل التى تلى الأنامل . (٢) شعاع : متفرقة .
(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة فى ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .
(٦) الجنائب : جمع جنوب وهى ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمسا ، والخمس بكسر الخاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو وهو معروف . (١٠) الركايا جمع ركية وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

وَمَنْ يستبلُّ المُسنِتون[١] بسَيْبِه[٢] … فيَرجِعَ خُضْرًا بالسـنين الأشاهِبِ[٣] ؟
ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هَوَى … به الذلُّ فى عَمياءَ ذاتِ غَياهِبِ
فلما رآكَ آستشعرَ النِّصْفَ وآستوتْ … به رِجــلُه فى واضحٍ مُتـلاحِبِ[٤]
وفيمن يُصاغُ الشعرُ بَعــدَكَ ناظِمًا … عقـودَ الثناءِ حاظيًا بالمَناقِبِ !
وأين أخوكَ الجودُ من كفِّ راغبٍ … إذا لم تكن قَسَّامَ تلك الرغائبِ ؟
ومن ذا يعى صوتى و يعتدّ نُصرتى … جهادًا، ووِدّى من وشيجِ[٥] المَناسِبِ[٦] ؟
برغمىَ أنْ هبَّ النيامُ وأننى … دعوتُكَ وجهَ الصبحِ غيرَ مُجاوِبِ
وأن لا تُرَى مُستعرِضًا حاجَ رُفقةٍ … ولا سائلًا : من أين مَقْدَمُ راكبِ ؟
وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ مَعاطنى … دعوتُكَ فاسـتنقذتَ منه سَلائبى
ذخـيرةُ أُنسى يومَ يوحِشُـنى أخى … و بابى اذا سُـدّتْ علىَّ مَذاهِبى
وكم من أخٍ بَرٍّ و إن أنا لم أجِـدْ … كأنْتَ أخًا فى أُسرتى والأجانبِ
سَرَى الموتُ من أوطانه فى مآلفى … ونقَّبَ من أخلافِه[٧] عن حبائبى
عجبتُ لهذى الأرضِ كيف تلُمُّنا … لتَصـدَعنا ، والأرضُ أمُّ العجائبِ
نطـارِدُ عن أرواحِنـا بِرماحِنـا … ونَطـرَبُ من أيامنا للحـرائبِ
وتَسـحَرنا الدنيـا بشَبعةِ طـاعِمٍ … هى السَّـقَمُ المُرْدِى، ونَهلةِ شاربِ
أُحـدّثُ نفسى خاليـًا[٨] بخلودهـا … فأين أبى الأدنَى وأين أقاربى ؟
ولا كنتُ إلا واحـدًا من عشـيرةٍ … ولا باقيًا فى النـاس إلا آبنَ ذاهبِ

---

(١) المسنتون : المجدبون . (٢) السيب : العطاء والعرف . (٣) الأشاهب : يقال سنة شهباء أى لا خضرة فيها أو لا مطر . (٤) يريد بقوله متلاحب : واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها . (٥) الوشيج : اشتباك القرابة . (٦) المناسب : القرابات . (٧) الأخلاف جمع خَلْف وهو البقية من الناس ، وفى الأصل "أخلاقه" . (٨) فى الاصل : "حاليا" .

فهل أنا أجبى من مَقاوِل "حِمْيَرٍ"[1] وأمنعُ ظَهرا من مُشيَّد "مَأرِب"[2] ؟
وهل أخذتْ عهدَ "السموءلِ" لى يدٌ من الموت أو عندى حَنِيَّةُ "حاجبٍ"[3] ؟
أردّ شِفارا عن نحورِ صَحابةٍ كأنى دِفاعٌ لهـا عن ترائبى
ولا عِلمَ لى من أىّ شِقٍّ مَصرَعى وفى أيّما أرضٍ يُخَطُّ لجانبى
إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعا فياليتنى المرمىُّ من قبلِ صاحبى
وياليتَ مقبورا "بكوفان" شاهدٌ جوَاىَ ، وإن كانت شهادةَ غائبِ
ولَيتَ بِساطَ الأرض بينى وبينه طوتْه على الأعضادِ أيدى الركائبِ
فَعُجتُ عليـه واقفًا فمسلِّما وإن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخاطِبِ
ولَيتَ طريفَ الودّ بينى وبينه ـ وإن طابَ يومًا ـ لم يكن من مكاسبى
سلامٌ على الأفراح بعدَك إنها ـ وإن عشتُ ـ ليست إربةً من مآربى
إذا دنّس الحزنَ السلوُّ غسلتُه فعاد جديدا بالدموعِ السواكبِ
وإن أحدثتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مَصائبى
أدارِى عيونَ الشامتين تجـلُّدا وأبسمُ منهـم فى الوجوهِ القواطبِ
أُرِيهم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ وتحت جَناحى جانفاتُ المخالبِ
سَقتكَ بمعتادِ الدموع مُرِشّةٌ أفاويقُ[4] لم تُخْدِج[5] بلَمعةِ خالبِ
يلوث خطافُ البرقِ فى جَنَباتها بهامِ الهضابِ السودِ حُمْرَ العصائبِ
لها فوق مَتنِ الأرض ـ وهى رفيقةٌ بما صافحت ـ وَخْدُ القرومِ المصاعبِ

(١) المقاول جمع مِقول وهو الملك من حِميَر . (٢) مارب : يريد "مأرب" كمنزل : موضع باليمن ، وقيل اسم قصر بها . (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب . (٤) الأفاويق : ما اجتمع فى السحاب من ماء ، فهو يمطر ساعة بعد ساعة . (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطرها .

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لِينًا … لهـا، وغلامًا كلَّ أشمطَ شـائبِ (١)
إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ (٢) أرضٍ بوبلهـا … غدتْ روضـةً وفراءَ ذاتَ ذوائبِ
وإن كان بحـرٌ فى ضريحك غانيـا … بجُمّاتِهِ عن قاطراتِ السحائبِ

✣

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسِم بنِ عبدِ الرّحيم رحمهُ الله، يهنّئه بمقدَمِهِ من واسطٍ، ويَستبشِرُ به، ويذكُر خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليـالى مَرّةً وتصيـبُ … ويعـزُبُ حِـلمُ الدهرِ ثمّ يثوبُ
وتَستلقِحُ الآمالُ بَعـدَ حِيالهـا (٣) … أوانًا ويَنـأى الحظُّ ثم يؤوبُ
ولولا قُفولُ الشمس بعـد أفولِها … هوتْ مَعَها الأرواحُ حين تغيبُ
تَنَظَّرْ وإن ضاقتْ بصدرٍ رِحابُهُ … فُروج صَلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ
فما كلُّ عينٍ خالجتْـك مريضـةٌ … وخطفةُ برقٍ خالستْك خَلوبُ
قَضَتْ ظُلُماتُ البعدِ فيك قضاءَها … فَصُبْحا (٤)، فهذا الفجرُ منك قريبُ
بَدَتْ أوجُه الأيّامِ غُرًّا ضواحكا … وكنَّ وفى آستبشارِهنّ قُطوبُ
وطارحْننى عُذرَ البرىءِ وربمـا … سَـبقْنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ
أرى كَبِدِى قد أُثلجتْ فى ضلوعها … وكانت على جمـرِ الفـراقِ تذوبُ
وراحت إليها بعدَ طُولِ آلتياحِها … صَـبًا قَرّةٌ تَنـدَى لهـا وتطيبُ
سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما … أطال دُجَى "الزَّوراءِ" منه غروبُ

(١) يريد بقوله "وغلاما كل أشمط شائب" أن الأرض ترعرعت وآخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للارض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته. (٢) الجلحاء: الأرض التى لا نبات فيها. (٣) الحيال: عدم حمل الناقة. (٤) يريد فآنتظر صبحا.

وهبّت رياحُ الجودِ بُشرى بقربِه ... لها سالفٌ[1] من نشرِها وجنيبُ
وما خلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا ... ولا أنَّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تراحمتِ الأيامُ قبلَ لقائه ... بجنبيَّ من ذَنبِ الفراقِ تتوبُ
وتُقسِمُ لى أيمانَ صدقٍ بأنْ غدًا ... تراه، وبعضُ المُقسِمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسْنِ وفائها ... بما وَعَدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفى البين، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِه ... وخُرتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوى رِضًا بقضائه ... ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حَملتُ وُسوقَ البُعدِ فوق أضالعٍ ... من الثِّقلِ عضّاتٌ بها ونُدوبُ
أُحُبُّ حِذارَ الشامتينَ تجلُّدا ... بهنّ وما تحتَ الحِبالِ[2] نجيبُ
فإنْ تُعقبِ الأيامُ حُسْنى تسوءُها ... فللصبرِ أُخرى حُلوةٌ وعَقيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ، وتراجعتْ ... الى أُنسِها بعدَ النفورِ قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدين خميلةٌ ... تَعاورَها بعدَ "الحسين" جُدوبُ
فماءُ الندى عذبُ اللِّصابِ[3] مُرَقْرَقٌ ... وغصنُ المُنى وَحْفُ[4] النباتِ رطيبُ
سيُلقِى عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ ... على الرزقِ يطوِى أرضَه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ ... أريبٌ، وواديه أعمُّ خصيبُ؟
أقولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ: ... خذى أُهبةَ اليقظانِ، حانَ هُبوبُ (٢٦)
إذا الصاحبُ استقبلتِ غرّةَ وجهِه ... بدا قمرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفتحى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ ... الى نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ
سلامٌ! وحيّا اللهُ والمجدُ سُنّةً ... لها فى دُجُنّاتِ الظلامِ ثُقوبُ

(١) السالف : السابق . (٢) الحبال : الكلّ . (٣) اللصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى . (٤) الوحف : الكثير الملتف .

وزادت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً ... يَدٌ تُصْرِمُ الأنواءُ (١) وهى حَلُوبُ
لآثارها فى كلِّ شهباءَ (٢) روضةٌ ... وفى كلِّ عَمياءِ المياهِ (٣) قليبُ
حمى مجدَه وافى الحمائل سيفُهُ ... غيورٌ اذا ما المجدُ ضِيمَ غَضوبُ
له كلَّ يومٍ نهضةٌ دون عِرضهِ ... اذا نام حُبًّا للبقاءِ حَسيبُ
قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينُهُ ... وللعارِ مَسرًى نحوه ودبيبُ
إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتُهُ ... بأرعَنَ (٤) لا ترقَى إليه عُيوبُ
وقامَ بأمرِ المُلك يَحسِمُ داءَهُ ... بصيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ
له مَددٌ من سيفِهِ ولسانِهِ ... قؤولٌ إذا ضاقَ المَجالُ ضَروبُ
إذا يَبِستْ أقلامُهُ أو تصامتتْ ... فصارِمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ
يُرَى كلَّ يومٍ لابسًا دَمَ قارنٍ (٥) ... له جَسَدٌ فوق الترابِ سَليبُ
ولم أرَ مثلَ السيف عُريانَ كاسيًا ... ولا أمردَ الخدَّين وهْو خضيبُ
وقد جرّبوه عاطلًا ومقلَّدا ... وقادوه يَعْصِى حبلَهُ ويُجيبُ
فما وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما آجتهدوا له ... فتًى عنه فى جُلَّى تنوبُ ينوبُ
فعادوا فعاذوا ناهضين بعاجزٍ (٦) ... حضورُهُمُ ما أخَّروه مَغيبُ
أمينٌ على ما ضيَّعوا من حقوقه ... سليمٌ، وودّ الغادرين مَشوبُ
من البيضِ، إلا أن يُحَلَّى وجوهَهم ... ـإذا هُجِروا خَلْفَ الترابِ ـ شُحوبُ
صِباحٌ، نجومُ العزِّ فوق جِباههم ... طوالعُ غُرٌّ، والنجومُ تغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجعبة . (٦) العاجز : السابق ، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعجزه فهو عاجزٌ بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجانِ الملوك سِماتُهم ... ويومُهُم تحتَ الرِّماحِ عَصيبُ
إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حلّق منهُمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبونَ وشِيبُ
لهم كلُّ مقرورٍ عن الحِلمِ، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وهَافِي(١) عزمتيه لبيبُ
تَغيضُ أكفُ الواجدين وكفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِي مَرّةً وتصوبُ
تكادُ من الإشراق(٢) جِلدةُ خدِّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشرِ وهْو مهيبُ
يقيكَ الردَى غُمْرٌ(٣) يُجاريك في النَّدَى ... فيعقِلُ عِيٌّ رُشْدَهُ ولُغُوبُ
إذا قمتَ في النادى بريئًا من الخنا ... تلفَّتَ من جنبيهِ وهْو مريبُ
تَتبّعَ يقفو الخيرَ منك بشرّهِ ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشَمَّةَ ذِيبُ
تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِنتَ بمجدٍ أنتَ فيهِ نسيبُ
وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتِهِ حتى يقالَ: نجيبُ
أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ(٤) من بُسْطِ الفلا وسُهوبُ(٥)
شَهرتُ لسانًا في ودادك، جُرْحُهُ ... — إذا حَزَّ في جِلدِ النفاقِ — رغيبُ
لك الجُمّةُ الوطفاءُ(٦) من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حَرٌّ له ولهيبُ
يَسرُّك مكتوبًا وشخصُك نازحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ
وكيف ترونى قاعدًا عن فريضةٍ ... قيامى بها حقٌّ لكم ووُجوبُ
وفيكم نما غُصني وطالت أراكتي ... وغُودرَ عيشى الرثُّ وهو قشيبُ
شَوَى(٧) كلُّ سهمٍ طاحَ لى فى سواكُمُ ... ولى شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ
ولى بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدى، ومُنًى فى قولها ستُصيبُ

(١) الهافى: الزّالّ. (٢) فى الأصل: "الأشواق". (٣) الغمر: الجاهل. (٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرد. (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها. (٦) الوطفاء: السحابة الدائمة السَّحّ. (٧) الشوى: الأطراف، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعمِلَ فى كلّ من أخطأ غرضًا.

متى تذكروا حـقِّ أَبتْ بوفائكم — وظَهْرُ العـلى العاصِى علىَّ رَكوبُ
طَرِبتُ وقد جاء البشـيرُ بقربكم — وذوالشوق عندآسم الحبيبِ طَروبُ
وقمتُ إليـه راشـفًا من ترابهِ — ثرًى لك يحـلو رشْـفُهُ ويطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ — لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا — أواخرَ ما تبـغِى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ — فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

(٣٧) وقال يفخر

أَعْجَبَتْ بى بين نادى قَومِهـا — "أمَّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سَرَّهـا ما عَلِمتْ من خُلُقِى — فأرادتْ عِلْمَهـا ما حَسَـبى
لا تخالى نَسَـبا يخفِضُنى — أنا مَن يُرضِيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ آستولَوْا على الدهرِ فَتًى — ومَشَـوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشـمسِ هاماتِهـمُ — وبنَـوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأبِى "كِسرى" على إيوانهِ، — أين فى النـاس أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى — شَرَفِ الإسـلامِ لِى والأدبِ
قد قبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ — وقبَستُ الدينَ من خـيرِ نبى
وضَممتُ الفخرَ من أطـرافهِ — سوددَ الفرسِ ودينَ العـربِ

وقال يمدح مؤيِّد الملك سيِّدَ الوزراء أبا علىٍّ، وأنشدها فى المِهرجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّك[1] بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"[2] ... هــل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟

وهل عهدُ "اللوى" "بزرودَ"[3] يُطفِى ... أُوامَك[4] ؟ إنه عهــدٌ قــريبُ !

أعِدْ نظـرًا فـلا خنساءَ جارٌ ... ولا "ذوالأثل"[5] منك ولا "الجَنوبُ"

إذا وطَنٌ عن الأحبابِ عَزَّى ... فلا دارٌ "بنجــدَ" ولا حبيب

يمـانيــةٌ، تلوذُ "بذى رُعَيْنٍ"[6] ... قبائلُهـا المنيعــةُ والشــعوب

حمتهـا أن أزورَ[7] نوًى شَـطُونٌ[8] ... براكبها، ورامحـةٌ شَـبوبُ

مُلَمْلَمَـةٌ تضيقُ العينُ عنهـا ... إذا شرِقتْ بجُمّتهـا السُّـهوبُ

ومُعجَــلةٌ عن الإلجام قُبٌّ[9] ... أعنّتُهـا الى الفــزع السبيبُ

وإنك "بالعـراقِ" وذِكرَ حىٍّ ... على "صَنعاءَ" لَتَحُــلُمُ الكذوبُ

لعـلّ البانَ مطلولًا "بنجــد" ... ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" ينوبُ

ألا يا صاحــبىَّ تطلّعـا لى ... "أُشَىَّ"[10] هل اكتسى الأيكُ السليبُ ؟

وهل فى "الشِّرب" من سُقْيا فإنى ... أرى فى "الشِّعبِ"[11] أفئدةً تلوبُ

أكفكفُ بالحمى نزَواتِ عينى ... وقد غَصَّتْ بأدمعها الغُـروبُ[12]

وأحــلُمُ والمطـايا يقتضـيها ... دُوَيْنَ حنينها الحـادِى الطَّروبُ

فَمَنْ يجهـلْ به أو يَطْغَ شـوقٌ ... فشــوقى لا أبا لكما لبيبُ

وبِيــضٍ راعهنّ بيـاضُ رأسى ... فكُلُّ محبَّبٍ مــنّى مَعيبُ

---

(١) أجِدَّك معناه : أجِدًّا منك، أو أبجِدٌّ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين .
(٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حَرُّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُب : جمع قَبّاء وهى الفرس الدقيقة الخصر .
(١٠) أشىّ : اسم واد . (١١) الشِّربُ والشِّعب : موضعان، وتلوب : تحوم على الماء .
(١٢) الغروب جمع غَرْب وهو مُقدِمُ العين ومُؤْخِرها .

عَددنَ ـ مذ ٱلتَثمتُ به ـ ذُنوبى   وقبلَ الشَّيبِ أُحْبِطتِ الذنوبُ
يُجِدُّ المرءُ لِبسَتَهُ ويُبلِي   وآخرُ لِبْسَةِ الرأسِ المَشيبُ
وكنتُ إذا عتبتُ على الليالى   وفى وجهى لها لونٌ نسيبُ
أطاعَ شبابُها حِفظًا شبَابى   فجاءت من إساءتها تُنيبُ
فما بالى أرى الأيَّامَ تُنحِى   علىَّ مع المشيبِ وهنَّ شِيبُ
عَذيرِى من سَحيلِ[1] الودّ، تحوِى   حقيبةَ رحلهِ مَرَسٌ[2] تُخيبُ[3]
وَفَى لِى وهو مَحصُوصٌ[4] وأضحى   غداةَ ٱرتاشَ وهو علىَّ ذِيبُ
ومحسودٍ علىَّ تضيقُ عنّى   خلائقُهُ وجانبُهُ رَحيبُ
لَطيتُ[5] له فغُرَّ بلينِ مسِّى   وربَّ كمينةٍ ولها دبيبُ
تَوَقَّ عِضاضَ مختمرٍ[6] أُخيفتْ   جوانبُهُ وفى فيه نُيوبُ
فإن الصِّلَّ يُحذَرُ مستميتًا   وتحتَ قُبوعهِ أبدًا وُثوبُ
ولا تُثْلِمْ ودادَك لى بغَدرٍ   فقد يتثلَّمُ النسبُ القريبُ
أنلنى بعضَ ما يُرضى فلو ما   غضبتُ حمانىَ الأنفُ الغضوبُ
ومَنْ هذا يردُّ عِنانَ طَرْفِى   اليك، إن ٱستمرَّ بِىَ الرُّكوبُ؟
ستَرمِي عنكَ بى إبلى بعيدا   وتنتظرُ الإيابَ فلا أؤوبُ ٢٨
وربَّتما أتاكَ بنشرِ صِيتى   وواسعِ حالىَ النبأُ العجيبُ
أُخوَّفُ بالخيانةِ من زمانى   وقد مَرَنَتْ على القتَبِ النُّدوبُ
وما وادعتُهُ منذ ٱحتربنا   على سِلْمٍ، فتوحشنى الحروبُ!

---

(١) السحيل : الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف . (٢) المرس : الحبال واحدها مَرَسَةٌ . (٣) أى تخيب من يتعلق بها . (٤) المحصوص : الذى لا ريش له . (٥) لطيت له : من لَطِىَ بالارض : لصق بها ، كناية عن الخضوع . (٦) المختمر : لابس الخمار .

وكيف يُريبنى منه بيومٍ … زمانٌ كلُّه يومٌ مريبُ؟
وإنى مذ غدت هممى سيوفا … لأَعلَمُ أننى أبدا ضَريبُ
وما جنتِ الذى يجنيه قلبى … على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتَنى رَثًّا معاشى … أُطوِّفُ حولَ حظِّى أو أجوبُ
فَتحْتَ خَصاصتى نفسٌ عزوفٌ[1] … وحَشوَ معاوِزى[2] كَرَمٌ قشيبُ
سلى بيدى الطُّروسَ وعن لسانى … فَوارِكَ[3] لا يلامسها خَطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلِّ سمعٍ … تمرّ به، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما … أعانَ رُكودَها يوما هُبوبُ
لئن خَفّتْ على قومٍ ودقّتْ … فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونَفّرها رِجالٌ لم يُرَوَّحْ … على أفهامهم منها عَزيبُ[4]
فعند "مؤيِّدِ المُلكِ" اطمأنّتْ … وضمّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقٍّ به وَجَدَ انتصافاً … وظَنٍّ فى نداه لا يخيبُ
وواسعة الذراعِ،[5] يَغُرُّ فيها … عيونَ العيسِ رقّاصٌ[6] خَلوبُ
اذا استافَ[7] الدليلُ بنا ثَراها … أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخفِّضنا وتَرفعُنا ضَلالاً … كما خَبّتْ براكبِها الجَنوبُ
اذا غَنّتْ لنا الأرواحُ فيها … تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ ليثَتْ … على سُنَنٍ وَضاءتَها الشُّحوبُ
قطعناها اليك على يقينٍ … بأنّ الحظَّ رائدُه الغُروبُ

(١) عزوف : زاهدة . (٢) معاوز جمع معوز وهو الثوب الخلق الذى يبتذل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى استعصاء قصائده على كل خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شم .

تَرَى(١) ما لا تَرَى الأبصارُ منها كأنَّ عيونَها فيها قلوبُ
الى مَلِكٍ مُخضَّرةٍ رُباهُ جَمادُ الرزقِ من يدِهِ يذوبُ
يَغيضُ بنا ويمْلُحُ كلُّ ماءٍ وماءُ بنانِهِ عِدٌّ(٢) شَروبُ
تناهتْ عنه أقدامُ الأعادى كأنَّ رُواقَه الغابُ الأشيبُ(٣)
اذا ركِبَ السريرَ عَلا فأوْفَى على مَرْباتِهِ(٤) أقْنَى(٥) رَقوبُ
يعولُ الأرضَ ما كسبتْ يَداهُ وما كلُّ ابنِ مَرْقَبةٍ كسوبُ
متينُ قُوَى العزيمةِ ألمعىٌّ اذا ما ارتابَ بالفكرِ الأريبُ
يريه أمسِ ما فى اليومِ رأىٌ يُمِلُّ على شهادتِه الغيوبُ
بِذَبِّكَ مِن وراءِ المُلكِ قامتْ دعائمُ منه والتأمتْ شُعوبُ
حملتَ له بقلبِك ما تركتَ الـ جبالَ به تُفاخِرُها القلوبُ
تَضَرَّمُ فِتنةٌ وتضيقُ حالٌ وصدرُك فيهما ثَلِجٌ رحيبُ
وكم أشفَى(٦) به داءٌ عُضالٌ وصنعُ اللهِ فيك له طبيبُ
طلعتَ على البلادِ، وكلُّ شمسٍ تضىءُ قد استبدَّ بها الغروبُ
وقد قَنِطَ الثرى وخوتْ أصولُ الـ ـعضاهِ وصوَّحَ العُشبُ الرطيبُ
ونارُ الجَوْرِ عاليةٌ تَلَظَّى وداءُ العجزِ منتشرٌ دَبوبُ
فكنتَ الروضَ تُجليه(٧) النُّعامَى(٨) وماءَ المزنِ منهمرا يصوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق

* عيونَ العيس رقّاص خلوبُ *

(٢) العدّ : الماء الجارى الذى لا ينقطع . (٣) الأشيب : الشجر الملتفّ . (٤) المرباة : المرقبة وسُهِّلت الهمزة للضرورة . (٥) الأقنى : الذى ارتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر . (٦) أشفى به : أودى به . (٧) تجليه : تجعله ذا جلبة .

(٨) النعامى : ريح الجنوب .

كأنك غُرَّة الإقبالِ لاحت ... بعقبِ اليأسِ، والفرجُ القريبُ
هنا(١) أُمَّ الوزارةِ أن أتاها ... على الإعقامِ منك ابنٌ نجيبُ
وأنك سيِّد الوزراءِ معنًى ... به سُمِّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك ابنًا ... لَمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك اجتمعتْ بدائدُها، ولانت ... معاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تتجاذب الحسّادُ منها ... عُرًى يَعيا بمِرَّتها(٢) الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ ... لها، بثيابِ غيرك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو انّ النصح أجدَى ... ولم يكن المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى ... ففى أيديكُمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمَّاتِه(٣) الأُولَى وخلُّوا ... أقاصِيَ لا يخابطها ذَنوبُ(٤) ٣٩
فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى ... وإن كانت به تُشفَى الكروبُ
لك اليومانِ تكتُبُ أو تَشُبُّ الـ ... ـوغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسا قلمٌ خطيبٌ ... ويومُك راكبا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً بهما ونسكا ... ومجمعُ ذين فى رجلٍ عجيبُ
وضيِّقةِ المجالِ(٥) لها وميضٌ ... قِطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ ... محارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللِّثاتِ(٦) له لُعابٌ ... يجدُّ الخطبُ وهو به لَعوبُ
يُخال على الطروس شُجاعَ(٧) رملٍ ... اذا ما عضَّ لم يُرقَ اللسيبُ(٨)

---

(١) هنا : أصلها هنأ وسهّلت الهمزة . (٢) المرة : القوة . (٣) جُمّات جمع جُمّة وهى مجتمع ماء البئر . (٤) الذنوب : الدلو . (٥) يريد بضيّقة المجال : الوغى . (٦) يريد بمسودة اللثات : القلم . (٧) الشجاع : الحيّة أو الذكر منها . (٨) اللسيب : الملدوغ .

تَغلغَلُ منـــه فى مهج الأعادى جَوائفُ(١) جُرحُها أبدا رغيبُ(٢)
اذا مَـلَكَ الرقابَ به آمترينا مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟
ومضْطَهدٍ طردتَ الدهرَ عنه وقد فغـرتْ لتفرِسَه شَعوبُ(٣)
اذا عُصِرت من الظـمأ الأَداوَى(٤) على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ
فنِعم مُناخَ ظالعـةٍ(٥) وسَـقْيًا ذَراك الرحبُ أو يدُك الحلوبُ(٦)
عُلًا "رُنْجيـة"(٧) الأبياتِ خُطّتْ على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ"(٨)
لهـا عَمَـدٌ على صـدر الليالى وفوق أوائل الدنيـا طُنـوبُ
صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت لدعوتهـا الممـالكُ تستجيبُ
وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت وإلّا ذكرُهـا بكُـمُ يطيبُ
ومنـكم فى سياستهـا رجالٌ فُحُـولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ
كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم وتَزلَقُ عن صَفاتِهـم العيوبُ
مضَـوا طَلَقًا بأعـداد المساعى وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ
قنـاةٌ، أنت عاملُهـا شرُوعا الى نحـر السما وهم الكعوبُ
وخـيرُ قبيـلةٍ شرفًا مـلوكٌ لمجـدك منهُم عِرقٌ ضَروبُ
فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا ولا أَزرَى بمَطالِعـك المغيبُ
ولا برِحتْ بك الدنيـا فتـاةً تُرُبٌ(٩) كما آكتسى الورقَ القضيبُ

---

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصـل " خوائف " وهو تحريف .
(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : " طالعة " . (٦) فى الأصل : " الجلوب " وهو تحريف .
(٧) رُنْجيّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله " وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىّ الرُّنجى " وقد أثبتناها كما وردت بالأصل وبالبحث عنها لم نجد غير " رُنّج " والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عسيب : اسم جبل . (٩) تُرُب : تُرَبّى وتُمَنّى .

اذا ما حزتها آنتفضت عِطارا[١] سوالفُها بعدلك والتريبُ
ومات الدهرُ وآنطوتِ الليالى وملكُك لا يموتُ ولا يشيبُ
وقام المِهرَجانُ فقال مثلَ الـ ـذى قلنا وآبَ كما نؤوبُ
وعادك زائرا ما كرَّ ليلٌ لسعدك بين أنجمه ثقوبُ
بك آستظلمتُ من أيّامِ دهرى ومن رَمضائها فوقِى لهيبُ
كفيتَنِى السؤالَ فما أبالى سواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ
وغِرتَ على الكمال فصنتَ وجهى فليس لمائه الطامِى نُضوبُ
مكارمُ خضَّرتْ عُودى وروَّتْ ثراه وقد تعاوَره الجُدوبُ
تُواصِلنى مَثانِىَ أو وِحادا كما يتناصر القطْرُ السَّكوبُ
فما أشكو سوى أنّى بعيدٌ وغيرى يومَ ناديكم قريبُ
أفوِّقُ عزمتى شوقا اليكم ويَقبِضُنى الحياءُ فلا أصيبُ
أصدُّ وضِمنَ دَستِك لى حبيبٌ عليه من جلالته رقيبُ
اذا آمتلأتْ لحاظى منك نورا نزَا قلبى فطارَ به الوجيبُ[٢]
يُميلُ اليك بِشرُك لحظَ عينى ويَحبِسُ عنك مجلسُك المَهيبُ
ولو أنى بُسِطتُ لكان سعىٌ وبَلَّ بِلالَه الشوقُ الغلوبُ
أبيتُ فما أُجيبُ سواك داعٍ ولكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ
فإن يكن انقباضى أمسِ ذنبا فمنذ اليومِ أُقلِعُ أو أتوبُ
وتحضُرُ نابياتٌ[٣] عن لسانى فواقرُ[٤] ربُّها عبدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخللتنا آنتقضت عطارا *
وهو غير متزن ومحرّف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر
جمع فاقرة وهى التى تثقب الخرز أو الدر للنظم و يريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درّ مديحه .

أوانسُ فى فمى متيسِّراتٌ اذا ذُعِرتْ من الكلِم الشُّروبُ
اذا أعيتْ على الشعراء قِيدتْ الىَّ وظهـــرُ ريِّضهـا رَكوبُ
بقيتُ وليس لى فيهـا ضريبٌ ولا لك فى الجزاءِ بها ضريبُ (١)
تُصاغ لهـا الحماسةُ من معـانى علاك، ومن محاسنك النسيبُ
رَعيتُ بهنّ من أمَـلِى سمينـا لديك، وحاسدى غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشِّـعرُ سَجْلٌ (٢) أمـــدُّ به، وراحتك القَليبُ؟

✧ ✧ ✧

وقال يعـزِّى أبا الحسين بن رَوْح النَّهروانىّ عن ابنين له تُوفِّيَا فى مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقة بينهما

على أىّ أخلاقِ الزمان أعاتبُـهْ وما هـــو إلا صَرفه ونوائبُـــهْ
تَفـرَّى أديمى (٣) وهو بُترٌ شِـفارُهُ وجافت (٤) جروحى وهـو صُمٌّ (٥) مخالبُـهْ
نُدوبٌ تُقفِّى هــذهِ عقْبَ هــذهِ وداءٌ اذا ما باخ (٦) أوقـدَ صاحبُهْ
شغَلتُ يدى حينـا بعـدّ ذنوبِهِ وزِدن فقـد تاركتُه لا أحاسـبُهْ
طرحتُ سلاحى وانترعتُ تمـائمى وضـاربُه يُنحِى عـلىَّ وسالبُـهْ
ببيضٍ من الأيام هنّ سـيوفُهُ وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُداجِـهِ (٧) حتّى يرانِىَ راضـيا مِرارا، وأَعصِى مرّةً فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُـه قابضٌ يدًا ولا خائفٌ عارا بما أنا عائبُـهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنّةِ وجهِـهِ فشاهـده حُسْنٌ تَشوّهَ غائبُـهْ

(١) الضريب: المثيل. (٢) السجل: الدلو. (٣) تفرّى أديمى: انشق جلدى.
(٤) جافت: بلغت الجوف. (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلب المتين. (٦) باخ: خمد.
(٧) أداجيه: أوافقه.

ولا تَمهَّـدْ قِعـدة فوقَ ظهـره … فـا هـو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ

تَرَدَّى رجالٌ قبلنا وتقطَّـرت(١) … بِهِـمْ شُهبهُ دون المَدِىِّ(٢) وشاهِبُهْ(٣)

وصَرَّحَ عمّـا ساءهم طولُ مَحضِـهِ … خبائثَ جرّتها عليهـم أطايبُـهْ

حبائلُ مكتوبٌ لهـا نصرُ كيدها … من الله، لا يُمحَى الذى هو كاتبُهْ

فمِن معـلَّقٍ مستعجَلٍ أو مؤخَّرٍ … مُراخِيـهِ يوما لا مَحالةَ جاذبُهْ

تصاممتُ عن داعى المنونِ مغالطـا … وإنّى على طول السكوت مُجاوِبُهْ

وقدّمتُ غيرى جُنّـةً أتّقى بهـا … ومن يوقَ من راميه لا بـدّ صائبُهْ

أخـلّاىَ، أيمُ اللهِ أَطلب ثأرَكم … من الدهرِ، لو قد أدركَ الثأرَ طالبُهْ

أفى كلّ يومٍ لى قَضيبٌ مُخالَسٌ(٤) … وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُـهْ؟

وكاسٍ من العلياء والحسنِ، يعتدى … — سليما على سيفى وسَوطِى — سالبُهْ

تَطيحُ به زَندى، وجَهـدُ تحفُّظى … بميثـاقهِ فى الغيب أنّىَ نادبُهْ

وكم منكُمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجَى … زمانا، خبا بعـد الإضاءةِ ثاقبُـهْ

وآخَرُ لمـا سامَحَنى بأصـله الـ … ـمنايا ذَوتْ أغصـانُهُ وشعائبُـهْ

وأضحى بنـوه غِبطـةً وبنـاتُهُ … تُسَـلُّ بهـم أنيـابُهُ ورواجِبُـهْ

فيـنزو بلَىِّ شجوهُ، وتُصـيبنى … بموضـعه من سِرّ قلبى مَصائبُـهْ

ألا يا أخى للودّ دنيًّـا(٥)، وكم أخٍ … لأُمّى بعيـداتٍ علىّ قرائبُـهْ

لحا الله خَطبا، شَلَّ(٦) سرحَك طاردُهُ … وجمّعَ فى إلهـابِ قلبـك حاطِبُـهْ

رمَتْـك يدُ الأيام عن قوس قارنٍ … اذا هـو والى لم تخنـه صوائبُـهْ

سقتك بكفٍّ أدهقَتْ لك ثانيـا … ولمّـا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شاربُهْ

(١) تقطّرت بهم: ألقت بهم. (٢) المدِىُّ: الحوض لا نصب حوله حجارة. (٣) الشاهب: من الخيل الذى غلب بياضه على سواده. (٤) مخالَس: مُعجَل. (٥) يقال: هو ابن أخى أو ابن عمى دِنيا أى لحًّا. (٦) شلّ: أذهب.

فَقَرْحٌ وقَرْحٌ لم تَـلَاحَمْ نُدُوبُهُ ودمعٌ ودمعٌ ما تعـلّق ساربُهْ
ويا ليتـه لمّا تثـنَّى تعلّقتْ مقاديرُه ، أو آستوين مَراتبُهْ
ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبعٍ وحارِكُ ظهـرٍ بعـدَه جُبَّ غاربُهْ (١)
حَصاتان من درٍّ حَصانانِ (٢) لم تَطِرْ يدٌ بهما ، مادنَّس الدُّرَّ ثاقبُهْ
هما (٣) بيضتـا كِنٍّ بجانبِ مُلْبِسٍ (٤) حمـاه الطروقَ تيهُـهُ وسَباسِبُهْ (٥)
حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا أفاحيصُـهُ (٦) فى جـوّه ومَساربُهْ
يحوطهما ما آسطاعَ وحفُ جَناحِهِ شِعارُهمـا دون التراب ترائبُـهْ
تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ
رزِئتَهما شمسيْنِ أقسمَ فيهـما ظلامُ الأسَى ألّا تجَلّى غياهبُـهْ
يعـدّون نُرْقا بالفتى فى بنـاته اذا ما بكَى أو ذلَّ للحزنِ جانبُهْ
وكم من كـريم عَزّهُ نجباؤه فعـزَّ بما ساقت اليـه نجائبُـهْ
وبعضُ البناتِ مَن بهـا يُنتجَ العُلا وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ
فإلّا تكونا صارمين لجِـذْوتَا (٧) حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَـلُّ مَضارِبُهْ ٣١
أبى الحـلم لم يَمْلِك عليـه حياؤه ولا كذّبتْـهُ فى الزمان تجاربُهْ
اذا وَلَدَ آستذكرنَ حزمًا إناثُهُ (٨) كما ذُكِّرتْ أخـلاقُهُ وضرائبُـهْ
تعزَّ آبنَ "روحٍ" إنما الموتُ مُدلجٌ الى أمـدٍ فيـه النفوسُ مَراكبُهْ
ومن أنّحرتْه شمسُ يومٍ فـلم يمت يمتْ حـولَه أحبابُهُ وحبائبُهْ

(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصانان : عفيفتان .
(٣) فى الأصل "وما" وهو تحريف . (٤) مُلْبَس : مغطًّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا ليضها . (٧) فى الأصل : "بجـدوتا" وهو تحريف والجِذْوة : القطعة . (٨) فى الأصل : "أناته" وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُـبرةٍ بزمانه ... تنكّرُ منـه أن توالَى عجائبُـهْ
خُلِقنا لأمرٍ أرهقتنا صدورُهُ ... فياليت شعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟
غريمٌ مُلِطٌّ (١) لا يَمَـلُّ وطالبٌ ... بغـير تِراتٍ (٢) لا تنامُ مَطالبُـهْ
وقد جربتْـك الحادثاتُ فلا تكن ... ضعيفَ القُـوَى رِخوًا لهنّ مجاذِبُهْ
وغيرُك مغـلوبٌ على حُسنِ صبرِه ... ولا خَطبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ
برغمِىَ أن يَسرِى غِزِىٌّ (٣) من الأسَى ... اليـك ولم تُفـلَلْ بنصرى كتائبُـهْ
وإن كان خصما لا لسانى ينوشـه ... ولا كلمـاتى الغاسـقاتُ تواقِبُـهْ
ويا لدفاعى عنـك إن كان صارما ... أصافحه أو كان ليثا أواثبُـهْ
ومَن لى لو آنَ الحزنَ يرعَى جوانحى ... فدًى لك لو يرضَى بقلبِىَ ناصبُهْ
فما هى إلا مهجةٌ لك شـطرُها ... وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ
وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتِـك البكا ... عـلى أنّه جاريه لا بدّ ناضبُـهْ
فدونك دمـعى سـائلا ومعلّقـا ... بخامدُهُ باقٍ عليـك وذائبُـهْ
عتبتُ على دهرِى فسهّلَ عذرَهُ ... بأنّك باقٍ كلَّ ما هـو جالبُـهْ
اذا سـلِمَ البـدرُ التمـامُ فهيّنٌ ... على الليلِ أن تهوِى صِغارا كواكبُهْ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلّدِه الوزارةَ، ويهنّئه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينِك على "غُرّبٍ" ... غرامـةٌ بالعـارض الخُلَّبِ (٤)؟
نَعَمْ! دمـوعٌ يكتسِى تربُهُ ... منهـا قميصَ البـلدِ المعشِبِ

---

(١) الملطّ : جاحد الحق . (٢) التِّرات جمع تِرَة : وهى الذَّحْل . (٣) الغزىّ : الغازى وفى الأصل "عزىّ" وهو تحريف . (٤) العارض : السحاب ، والخلَّب : الذى يُرعِد ويُبرِق ولا مطر فيه ، وفى الأصل "المخلب" يقال : ماءٌ مُخلِبٌ أى ذو خُلُب وهو الطين ، وهذا لا يتفق والمعنى .

سارِبةٌ[1]، تَركبُ أردافَها ... معلَّقاتٌ بعــدُ لم تَسرُبِ
ترضَى بهنّ الدارُ سَـقْيًا وإن ... قال لهـا نوءُ السِّماكِ : ٱغضبي
علامـــةُ أنّى لم أنتكِثْ ... مَرائرَ[2] العهـــدِ ولم أقضِبِ
يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرا ... عُجْ عَوجَةً ثمّ ٱستقم وٱذهبِ
دعِ المطـايا تلتفتْ، إنهـا ... تلوبُ من جفنى على مَشربِ
لا والذى إن شاء لم أعتذرْ ... فى حبّـه من حيث لم أذنبِ
ما حدّرتْ ريحُ الصَّبا بعــدَه ... لثامَهـا عن نَفَسٍ طيّبِ
ولا حلا البــذلُ ولا المنعُ لى ... مذ هُــوَ لم يَرضَ ولم يَغضبِ
كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ ... لولا ٱصطخابُ الحَلْىِ لم تُحجَبِ
وحاجــةٍ لــولا بُقَيّاتُهـا ... فى النفس لم أطربْ ولم أرغَبِ
يا ماطلى بالدَّيْن ما ساءنى ... إليــك ترديدُ المواعيــدِ بى
إن كنتَ تقضى ثمّ لا نلتـقى ... فدمْ على المطـلِ وعِد وٱكذبِ
سال دمى يومَ الحِمَى من يدٍ ... لولا دمُ العشـاقِ لم تُخضَبِ
نبـلُ رماةِ الحىّ مطرورةٌ[3] ... أرفَقُ بى من أعيُنِ الربربِ
يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى ... أقادُ فاركبنِى أو فاجنُبِ
قد سدّ شيبى ثُغَـرِى فى الهوى ... فكيف قَصّى أثَرَ المَهْــربِ
أفــلحَ إلا قانـصٌ غادةً ... مـدّ بحبـلِ الشَّعَرِ الأشيبِ
ما لبنـاتِ العَشْرِ والعَشْرِ فى ... جِـدّ بنى الخمسين من مَلعبِ
شِيَاتُ أفراسِ الهـوى كلُّهـا ... تُحمَـدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

---

(١) ساربة : جارية وفى الأصـل "سارية" وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .

(٢) مرائر جمع مريرة وهى طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .

أمَا تَرَيْنى ضـاوياً عارياً ... من وَرَقِ الملتحِف المُخصِبِ ؟
مُحتجِـزا أندبُ مِن أمسِيَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِبِ (٣٢)
فـلم يُثَـلِّمْ ظُبَـتَىْ عامـلى (١) ... ما حَطَمَ الساحبُ من أكعبى
يوعِـدُنى الدهرُ بغَـدراتِه ... قعقِعْ لغـيرِ الليثِ أو هَبهِبِ
قد غَمزتْ كفُّك فى مَروَتى (٢) ... فتحتَ أىِّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفـزِعى أنتَ بفَوتِ الغنَى؟ ... تلك يدُ الطـالى على الأجربِ
دعْ ماءَ وجهى مالئًا حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشَـبِى وٱشربِ
إن أُغلَبِ الحـظَّ فلِى عِزفةٌ (٣) ... بالنفس لم تُقـمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى (٤) طـالبٌ لم يجِـدْ ... فكيف وِجـدانى ولم أَطلُبِ ؟
آه عـلى المـالِ وما يُجتَنَى ... منـهُ لو آنّ المـالَ لم يُوهَبِ
راخِ (٥) على الدنيـا اذا عاسرتْ ... وإن أتَتْ مُسمِحةً فاجـذِبِ
ولا تَعَسَّفْ كَدَّ أخلافِها (٦) ... فربّمـا درّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ ٱستقبلَتْ رشدَهـا ... بوقفـةِ المعتـذِرِ المعتِبِ
وٱرتجعتْ ما ضـلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزَبِ
وربّمـا طالَـعَ وجـهُ المـنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوِى الحـاجاتِ مطرودةً ... وٱبنِ السبيل الضيِّقِ المَذهبِ :
وقاعـدٍ يأكُلُ (٧) من لحمـهِ ... تنزَّهـا عن خَبثِ المَكسَبِ :
قـد رُفعت فى "بابـلٍ" رايةٌ ... للمجـدِ من يَـلقَ بها يغلِبِ

---

(١) العامل : الرمح . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الانصراف عن الشىء، والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى أرخِ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلْف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : "نا كل" .

يصيحُ داعى النصرِ من تحتها : يا خيلَ محيي الحسناتِ آركبي
جاء بها اللهُ علـى فـترةٍ بآيــةٍ من يرهـا يعجبِ
هاجمــةِ الإقبـالِ لم تُنْتَظَـرْ بواسـعِ الظنّ ولم تُرقَبِ
لم تألفِ الأبصارُ من قبلهـا أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
رِدوا فقـد زاركم البحـرُ لم يُخَضْ له الهـولُ ولم يُركَبِ
يشِفُّ للأعينِ عن دُرِّه الـ ـثمينِ صـافى مائه الأعذبِ
فارتبعوا بعـدَ مِطالِ الحَيـا وروِّضوا بعـدَ الثرى المُجدبِ
قد عادَ فى "طيءٍ" ندَى "حاتِمٍ"(١) وقامَ "كعبٌ" سيِّدَ الأكعبِ
وعاش فى "غالبَ" "عمرُو العُلا"(٢) يهشِمُ فى عامهـم المُـلزِبِ(٣)
وآرتجعتْ "قحطانُ" ما بزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أو حَوشَبِ
ورُدَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةٌ"(٦) من حـولِهِ مُحتبِي
كلُّ كريمٍ أو فتًى كاملٍ وفاعـلٍ أو قائـلٍ مُعـربِ
فاليومَ شكَّ السمعُ قد زال فى أخبـاره بالمنظَـرِ الأقـربِ
الى الوزيرِ آعـترقتْ نيَّها(٧) كلُّ أمـونٍ(٨) وعرةِ المَجذبِ
تُعطِى الخشاشاتِ(٩) لِيانًا على أنفٍ لها غضبانَ مستصعَبِ
مجنـونةُ الحـلمِ وما سُفِّهتْ بالسَّـوطِ ، خرقاءُ ولم تُجنَبِ

---

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أوّل من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسمّى بذلك لأن حِميَر تكلّعوا على يده أى تجمّعوا وحوشب من مخاليف اليمن . (٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن . (٧) اعترقت نيّها : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخلق . (٩) الخشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بِيأسُ فَحْلُ الشّولِ من ضربِها[١] ... لعزّةِ النفسِ ولم تُكْتَبِ[٢]

لو وَطِئتْ شَوكَ القنا نابتاً ... فى طُرُقِ العلياءِ لم تُنقَبِ[٣]

يَخطُّ فى الأرض لها مَنسِمٌ ... دامٍ متى يُمِلِ السُّرَى يَكتُبُ

كأنَّ حاذَيها[٤] على قاردٍ[٥] ... أحمشَ[٦] مسنونِ القَرا[٧] أحقبِ[٨]

طامنَ فى الرمل له قانصٌ ... أعجفُ[٩] لم يُحمِضْ[١٠] ولم يُرطِبِ[١١]

ذو وَفْضةٍ[١٢] يَشهدُ إخلاقُها ... بأنها عامينِ لم تُكتَبِ

مهما تحلّلهُ بُنيّاتُها[١٣] ... من "وَدَجٍ" أو "وَرِكٍ"[١٤] يُعطَبِ

فمرّ لم يَعطِفْ على "عانةٍ"[١٥] ... ذُعْرًا ولم يَرأمْ على "تَوْلبِ"[١٦]

به خُدوشٌ يتعجّلْنَهُ ... قدائمٌ من لاحقِ الأكلبِ[١٧]

بأىِّ حِسٍّ ريعَ خِيلتْ له ... رنّةُ قوسٍ أو شبا مِخلبِ

يَذرعُ أدراجَ الفيافى بها ... كلُّ غريبِ الهمِّ والمطلبِ

يرمى بها ليلُ جُمادَى الى ... يومٍ من الجوزاءِ معصوصبِ[١٨]

فى عَرْضِ غبراءَ رِياحيّةٍ ... عجماءَ لم تُسمَرَ ولم تُنسَبِ

---

(١) الضرب : السِّفاد . (٢) لم تُكتب : لم تقيَّد ولم يُختَم حياؤها حتى لا يُنزَى عليها . (٣) لم تنقب : لم تصب بالنَّقَب وهى القُرَح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . (٥) القارد : المتجعِّد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر . (٨) الأحقب : الحمار الوحشىّ . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يحمِض : لم يصادف حَمضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعى لزاده وأداته . (١٣) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة . (١٤) ودج وورك : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغةً القطيع من حُمُر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغةً ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كلب . (١٨) معصوصب : عصيب .

(٣٣) يُشكِلُ مشهورُ الركايا[١] بهـا ‏ ‏ ‏ على مصانيف القَطَا اللُّغَّبِ[٢]
حتى أُبيحَتْ وصــدوعُ السُّرَى ‏ ‏ ‏ بالنومِ فى الأجفانِ لم تُشعَبِ
وشَمْـلَةُ[٣] الظلمـاءِ مكفورةٌ[٤] ‏ ‏ ‏ تحت رِداء القمــرِ المُذْهَبِ
الى ظليــلِ البيت رَطْبِ الثرى ‏ ‏ ‏ عالى الأثافِى حافلِ المَحْلَبِ
مخضِب الجفنـةِ ضخمِ القِـرى ‏ ‏ ‏ اذا يَدُ الجـازرِ لم تُخضَبِ
تُرفَـع بالمَنْـدَلِ نـيرانُهُ ‏ ‏ ‏ اذا إماءُ الحىِّ لم تَحطِبِ
له مجاويفُ عمـاقٌ اذا ‏ ‏ ‏ ما القِــدر لم تُوسع ولم تُرحَبِ
كلّ رَبوضٍ[٥] عُنقُها بارزٌ ‏ ‏ ‏ مثـلُ سَنام الجَمَـلِ الأنصبِ
تُعجِلها زحمـةُ ضِـيفانِه ‏ ‏ ‏ أن تنأَّى[٦] حطبَ المُلِهبِ
أبلج فى كلّ دجى شُبهةٍ ‏ ‏ ‏ لو سار فيهـا النجمُ لم تُثقَب
مُوَقَّر النادى ضحوك النـدَى ‏ ‏ ‏ يلقاك بالمُـرغِب والمُـرهِب
تَلحظُهُ الأبصـارُ شَزْرا وإن ‏ ‏ ‏ أكثَرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ
مُرٌّ، وإن أجدَتْك أخلاقُهُ ‏ ‏ ‏ شمـائلَ الصهبـاءِ لم تَقطِبِ
يَنحطُّ عنـه النـاسُ من فضلهم ‏ ‏ ‏ منحدَرَ الرِّدفِ عن المنكِبِ
أتعبَـهُ تغليسـهُ[٧] فى العـلا، ‏ ‏ ‏ مَن طَلَبَ الراحةَ فليتعَبِ
من معشرٍ لم يُهتبَلْ[٨] عِزُّهم ‏ ‏ ‏ بغلَطِ الحـظِّ ولم يُجلَبِ
ولا عــلا آبنٌ منهُــمُ طالعا ‏ ‏ ‏ من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

---

(١) الركايا جمـع ركيّة وهى الحفرة يجتمع فيها المـاء . (٢) اللغب جمـع لاغب وهو المعيى، وفى الأصل "اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة . (٥) الربوض : الضخمة، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) تنأى : تنتظر، وفى الأصـل "تنأبى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلقوا المجدَ وداسوا العلا   وطُرْقُها يهماءُ[1] لم تُلحَبِ[2]
ووافقوا الأيام فاستنزلوا   أبطالها فى مِقنبٍ مِقنبِ[3]
قومٌ إذا أخلف عامُ الحيا   لم تختزلهم حَيْرة المَسْغبِ
أو بسَط اللهُ ربيعا لهم   لم يبطَروا فى سَعةِ المخْصِبِ
سَمَوْا وأصبحتَ سماءً لهم   يطلُعُ منها شرَف المَنْسبِ
زدتَ وما انحطُّوا ولكنّها   إضاءةُ البدرِ على الكوكبِ
خُلقتَ فى الدنيا بلا مُشبِهٍ   أغربَ من عنقائها المُغْربِ
لا يَحلُسُ الحلمُ ولا يركَبُ الـ   ـخوفُ ولم تجلس ولم تركبِ
إن جنَح الأعداء للسّلم أو   تلاوذوا منك الى مَهرَبِ
كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا :   أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضربِ
أو ركبوا البغىَ الى غارةٍ   طعنتَ ، حتى قيل : لم يكتُبِ
فأنت ملءُ العين والقلب ما   تشاءُ فى الدّستِ وفى الموكِبِ
وربَّ طاوٍ غُلّةً بائتٍ   من جانب الشرّ على مَرقَبِ
ينظرُ من أيامه دولةً   بقلمِ الأقدارِ لم تُكتَبِ
راعته من كيدك تحت الدجى   دبّابةٌ أدهَى من العقربِ
فقام عنها باذلا بُسْلَةَ[4] الـ   ـرّاق ولم يُرْقَ ولم يُلْسَبِ
بك اشتفى الفضلُ وأبناؤه   بعد غُمومِ السّقَمِ المُنصِبِ
والتقم الملكُ هُدَى نهجِه   وكان يمشى مِشية الأنكبِ
وِزارةٌ قلّبها شوقُها   منك الى حُوّلِها القُلَّبِ[5]

(١) اليهماء : الفلاة لا يُهتدَى فيها . (٢) لم تلحب : لم تُسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة : أجرة الراقى . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسِع لهـا مُرغِبا وليُّهـا المهـرَ ولم تَخطُبِ
كم أجهضتْ قبلَك مِن عَدِّهم لهـا شهورَ الحاملِ المُقـرِبِ (١)
وولدتْ وهى كأنْ لم تلِد أمٌّ اذا ما هى لم تُنجِبِ
قُمتَ بمعناها وكم جالسٍ تكفيه منها سِمـةُ المَنصِبِ
وهى التى إن لم يُقَدْ رأسُها بمحصداتِ الصـبر لم تُصحِبِ (٢)
مَزلَقـةٌ، راكبُ سِيسائِها (٣) راكبُ ظهرِ الأسـدِ الأغلبِ
راحتْ علـى عِطفِـك أثوابُهـا طاهـرةَ المَـرفَعِ والمَسـحَبِ
فتحتَ فى مُبهَمِ تدبيرها تنفُّسَ البُلْجَـةِ فى الغيهبِ
وآرتجعتْ منـك رجالاتهـا كلَّ مطيـلٍ فى الندَى مُرغِبِ
رُدَّ بنو "يحيى" و"سهلٍ" لها "والطاهريُّون" بنو "مُصعبِ"
فآضرب عليهـا بيتَ ثاوٍ بهـا قبلك لم يُعـمَدْ ولم يُطْنَبِ (٤) ٣٤
وآستخدم الأقدارَ فى ضبطها وآستشرِ الإقبالَ وآستصحِبِ
وآمدُدْ على الدنيا وجَهْـلاتها ظِـلالَ حـلمٍ لك لم يَعزُبِ
وآطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُبِ
تفضُـلُ ماكرَّ سِنِى عُمـرِهِ بملء كفِّ الحاسبِ المطنِبِ
يومٌ من الفُـرسِ أتى وافـدا فقالت العُـرْبُ له : قـرِّبِ
بات من الإحسان فى دارِكم ــ وهو غريبٌ ــ غيرَ مستغرَبِ
لو شاء من ينسِب لم يَعـزُهُ لغيركم عيـدا ولم يَنسِبِ
وآسمع لمغـلوب على حظِّـه لـو أنـك النـاصرُ لم يُغلَبِ

---

(١) المقرِبُ التى قرُبَ وِلادها . (٢) لم تصحب : لم تنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحَّدٍ لم يشكُ من دهره … وأهلِهِ إلا الى مُذنِبِ
أقصاه عند الناس إدلاؤه … من فضله بالنسب الأقربِ
لو قِيض إنصافُك قِدماً له … عزَّ فلم يُقْصَ ولم يُقْصَبِ(١)
عندك من برقِيَ لَمّاعَةٌ … سابقةٌ تشهدُ للغيَّبِ
منشورُها ذاك، ومنظومُها … هذا، كلا الدرّين لم يُثقَبِ
ما زلتُ أرجوك ومن آيتي … أنّ رجائي فيك لم يَكذِبِ
لم يبقَ لي بعدَك عتبٌ على … حظٍّ ولا فقرٌ الى مَطلَبِ
فاغرسْ ونوّهْ منعماً واصطنعْ … ترضَ مضاءَ الصارمِ المُقضِبِ
وغِر على رِقّيَ من خامِلٍ … لِملكِ مثلي غيرِ مستوجِبِ
كم أحمدتْ قبلك عُنْقٌ يدٌ … لكنّها سامتْ ولم تَضرِبِ
ولَدنةِ الأعطافِ لم تُعتَسَفْ … بالكَلِمِ المرِّ ولم تُتْعَبِ
من الحلالِ(٢) العفوِ لم تُستلَبْ … بغارةِ الشعرِ ولم تُنْهَبِ
دمُ الكرى المهراقِ فيها على … سامعِها إن هو لم يطرَبِ
جاءك معناها وألفاظُها … في الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ
أفصحُ ما قيلَ ولكنّها … فصاحةٌ تُهدَى الى "يَعرُبِ"

* * *

وقال في بعض الأغراض وقد سُئله

ضمانةٌ يَصدُقُ وعدُ الضنا … فيها، جناها الطَمَعُ الكاذبُ
عاد بها اليومُ جديدَ الهوى … وقد تولّى أمسُها الذاهبُ
أيةُ نارٍ قدَحتْ في الحشا … عينُ مهاةٍ زَندُها ثاقبُ؟

(١) لم يقصب: لم يُقطع. (٢) في الأصل "الجلال" وهو تحريف.

وأىُّ ثغـرٍ ولَمّى صادنى؟ نابـلُ قلبى بهـما الصائبُ
حُبًّا له من بَرَدٍ جامـدٍ يقطُـرُ منـه ضَرَبٌ(١) ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بها الثائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرَّمتِ وصالى فمن أين دمى علَّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُكِ والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النارِ وقد أُخمِدتْ على فـؤادى ومَن الحاطبُ؟

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أنهَجَ(٢) القشيبُ منـكِ ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلَّتْ بكِ الغـوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخـروقة العَـزَالِى(٣) تغلِبُ أخياطَها الثُّقـوبُ
تعجَبُ منهـا رباكِ حتَّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكان عِطْرا كما عهـدنا مَشْىُ الصَّـبا فيـكِ والهبوبُ
فـربَّ ليلٍ ثراكِ فيـه — بين نُحورِ العشاق — طِيبُ
عُجْنا ولـيلُ المطىِّ ليـلٌ بَعْـدُ وصوتُ الحادى صليب (٣٥)
وما نَقضناهُ من طريقٍ مِن حيثُ رحنا عنـه قريبُ
فقـال صَحْبى: أضـلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحـازمُ الأريبُ؟
ليس أوانُ التعريسِ هذا قلتُ: هو الشوق لا اللُّغوبُ

(١) الضرب: الشهد. (٢) أنهج: بَلِىَ. (٣) العزالى جمع عزلاء، وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها.

يا من رأى "باللوى" بُرَيقًا … تقدحُ نيرانَهُ الجَنوبُ
كَلَا ولَا[(١)]، بينما تراهُ … يطلُعُ أبصرتَهُ يغيبُ
كأنّ ما لاح منه وهْنًا … على شبابِ الدجى مَشيبُ
حدّثنى "بالغضا" حديثًا … سَرَّ، على أنه خَلوبُ
يقول : هيفاءُ لم يُحِلْها … عن عهدك الناقلُ الكذوبُ
جفونُها بَعدَكم حُنُوًّا … ماءٌ وأحشاؤها لهيبُ
فارض، فمِن قلبها خُفوقٌ … أعدَى ومن طرفِها أصوبُ
لا وليالٍ على "المُصَلَّى"[(٢)] … تُسرَق فى نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيْفُ"[(٣)] من هَناتٍ … يغفرها المالكُ الوهوبُ
وخَلَواتٍ "بأمّ سعدٍ" … ما بعدها لذّةٌ تطيبُ
لولا لماها لما شفانى … "بزمزمٍ" ما سقى القليبُ
ما ذا على مُحرِمٍ "بجَمْعٍ"[(٤)] … وسهمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصيدُ ثَمّ بَسْلٌ[(٥)] … تصادُ بالأعينِ القلوبُ ؟
يا فتكها نظرةً خِلاسًا … سبَّبَ أدواءَها الطبيبُ
ذابت عليها حصاةُ قلبى … يا من رأى جمرةً[(٦)] تذوبُ ؟
قُلْ لزمانى : ما شئت فاضغط … قد دَبِرَ[(٧)] الجاذِرُ الحليبُ

---

(١) كَلَا ولا أى كقولك "لا لا" ويراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع ويغيب كمقدار قول "لا لا" وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما يتمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان .

كيف رأيت الإبلَا … خواطفًا كَلَا وَلَا

(٢) المصلَّى : اسم موضع . (٣) الخَيْف : اسم موضع . (٤) جَمْع : اسم موضع من مناسك الحج . (٥) بسل : حرام . (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات البارودى "صخرة" .

(٧) دبِر : أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير .

أصبتَني بالخطـوبِ حـتَّى لم تُبْـقِ لى مَقتَــلا تُصيبُ
فى كل يومٍ جورٌ غريبٌ عنــدى عليه صـبرٌ غريبُ
حتى لقــد صار لا عجيبا منــك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُزوفِ نفْسِى قلتُ له : أنتَ والخطــوبُ ؟
عساك — خُبْرًا بالناس — مثلى إن رُدَّ من حِلمك العــزيبُ
فَـفِى قِــلَى مَنْ تُراكَ تَلْحَى منهــم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تعيبُ؟
اللهُ لى — إن طَرَحْتُ عِرضى أُكلَةَ آمالهــم — حسيبُ
قد كنتُ أبكِى وهــم فُروقٌ شَتَّى وأشكو وهــم ضُروبُ
فليــوم سوّتهــم المَساوِى عنــدى وعمَّتهم العيــوبُ
فما أرى منهُــمُ بريئـا يَخشَى افتضاحا به المُــريبُ
بلى ! قد استثنتِ المعالى بيتًا لهـا فخــرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عمادٌ له ، وشهبُ الدجَى طُنــوبُ
الحَسَبُ[1] العِــدُّ[2] من بنيــهِ كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبــدِ الرحيم" مُردٌ حولَ رواقِ العُــلا وشِيبُ
تشابهوا سُــودَدًا فأعطَى شاهدُهم فضــلَ مَن يغيبُ
كلُّ مُحَيًّا الجبينِ طَلْقٍ لم يعتسِفْ بِشرَه القُطــوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْوُوا[3] والعامُ مستحنِفزٌ[4] غَضــوبُ
تَرْوَى عِطاشُ الآمالِ فيهــم وهْىَ عــلَى غــيرهم تلوبُ
لهــم أفاويقُــها إذا ما أصرَمَ ثَدْىُ الحَيَــا الحَــلوبُ

---

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يهزَلوا ، وفى الأصل : "يضروا" . (٤) مستحنفز : ماض مسرعا .

دوحةُ مجـدٍ، أبو المعـالى   غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ
كان فتـاها والرأىُ كهلٌ   وطفـلَها والحجـا لبيبُ
ليثُ حِمـاها والدارُ حربٌ   وفى السـلامِ الظبىُ الربيبُ
لا فَرحـةٌ تسـتقلُّ منـه   حِلْمـا ولا نَوبةٌ تنـوبُ
تغمِـزُ فيـه أيدى الليالى   والنَّبْـعُ مسـتعِصمٌ صَليبُ
إذا كساه الغِـنَى قميـصا   فهو بأيدى النـدَى سليبُ
وكلُّ سـعيٍ له كَسوبٍ   تَغـرَمُه كفُّه الوهـوبُ ٣٦
يحمى حِمـاه بنافـذاتٍ   خُدوشُها فى العِـدا نُدوبُ
لا يَبلغُ السَّـبرُ(١)، ما يُفَـرِّى(٢)   — مُعمَّقا — جُرحُها الرغيبُ
يبعثُها مفصِـحا لسانٌ   ماضٍ إذا لَجـلَجَ الخطيبُ
إذا فُـروجُ الكلامِ ضاقتْ   تمَّ بهـا باعُـهُ الرحيبُ
لا مَحَقتْ بدرَك الدآدِى(٣)   ولا محا شمسَـك الغـروبُ
ورَجَـع الدهرُ مستقيـلا   اليـكَ من ذنبِه يتـوبُ
يُقسِمُ لا شِيمَ وهـو سيفٌ   بعـدُ ولا شَمَّ وهـو ذيبُ
وعاد ظـلُّ الدنيا عليكم   يُورِقُ أو يُثمِـرُ القضيبُ
حظُّكُمُ صـفوُها وحظُّ الـ   أعداءِ منها المُـرُّ المشوبُ
ما كرَّ عَـوْدًا شبابُ ليـلٍ   يَردُفُـهُ من ضُحًى مَشـيبُ

(١) السـبر : امتحان غَوْر الجـرح ومعرفة مقـداره .   (٢) ما يفرِّى : ما يُشَـق .

(٣) الدآدئُ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبـل ليالى المحاق أو هنّ ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئُ القمر فيها الى الغروب أى يُسرِعُ وقد سُهِّلت همزتها ، كقول الراجز

أبدى لنا غرّةَ وجه بادى ✲ كزُهْرَة النجوم فى الدآدى

وواحدتها : دَأْدَاء وفى الحديث "أنه نهى عن صوم الدأداء" وهى يوم الشك .

وزار يومُ النـيروز عامَ الـ — ـخصبِ كما زارك الحبيبُ
تُهدَى لكم من ثناىَ عُونٌ[(١)] — كلُّ آبن سمعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيـكُمُ وتُمسِى — تجولُ فى الأرض أو تجـوبُ
فى كلِّ يومٍ تغشاك منها — حبيبـةٌ ما لهـا رقيبُ
كذاك لا غائبى خبيثٌ — لكم ولا شاهـدى مريبُ
قـلبى صحيـحٌ لكم ووِدّى — ما مرِضَ الودُّ والقـلوبُ
أجبتكم قبـلَ أن دعـوتم — فكيف أُدعَى فلا أُجيبُ

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوّال من سـنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذكُرُ قديمَ الرياسـةِ فى بيته ، وآجتذابَه إيّاه ، وآقتراحَه مديحَهُ، وتَواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلّها — واليأسُ منها أغلبُ — — إن نأتِ اليـومَ غدًا تستقربُ
حاجةُ صـدرٍ لك لا ملفوظةٌ — ولا تَسـوغُ حُلوةً فتُشـرَبُ
أضحَـكُ من مواعِدِ الدهرِ بها — ممّا يجىءُ باطـلا ويذهبُ
ودونها — أن ينتهِى لحاجُها — — ذو صِبغتَين دِينُـه التقلُّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـلٌ مغـالِطٌ — لى عنـده ، وشافِـعٌ مجبَّبُ
وحلفـةٌ كاذبةٌ وفى فمى — شكيمةٌ[(٢)] مِن أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصـاةُ من فـؤاده — تلينُ لى ولا اللسانُ يَرطُبُ
اللهَ ياهيـفاءُ لى فى زمنٍ — نعيمُهُ بعـدَكُم معـذَّبُ

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنّها من كل شىء ويريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكبدٍ يصدعُها كلُّ أسىً ... بها الكبودُ القرِحاتُ تُشعَبُ

لا سلوةُ البعدِ المُريحِ عِصمةٌ ... منكِ ولا الهمّ المُراحُ يعزُبُ (١)

وكلّما أطمعَ فيكِ سببٌ ... آمُلُهُ أيأسَ منكِ سببُ

يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ ... ثم يموتُ وهو موتٌ طيّبُ

نفْسَكَ يا مُعطي الهوى قِيادَه ، ... إنك في خيطِ الهوانِ تُجنَبُ

وإن هَوِيتَ فانتصرْ بغَدرةٍ ... عن ثقةٍ أنّ الوفاءَ العطبُ

قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ : ... أسفرَ في فودَيك ذاك الغيهبُ

ومن بلاياكِ وإن عبتِ به ... شبابُ حُبّي وعِذارى الأشيبُ

غدرُكِ والخمسونَ ، أيّ روضةٍ ... قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ (٢) ؟

وما الذي أنكرتِهِ من ليلةٍ ... يطلعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ ؟

ما نَصَلَتْ إلا بماءِ مقلتي ... فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ

وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلّتُهُ ... "بالغَور" ما يُرْوى ولا ما يَعذُبُ

يزعمُ أن كلَّ دارٍ "رامةٌ" ... وأنّ كلَّ ذاتِ حِجلٍ (٣) "زينبُ"

حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها ... ساجدةً أذقانُها والركبُ

يُعطَى المُنى منها الذي يَستامُهُ ... طُلًى (٤) تَطيحُ وجُنوبٌ تجبُ (٥) ٣٧

مثلَ التِلاعِ (٦) بازِلًا (٧) وحِقّةً (٨) ... قامَ عليهنّ الربيعُ المخصِبُ

والمُشرِفاتِ من "مِنًى" كأنّها ... على ظُهورِ الهَضَباتِ حَدَبُ

وبالمُلبّينَ سعَوا فنفَضُوا ... ذنوبَهم وجمّروا وحصّبوا

(١) في الأصل "المزاح يغرب" وهو تحريف . (٢) في الأصل "تجذب" وهو تحريف .

(٣) الحِجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض . (٧) البازل : الجمل المسن . (٨) الحِقّة : الناقة الداخلة في الرابعة من عمرها .

وماحَوى ـ وأىُّ فضلٍ ماحوى ـ ذاك العتيـقُ البـارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجـدُ لَمـا كان الى غير بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُـهُ وفيهِـمُ رواقُـهُ وبيتُـهُ المطنَّبُ
أَقسمَ : لا فارقَهم، وأقسموا ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" مَنكِبُ
حىَّ على رغم البـدورِ غُرَرًا تَقـدحُ فى فحم الدجى فتَثْقُبُ
ورِدْ نفـوسا حُرّةً وأيديا تُحيلُ فى المحلِ عليها السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطوا(١) حوضَهُ، لهم ليـالى وِردِه والقَـرَبُ
وٱنتظموا سوددَهم نظْـمَ القنا لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهم هامَ العـلا وٱقتعَـدوا ظهورَهـا وٱعتقبوا
شُمّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرَتْ دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يَمشُونَ رَجْلَى(٢) فيُخالُ أنهـم من شَـارةٍ(٣) ومن شَطاطٍ(٤) رَكِبوا
توارثوا الملكَ فـلا خلافـةٌ إلا لهـم سريرُها والمـوكبُ
ومنهُـمُ فى حربِها وسِلمِها رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِىُّ كلِّ دولةٍ عاطلةٍ وبِشْرُ كلِّ نعمةٍ تُقَطِّبُ
إذا الخطوبُ حُسِمتْ بخَدعةٍ أو ردَعةٍ لانوا لهـا وصَعُبُوا
إن كتبوا، قلتَ: ٱصطلاما(٥) طعنوا أو طعنوا، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبى إن جَلسوا والأسدَ هِيجَ شَرُّها إن وَثبوا
لهـم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُـلُه لك الرواةُ وتريك الكتبُ
وخيرُ ما ٱستطرفَتْهُ حديثُهم إذا الكرامُ زانهـم ما أعقبـوا

(١) لاطوا : طيَّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومن شطاط : من طولٍ وحسنِ قوام . (٥) ٱصطلاما : ٱستئصالا .

وَولَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ … ـمجدُ به كيف نَمَوْا وأنجبوا
برزتَ فى عِقدِهِم واسطةً … لها من الأبصار ما يُستلَبُ
بيضاءَ مما أبغضَ الغوّاصُ فى الـ … ـفحص عليها أنفسًا تُحتسَبُ
ومَطَلتهم دونها أمنيّةٌ … روّاغةٌ وحِقبٌ وحِقبُ
حتى قضى الصبرُ لهم قضاءَهُ … واستحيتِ الأيامُ مما نصَبوا
فاستخرجوها تملأُ الراحةَ والـ … ـعينَ، فقالوا: دُرّةٌ أم كوكبُ؟
وشُرُفتْ فلُقّبتْ فخرَ العلا … لو لم يقعْ دون سناها اللقبُ
وكيف لا تطلُعُ بدرا فيهمُ؟ … والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ
ألقَى الكمالُ طائعا عِنانَهُ … اليك يُرخى تارة ويَجذِبُ
وأقعصَ(١) الأقرانَ عنك قلمٌ … ممرَّنٌ وخاطرٌ مدرَّبُ
وقمتَ قُرحانا(٢) فتيًّا بالعلا … قُيِّدَ عنك القارحُ المجرَّبُ(٣)
ورِثتَ فضلا لو قنِعتَ لكفى … لكن أبيتَ غيرَ ما تكتسِبُ
كالليثِ لا تحلو له فريسةٌ … لا ينتقِى(٤) فيها ولا يُخلِّبُ(٥)
وكم سواك لم يحُزْ حسابُهُ … أعدادَ ما تُملى عليه الحُسَّبُ
حَويتَ إعظاما وقد مثّلتَ لى … رائدَ عينَيَّ وقلتَ: تكذِبُ
أدُميةٌ صيغتْ أم البدرُ هوى … وبَشَرٌ أم مَلَكٌ مُقرَّبُ؟
معجِزةٌ جاء الزمانُ غلطا … بها وآىٌ كلُّهنَّ عجَبُ
وكَرَمٌ على اللسانِ حاضرٌ … يشِفُّ منه الكرمُ المُغيَّبُ

---

(١) أقعص: أمات. (٢) القُرحان فى الإبل: مالم يجرَبْ قطّ، وفى الأصل "فرحانا" وهو تحريف. (٣) القارح المجرَّب: المسنّ الذى أصابه الجرب. (٤) ينتق: يطلب النِّقْىَ وهو مخ العظام. (٥) يخلب: يعمِل مخالبه.

وراحةٌ مُطلقــةٌ طارحَهـا الـ ـعِرضَ المصونُ أن يهون النشبُ
سحرتَنى ودارُ عِزّى "بابل" وقُـــدتنِى وأمُّ(١) رأسى تصعُبُ
وملَّكتَنى لك نَشوانَ الهـوى خلائقُ غِناؤهنّ مُطـرِبُ
ملأتَ بالبِشـرِ وِطابَ(٢) أمَلى وبعضُهـم بكيئةٌ(٣) لا تُحـلَبُ
حتى رَقَى الحـاوِى فأصغيتُ له وكدتُ معْ شدّةِ زُهدى أرغبُ
وقلتَ عاشَ "لزهيرٍ"(٤) "هَرِمٌ"(٥) وقام فى أهلِ "الزُّبيرِ" "مُصْعَبُ"(٦) (٣٨)
أرضيتنى عن الزمان بعـد ما حرّقَ أضلاعى عليـه الغضبُ
وعاد بَرْدا وسـلاما بك لى ما توقِد الدنيـا وما تحتطِبُ
أغنيتنى قبـلَ اللُّهـا مودّةٌ والودّ عنـدى خيرُ رِفدٍ يوهَبُ
وقرّبتْنى منـك أُولَى نظـرةٍ حتى كأنّا لم نزل نصـطحبُ
فِراسـةٌ أيقظك المجـدُ لهـا وفطنـــةٌ على سواك تعـزبُ
وهمّـــةٌ إذا ركبتَ ظهــرَها أدركتَ من أخرَى العلا ما تطلُبُ
فاسمع أُقرِّطْك شُـنوفا دُرُّهـا لغـير آذانكُمُ لا يُثقَبُ
من المصـوناتِ التى تعنّستْ(٧) خلف الخدورِ وهى بِكرٌ تُخطَبُ
تنـافسَ الملوكُ فى مُهـورِها واقترَعوا فى حُبِّـها واحترَبوا(٨)
عنـدهُم الرغبـةُ والودّ لهـا وعنـدها المـلالُ والتجنُّبُ

---

(١) أمّ الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليه . (٢) الوطاب جمع وطْب وهو السِّقاء .
(٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلَّ لبنها . (٤) زهير بن أبى سلمى الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمدائحه . (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهى التى طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوج قط حتى خرجت من عداد الأبكار . (٨) احترَبوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادها نزاهةً وورَعًا منّى أبٌ على البناتِ حَدِبُ
ليس عليه للتمنّى طاعةٌ ولا له فى الشهواتِ أربُ
لا يمدح الناسَ ولكن مدحُكم يَلزَمُ فى دِينِ العلا ويجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم ، يتذلل ببعض المعاتبة ، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

نأتْ والأمانِى بها تقرُبُ وملّتْ وأحسبها تعتِبُ
ومال بها الغدرُ غدرُ الطبا عِ عنّىَ والكاشحُ المُجلِبُ
وغيرانُ يُذْعِره آسمى بكم ويؤنسه حولَه المِقنبُ
يكون لغيرى جَناحَ البعو ضِ لينا ولى قَرْمهُ المصعَبُ (١)
ومنتحِلٌ فى الهوى يدّعِى مقامى وشاهدُه يكذِبُ
تبدّل بى — ساء ذاك البديلُ — كما يبيعَ فى الأخبثِ الأطيبُ
فيا عَجَبى من مُريقٍ دمى عنادا وقلبى به معجَبُ
ومستهزِئٌ ضاحكٌ من بكاى يجِدُّ بقلبى كما يلعبُ
أهيفاء ، أىُّ هوى قد علمـ ـتَ يُقصى وأىّ أخٍ يُقصَبُ ؟ (٢)
ولما آنطوَى العامُ نفسى تَرُ دُّ عنكِ وحافزُها يَطلُبُ
صددتِ كما آنصرفَتْ بالصدى (٣) غرائبُ أوجهها تُضرَبُ (٤)
أقول : غدًا ، نظرا للوفاء وغدرُكُمُ من غدٍ أقربُ
وكيف اللقاءُ وقد سُدّتِ الـ ـمطالعُ يا ذلك الكوكبُ ؟
وأين النجاءُ وما الحظّ فيه ، ومنكِ — وأنتِ المنَى — المهربُ ؟

(١) القرم المصعب : الفحل الذى ترك فلم يركب حتى صار صعبا . (٢) يقصب : يقطع .
(٣) الصدى : الظمأ . (٤) الغرائب : الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء .

* * *

سلِ الهاجعين على "ذى الطُّلوح"(١) وطَـرفى لهـم حارسٌ يرقُبُ
أشمــتُم يميــنا ســنا بارقٍ يشــوقُ عــلى أنه خُلَّبُ ؟
تألَّــق مستشــرفا لا يُسَــلُّ حتى يُرى ســيفُه يقْــرب(٢)
يبينُ ويُخفى رءوسَ الهضابِ فتنصُــلُ منــه كما تُخضَبُ
يمُــرُّ فيُرغِب(٣) فى أضــلُعِى صُــدوعا بَرجعتِــة تُشْعَبُ
وهل عنــده خبرٌ إن سألــتَ : ما "البانتان" و"ما "زينبُ" ؟
وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى الباليــاتِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟
سقَى بالحمى الأعينَ النابلاتِ من دم أحشاىَ ما تشربُ
وحيَّا الحيا أوجها لا تَغُشُّ، لُجينُ الجمالِ بها مُذهَبُ
وفى السانحاتِ بذاك "الرَّميــل" عفراءُ تاهَ بها الربربُ
من الذاهباتِ بحَبِّ القلــوبِ لا تقتضَى ردَّ ما تَســلُبُ
وما نُطفــةٌ حصَّــنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مَستصعَبُ
مصفَّقــةٌ(٤) حَلَبتْ عفــوَها(٥) بها المزنُ أوّلَ ما تُحــلَبُ
الى أن تبــقَّت لُباناتُها وكادت بما لَطُفتْ تَنضُبُ
تراوِحــها وتغادى الشَّمالُ ترقــرقُ فيها وتُســتعذَبُ
ولا نحْـــلةٌ بات يَعســوبُها(٦) على الحسْنِ من حــذَرٍ يلسبُ
يَغــار فيمنعها أن تُشا(٧) رَ، ما منع الشائرَ المِشغَبُ(٨)

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .
(٣) يرغب : يوسع . (٤) مصــفقة : مصفاة . (٥) العفو : أوّل ما يحلب .
(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيِّج .

تُجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى(١) مثلها مثله تَكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطّارُها ... "بدارِين"(٢) يَنخلُ ما يَجلبُ
يبقِّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
بجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العِيابُ بها تُثْقَبُ
بأطيبَ من فمِ ذات الوشاح ... سُحورا، بلى! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ: دعْ ذِكرها ... ففى الذِّكر قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ ... لا بدَّ أو ثَلَّةٍ(٣) تعزُبُ
فقلتُ: إذن كبِدى فلذةٌ ... من الصخر أو كبِدى أصلبُ
تُرَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أطربُ
عَذيرِىَ من زمنٍ لا يُسَرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قَسَمَ الحظَّ بين الرجال ... فحظى من شرّ ما يُنصِبُ
تَعاوَى علىَّ تصاريفُه ... تُذَإِّبُ حولى وتَستَكلِبُ
فأدفعهنّ بصبرى الجميلِ ... اذا ظَلَعَ المتنُ والمنكِبُ
سأركبُ عزمِىَ، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بى مُغرِبُ(٤)
وإلا فعندَ "عميدِ الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
وراتعةٌ من أمانى العُفا ... ةِ لا هى تَظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعها ... بساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ(٥) أعراقِه ... إلى العِيصِ(٦) من مجده تَضرِبُ

(١) فى الأصل "عنى" وهو تحريف. (٢) دارين: بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة: جماعة الغنم أو الكثيرة منها. (٤) يقال: عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغرِبةٌ والعنقاءُ المُغرِبُ وعنقاءُ مُغرِبٍ وهو طائر معروف الأسم لا الجسم وفى المثل "حلَّقَتْ به عَنقاءُ مُغرِبٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة. (٦) العيص: هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسَّعَ فى نسبٍ، كالهلال إلى الشمس، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُناةُ العلا آلُ "عبدِ الرحيـ ـم" يُعرَفُ بابنهمُ ما الأبُ
ميامينُ، أنديةُ المكرماتِ لهم تُجتبَى(١) وبهم تُعصَبُ
إذا ذَكروا العارَ لم يأمنوا وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجوهٌ ميسَّرةٌ للنجا ح باسمةٌ والثرى يَقطُبُ
وأيدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ إذا حُسِبَ الفقرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشارُهُمُ(٢) للشفارِ فتُعبَطُ(٣) من قبلِ تُستحلَبُ
ولولا القِرَى ورشادُ الضيو فِ(٤) لم يغدُ عبدٌ لهم يَحطِبُ
مضَوا تضمنُ المجدَ أحداثُهم وذكرهُمُ خالدٌ طيِّبُ
وقام "أبو سعدهم" ذائدًا(٥) بميراثه وبما يكسِبُ
فتاهم بما عُدّ من سِنّه وشيخٌ وأحلامهم تعزُبُ
كفته بديهةُ حِدْثانه قديمَ الرجالِ وما جرَّبوا
وغلَّس حتى آنتهى واحدًا، له المجلسُ: الصدرُ والموكبُ
كثيرُ الغَناءِ قليلُ العناءِ فما يستريح وما يتعَبُ
وما يغمزُ الخطبُ فى عُوده إذا آنقلب الزمنُ القُلَّبُ
أبيٌّ جوادٌ، فيومَ الخصامِ يَحُجُّ، ويومَ الندى يَغلِبُ
يرى النفسَ تلك التى لا تُذَ لُّ والمالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصاخ بكم لِىَ حظّى الأصـ ـمُّ وآعتذر الزمنُ المذنبُ

(١) تجتبى: تصطفى، وفى الأصل "تجتنى" وهو تحريف. (٢) العشار: النوق.
(٣) فتعبط: فتنحر. (٤) يريد: لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما آحتطب لهم عبد. (٥) فى الأصل: "زايدا" وهو تحريف.

وذلَّلـــتمُ لِى ظهـــورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجنُبُ
وكـنتم مآلى ومالى نلســ ... ـتُ أرهبُ شيئا ولا أرغبُ
وردَّ الودادُ اليــكم قِيا ... دَ قــلبى فما عنكمُ مَذهبُ
وحلَّأْتُ[1] عن حوض شعرى الملو ... كَ وهو لكم مُغدِقٌ مُعــذَبُ
صــوارمُه دونكم تُدتضَى ... وأذيالُه حولكم تُســحَبُ
أَحنُّ لكم حَنَّـــة العاشقين ... فأمدحـكم مثـلَ ما أنسِبُ
عـــلى مللٍ فيكُمُ لا تزال ... بجــنبي قــوارفُهُ تَنْــدُبُ
متى آتِ لم أكُ مســتكرَها ... وأنأى فما أنا مســتقرَبُ
وكم ماطرٍ فيهِــمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَهُ[2] يحــلِبُ
يُدير كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقِى الغــرامَ ولا يشــرَبُ
ومن حاســدٍ لِىَ، أرسانُهُ ... بما ساءنى عندكم تُجذَبُ
إذا خافنى دبَّ فى دوركم ... بعيبى كما دبَّت العقــربُ
فــلا وشَــقاوتِهِ ما يَشُــقُّ ... على البدر أن تَنبحَ الأكلُبُ
ولو كنتُ أُغلى عليكم رضاىَ ... لما سرَّكم أنَّنى أَغضَــبُ
ولــكن فــؤادٌ لكم رِقُّــهُ ... فما يســتبيح ولا يهــرُبُ
يُريه الهــوى أنَّ إمساكه ... بكم من تنقّــلِهِ أصْــوبُ
وأنَّ الحفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طينِ طابعِــه أغلبُ
فــلا تنــتزعكم يدٌ تســتمـ ... ـيحُ مِنِّى ولا قاهرٌ يَغصِبُ[3]

(١) حلّأْت : منعتُ ، ومعــذَب : مزوع ما فيــه من قذّى . (٢) أنصافه : أى نصف ما يحلبه فى قربه ، ومنه : قربة نَصفَى أى بلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَهُ . (٣) فى الأصل " يغضب " ولا يتفق والمعنى .

ولا أعدمَنْ منكُمُ أُسرةً بأيسر عُتبَى لها تعتِبُ
وغُرًّا مفوَّفةً كالبرو دِ أو هى من حوكها أقشبُ
تجارِى بروجَ العلا أو تعود وشرقُ النجوم لها مغرِبُ
يُذِلُّ النوالُ لكم صعبَها فكلُّ شوامسها(١) تُركَبُ
بكم هامَ رِيِّقُها(٢) فى الشبابِ وهذا لكم عمرُها الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ السعو دِ ومن حُسنِها سِمةٌ تغرُبُ
فإن جاءكم أعجميُّ اللسا ن فهْى لسانٌ له مُعرِبُ
فتبقونَ وهى بواقٍ قعودٌ ما آختلفَ(٣) الصبحُ والغيهبُ

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه فى ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّزَ مديحه، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَر السُّرى المركوبِ والليلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دحَا(٤) بهم سُكْرانِ: سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ وتواقعوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعلَّلوا طرَبا إلى أوطانهم بحنينِ كلِّ مندَّبٍ(٥) مجلوبِ
فكأنَّ صَحْبِى نالَهم قَرقَفٌ(٦) أو فزَّ بينهُمُ عِيابُ الطِّيبِ
فعجبتُ للزَّورِ القريبِ دنا به قَدرٌ وليس مَزارُه بقريبِ

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره. (٢) الريّق: أوّل العمر. (٣) هذا الشطر دخل على أوّله "الخرم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن". (٤) دحَا بهم: رمَى بهم. (٥) المندَّب: الذى به آثار الجروح. (٦) قرقف: من أسماء الخمر، وفزّ: سال ونَدِى.

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ما بين قُنَّة "لَعلَع" و"عَسيبِ"
وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى منها عدوًّا فى ثيابِ حبيبِ
لو حُكِّمتْ يقظَى لما زارت بلا عِدَةٍ ولا وصلتْ بغيرِ رقيبِ
يا أخت "فِهرٍ" والمحبة بيننا نسبٌ، وإن ناداكِ غيرُ نسيبِ
لولاكِ لم أشِمِ الخلابَ ولاصبتْ نفسى لأحلامِ الكرى المكذوبِ
ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْنِ" (١) فى أخويك من رشأ له وقضيبِ
ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخوننى وكتمتُ سرَّك والدموعُ تَنِمّ بى
وحملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه وجزعتُ حتى قيلَ : غير لبيبِ
فاذا وذلك (٢) ليس عندكِ نافعا لما مِلتِ وقلَّ منك نصيبى
تتجرمين الذنب تجزيني به والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى
ثِنتانِ لو خُيِّرتُ فى كلتيهما عُمْر الربا مالى وعُمْر مَشيبى (٣)
ولقد حَبستُ عن اللئامِ مَطامعى وأطلتُ فى دار الهوان مَغيبى
وعزفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى أنفًا من المتمنِّنِ الموهوبِ
مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى والصونُ بين مآزرى وجيوبى
وعلىَّ دون الحاسدين ونبلِهم دِرعان من فِطَنى ومن تجريبى

---

(١) الحزن : اسم موضع . (٢) يريد "فإذا هذا وذلك" كقول عبد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمّار المشهور بالقَسّ وهو صاحب سلّامة المغنية

باتت تعللنا وتحسب أننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ
حتى اذا سطع الضياء لناظر * فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذكرُه * وإذا مضى شىء كأنْ لم يُفعلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثنتان لو خُيِّرت فى كلتيهما * عُمَرَ الرُّبا مالى وعِزَّ مشيبى

وحمايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبي … والفضلُ يمنع سارحي وعزيبي
(٤١) وإذا فزعتُ لجأتُ من أسدٍ إلى … أسدٍ تأشَّبَ فى القنا المخضوبِ
ونزلتُ فى غُرفِ العلا متظلّلا … بالعزّ تحت رواقها المضروبِ
وعلقتُ منها ذمّةً ومودّةً … أن فاتَ "حمّادٌ" بحبلِ "شبيبِ"
الماجد آبن الماجدين وربما … تجدُ النجيبَ وليس بآبن نجيبِ
وآبن القِرى وآبن الصوارم والقنا … والخيلُ تخالط أرجلا بسبيبِ
والواهبِ ما لا يُجاد بمثلِه … والسالبِ ما ليس بالمسلوبِ
والراكبين الى ذوى حاجاتهم … ظَهرا من الأخطار غير ركوبِ
جادوا فقال المالُ: سُحْبُ مواهبٍ … وسطَوْا فقال الموتُ: أُسدُ حروبِ
وتتابعوا فى المجد ينتظمونه، … والرمحُ أُنبوبٌ على أنبوبِ
كانوا الأسنةَ فى "معدٍّ" كلّها … والناسُ بين معاقِدٍ وكُعوبِ
إن فوخروا شهدت لهم أيّامهم … فيها بكلّ معلَّمٍ مكتوبِ
يتوارثون مكارما مُضَريّةً … إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"
دَرَجوا عليها آخذين بحكمها … لم يُفسدوا حسناتِها بعيوبِ
وجرى أبو الحملاتِ يطلبُ شأوَهم … أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ
قالوا: الهمامُ، فأفرجتْ أبطالُهم … لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ
لقبٌ يصدّق فيك معناه آسمَه … ومن الرجالِ مُمَوَّهُ التلقيبِ
لك يا "شبيبُ" صباحُها ورواحُها … عَقرُ الكماةِ بها وعَقرُ النيبِ
وعلى سلاحك أو سماحك أُركزتْ … راياتُها بِفِنائها المطلوبِ
أصبحتَ غرّةَ مجدها فبياضُه … مستخرَجٌ من لونك الغربيبِ
وعلامةُ العربىّ دُهمةُ وجهه … ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

والبدرُ أشرفُ طالِعٍ فى أفقِه ... وبياضُه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُك أمنُه وجِفانُه ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكرَّماتُ النسلِ تُهون[1] فى القِرى ... بالمصطفَى منها وبالمجنوبِ
وإذا الوَقودُ خَبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنارِ الطارق المجلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحدّث هامةً ... ورديفةٍ[2] عن "صخرةٍ"[3] و"عسيبِ"[4]
الكُور[5] فى وضحِ الصباحِ لظهرِها ... والسيفُ فى الظلماء للعُرقوبِ
حُدِّثتُ والخبرُ الجلىُّ مصدَّقٌ ... عن سيبك المتدفِّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى الندَى مطبوعةٍ ... كالتبر ليس صفاؤه بمشوبِ
وبما عَرفتَ فضائلى ووصفتَها ... ورغِبتَ فى ودّى وفى تقريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحّدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُها لك فاتحا ما بيننا ... بابَ الوصالِ ونُهزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمانِ وقوةً ... أبدا على الإدلاجِ[6] والتأويبِ[7]
وهى التى شُجِبَت الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفوسِ والمرغوبِ
فاستقربوها مغرَمين بها وما ... تزدادُ غيرَ تمنُّعٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ فى ذا الزمانِ بمعجزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرِف لها حقَّ الزياره بغتةً ... وتلقَّها بالأهلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفة هامةً ورديفة أى تابعة لها تحدّث عن صخرة وعسيب كناية عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) صخرة : جبل . (٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل . (٧) التأويب : السير جميع النهار .

وٱكرِمْ عليها تجتابُ أخواتِهـا إنّ الصـلاةَ تتمُّ بالتعقيبِ
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى فلئن وفَيْتَ لهـا فغيرُ عجيبِ

✦ ✦ ✦

قال وكتب بهـا الى الصاحب عميدِ الحضرةِ ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وٱستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَهُ ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبيّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقَّين

نظرةٌ منك ويومٌ "بالجَرِيبِ"(١) حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ (٤٣)
فمَنِ الواقفُ بى بينكـما جَمعَ الفُـوقَ(٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفـةً لا أشتكى من بعـدِها غُلَّةَ الصـدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا ٱبنةَ "الجمرةِ"(٣) من "ذى يزَنٍ" فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم ــ لا أجدبَ اللهُ بكم ــ يرتعِى جارُكُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجـدَى يمنعُــه ذو جِـدةٍ(٤) والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورماحٌ دونَ أضيـافِكُمُ تأخذُ السالمَ فيـكم بالمـريبِ
أتّقيكم والهـوى يقـدمُ بى وأغضُّ الصوتَ والدمعُ يَشِى بى
ومنَ الشّـقوةِ فى زورتِكم أنّ عينَ الرمحِ من عينِ الرقيبِ
لا يكنْ آخرَ عهـدِى بِكُمُ ــ ياوُلاةَ القلبِ ــ ليلاتُ القليبِ(٥)
يا لمَن ينكُصُ عن غِزلانكم وهو وثَّابٌ على الليثِ الغضوبِ

(١) الجريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العـزُّ؟ وفى أبيـاتكم … أعينٌ تقهرُ سلطانَ القـلوبِ
يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" … أُرفُقا بى بالتثنّى والهبـوبِ
وآسلما، لا مثلَ ما طاحَ دمى … منكما بين نسـيمٍ وقضيبِ
قَسمَ البينُ فما عـدّل بى … غدرةَ الوافى وتبعيـدَ القـريبِ
وقضى الدهرُ فحالتْ صبغـةٌ … عُدّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى
وفؤادى يشتـكى جورَ النـوى … وعذارى يشتكى جورَ المشيبِ
كم أدارى عَنَتَ الأيام فى … غَبْنِ حظّى وأُطاطِى للخطـوبِ؟
وأردّ الحـزمَ فى أخمصـه … وهو هافٍ يتـنزّى للوثوبِ
قاعدا والجَـدُّ قد رحّلَ بى … والمعـالى يتقاضَينَ ركوبى
جلسـةَ الأعزلِ يلوى يَدَهُ … وسلاحى بين كُورى وجَنيبى
أمدحُ المثرينَ ظنّـا بهـمُ … ربّمـا يُقـمَر بالظنّ الكذوبِ
كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيـا … طيّبِ المحضرِ مسبوبِ المغيبِ
يمنـعُ الرِّفـدَ وتلقَ وفـدَه … لحَـةُ البخلِ بإدلالِ الوهـوبِ
يطلبُ المدحَ لأن يفضحَهُ … وهو قبلَ المدح مستورُ العيوبِ
قلتُ للا مال فيـه — كَذَبَتْ … أمُّهُ — : إن كنتِ آمالى تخيبى
جَابُ الأرضِ عريضٌ دونه … وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللغوبِ
وغـلامٌ آخـذٌ ما طلبتْ … نفسُه أو فائتٌ كلَّ طلوبِ
يقْـمحُ(١) الضـيمَ ولو أبصرهُ … ليـلةَ العِشرِ على الماءِ الشَّروبِ
ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى … وألذَّ العـزَّ فى دار الجُـدوبِ
يا بنى كلِّ نعـيمٍ ضاحكٍ … فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال : قمح البعيرُ اذا رفع رأسـه عن الشرب كارها له .

قـــد مللناكم على شارتكم (١) ويضيقُ الصدرُ فى البيتِ الرحيبِ
وعسى الدنيـا التى أدّتــكُمُ تصـــطفينا من بنيها بنجيبِ
ماجدِ الشيمةِ ســـهلٍ، ليِّنُه للقِرَى، صبٍّ إلى الحمدِ طَروبِ
يكسبُ المـالَ لأن يُتلفــهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كَسوبِ
تَخبُث الأيدى وفى راحتِــهِ من نداه أرجُ المَشـــتَا المَطيبِ
كأبن "حمّـادٍ" ولا مِثـلَ له هل تَرى للبدر فرداً من ضريبِ
جاذبَ الرُّوّاضَ عن مِقـــودِهِ مرِسٌ (٢) تُنكرُه كفُّ الجَذيبِ
ودعا النـاسَ الى تســويدِهِ واسعُ الجمـرةِ وهّاجُ الثُّقـوبِ
أين يا سائقَها؟ أيـن بها؟ جعجعِ (٣) الآمال فى غيرِ عزيبِ
جمّعَ "الصاحبُ" من أطرافها وفى (٤) حيْرَى الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوبِ
ضمّــها بالرأىِ حـتى التأمتْ شُلّتاها (٥) من شُـــذوذٍ وشــذوبِ
ويدٍ – لا تربتْ تلك يدًا – ربقــةِ (٦) الجانى وفكٍّ المستنيبِ (٧)
ســلّتِ الدولةُ منـــه صارما شرِقَ الصفحةِ ظمآنَ الغُروبِ
طَبعَ الأقبـالُ من جوهرِهِ زُبْرَةً تقدحُ نيرانَ الحروبِ
لو أطاعتــه يدٌ حامــلةٌ لم تُكذِّبْ ظبتاهُ عن ضَـــريبِ
جرّبوه ماضــيا حيثُ مضى صادعَ الوحيِ ومحتـومَ الغيوبِ ٤٣
قَلِقًا، ينفِى الكرى عن وجهــه علمُه أنَّ المعالى فى الهبوبِ
ألمعِــيًّا ســوّدته نفســهُ والمساعى قبلَ تسويدِ الشعوبِ

---

(١) الشارة : الحسن والزينــة، وفى الأصل : "شاربكم" وهو تحريف. (٢) المرس : ذو المراس والشدّة. (٣) جعجع : أنخ. (٤) الوفْ : ما شرف من الأرض. (٥) الشلة : البعيد تطلبه. (٦) الربقة : العروة فى الحبل يشــدّ به البَهْمُ. (٧) فى الأصل المستنيب.

قدّمتْــهُ صاعدا عن قومه   مَصْعَدَ اللّهــذم[1] قُدّامَ الكعوبِ

فَهبِبــوا منـــه بليثٍ فى الوغى   قرِمِ[2] الأظفارِ مشتاقِ النيوبِ

خيرِ من خَبَّتْ[3] له أو وَخَدتْ   للجَــدَى ذاتُ سَنـامٍ وسَبيبِ

يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ   غيرَ معذولٍ على حبِّ الغُصوبِ

تحسَبُ الغـابةَ مما آجــتَرّهُ   حومـةً بين عَقـيرٍ وتريبِ

ماضـيا لم يثنِـهِ عن قصـدِهِ   هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ

جَمَعَ الجــودَ الى البأسِ كما   شعشعَتْ نارٌ بمـاءٍ فى قضيبِ

راحةٌ لم يَعـلَقِ البخـلُ بها   وفــؤادٌ لم يُســقَهْ بالوجيبِ

ولسانٌ يخصِمُ السيفَ به   يترك الفـارسَ عبـدا للخطيبِ

مَنْ رسولٌ سَـعِدتْ رحلتُـهُ   — يومَ أدعوه بلبَّيْكَ — مجيبى ؟

ناصحُ الجيبِ بمـا حمّلتُـهُ   حيثُ يُخشَى مُرسَلٌ غِشَّ الجيوبِ

لم أكلِّفْهُ سُرى البيـدِ ولم   أتعسَّـفْه بأخطارِ السُّهوبِ

عيسُـــه ، ململومةٌ[4] يركب[5] منها   مطمئنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ

تقسِـمُ المـاءَ بباعٍ مطـلَقٍ   وفَقارٍ[6] مُرسَـلِ الحبلِ[7] سَروبِ

صـعبةُ الخلقـةِ سهلٌ أرضُها   فهو بين الليـنِ منها والصَّليبِ

ساريا ليستْ عليــه خيفـةٌ   ما وقاه الله سَـوْراتِ الجَنوبِ

قـل لنوتيِّـــك : شَرِّعْ آمنا   حَدَثَ التيّارِ والمــوجِ العصيبِ

رِدْ بها "مَيسانَ" وآحبسها على الـ   ـمَعقِلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القرِم . ذو الشوق وأصله من القرَم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل "حنت" . (٤) ململومة : مستديرة ويريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعله قد ردّ هذا الشطر من "فاعلن" الى "فاعلاتن" وفى النسخة المطبوعة "يركبها" . (٦) الفقار : ما آنتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل "الخيل" وهو تحريف .

فاذا ضاقت فعلّقها "أبَا طاهرٍ" تعلَق بفرّاج الكروبِ
والى ذى الرتبتين آبتدرتْ فُرَصُ المجدِ وحاجاتُ الأريبِ
قل له عَنّى : حيّتك العلا بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيبِ
وسقَى عِرضَك ـ ما آستسقيته ـ بارقٌ من مِدَحِى غيرُ خَلوبِ
ترفُلُ الأحسابُ فى روضتِهِ مَرفَلَ الغادةِ فى البُردِ القشيبِ
خيرُ ما آستثمرَ من غَرس الندَى وآجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيبِ
وبذلتَ الوفرَ حتى آبتعتَهُ هَمّ آدابك من حُسنٍ وطِيبِ
جاءنى أنك مشغوفٌ به شَعَفَ العذرىّ بالخشفِ(١) الربيبِ
راغباً أن تصطفى من جدّه والفكاهاتِ بمدحٍ أو نسيبِ
وتُحَلّى منه عِقدا ، باقيا نَحرُهُ فى كلّ جيدٍ وتريبِ
قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرنا وهو من فاعله غيرُ عجيبِ
ما تبالى حين تَستامُ العلا أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبى
أنَا من يُعطيك مجدا حاضرا ويُبقّى لك مجدا فى العَقيبِ
لا كقولٍ يطرد "الساقى"(٢) به جذوةً تخمُدُ من قبلِ اللهيبِ
كم يُمنّينى على سلطانِها نفسُ مَرجُوٍّ ومَخشِىٍّ مَهيبِ
وآبتغَى بالمالِ أن يشرِيَنى فترفّعتُ فطارتْ عفّتى بى
لكن آشتقتُ وقد سُمّيتَ لى بسِماتِ الفضلِ والجودِ الغريبِ
فافترِعْ خيرَ هَدِيٍّ(٣) وأَثِبْ خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيبِ
واذا صرتَ نصيبى منهُمُ فقد آستوفيتُ من دهرى نصيبى

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله آسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

وقال وقد آتفق بُعدُ وزير الوزراء عميدِ الدولة أبى سعدٍ ونزوله "أوانا"(١)، مستوحشا من سببٍ خافه ببغداد، وظهور التأسُّف ممّن فيها على بُعدِه، وتلوُّح قُربِ عَودِه، فكتب اليه يبشّره بذلك، ويذكُرُ صحَّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى "أوانا" فى النَّيروز

نرقُّ، وتقسو "بالغوير" قـلوبُ ... ونَسألُ سكّانَ "الغضا" ونُجيبُ(٢) (٤٤)
وتهفو على "ذاتِ النقا" بحلومنا ... وجوهٌ تُريحُ الوجـدَ وهو عزيبُ(٣)
وقفنا ومنَّا رابطٌ جاشَ قلبِـهِ ... برىءٌ ومحـلولُ العـزاءِ مريبُ
تجاذَبُنا أيدى الحميَّـةِ والهوى ... ونأبى عـلى الأشـواقِ ثمّ نُجيبُ
نغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنا ... و"بالرمل" قارئُ(٤) السهامِ مُصيبُ
اذا أخفـقَ القنّاصُ راح بكل ما ... يَرَى مُطعِمٌ للصيد منـه كسوبُ
قَضَى من دماءٍ ما آستحلَّ وحلّقتْ ... به نيّةٌ ـ عمـا أشـاطـ(٥) ـ شَعوبُ(٦)
فمـا هو بعد "النَّعفِ"(٧) إلا عُلالةٌ ... أحاديثُ نفسٍ تفـترى وتحوبُ
تَسرُّك منها ـ والدجَى فى قميصه ـ ... زخارفُ يحـلو زُورُها ويطيبُ
فتطرَبُ والشادِى بهـا سامرُ المنى ... وتشربُ ما يَسـقِى وجفنُك كُوبُ
حمى الله عينا من قَـذاها على الحِمى ... تجِفُّ(٨) ضروعُ المـزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بليدة . (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا رسما وشكلا :
"تَرَقُّ وتقسو بالغُوير قلوبُ * ويُسألُ سكان الغضا ويُجيبُ"
ولمّا لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه آضطررنا الى تصحيفه . (٣) فى الأصل "غريب" وهو تحريف .
(٤) القارىّ : نسبة الى قبيلة آسمها "القارة" وهم رماة ومنه المثل "أنصف القارةَ من راماها" .
(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل . (٦) شعوب : متشعبة . (٧) النعف : اسم بلدة .
(٨) فى الأصل "تخفّ" وهو تحريف .

اذا قلتُ : أفنى البرق جَمَّـةَ مائها مراها مرورُ البرقِ وهى جَوبُ
بكت وغديرُ الحىّ طامٍ فأصبحت عليـه المطايا الحائماتُ تلوبُ (١)
وما خلتُ قبلى أنَّ عينا ركيَّةٌ ولا أنّ مِلح المـاقِيَيْنِ (٢) شَروبُ !
وليلةَ "ذاتِ البانِ" ساهرتُ طالعا من النجم لم يُكتَبْ عليـه غروبُ
أسائلُ عن نومى وضـوءِ صباحها وأعيا ، فأىّ الغائبين يؤوبُ ؟
سَرتْ تخبط الوادى الىّ وصُحبتى : طريحٌ عـلى أقتابِه وكئيبُ
أناخوا الى تعريسـةٍ (٣) قلَّ عُمرُها فما هى إلا خَفقةٌ وهبـوبُ
فللريحِ منهـم أعينٌ ومسامعٌ وللـتربِ منهـم أذرعٌ وجُنوبُ
فزارت تخيَّت ممسكا بفـؤادِه له نازعٌ من شوقه وجَـذيبُ
فيا لك باقى ليـلةٍ لو تخلَّصتْ من الغِشِّ يُقذِى صفوها ويشوبُ
ولكن نهانى الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ
ولم أدرِ أنَّ القربَ عينٌ حفيظةٌ علىّ ولا أن الوصـالَ رقيبُ
يخوفنى عضَّ الزمانِ ، ومنكبى رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ
تعـودتُهُ لا خاضـعا لخطوبه وكيف وكلُّ العيش فيـه خطوبُ ؟
وكم غمـزةٍ فى جانبى لم أقل لها : ألِمتِ ، وجُرحى ـ لو شكوتُ ـ رغيبُ
تعمّق فيها مُخلِبا ومُنيِّبا (٤) وأقلعَ والنبـعُ (٥) الأصمُّ صليبُ
وهل أتغطّى منـه خوفا وموئلى جنابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟
ودونىَ منه إن مشى نحوىَ الأذى طِـرابٌ تدمّى الناعلاتِ ولُوبُ

(١) تلوب : تحوم حول الماء من العطش ، ومنه : إبل لُوبٌ . (٢) المـاق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الأستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه ونابه . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ من نُعماه[١]، كلُّ مسدَّدٍ ... له حَيَدٌ عن سَردها ونُكوبُ
حمانى من الأيام أروعُ لو حمى ... شبابِىَ لم يُقدِمْ عليه مَشيبُ
رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شمَّ ريحا حول سرحىَ ذيبُ
أثرْ بُزلَها[٢] يا طالبَ المجدِ والغنى ... وخاطرْ بها فآبنُ الخطارِ نجيبُ
وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ
تقدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تتهيَّبْ فالشقاءُ هَيوبُ
أقِمْ بنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغوبُ
وغنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنّ اذا حنّت لتطربَ نِيبُ
ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طروبُ
تيمَّمْ أعالى "دِجلةٍ" فآنحُ "شامةً"[٣] ... بحيثُ تَبُلُّ العيشَ وهو جديبُ
وناصِ بها[٤] فرعَ "الدُّجَيلِ" فعندَه ... مَرادٌ يعمُّ الرائدين عشيبُ
وقلْ "لعميد الدولة": آسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتَّشتها وخُطوبُ
لحظتَ ذُرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعىِّ غيوبُ
وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ
عجِلتَ لها مستأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعَقيبُ
خلَصتَ خلوصَ التبرِ منها مسلَّمًا، ... عليك وميضٌ صادعٌ ولهيبُ
وقالوا خِطاءً: مسرعا متعجلا، ... وقد يتأنَّى فى الأمور طَلوبُ
وأهونَ بالتغريرِ فيها كأنه ... بجدِّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ
وما علموا أنَّ السهامَ مَوارقٌ ... ولا أنَّ خَطْواتِ الأسودِ وُثوبُ

---

(١) الحصداء: الدرع المحكمة. (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ. (٣) دجلة وشامة: اسما نهر وجبل. (٤) يقال: ناصاه: أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل: شِعب فى بغداد.

سهرتَ ونامَ الغمرُ عما رأيتَهُ ... ففزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ
كأنَّ لك اليومَ المنعَّمَ صُبحةٌ (١) ... ويومُ الحريصِ المستغرِّ عصيبُ
وقالوا: طَوَى "بغدادَ" بغضا وسلوةً ... و"بغدادُ" مغنًى للحياة خصيبُ
وظنُّوك إذ فارقتها أنَّ قلبها ... —على قلة الإعراضِ عنك— يَطيبُ
وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ... ويكثر هجرُ البيتِ وهو حبيبُ
وما الملكُ إلا جَنَّةٌ عمَّ نورها ... ومذ غبتَ عنها سُهمةٌ وشحوبُ
فكيف غدت شلاءَ (٢)! لا بدمِ العدا ... ولا بعطارِ الغانياتِ خضيبُ!
بكى وحشةً وهو المغيضُ دموعَهُ ... وأنَّ لَحرِّ الجُرحِ وهو ضريبُ
وكنتَ له وجها ضحوكا فبِشرُهُ ... عبوسٌ —وقد فارقته— وقُطوبُ
يُوَرِّي (٣) حياءً والندامةُ غُصةٌ ... لها خَدشةٌ فى صدره ونُدوبُ
الى ماجدٍ فى صدره قمرُ الدجى ... اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ
تقبَّلُ منه راحةٌ تقتلُ الصدَى ... تَعلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ
رسَتْ فى الندى حتى ٱستقرَّت عروقُها ... من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ (٤)
يدٌ، تعجبُ الأقلام من أُنسِ سيفه ... بها، وهو فيما بينهنَّ غريبُ
اذا ٱختصموا، قالت: تأخَّرْ، فإنما ... لنا السبقُ، فٱتبعنا وأنت جنيبُ
فيأبَى له الحدُّ المصمَّمُ أنه ... يؤخَّرُ والأقلامُ عنه تنوبُ
وتجرِى هَناتٌ بينهنّ وبينه ... يُحكَّمُ فيها فارسٌ وخطيبُ
فيجعلُ للأقلامِ فيها نصيبَها ... بحقٍّ، وللسيفِ الحسامِ نصيبُ
وقد زعموا أنَّ الحجا متكهِّلٌ ... وأنَّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

---

(١) الصبحة: نوم الغداة. (٢) شلاء: متعطّلة الكفّ. (٣) يورّى: يتقد.
(٤) اللصوب: الناشب اللاصق.

فلله منــك المنتهى فى أقتبالِه ... ومَنْ رَبَّ أمرَ النـاس وهو ربيبُ
ومَنْ بسقَتْ أغصانُه فتفرَّعتْ ... على الشـجرِ العادىِّ (١) وهو قضيبُ
ولا تُبلِ أثوابَ الوزارةِ بعــد ما ... كستك بهـا الأيامُ وهى سليبُ
تَقَمَّصَها قومٌ وما خُلقتْ لهـم ... فهانوا، ومن بعضِ الجمـالِ عيوبُ
أتتك فصـار الرِّقُّ فى يدِ مالكٍ ... وقــد دنَّسـتها بِذلةٌ وغُصوبُ
وسالَمَ معناها بسـوددِك آسمَها ... وبينهـما فى آخرين حروبُ
تَنـافَى بيوتُ معشرٍ وبيوتُها ... وأنت لهـا فى جانبيك نسـيبُ
فمـا بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ... ولا أنْ بهـا "عبدُ الرحيم" غريبُ
فلو هبَّ مَيْتٌ من كَراه فقام أو ... تطلَّعَ مرموسُ (٢) الجبين تريبُ (٣)
لَقرَّتْ عيونٌ أو لسُرَّتْ مَضاجعٌ ... بأنّــك ميراثٌ لهـا وعقيبُ
إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا تَرَى ... بأنجمها فى الأفق حين تغيبُ
نَشرتَ لهــم فخرا يعيشُ حديثُهُ ... ويَخلَقُ (٤) عمرُ الدهرِ وهو قشـيبُ
لئن عمَّ شرٌّ أو أُسِرَّتْ ضَـغائنٌ ... ببـغيٍ، فإنّ الله عنك حسيبُ
وقـد علمتْ نجوَى رُقاك عقاربٌ ... لهـا نحـوكم تحتَ الظلام دبيبُ
ولم تك إلا هفـوةٌ وآستقالهـا الـ ... ـزمانُ وذنبا وهو منــه يتوبُ
ولا بدَّ للإقبال من يومِ عَودةٍ ... تدافعُ عنــه العينُ حين تصيبُ
وكم رافعٍ لى بالعــداوةِ صـوتَهُ ... يُهِبُ فى إعـادِهِ ويُهيبُ !
قويًّا على ظلمى بسيفِ عدوّكم ... وعهــدى به بالأمس وهو يَخيبُ
يظُنّ ـ وحاشا كم ـ عُراى تقطَّعتْ ... وأنّى أخيــذٌ (٥) والزمانُ طليبُ

(١) العادىّ : القديم . (٢) المرموس : المدفون فى الرمس . (٣) التريب : المعفّر بالتراب . (٤) يخلق : يبلَى . (٥) الأخيذ : الأسير .

وأنّ قناتى بعدكم ستلينُها ... ضُروسٌ له مذروبةٌ ونُيوبُ
ولم يدرِ أنّ "الشامَ" لو حالَ دونكم ... وزيّلتُه[(١)] عنكم لكنتُ أصيبُ
فقلتُ: لفيكَ التربُ أو فوقكَ الحصَى ... تغيبُ أُسودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ
غدًا تُطالِعُ الراياتُ ـ والنصرُ تحتها ـ ... كتيبًا يوليّه النجاحَ كتيبُ[(٢)]
تَرى المجدَ فى أطرافها خافقَ الحشا ... سرورا بما ضمّت وأنتَ كئيبُ (٤٦٠)
و"بغدادُ" طلقٌ وجهُها متبسّمٌ ... وللمُلكِ من بعدِ الخمودِ شُبوبُ
بشائرُ، لى فى مثلهنّ مواقفٌ ... أصدِّق فيها والزمانُ كذوبُ
مجرَّبةٌ فيكم كأنّ عيونَها ... لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثُقوبُ
تمرّ لكم طيرى يمينا بزجرها ... على مَشهدٍ منى وحين أغيبُ
نشدتكُم باللهِ كيف رأيتُمُ ... مَناجحَها، والعائفاتُ[(٣)] تخيبُ[(٤)]
فقولوا: نعمْ وُفّقتَ، وارعَوا ذِمامَها ... غدًا، وغدٌ للناظرين قريبُ
بكم يابنى "عبد الكريم"[(٥)] انجلَى القذَى ... وأصبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ[(٦)]
اذا أجدبتْ أرضى وسُدّتْ مواردى ... فعندكُمُ لى روضةٌ وقليبُ
ولما رأيتُ الحبَّ فى الهزلِ[(٧)] سُنّةً ... عشقتكُمُ، والعاشقون ضُروبُ
فمَن يُعطِ منكم طالبا فوق حقّهِ ... فحقّ دَيْنٌ لازمٌ ووجوبُ
فلا قلَصتْ عنى سحائبُ ظلّكم ... فمنها مُرِذٌّ[(٨)] تارة وسَكوبُ

---

(١) فى الاصل: زلّيتُه ولم نعثر على هذه الكلمة فى كتب اللغة ولعلها محرفة عن "زيّلتُه".

(٢) الكتيب: الفرقة من الجيش. (٣) العائفات: الزاجرات للطير. (٤) فى الأصل: "تجيب" ولعله تحريف. (٥) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك فى نفس هذه القصيدة

« أقم بنى "عبد الرحيم" صدورها »

وقد ورد ذكره هذا الأسم فى عدة قصائد. (٦) اللحيب: الواضح. (٧) الهزل: الأفتقار والضيق. (٨) المرذّ: السحاب الذى يهمى بالرذاذ وهو المطر الضعيف.

ولا عـدِمتكم نعمةٌ خُلقتْ لكم ودنيا لكم فيها الحياة تطيبُ
يزورُكمُ النَّيروز مقتبَلَ الصِّبا وقد دبَّ فى رأس الزمان مشيبُ
تصوِّح أغصانُ الأعادى وغصنكم من السعد ريَّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيه ألفُ مؤمِّنٍ(١) توافقُ منهم ألسنٌ وقلوبُ

⁂

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد، يعاتبه على تأخير رسمه، وتغافلِهِ عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا متى شهِدَ الندىَّ فما أغيبُ
وعوفٌ منهم أربى، "فعوفٌ" عيونُ "خُزَيمةٍ"، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا اقشعرّتْ من الفزع السنابكُ(٢) والسبيبُ
وضاق مَخارجُ الأنفاسِ حتّى تُفرَّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ ووجهُ الأرض مغبرٌّ قَطوبُ
مَجازرُ تُفهق(٣) الجَفَناتُ منها ونارُ قِرىً شرارتُها لهيبُ
اذا جَمَدَ الضيوفُ تكفَّلتهم لها فِلَذٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمارَ "عدنانٍ" وجوها يشِفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى مَعَكم حديثٌ عجيبٌ يوم أنثوه(٤) غريبُ
متى أنصفتمُ فالحقُّ فيه عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتمُ ورضيتموهُ فإنّ المجدَ ممتعِضٌ غضوبُ

---

(١) فى الأصل "مبيّن". (٢) السنبك : طرف الحافر. (٣) تُفهق : تُملأ.
(٤) أنثوه : أشيعه وأحدّث به.

حديثٌ لو تلوه على "زهيرٍ" … غدا من مدحه "هَرِمًا" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ وبأىّ عـدلٍ … أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمـدحى … وتجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصـوبَ بكلّ أرضٍ … وتوجَـدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمون البلادَ وفى ذراكم … حريمُ الشّـعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنـدكُمُ لكلّ طريدِ قومٍ … جِوارٌ مانعٌ وقِـرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌ من شائى … عجائفُ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبّبـةٌ اذا رُوِيَتْ فإمّا … طلبتُ مهورَهنّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أساءُ الـ … ـفعـالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجرُّ المَطْلَ عاما بعـد عامٍ … مَواعِـدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
ويا للنّاسِ أسلُبُ كلّ حىٍّ … كرائمَهُ ويَسلُبُنى "شَبيبُ" !
أمدُّ اليـه أرشيةَ(١) المعالى … فيعطِشُنى وراحتُـه القَليبُ
وأُلبسُـه ثيابَ المدحِ فخرا … فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيه ابتداءً … ويمنعُ وهـو بذّالٌ وهوبُ ٤٧
ولم نَعرِفْ غلاما "مَزْيَدِيًّا" … يناديه السماحُ فـلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ "عليًّا" … تدفّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمَنَّ على عوائده القُـدامَى … مُضِىَّ الريحِ جدَّ بهِ الهُبوبُ
ولو "حمّادُ" يزقو(٢) لى صداه … لَأُكرِمَ ذلك الجسـدُ التريبُ
أُصـولُكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم … مقـامَ علائهـم ألّا يغيبوا
فما لك يا "شبيبُ" خَلاكَ ذمٌّ … تجفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟

(١) فى الأصل "أرسة" . (٢) يزقو : يصيح .

وما لخــريدةٍ خفِيتْ لديكم تكادُ عــلى طفولتها تشيبُ
محلّلة النكاح بلا صَــداقٍ وذلك عنــدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخَصا مباحا ومُرتخَصُ المدائح لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهك يوم تُحدَى بها فى وصفك الإبلُ اللُّغوبُ ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ ؟
وكيف تقول: هذا وصفُ مجدى فلا أُجدِى عليــه ولا أُثيبُ ؟
وكم نَشَزتْ(١) على قومٍ سواكم فلم يعلَق بهــا الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النــاس عنها وكلٌّ باذلٌ فيهــا خطيبُ
فلم يُكشَفْ لهــا وجهٌ مباحٌ ولم يُعرَفْ لهــا ظهرٌ ركوبُ
فلا يَغرُرْك منهــا مَسُّ صِــلٍّ يلين وتحت هَــدْأته وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجلَنى فيطغَى فتُصــبحَ(٢) بالذى تُثنى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنــكُمُ متظلّماتٍ وتبغون الإياب فلا تؤوبُ

✣
✣ ✣

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب، وقد آستقرت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاول سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بهــا — والخيرُ مجلوبُ — طيفٌ على الوَحــدةِ مصحوبُ
طوى الفــلا يركب أشواقَه والشــوقُ فى الأخطار مركوبُ
ســاعةَ لا مَسرَى عــلى شقّةٍ تَعيا بهــا الــبُزْلُ المصاعيبُ
يرغبُ فى الظلمــاءِ مستــأنسا وجانبُ الظلمــاءِ مرهــوبُ

(١) نشزت : امتنعت، وفى الأصل " نشرت " وهو تحريف (٢) أى فتصبح قصائده .

أحسنَ بى حـتى تخيلتُـه … أصـدقَ شيءٍ وهو مكذوبُ
أنّى تسدَّيتَ لنا "باللّوى" … "وصارةٍ" دارك "فاللُّوبُ"(١)
وبيننا عَميـاءُ من أرضكم … دليلُها أبـلَهُ مسـلوبُ
لا يهتـدى الذئبُ الى رزقهِ … فيها ولو شَـمَّ بها الذيبُ
فزرتَ شُعْثًا طاف ساقى الكرى … عليهـمُ والطاسُ والكوبُ
فما تدلَّى النجمُ حتى آلتـوى … مماكسٌ(٢) منهـم وشِـرّيبُ
بِتُّ ورحـلِى بكِ رَيحانةٌ … نمَّ عليها الحسنُ والطيبُ
كأنما ذيلُ الصَّـبا فـوقها … بالقَطرِ أو ذيلُكِ مسـحوبُ
يا آبنـةَ قومٍ وجَدوا ثأرهـم … عنـدى بها والثأرُ مطلوبُ
لولاكِ — والأيام دوّالةٌ — … ما آستعبَدَ الفُـرسَ الأعاريبُ
أراجعٌ لى بضمانِ المـنَى … "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"(٣) ؟
وصالحاتٍ من ليالى الحِمى … ما شـابَها إثم ولا حُوبُ
لهوىَ نُسْـكٌ ووجوهُ الدمى … تحت دجاها لى محاريبُ
وذاهـلٍ عابَ حنينى لها … ولم يعِبْ أنْ حنّتِ النيبُ
قال : سَفاهٌ ذكرُ ما قد مضى … وظَنَّ أنّ اللـومَ تأديبُ
ما لكَ ؟ لا أحببتَ إلا ومن … فوقك سوطُ العذلِ مصـبوبُ
إنْ أبكِ أمرا بعـد ما فاتنى … فقـد بكى قبـلِىَ "يعقوبُ" ٤٨
وأنكَرَ الصـبوةَ من شائبٍ … حتى كأنْ ما صبتِ الشّـيبُ !
وهـل عدَتنى شيبةٌ فى الحشا … إذ مفـرِقى أسـودُ غِربيبُ

(١) اللوب وما قبلها : أسماء مواضع . (٢) المماكس : المشاكس . (٣) ملحوب : اسم موضع .

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ   والشَّـيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ
يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهى   والحـزمُ بالأهواءِ مغـلوبُ
أمَا تقنَّعتَ بها رثّـةً   لابسُها عُريانُ مسـلوبُ؟
تلاقتِ الأوجـهُ مَقتاً لها   عـنِّى فمُـزورٌّ[1] ومقطـوبُ
ناصـعةٌ فى العينِ لكنّها   تُبغَضُ، والناصعُ محبـوبُ
فقـد أراها وضـيا وجهِها   لى شَرَكٌ فى البيضِ منصـوبُ
أيّامَ فى قـوسِ الصِّـبا مَنزَعٌ   ونَبـلُهُ المكنونُ منكوبُ
وقد أزورُ الحيَّ مُسـتَقْبَلاً،   لى منـهُ تأهيـلٌ وترحيبُ
وأغشِـمُ[2] البيتَ بلا آذنٍ   وهو عـلى الأقمارِ مضروبُ
وأشهَدُ النادى، فمستعبَدُ الـ   ـسمعِ بآياتى ومخـلوب
ومُوصَـدُ الأبوابِ ناديتُـهُ   حتى بدا لِى وهـو محجوبُ
خادعتُ من سلطانِه صخـرةً   فانبجَستْ[3] لى وهْى شُـؤبوبُ
ورحتُ عنـه والذى يَملكُ الـ   ـمملوكُ والغـاصبُ مغصوبُ
فاليـومَ إنْ صرتُ الى ما ترَى   فهْى الليالِى والأعاجيبُ
آنسـنى بالعُـدمِ توفـيرُهُ   عِرضِى وأنَّ المال موهوبُ

(١) المزورّ : المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس . (٢) أغشم البيت : أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمتْ غَشْماً ولا ضره   تدرُّجٌ فيها وترتيبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تَعلَقُ بالآذانِ موصولةً   غَشْماً بلا إذنٍ ولا حاجبِ

(٣) انبجست : تفجرت .

جَرَّبْتُ قـوما فتجنَّبْتُهـم ورُسُلُ العـقلِ التجاريبُ
وزادنى خُـبْراً بمن أتَّـقى أنّى بمـن آمَنُ منكوبُ
قل لأخى الحِرص: آسترحْ إنما حَظُّـكَ إدلاجٌ وتأويبُ
اذا الحظوظ آنصرفتْ جانبا لم يُغنِ تصـعيدٌ وتصـويبُ
مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزِقا؟ وإنما رزقُـك مكتوبُ
لا تذهبنَّ اليـومَ فى ذِلّةٍ فاليومُ من عُمـرك محسـوبُ
وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ فالمجدَ، إنَّ المجـدَ مكسوبُ
جَدَّ آبنُ "أيّوبَ" ولو قد ونى كفاهُ ما شَـيَّدَ "أيّوبُ"
رأى رُوَيدَ السيرِ عجزا به فسيرُهُ حُضْرٌ وتقـريبُ
سما الى المجد، فقال العدا: له طـريقٌ فيـه ملحوبُ
ساد طـريرَ الماءِ(١) حتى آنتهى والشَّـيبُ فى فوديه ألْهوبُ
والرمحُ لا يُذْرَعُ(٢) إلا إذا تكاملَتْ فيـه الأنابيبُ
أضحى وزيرُ الدِّين ذا مَغرَمٍ: وزارةُ الدنيـا وتعـذيبُ
رتبـةُ عِزٍّ، فخـرُها عاجلٌ وأجرُها ذُخـرٌ وتعـقيبُ
ما هجمتْ غَشْماً ولا ضَـرَّهْ تـدرّجٌ فيهـا وتـرتيبُ
وزارةٌ ما زال من قومـه مُعْـرِقٌ(٣) فيهـا ومنسـوبُ
أبناءُ "عبّاسٍ" و"أيّوبَ" مـذ تفـرّعوا رَبٌّ ومربوبُ
خـلائفُ الله وأنصارُهـم فصاحبٌ طابَ ومصـحوبُ

---

(١) طرير الماء: غضًّا فتيًّا. (٢) يذرع: يقاس بالذراع. (٣) المعرق: العريق.

لا ودُّهم غِلٌّ ولا حبلُهم ... يوما بغدرِ الكفِّ مقضوبُ

جارهُمُ يؤكل فى جورهم ... ومالُهُمْ بالإفكِ منهوبُ

وما على مُقْصٍ سواكُمْ اذا ... أدناكمُ فى الرأيِ تثريبُ

لا تلكمِ العاداتُ منكم ولا ... أسلوبكم تلك الأساليبُ

باسم عميدِ الرؤساءِ الذى ... ما زاد فى معناه تلقيبُ

رُدَّ عليها بعدَ ما أُيِّمتْ ... أبناؤها الغُرُّ المَناجيبُ

اِكفِ الذى (١) آستكفَوْك وآحملْ لهم ... ما تحمِلُ الصُّمُّ الأهاضيبُ

مُلملَمَ الجنبِ أمينَ القُوى ... وكلُّهم أدبرُ (٢) مجلوبُ

وقُدْ أعاديك بأرسانهم (٣) ... قَسْرًا فمركوبٌ ومجنوبُ

وآرتعْ من الدولة فى ظُلّةٍ ... رواقها بالعزِّ مطنوبُ

محميّةِ الروضةِ مرقيّةِ ... والروضُ بالرُّعيانِ (٤) مسلوبُ ٤٩

أفياؤها (٥) فيحٌ (٦) وماءُ الحيا ... فى ظلّها السابغ مسكوبُ

وآصحبْ من النَّيروزِ يومًا يفى ... بالعزّ إن خان الأصاحيبُ

يكُرُّ بالإقبال ما خولفتْ ... صدورُ دهرٍ وأعاقيبُ

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .

(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .

(٣) الأرسان : الحبال .

(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .

(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظلّ .

(٦) فيحٌ : فِساحٌ .

يغشاكُمُ يخـدِمُ إقبالَكم ماحنَّ للفُـرجَةِ مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرو"(١) ولا واعدَكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"(٢)

✧

وقال وكتب بها الى بعض أصـدقائه من الكتّاب، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن عليّ بن المزرع، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود، ويحثّـه على ٱلتزام حاجةٍ له كان ٱبتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٌ لى بين "سَلعٍ" و"قُبَا"(٣) كيف أضاء البرقُ أم كيف خَبَا ؟
نبّهنى وميضُـه ولم تَـنَمْ عيـنى ولكن ردَّ عقلا عَزَبا
قرّتْ له بنـاتُ قلبى(٤) خافقـا وٱستبردتْه أضلعى ملتهبـا

---

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقَّب "جسّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبيّ صاحب حرب البسوس فألقاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمـرو" أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عنـد كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربتـه كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد سار هـذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بليّة على بليّته . (٢) عُرقوب رجل من العماليق وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هـذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعِدَة فقال : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا ، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا ، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل فجدّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الأشجعيّ

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيدَ عرقوبٍ أخاه بيَتْرَبِ

و"يَتْرَب" بالتاء والراء المفتوحة موضع باليمامة وبعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) سلع وقباء ويقصر موضعان . (٤) بنات قلبي : خواطرى وهواجسي .

كأنه يجلو ثنايا "بالغضا" رُوقًا[(١)] وينهلُّ لمًى أو شَنَبا

يا لبَعيدٍ من "مِنًى"، دَنَا به ـيوهمنى الصدقَ ـ بُرَيْقٌ كَذَبا

ولنَسيمِ سَحَرٍ "بحاجرٍ" رَدَّتْ به عهدَ الصِّبَا ريحُ الصَّبا

أليَّةً، ما فتح العطَّارُ عن أعبقَ منه نَفَسًا وأطيبا

سل مَن يدُلُّ الناشدين "بالغضا" على الطريد ويردّ السَّلَبا ؟

أراجعٌ لى؟ والمُنَى هَلْهَلَةٌ[(٢)] فطالعٌ نجمُ زمانٍ غَرَبا

وطوفةٌ بين القِبابِ "بمِنًى" لا خائفا عينا ولا مرتقبا

مستقبِلًا بهاهُنَا وهاهُنا مقترِعا علىّ أو مجتذِبا

ألقَى الوصالَ مسفرًا لى وجهُهُ والغدرَ لى مع قبحِهِ منتقِبا

هناك مَنْ باعَ الغوانى حِلمَهُ بالخُرقِ[(٣)] عُدَّ الحازمَ المجرِّبا

ولائمٍ ملتفتٍ عن صبوتى يُنكرها، ولو أحبَّ لصَبا

اذا نَسبتُ بهواى ساءه مُصرِّحًا ولو كنَيْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذى تطول ثناياه العُلَا السُّفلَى . (٢) فى النسخة المطبوعة "تعلّة" وفى الأصل "هلهلة" ولم نوفّق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجه بعيد، فمن معانيها "التأنى والانتظار" و"تخفيف الثوب وسخف نسجه" و"ترقيق الشِّعر"؛ واذا صحّ ظنّنا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المتمنّى لكلمة "هَلْ" الاستفهامية فى كلامه كلّما خطر بباله هاتفٌ من خواطر التمنّى بالتساؤل طلبًا لما يحسبه عزيزا عليه أو حنينا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدى بعدما أفلا *

* هل بالغ عزمى أوجَ العلا *

* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *

* هل أرى ليلَى وليلَى بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الهَلْهَلة" فى هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهى تكرار كلمة "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء الثقاتِ على صحّة الإسناد . والله أعلم . (٣) الخُرق : الحُمق .

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" ... "بحاجرٍ" و"فاطما" "بزينبا"
يلومنى لا مات إلا لائمـا ... أو عاش عاش بالهوى معـذَّبا
قال : عشقتَ أشيباً، يعدُّها ... منقصةً، نعم! عشقتُ أشيبا
هل شَـعَرٌ بدَّلتُه بِشَـعَرٍ ... مُبَـدِّلِى من أربٍ لى أربا ؟
أَبَى الوفاءُ والهــوى ، وبالغٌ ... مَعـــذرةً من سِيمَ غدرا فأبى
ما أنا من صِبغةِ أيّامكُمُ ... ولا الذى إن قلّبـوه انقلبـا
ولا ابنُ وجهين أَلُمُّ حاضِرا ... من الصـديقِ وألومُ الغُيَّبا
قلبى للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا ... وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبـا
مَن عاذرِى من مُتلاشٍ كلّما ... أذنَبَ يوما وعَـذَرتُ أذنبا
يَضحكُ فى وجهى ملءَ فمِـهِ ... وإن أغبْ وذُكِرَ اسمِى قطَّبا
يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى ... خَصاصةً دبَّ ورانى عقربا
ما أكثرَ النـاسَ وما أقلَّهم ... وما أقلَّ فى القليـلِ النُّجَبا
ليتهمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا ... مهذَّبين — صَحِبوا "المهـذَّبا"
فعلَّمتْهم نفسُـهُ كيف العلا ... وودُّه كيف الصـديقُ المجتبَى
ووردوا من خُلقِـهِ ويدِهِ ... أبردَ ما بلَّ الصـدَى وأعذبا
مثل "أبى منصورَ" فَلْتَتَّخذْ لى الـ ... ـدنيا ولا سرَّ ســواه ابنٌ أبا
أُتركُهُ لى غنيمةً باردةً ... يا دهرُ واذهبْ ببنيك سَلَبـا
اللهُ جارٌ لفـــتًى أجارنى ... على زمانٍ لم أُفتْـهُ هَرَبا
وفرّجتْ عنّى يَدَا إسعادِهِ ... حــوادثا ضغطْننى ونُوَبا
لمـا رأى الأيّامَ فى صروفهـا ... نارا تَشُبُّ ورآنى حطبـا ٥٠
قام لهـا يَصْلَى بهـا وناشنِى ... فلم أذق حـدًّا لهـا ولا شَـبا

وصان وجهى لاقيا بوجهه ... ذلَّ السؤالِ وكفانى الطلبا
عفتْ فلم أشربْ سوى أخلاقه ... اذا كئوسُ الشَّرب دارتْ نخبا
وصحَّ لى جوهرةً من معدنٍ ... أملسَ لا يُنبتُ إلا الذهبا
من معشرٍ تُنْمَى العلا اليهمُ ... هم أهلُها والناسُ منها (١) غُرَبا
كما اقترحتَ، حربُهم وسلمُهم ... شُدُّوا (٢) رِباطَ الخيلِ أو شدُّوا الحُبا
ساسوا يعدّون الملوكَ واحتبوا ... وسْطَ النَّدِىِّ يصفون العرَبا
يرضيك من حديثهم شاهدُهم ... وفى القديم ما سألتَ الكُتُبا
اذا رجال طأطأَ اللؤمُ بهم ... قَعَصًا (٣) فشمُّوا بالأنوف الرُّكبا
طالوا ينالون ثَعالبَ (٤) القنا ... تحسَبُ ماشِيهم بُسُوقًا راكبا
وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم ... تحدُّثَ الناجمِ عما غَرَبا
لبَّيك مشكورا كما لبّيتنى ... وقد دعوتُ قُدُفًا لا كَثَبا
وكنتَ لى بابا الى مطالبى ... ـ لولا قعودُ الحظّ بى ـ وسببا
تعجَّبَ الناسُ وقد وليتَها ... أُكرومةً، فقلتُ : لا لا عجبا
عينَى منّى ويدى فهل ترى ... يفوتنى ـ ما سلما ـ ما طلبا ؟
وكيف لا تحفزه لأربى ... مودّةٌ تمّت فعادت نسبا ؟
ومقةٌ لو خلصتْ لابنِ أبى ... منّى هزَّ عِطفَه وطربا
وإن يكن هوَّم فيها ناسيا ... وعاجَ عن طريقها وجنّبا

(١) فى الأصل "منهم" . (٢) فى الأصل "سلّوا" ولعلّها محرّفةٌ عن "شلّوا" بمعنى : أرسلوا من قولهم : "شلّت العين دمعها" بمعنى أرسلته ودفعته ، أو عن "حلّوا" اذا كان المراد "بالرِّباط" ما تُربط به الدابّة ، أو عن "شدُّوا" اذا كان يراد "بشدّ الرِّباط" إعدادُ الخيل وارتباطُها لجهاد العدوّ فى الحرب وهو ما رجّحناه ؛ وفى القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) .
(٣) القعص : داء فى الصدر كأنه يكسر العنق . (٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى جُبّ السنان ، وفى الأصل "تعالب" وهو تحريف .

وقَدَحتْ فى أملى عندهمُ ... قادحةٌ لم يك فيها مذنبا
فقد قبِلتُ العذرَ أو قتلتُه ... عِلما وقد عاتبتُه فأعتَبا
وآستقبل الرأىَ وأعطى ذمّةً ... تصفحُ للآنفِ عمّا ذهبا
فاشكر لها وكالةً منّى على ... نفسىَ وآقض دَينَها إذ وجبا
من لك مثلى بأخٍ مسامحٍ ... ترضيه بالعذرِ اذا ما غضبا ؟
وآحذر على مجدك أُخرى تتنقى[1] ... عَظمَ الوفاءِ وتجرُّ الرِّيَبا
شَمِّرْ عن الساقين فى آستداركها ... وآمحُ بوادى شرِّها معتقبا
ولا يزالُ أمَلى يَقنعُ لى ... بدون ما سدّ خَصاصى[2] نَشَبا
ذاك ودعنى شاكيا وسائلا ... وخذْ حديثى غَزَلا منسَّبا
كان جناحُ الشوق أمسِ طائرى ... منسِّرا[3] فى كبدى مخلِّبا
وأكَلَ البينُ سمينَ جَلَدى ... حتى غدا سَنامُ صدرى ذَنَبا
بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى ... وعاد لما عدتَ لى مقترِبا
قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ ... قال: "أبومنصورَ"، قلتُ: مرحبا
وقمتُ لا أملِكُ ما يَسَعُهُ ... غير نعمتَ من جزاء وحِبا
أرشفُ من فيه مكانَ آسمك، لا ... أحسَبنى أرشفُ إلا الضَّرَبا[4]
عَطْفٌ من الأيّام لى ونظَرٌ ... جاء وما كنتُ له محتسِبا
لكنّنى بالبعدِ فى أثنائه[5] ... أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا مُتعَبا
اذا آطمأنّتْ أضلُعى تذكّرتْ ... نواكَ فاهتزّتْ جوًى لا طرَبا
فادفعْ به صدرَكَ ما آستطعتَهُ ... يوما تردّ شملَ أنسى شُعَبا

---

(١) تتنق : تُخرج النِّقْىَ وهو مُخُّ العظم . (٢) الخصاص : الفقر . (٣) منسِّرا : باحثا بمنسره وهو منقاره . (٤) الضرَب : الشهد . (٥) فى الأصل "أبياته" .

راخ يديكَ فى آمتـدادِ حبلهِ … وطاوِل الوقتَ به أن يُجـذَبا
وخَفْ على قلبى غدًا من وقفةٍ … يكون لى فيها الوداعُ العطَبا
ولا تدَعْنى أسأل الرُّكبانَ عن … قلبٍ دوٍ (١) وأَسـتطبُّ الكتُبا
لا أقفرتْ منكَ ربوعٌ عَمُرتْ … أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبا
ولا برحتَ مالكا مقتسرا … نواصِىَ الإقبالِ أو مغتصِبا
حتّى تكونَ باديا وحاضرا … بين النجوم بانيًا مطنِّبا

✦ ✦ ✦

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النّيروز

٥١ أبلغْ بها أُمنيَّـةَ الطالبِ … فالرزقُ بين الرِّدفِ والغـاربِ
ولا تُدِمَّ (٢) لوجاها (٣) فما الـ … ـراحـةُ يومًا فى مَطَا (٤) اللاغبِ
ليلتُها فى الدائبِ المنتقِى … بُغامُها (٥) فى السارح العـازبِ
حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لها … من نَعـقةِ الراعى أو الراكبِ
فاوتَ بين الطيرِ حالاتُها … من باطِشٍ أو فَرِقٍ هائبِ
فالخسفُ للجاثمِ فى وكرهِ … والخصبُ للقاطعِ والكاسبِ
أفلحَ من داوسَ طُرُقَ العلا … موفَّقـا للسَّنَنِ اللاحبِ
تُعجبُـه الفضـلةُ فى ماله … ما لم تَشُـبْها مِنّـةُ الواهبِ
ذلك فى المولَى، غدًا فى العدا … مَثلبـةً، فآسـدُدْ فمَ الثالبِ
خوفى من العائب لى نجـوةٌ … من الأذى تُشكَرُ للعائبِ
والناسُ أصحابِىَ ما لم تَمِلْ … وُسوقُ أثقالى على صاحبِ

(١) دو: مريض. (٢) تدمّ: تلمّ. (٣) الوجى: الحفا. (٤) المطا: الظهر.
(٥) البغام: الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة.

أكون ما آستغنيتُ عن رفدهم جِلدةَ بين العينِ والحاجب
فإن عَرَتْ أو حدَثَتْ حاجةٌ فالحبلُ مُلْقٍ على الغاربِ
وكم أخٍ غَيَّرَهُ يومُهُ الـ ـمُقبِلُ عن أمسِ به الذاهبِ
كنتُ وإيّاه زمانَ الصدَى كالماء والقهوةِ (١) للشاربِ
ومَدَّ باعيهِ (٢) نخلّى يدى نهباً لكفِّ القابضِ الجاذبِ
مرّ فلم يعطِف لحُبِّ الصِّبا الـ ـجانى ولا حقِّ العلا الواجب
كأنَّ ما أحكمتُ من ودِّهِ أبرمتَهُ لِمِسحَلِ (٣) القاضبِ (٤)
اللهَ للمغصوبِ فيكم على ديونِهِ يا شيعةَ الغاصبِ
قد قلتُ للخابطِ (٥) خلفَ المُنَى مباعِداً : قارِبْ بها قاربِ
إحبس مطاياك فما فى السرى إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ
لا تطلبنَّ الرزقَ من معدِنٍ يَنبوعه غيرُ "أبى طالبِ"
فالبحرُ مَن خلّقَهُ خَلْقَهُ لم يقتنع بالوشَلِ الناضبِ
خاطَرَ فى المجدِ فغالَى فتًى لم يخشَ منه قَمْرَةَ الغالبِ
وكاثَرَ الناسَ بإحسانِهِ فلم يحزْهُ عددُ الحاسبِ
اذا آحتبي (٦) ينسبُ علياءه دار عليه قُطُبُ الناسبِ
ضمّ الى ما كسبتْ نفسُهُ سالفةً فى عرقِهِ الضاربِ
فظلّ لا يَشْرُفُ من جانبٍ إلا دعاهُ الفخرُ من جانبِ
من معشَرٍ تضحكُ أيمانُهم إن آدّ (٧) عامُ السنةِ (٨) الشاحبِ

(١) القهوة : الخمرة . (٢) فى الأصل "باعاه" . (٣) المسحل : المنحت . (٤) القاضب : القاطع . (٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى . (٦) فى الأصل "اجتبى" وهو تحريف . (٧) فى الأصل "آ" فرجحنا كلمة "آد" بمعنى : آشتد . (٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالهُمُ ثَرَّةً (١) والضرعُ مبسوسٌ على الحالبِ (٢)
لهم نَدًى شَرِقٌ (٣) منهمُ بكلِّ مخطوبٍ له خاطبِ
لانائمُ السامرِ فى الليلةِ الـ ـطُولَى ولا منتقِرُ الآدبِ (٤)
هم وَزَرُوا الدولاتِ وآستنصحوا رَعْياً على العاطفِ والساربِ
وهم سيوفُ الخلفاءِ التى تُعلِّمُ الضربَ يدَ الضاربِ
غاروا نجوماً ووفَتْ بابنهم (٥) شهادةُ الطالعِ للغاربِ
حَـذَا وزادته قُوَى نفسِه، والمجدُ للموروثِ والكاسبِ
زيادةَ البدرِ بشعشاعِه على ضياءِ الكوكبِ الثاقبِ
ليتَ عيونا لهمُ فى الثرى مغضوضةً بالقدرِ اللازبِ (٦)
تراك فى رتبتهم جالسا تأمُرُ فى العارضِ والراتبِ
حتى يُقِرَّ اللهُ منها الذى أُقذِى بالرامسِ والتاربِ
قد عرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ سلَّكَ أنَّ القطعَ للقاضبِ (٧)
ظَهَرتْ (٨) بالعِفَّةِ سلطانَهُ، هذا وما الزاهدُ كالراغبِ
وصنتَ ما حسَّنَ من ذكرِه عن دنَسِ القادحِ والقاصبِ (٩)
فلا تزلْ عندك من طَوْلِهِ ما عنده من رأيك الصائبِ
ولا خلا دستُك من مركبٍ غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ
ودام لى منك ربيعى الذى يُرضِى رياضى بالحيا الساكبِ

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدر . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المنتقر : الداعى بعضا دون بعض، وفى الأصل "مستنفر" . (٥) فى الأصل "باتهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع .
(٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

وجُنّتِي الحصداءُ[1] إن صاحَ بى   دهرِىَ : لاسَلْمَ ! فقم حاربِ ٥٢
مالىَ فى فقـرى الى ناصرٍ   ســواكَ مَنْ أحمِى به جانبى
فى ودّك آستبليتُ ثوبَ الصّبا   وفيــه أنضــو بُردَةَ الشائبِ
قلــبى لك المأمونُ تقليبُــهُ   ما قام "ريّانُ" على "ماربِ"[2]
أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على   لونَيْـهِ من راضٍ ومن عائبِ
وكُلّمـا أُنسيتُمُ صُحبـتى   ذكّرَتْكُمْ زمنُ " الصاحبِ "
وخُــرّدًا أرسـلتُها شُرّدًا   من حابلٍ[3] منكم ومن حائبِ[4]
كلّ فتـاةٍ مَـعَ تعنيسها   تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ
ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم   لَلْمُسـدِلِ المُرخى وللساحبِ
سارتْ مع الشمس وعمّتْ مع الـ   ـغيث فمن ذاكٍ[5] ومن هاضبِ[6]
تعلّقُ بالآذانِ موصـولةً   غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ
تنصُبُ أعلامًا لكم ، سَيرُها   فى الأرضِ ، فلتشكُرْ يدُ الناصبِ
كرّرتِ الأعيادُ أعدادَها[7]   والمهـرجاناتُ على الحاسبِ
حتى لقد خافت بمـا أكثرتْ   ملالةَ القارئ والكاتبِ

✦ ✦ ✦

وقال يمدح كمال الملك ويهنّئه بالنيروز

لكِ الغـرامُ وللواشى بكِ التعبُ   وكلُّ عذلٍ اذا جَـدّ الهوى لَعِبُ
أما كفاه آنصرافُ العين مُعرِضـةً   عنـه ، وسمعٌ بوقْرِ الشوق محتجِبُ

(١) الحصـداء : الدرع المحكمة الضـيقة الحلق . (٢) ريّان ومأرب : جبـل وبلد . (٣) الحابل : الصائد ، لنصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل ، ويريد بهذا البيت أنه يُشرّد قصائده فى كل واد خوفا من حابل يقيّدها أو حائب يقتلها . (٥) الذاكى : المتقد . (٦) هاضب : ماطر وفى الأصل : هاصب . (٧) الضمير فى أعدادها يعود الى القصائد .

وأنَّ قلبًا وأحشاءً مُدغدَغةً … اذا آستقامتْ حُمول الحىّ تضطربُ
لاموا عليكِ فما حلُّوا وما عقَدوا … عندى، وعابوا فما شقُّوا ولا شعَبوا
فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ … فاللّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ
آهًا لوحشةِ ما بينى وبينكُمُ … اذا خلَتْ من دِلاءِ الجيرةِ القُلُبُ
وعطَّتِ[1] القُور[2] والأجراعَ[3] نوقُكُمُ … طُروحَ عينى وحالت بيننا الكُثُبُ
مَن أشتكى الشوقَ إذ هزَّت وسادتَهُ … مدامعٌ تَتحى أو أضلعٌ تَجِبُ
فما أسفتُ لشىءٍ فائتٍ أسفى … من أن أعيش وجيرانُ "الغضا" غُيَبُ
قد كنتُ أسرقُ دمعى فى محاجره … تطيُّرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ
لا يُبعِدِ اللهُ قلبًا ظلَّ عندكُمُ … لم يغْنِنى عنه نِشدانٌ ولا طلبُ
سلبتموهُ فلم تُفتُوا برجعتِهِ … وربَّما رُدَّ بعدَ الغارة السلَبُ
فأين إذمامُكم[4] قبلَ الفراق له … ألّا يضامَ ولا تمشى له الرِّيَبُ؟
أسِيرةٌ لكُمُ فى الغدرِ حادثةٌ … تَخُصُّ، أم رجعَتْ عن دينها العرَبُ؟
يا أهلَ ودّى، وما أهلًا دعوتُكُمُ … بالحقِّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ
كُنَّا بها نتسمَّى قبلَ غدرِكُمُ … فاليومَ كلُّ آسمٍ ودٍّ بيننا لقبُ
أشبهتم الدهرَ فى تلوينِ صبغتِهِ … فكلُّكُم حائلُ الألوانِ منقلبُ
كنتم علىَّ مع الأيّام إخوتَها … وليس إلا عُقوقٌ بينكم نسبُ
صبرًا وإن كان ملبوسا على جزَعٍ … ظُلِمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ
لعلَّ عازبَ هذا الحظِّ يرجعُ لى … يوما وقاعدَ هذا الجَدِّ بى يثِبُ

---

(١) عطّت: شقّت. (٢) القور جمع قارة وهى الجبيل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل هى الرملة السهلة.
(٤) الإذمام: أخذ الذمة.

وليتَ أنَّ "كمالَ الملكِ" خالصةٌ … آراؤه لى ورأىُ الناسِ مؤتشِبُ(١)
بل ليتَ أنَّ قضاياه مواهبُهُ … فكان إنصافُه فى عَرَضِ ما يهبُ
فتًى قنعتُ به من بين مَنْ حَمَلَتْ … خُوصُ الركابِ(٢) فسارت تُنقَلُ الرُّكُبُ(٣)
أحببتُه حُبَّ عينى أختَها ويدى … يدى، ولى فى مَزيدٍ منهما أربُ
وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِه … حفظًا وصونًا ولا تحمِى الظُّبا القُرُبُ(٤)
عَطفًا لحقٍّ وإسبالًا على ذممى … كأنّه وهو مولًى فى الحنو أبُ
يرعَى شواردَ فيه لم تَسِرْ معَها … ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوها السحُبُ
فغالبتنى على ذاك المكان يدٌ … للدهر، كان لها ــ مذ ملّنى ــ الغلَبُ
مَلالةٌ لم تَطِرْ فيها مُطاولةٌ … وبِغضةٌ كالتجنِّى ما لها سببُ
قَسَا فأصبحَ للواشين بى أُذُنًا … تَليقُ ما اختلقوا عنِّى وما اجتلبوا
لو قيل: إنِّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا … الىَّ تبديلَ دينِ الله أو نَسَبوا ٥٣
لمَا امترى أنَّ رُسْلَ الله بى جُبِهوا … بالردِّ أو حُرِّفتْ عن أمرِىَ الكتُبُ
فقُل له ــ طيَّبَ اللهُ الوفاءَ له … والحقُّ يَسفِرُ والبهتانُ ينتقِبُ ــ :
يا ناقدَ الناس كشفًا عن جواهرهم … متى تَغيَّرَ عن أعراقِه الذهبُ؟
وكيف أفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَكَ بى … حتّى بدا لك أنّ الدرّ مخشلَبُ(٥)!
أغيرَ أنّ فراشًا طار ينِمُّ بى(٦)؟ … لو شئتَ كان بنارِ الردِّ يلتهبُ
أبعد أن رضتَنى عشرينَ أو صَعِدتْ … لا الجرىُ تُكرِه منّى ولا الجَنَبُ(٧)
يُروَى لك الخُرُقُ(٨) عن حزمِى فتقبلُه … صفحًا ويجذِبُك الواشى فتنجذبُ!

---

(١) مؤتشب : غير صريح . (٢) خوص جمع خوصاء، وهى التى غارت عينها . (٣) الركب جمع ركاب . (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف . (٥) المخشلب : الخرز لا قيمة له . (٦) ينم بى : يهمس بى . (٧) الجَنَبُ : شبه الظَّلَع . (٨) الخُرُقُ : الحمق .

حاشاكُمُ أن تكونوا عونَ حادثةٍ … أو ترتمينى على أيديكم النُّوَبُ

أذنبىَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ … فإنّ ذنبى الى أيامِىَ الأدبُ

أَمَا وقومِكَ ، والمجدُ التليدُ لهم … ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ

ما خلتُ ـ والدهرُ لا تفنى عجائبُهُ ـ … أنّ العلا نافقٌ فى سُوقها الكذبُ

ولا عجبت لدهرى كيف يظلمنى … وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ!

يامَن به صحّ سُقمُ العيشِ واجتمعتْ … على توحدهِ الأحزابُ والشُّعَبُ

ومَن كفى المُلكَ ما لم يكفِ صارمُهُ … وردّ عنه الذى ما ردّه اليَلَبُ (١)

ومَن توسّط أفقَ المجد فاعتدلتْ … به البدورُ ولبّت أمرَهُ الشهُبُ

على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبْهِمةٍ … يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخُطَبُ

وهالةُ البدرِ دَستٌ أنت راكبه … وتارةً هو غابُ الضيغمِ الأشِبُ

بِشرٌ وَقورٌ، وجِدٌّ ضاحكٌ، ورضًا … لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ

جَرى بك الخُلُقُ الفضفاضُ وانقبضتْ … بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ

وأفقرتك العطايا، والثناءُ غنًى … وأنصبتك العلا، والراحةُ النَّصَبُ

مَن عندهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُهُ … فإنّ عندك مجدا ما له نشبُ

حَلَلْتُ باسمك عَقْدَ الرزق فاندفعتْ … عُراه تُفصَمُ لى عفوا وتنقضبُ

وكنتَ واسطةَ العِقد الذى انتظمتْ … عنه السلوكُ ولم تُخدَشْ به الثُّقَبُ

أنتم رفادةُ ظهرى إن وَهَى جَلَدى … ودَرّةُ العيشِ لى والضَّرعُ معتصبُ

وَمشربى العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ … منكم لِىَ الحوضُ أو منكم لِىَ القربُ

قدّمتمونى فلى رهنُ السباقِ، ومَنْ … يلزّنى (٢) بعدُ : مجنوبٌ ومعتقِبُ

---

(١) اليلب : الدروع أو جلود تلبس مثل الدروع .

(٢) يلزّنى : يلزمنى ويلصق بى .

عِزّى بنفسى ولكن زادنى شرفا ... أنى اليكم ـ اذا باهلتُ ـ أنتسبُ (١)
والناسُ غيرُكمُ مَن لا يجاوزنى ، ... أبياته عَمَدُ تُبنَى ولا طُنُبُ
اذا صفوتم فلا وِرْدى ولا صَدَرى ... منهم وإن أملحوا يوما وإن عذُبوا
لى منكم الجبهةُ الغراء والعنقُ الـ ... ـتلعاءُ والناس بعدُ الرُّسغُ والذنَبُ
فلا تَنلْنى الليالى فيكُمُ بيدٍ ... إلا التَّبابُ لها والشلُّ والعطبُ (٢)
ولا تُصبكم عيونُ الدهر إن لها ... الى الكمال لحاظًا سهمُها غَرَبُ (٣)
وإن أتَى رائدُ النيروزِ مجتديًا ... أيمانَكم فالروابى الخُضْرُ والعشُبُ
فمن جباهكُمُ نورُ الربيع لنا ... ومن أكفكُمُ الأنواءُ تنسكبُ
يومٌ يكُرُّ به إقبالُ جَدِّكُمُ ... غدًا على مالكم ما كرّت الحِقَبُ
تجلُونَ من حسنه حظَّ العيونِ فلا ... أشعار فيكم حظوظُ السمعِ والطربُ
فما بقيتم فأيّامى بعزّكُمُ ... كما أُحبُّ وأحوالى كما تجبُ

✧

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتها روضُ الحمى وجنوبُهُ ... كفاها النسيمُ البابلىُّ وطيبُهُ
وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدِبٍ ... وأبغضَ مَثْرَى آخر وخصيبُهُ (٤)
وما الجانبُ المسكونُ إلا وفاقُهُ ... هوَى النفس، لا خضراؤه وعَشيبُهُ
فدعها تَلُسّ العيشَ طوعَ قلوبها ... فأمرعُ ما ترعاه ما تستطيبُهُ (٥)

---

(١) باهلت : حاججت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاك . (٣) يقال : سهمٌ غَرَبٌ : لا يُدرَى راميه . (٤) المثرى : محل الثراء . (٥) تلسّ : تنتف الكلأ بمقدم فمها .

وإن الثِّمَادَ البَرْضَ (١) فى عزِّ قومها ... لأَ نقعُ من جَـمٍّ (٢) يُذَلُّ غريبُـهُ

وأشـبعها أَلَّا تكونَ طرائدا ... اذا شُـلَّ (٣) من سَرحِ المسيمِ (٤) عزيبُـهُ

وأن كان حيًّا بالحمى ـ إن توفَّرتْ ... من الوجد ـ مُبرِى (٥) دائهـا وطبيبُهُ ٥٤

وكلُّ هلالٍ "ذو الأراك" حِجابُهُ ... يسرُّ البـدورَ الطالعاتِ مَغيبُـهُ

تحولُ الرماحُ "العـامريّةُ" دونه ... فيقنَطُ راجيـه ويعيا طَالِبُـهُ

وأتعبُ من حاولتَ يا قلبُ وصلَهُ ... حبيبٌ سِنانُ السمهرىِّ رقيبُهُ

يُصيبُ بعيـدا سهمُهُ كلَّ من رمى ... وترميـه أيدٍ حـولَه لا تصيبُهُ

يلوم على "نجـد" ضنينٌ بدمعهِ ... اذا فارق الأحبابَ جفَّتْ غروبُهُ

وهل طائلٌ فى أن يُكثِّر عذلَهُ ... اذا قلَّ من إصـغاءِ سمعى نصيبُهُ؟

وما النـاسُ إلا مَنْ فؤادى فؤادُهُ ... لأهلِ "الغضا" أو مَن حبيبى حبيبُهُ

سأرعَى الذى بينى وبينَ ملوِّنٍ ... شربتُ على صـفوى له ما يشوبُهُ

خذينى بغيرِ الغـدرِ خُلْقًا وإن جنى ... علىَّ الوفاءُ : قـرفُهُ وذُنوبُهُ

فذلك طينُ الأرضِ لم تَبِنْ فطرتى ... عليهـا وما ماءٌ سـقانى قليبُهُ

خُلقتُ يدًا دونَ الصـديقِ وجُنَّةً ... يَرُدُّ بهـا عن صـدره ما ينوبُهُ

ركودى الى الحـقِّ العريض ركودُهُ ... اذا رام أمرا أو هبوبى هبـوبُهُ

وأصـفحُ عنـه عاذرا متـأوِّلا ... وإن كثُرتْ زَلَّاتُهُ وذنوبُهُ

ويُقنعنى منـه ظِهارةُ وجهـهِ ... فلا أسألُ التفتيشَ كيفَ مَغيبُـهُ

ومن طال عن خُبرِ الأخلَّاء بحثُـهُ ... ليبـلُوَهم لم يخـلُ مما يريبُـهُ

دعينى يكن خصمى زمانِىَ وحدَهُ ... وتكفيكِ لى أحـداثُهُ وخطوبُهُ

(١) الثماد البرض : الماء القليل النزر . (٢) الجم : الماء الكثير . (٣) شل : طرد .

(٤) المسيم : الذى يُرعِى السوام وهى الإبل من قولهم : أسامها أى أرعاها . (٥) مبرى : مبرئ .

هو الطِّرفُ غرّتْ رِحلتي (١) خطواتُه … وزُمّتْ (٢) فكان الليثَ صعباً ركوبُه

أصاغ من كفّيه صِلَّ خديعةٍ … لغير التحايا أهلُه ورحيبُه

ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِه … جَرَتْ بدمى أظفارُه ونيوبُه

لتسقِ بنى "عبد الرحيم" أكفُّهم … فأروى الحيا وكافُه وصبيبُه

وما السيلُ ذو الدُّفّاع (٣) يرغو جُفاؤه (٤) … بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصوبُه

هم القائلون الأزْمَ (٥) والعامُ مسنتٌ (٦) … يقطّبُ فى وجهِ المُسيم جدوبُه

وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه … قبائلُه دون الورى وشعوبُه

ملوكٌ على الأيام بيتُ علائهم … تُناط بأعناق النجوم طُنوبُه

ربا الملكُ طفلاً ناشئا فى حجورهم … وأشيبُ هذا الدهرِ بعدُ ربيبُه

لهم تاجُه المعصوبُ أيامَ تاجِه … وفيهم أخيرا سيفُه وقضيبُه

مواريثُ فيهم نصُّها إن مضى أبٌ … يَسُدُّ الذى سدَّ ابنُه ويَنوبُه

وأمواتُهم فيهم كأحياءِ غيرهم … اذا طلَعَ المركوبُ جاء جَنيبُه (٧)

اذا ما "زعيم الدين" حدّثَ عنهم … توارَدَ شُبّانُ الفخارِ وشيبُه

هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجهِ عزِّهم … اذا شان عِزَّ القوم بابنٍ شحوبُه

يرى نصرهم ماسار من حسن ذكرهم … فتنشُرُه أفعالُه وتُطيبُه

فتًى كملَتْ فيه أداةُ اكتهالِه … وغصنُ الصِّبا لم يَعْسُ بعدُ رطيبُه

تحمَّل أعباءَ الرياسة ناهضا … فما لان من عرض الرجال صليبُه

ومن عجبٍ أن البِكارَ (٨) جليدةٌ … وقد عُقِرَتْ بُزْلُ الطريق ونيبُه (٩)

(١) يقال: رَحَل البعيرَ رحلةً أى وَضع عليه أداة رَحْله. (٢) زمّت: شُدّت. (٣) الدفّاع: الموج.
(٤) الجفاء: الزَّبَد. (٥) الأزم: الضيق. (٦) مسنت: مجدب. (٧) فى الأصل: "نجيبه" وهو خطأ. (٨) البكار: الفتيّات من الإبل. (٩) النيب: جمع ناب وهى الناقة المسنة.

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسْغُهُ ... ولا ٱبتلَّ فى شَوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومِن منجبٍ فيه أبوه وأُمُّـهُ ... وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نجيبُـهُ
لهم يومَ يحتـدُّ الجلادُ كَميُّـهُ ... ويومَ التـرامى بالكلام خطيبُـهُ
فلا محفِـلٌ إلا وفيهم صـدورُه ... ولا جحفَـلٌ إلا وفيهم قـلوبُهُ
"أبا حسنٍ" بأهلٍ بهـنَّ فضائلا ... لحاسـدها حَرُّ الجـوى ولهيبُهُ
يَعيبُك مَثنًى على الغيظ صـدرُه ... خوافقُـهُ تَزوى(1) به ووجيبُـهُ
وكيف ينـالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ ... محاسـنُ أبنـاءِ الزمانِ عيـوبُهُ
وقال: وهلْ فى الناس من هو فوقه؟ ... فقلتُ: نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظـلَّ يَقسِم مالَهُ ... فأنزرُهُ مسـتقسَما ما يُصيبُـهُ
يحبُّ ثراءَ المـال حبًّا لبـذله ... وليس كَسوبَ المـالِ إلا وَهوبُهُ
أطلتَ يدى بالنصر فى نيـلِ مطلبى ... فأصبح لى أقصاه وهو قريبُـهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظّى وعُرفِهِ ... فأسمحَ لى بعـد الشِّماسِ ركوبُهُ
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ... ولجَّ على تيـهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جمَـدَ الرزقُ البطىءُ على يدى ... فسلسلتَ من كفَّيـك ماءً يُذيبُـهُ
ولا خِلفَ(2) إلا من عِصابِك(3) دَرُّه ... ولا جَفْـرَ(4) إلا من نداك ذَنوبُهُ
اذا روّعتْ سَرحى من الدهرِ رَوْعةٌ ... زأرتَ فلم يعسِلْ(5) من الخوف ذيبُـهُ
فقـد صار يحبونى الذى ما سألتُهُ ... ويخطبُ منّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَحْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى ... زمانى ولا نجمٌ هـدانى ثقـوبُهُ

(1) تزوى به: تذهب به. (2) الخلف: الضرع. (3) العِصاب: شدُّ فخذى الناقة بحبل لتدرّ، ومنه: "مثلى لا يدرّ على العِصاب". (4) الجفر: البَزْلم تَطوَ وهو مذكّر. (5) فلم يعسل: فلم يضطرب فى عَدْوه.

ولا تتغيّرْ من وفائك عادةٌ … يرى المجدُ فى أثنائها ما يعيبُهُ
ولا برِحتْ تطرو اليك شواردٌ (١) … يلين لها وعرُ الفلا وسهوبُهُ
مُطبِّقَةٌ ما طبَّق الأفقَ، سيرُها … بوصفك مسرى ليلها ودؤوبُهُ
من الكَلِم السهلِ المنيع مرامُهُ … على الناس والنَّزرِ الكثيرِ عجيبُهُ
ترقرقَ حسنا فما ترى كلُّ سامع … به وهو مخلوبُ الفؤاد طروبُهُ
أسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضةً … يُصان بها عُريانُه وسليبُهُ
ينوبان من ناديك أمنعَ جانبٍ … وأنضرَ ربعٍ : غضُّهُ وقشيبُهُ (٢)
مدى الدهر ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ … ودبَّ على وجه الصعيد دبيبُهُ
على شَرْطِ عزٍّ (٣) لا تحولُ رسومُهُ … وسَرحِ نعيمٍ لا تُراعُ سروبُهُ

✣

وقال يمدح الوزيرَ عميدَ الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم، وأنفذها اليه وهو معتزلُ النظرِ لجفوةٍ جرتْ بينه وبين الأتراك اقتضت تغيُّبَهُ، ويُعرِّضُ بذكر الداعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوّال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلب من أين على فترةٍ … ردَّ عليك الولَهُ العازبُ ؟
أبعدَ أن مات شبابُ الهوى … شاورَك المحتنِكُ الشائبُ
وبعدَ خمسين قضتْ ماقضتْ … وفضلةٍ أغفلها الحاسبُ
هبّتْ بأشواقك "نجديّةٌ" … مطمِعةٌ، أنت لها واجبُ ؟
ما أنت يا قلب وأهلَ الحمى … وإنما هم أمسُكَ الذاهبُ

(١) تطرو: تأتى من مكان بعيد، وفى الأصل "تطر". (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل متطوع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت. (٣) كذا بالأصل ولعله "صَرْح".

لم تذكرِ الغائبَ من عهدهم … إلا لأنْ يا كلّكَ الغائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا … بوعظها ما زَهِدَ الراغبُ
فارددْ على الريحِ أحاديثَها … ففى صِباها ناقلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفرقْتَ(١) تهدى الصَّبا … لا سَلِمَ المجلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظباءِ الحمى … أن يقرعَ المَنسِمُ والغاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" … والطاعنُ الغيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميّةٍ" … طالعُها من "رامةٍ" غاربُ
لو سبقَتْ بالغدرِ فى قومها … لمّا وَفَى فى قوسه "حاجبُ"(٢)
مكنونةٌ بيضاءُ لم يعْدُها … فى البدو لونُ العربِ الشاحبُ
إن وُصفت تيّمها وصفُها … أو نُسبتْ أعجبها الناسبُ
فلا تغُرَّنّكَ نفّاحةٌ … منها ولا بارقةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوى به … انزلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالكَ ـ والراحةُ قد أمكنَتْ ـ … تشقَى بما أنتَ له طالبُ !
قد آن أن يُعفَى الكليلُ المطا … وأن يُراحَ النِّصبُ اللاغبُ
إنّ المقيمَ اليومَ فى غِبطةٍ … يحسدها السارحُ والساربُ
قد أربعَ الوادى "ببغداد" وآ … بَلَ الثرى واتّسع الجانبُ
أظلّها من سُحْبِ أيدى بنى … "عبدالرحيم" الهاطلُ الهاضبُ(٣)
ورجعَتْ طالعةً شمسُهم … فيها وعاد الكوكبُ الثاقبُ ٥٦
إلى "عميد الدولة" استرجع ال … منافرُ أُنساً وأوَى الهاربُ

(١) أفرقت : بان الشيب فى مفرقك . (٢) حاجب : هو حاجب ابن زرارة وقد تقدمت الإشارة اليه فى صحيفة (٥٩) . (٣) الهاضب : الماطر ، وفى الأصل "القاضب" .

عَمَّ وسَوَّى عادلا جُــودهُ حتى آستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبَّقَ فى التـــدبير أغراضَـــهُ سهما فسهــما رأيُه الصائبُ
وأدب الأيَّامَ بالحــلم، وال جهــلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلكُ سَرحٌ نام رُعيانُه وهبَّ يطغَى ذئبُــهُ السارِبُ
كانت جحيما ترتمى بالأذى، فى جانبيهــا الشررُ اللاهبُ
فأخمــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما هبَّ عليها المُوقِــدُ الحاطبُ
صَبَّ عليهــا الدَّمَ لمّا غدتْ بالمـاءِ لا يُطفئُها الساكبُ
فهامـــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن ينجلى حتى يؤوبَ القــمرُ الغائبُ
يا "شرَفَ الدين" تمدَّحْ بها فالعُجبُ فى أمثالهــا واجبُ
ما زال تنــكيلُك بالمجرِم الـ ـمُصرِّ حتى خافــك التائبُ
صَــدْعٌ من الدنيــا تداركتَهُ لولاك ما كان لـه شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ دهرا فــلم يعــلَقْ به جاذبُ
لا العاجــز الوانى تأتَّى له منهــم ولا المجتهــدُ الدائبُ
سَلَلتَ بالعــادة فى جســمه رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قــد ظهرتْ رايةُ أيامــكم وطبَّــق الأرضَ بهــا الجانبُ
وجَمَّــعَ الألسنَ تفضيــلُكم فآصــطلحَ المــادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غــيركم لا عــارض منـــه ولا راتبُ
ولا تــدرُّ المــالَ أخــلافُهُ وغــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارةٌ مجلسُـــها منصبٌ له آصــطفاك الله والنــاصبُ
أنتَ لهــا ـ فآشدد يمينا بهاـ ألأخُ وآبنُ العمِّ والصــاحبُ

فإن تعزّلت وفارقتها … أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فراقًا لك تسديدُه … وللأعادى سهمُه الخائبُ
بَعُدت فانحصّ الذى رِشتَه … وانقبضَ السائمُ والساربُ
فاعطِفْ على الدنيا وما قد جَرَى … به عليه القدرُ اللازبُ
فالليثُ لا يغمز فى زاره … وإن ألحّ النابح الواثبُ
فى جلده ذمّى وفى عظمه … مُظَفَّرٌ (١) فى عزّكم خالبُ (٢)
مَشَى بها الماشى الى حتفه … يا بؤسَ ما أعقبه العاقبُ
يا باسطا من كفّه مُزنةً … يبسمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقها … للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله … يخبِطُ فيه العائثُ الناهبُ
أغنيتنى عن كلّ غَرّارةٍ … سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلِّ مبذولِ الحمى بابُهُ … واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يخلُقُ الخجلَةَ فى وجهه … لا مادحٌ أثنَى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شفّنى … من مائه المنزَفُ والناضبُ
وخلطتنى منك نُعمى بها … شجّرتنى (٣) فى بيتك الناسبُ
وحُطتنى أمنًا وقد ثار لى … بالشرّ صِلُّ الرملةِ الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى … وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغُدٌّ دعىٌّ ليس من شكله … ما هو كاسٍ باسمه كاسبُ
أعداه من مهنةِ آبائه … عِرقٌ الى اللؤم به ضاربُ

---

(١) مظفّر: غارزٌ أظافره. (٢) الخالب: الجارح بمخلبه. (٣) شجرنى: جعلنى من شجرتكم أى من ذوى قرباكم.

ولم يكن لو أنه كاتبٌ يُراعُ منــه الشاعرُ الكاتبُ

وعند شعرى ــ لو هجا مثلَهُ ــ لعرضِــه القاصمُ(١) والقاصبُ(٢)

فابقَ لأن تُرغِمَ لى أنفَــهُ أنفٌ لعـمرى أجدعٌ تاربُ

وآلبس من الدولة فضفاضــةً يَسحَبُ من أذيالهــا الساحبُ (٥٧)

وآقسِمْ ليــوم المهرجان الحيا وَفْــدًا، فنـعمَ الوافــدُ الآئبُ

يومٌ لآبائــك فى حفظــه عهــدٌ يُراعَى حقُّــهُ الواجبُ

وآصبِــحْ بفخرٍ طــيرُه أيْمنٌ وفى عداك البــارح(٣) الناعبُ

ما غَرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ فتخاءُ(٤) عن أفراخها خاضبُ(٥)

وآسمعْ اذا شُدَّت لهــا حَبوتى أفصــحَ ما فاهَ به خاطبُ

مرصوعةً بآسمــك من خيرِ ما لاثَ على مفــرِقه عاصبُ

عنــدك منهــا غَرِدٌ مطربٌ وعند من عاديتَــه نادبُ

من معــدِن الجِدِّ ولكن تُرى رِقّتُهــا أنّى بهــا لاعبُ

لا ربُّ "غُمْدانَ"(٦) وعَى مثلَها سمعًا ولا مَن داره "مأرِبُ"(٧)

وآمضِ مع العــادةِ فى مَهرها على طــريقٍ نهجُهُ لاحبُ

فمــا تَطيبُ الأرضُ موهوبةً عنــدى لولا أنك الواهبُ

(١) القاصم: الكاسر. (٢) القاصب: القاطع. (٣) البارح من الطير: ما يمر الى المياسر وهو الذى يتشاءم به. (٤) الفتخاء: العقاب اللينة الجناح. (٥) خاضب: محمرة الأظفار. (٦) غُمْدان: قصر باليمن بناه "يَشْرُح" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر.

(٧) يشير الى سبأ بن يشجب بن يعرب الذى بنى قصر مأرب.

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعُكْبَراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالوزارة بعد اعتزاله منها مُدَيْدَةً، وتقرّر ذلك له، يتشوقه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عزفتُ فما أدرى الفتى كيف يرغبُ ... وعفتُ فما أشكو القذى كيف يُشربُ
وروّضنى لليأسِ هجرُ مَطامعى ... فبُغّضَ عندى الوفر وهو محبّبُ
رأيتُ الغنى ما ندّ عنّى ففاتنى ... فكيف يخافُ الفوتَ من ليس يَطلُبُ
وأرضى عن الأقدار كيف تصرّفت ... وغيرى بالأقدارِ يَرضَى ويغضَبُ
أأشرى بعرضى رِفدَ قومٍ معوضةً ... وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟
فلا جرّ رزقٌ[1] غِبطةً وهو يُجتدَى ... ولا سَدّ مالٌ خَلّةً[2] وهو يُوهبُ
هنيئًا لربّ الرائحاتِ خلاصُهُ ... إذا ضافنى مما يُعقّ[3] ويُحلبُ
ومِن قَودِها لى فى الصِّلاب ثَنِيّةً[4] ... وبزلاءَ[5] تعصِى فى القيادِ وتُصحِبُ[6]
تركتُ لمعطى النائلِ الغمرِ نيلَهُ ... وإنى الى ترك البخيلِ لأقربُ
فلا المدحُ فى المُسنِى الجوادِ أكُدّه ... ولا الحِزُ[7] المنّاعُ ذمّى يرهبُ
ويظلمنى المولَى وفى فِيَّ ناصرٌ ... وكفّى، فلا أشكو ولا أتعتّبُ
اذا ذهبتْ بى رغبةٌ عن تلاده ... طريقًا فما لى عنه بالودّ مذهبُ
له خِصبُهُ دونى ولى نَوْطةٌ[8] به ... وعَوْنٌ على أيّامه وهو مُجدِبُ

(١) فى الأصل "رزقا" . (٢) الخلة : الفقر . (٣) مما يعق : مما يذبحه . (٤) الثنية : الناقة الطاعنة فى السادسة . (٥) البزلاء : الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك اسم لسن . (٦) تُصحِبُ : تنقاد ذليلة بعد صعوبة . (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية والحز : البخيل الضيق الخلق . (٨) نوطة : تعلّق .

وللحبّ منّى — ما أمِنتُ خيانةً — … مَحَـلّةُ قلبٍ قلّمـا يتقلّبُ
أُجِرُّ الهوى — ما لان — فَضْلَةَ مِقوَدى … ويَعسِـفُنى حينـا فآبَى وأجذبُ
وما كلّمـا فارقتُ أشربُ دمعـتى … ولا كلّما غنّى الحَمامُ أُطَرِّبُ
وكم ألِفتْـنى ظبيـةٌ وهى فَـذّةٌ … فملتُ ولم أعطِفْ وقد عنّ ربربُ
أحبُّ الوفاءَ مُحِسـا ومغـزّلا … وأصحَبُـهُ فيما أجِـدُّ وألعبُ
وأُعطِى يدى ما خانُنى متفضـلا … وأمنعها ما خلت أنّىَ أرغبُ
فلو لقِيتْ أيامُ دهرى خلائق … لكانت عـلى جَهْلاتهـا تتأدّبُ
ولو أنهـا للسِّـلم جانحـةٌ معى … لكانتْ على الشحناء بى تتحبّبُ
وكنتُ لهـا عُذرا الى كلّ ماجدٍ … يَرَى أنهـا فى حربِ مثلىَ تُذنِبُ
ولكنّها عَجاءُ، سِيّانِ عندها … شدًا جاملٌ[1] أو قال مُجْـرا مؤنّبُ
تَشُطُّ بأحبـابى الذين أودُّهم … وتدنو بجـارٍ لا أحبُّ فتَقصِبُ
ولو أنهـا تأوِى لصونى لقرّبتْ … بعيـدا وشطّت بالذين تُقرِّبُ
كواكبُ آمالى وأقمارُ مَطلبى … نأتنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكبُ
تَطَلَّعُ حينا من بُروجِ سُعودِها … عـلىَّ ويطويهـا البعادُ فتغـرُبُ
اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعده الـ … ـثَّواءُ، أتى فى الأمرِ ما ليس يُحسَبُ
فكم يحمِلُ الثقلَ الضعيفُ وكم ترى … يُقِلُّ وُسوقَ[2] البعـدِ جنبٌ منـدّبُ[3]! ٥٨
وكم تكتسِى فى ظلّ قـومٍ أعزةٍ … قوادمُ ريشِى ثم تعـرَى فتُسلَبُ!
ويأخذُ منّى الحاضرون ببخلهم … فواضـلَ ما يُعطى السماحُ المغيَّبُ!
أيدرى الوزيرُ مَن كُنِى عنه أو عُنِى؟ … نعم هـو يدرى ما أُعمِّى وأُعرِبُ

(١) الجامل: ذو الجَمَل، ويريد به "الحادى". (٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منـدّب: مقرّح.

وإنى بحبلٍ غيرِ أطنابِ بيتِه ... على بيتِ شِعرٍ ناصحٍ لا أطنّبُ
سِماتُ بنى "عبد الرحيم" سَلائطٌ(١) ... على وجهِ أشعارى تُنير وتَثقُبُ
لهم جُمّتَا فكرِى مُطيلا ومُقصرا ... وصفوتُه صِرفًا وبالماء تُقطَبُ(٢)
فلو قلتُ : إنى فى مديحٍ سواهمُ ... صدقتُ ، لقال الشعرُ فى السرِّ: تكذبُ
هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآربى ... فأركبُ منها ما أشاء وأجنُبُ
ألمَّ بهم ما لا يُلمُّ بشاعبٍ ... وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ
وأستعتب الأيامَ وهى مُصِرَّةٌ(٣) ... بهيبتهم حتى تفىءَ فتُعتِبُ
هُمُ رحِمِى والأقربون معقَّةً(٤) ... وفيهم أبِى البَرُّ الرؤوفُ ولا أبُ
ودولتهم — لا عُطِّلتْ — لى مواسمٌ ... وأيامهم سُوقٌ بفضلِى تُجلَبُ
ذُخرتُ لهم كنزا مواريثَ قومهم ... فمن رامنى من غيرهم فهو يَغصِبُ
فلا أسمعتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم ... بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يُوجَبُ
ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميةٍ" ... بما سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" و"تغلبُ"
أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صدرَها ... خِطارا على الشقِّ الذى هو أتعبُ
تَرى ظلَّها فى الشمس تحسبُ أنه ... لأُخرَى سواها لاحقًا أو ستقرُبُ
تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ ... على الأرض جَلَّى سابقا وهى تَعقُبُ
كأنَّ فِجاجَ الأرضِ تَقْدُّ(٥) لركضِها ... تُغيِّر عليه كيفَ شاءت وتَنهَبُ
تَنُصُّ مقاضاتين(٦) للسير(٧) تلفظُ الـ ... ـمُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعبُ
وكالئةٍ ترعَى الشخوصَ كأنها ... أخو ليلةٍ — بات الربيئةَ(٨) — يرقُبُ

---

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن ينار به . (٢) تقطب : تُمزَج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "تقلّ" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مفاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسر" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدو .

اذا آقتضيتْ فى ذمّة النجم حاجةٌ … فتلك لديها دعوةٌ لا تخيّبُ
تحمّلْ سلامى وآحتقبْ لِى حاجةً … تُضىءُ لك المسرَى وطُرْقُك غَيْهبُ
الى "شرف الدين" آنتزعْها إهابَها … ودعْها عـلى نارِ السّياط تَلَهّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَـهُ … وفى المُلْكِ صـدعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقـالُ غايةَ جَهـدِهِ … اذا ظلّت البُزْلُ المصاعيبُ تَشغَبُ
تفحَّصَ فى الآراءِ حتى أرينَـهُ … ـعلى غيرِ فحصٍ ـ أىّ أمرَيْه أصوبُ
وأتعبَـه التـدبيرُ حـتى أراحه … وقد تستريحُ النفسُ من حيث تتعبُ
فكنْ مُبلغًا عـنّى، وحظُّك عنـدَه … اذا أنت باسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل يا عميدَ الدولة آعطفْ وإن جنتْ … فما زلّةٌ إلا وعفـوُك أرحبُ
تَلافَ عصاها أن تُشَقَّ فإنهـا … بسوء القضـايا تُلْتَحَى وتُشذَّبُ
ودارِكْ ذَماها(١) وهو بعـدُ، فربّما … تخورُ القُـوَى أنْ ينفـعَ المتطبّبُ
يقرِّبك الإقبـالُ حينا فتؤنس الـ … ـحياةَ ويُقصيـك الشقاءُ فتُعطِبُ
ومن أعجبِ الأشيـاء تعليلُها بمَنْ … تَرَى عجـزَه من حظّه يتعجّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه … وعنـدهُمُ منك الدواءُ المجـرَّبُ
اذا طُلِّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ … مُجـذَّذةً(٢) من حُسنها تُتَسلَّبُ
تغوثُ(٣) بالأسحار تدعُو صَباحَها … وتبكى زمانَ الوصـل منك وتندُبُ
تَخالُ بهـا ربعا مُحيـلًا تساقطتْ … تحاجلُ فيـه الشاحجاتُ(٤) وتنعَبُ
بنيتَ بهـا بِكرَ الصّبـا فمَن الذى … يُصـفّى هواها وهى شمطاءُ ثَيّبُ
وأبرحُ من تعنيسهـا وهى أيّمٌ(٥) … ـاذا غبتَ ـ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

(١) يريد ذماءها وهو بقية النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوث : تستغيث .
(٤) الشاحجات : الأغربة التى فى صوتها غلظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدّ فانهضْ بحملِها ... وثِبْ واثقا، إنّ العلاءَ توثُّبُ

فما كلُّ ما آستوضحتَ فيها هدايةٌ ... وليس ضلالا كلُّ ما تتنكّبُ

قد آشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسهُ ... وأُوحِشَ صدرٌ منه وآرتاعَ موكبُ

وقد أعجفَ(١) الرُّوّادُ وآعتصروا الحيا ... من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ

وقُصّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا ... يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكر يُنْجِبُ

فنحن كأنّا لم نصِفْ مَلِكا ولم ... نقم قطّ ما بين السِّماطين(٢) نخطُبُ ٥٩

وكائنْ لنا من موقفٍ متشهَّرٍ ... لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ

تمـيزُ به عُتْقُ(٣) القوافى وهُجْنُها(٤) ... وتعلمُ ما ذا يُجتبَى ويجنَّبُ

ووجهك بسّامٌ الى المدح مقبِلٌ ... عليه ووجهُ الدهر جهْمٌ(٥) مقطِّبُ

وكم ثَمّ من مسترزِقٍ حلَفتْ له ... لُهاك – وبَرّتْ – أنه لا يُخيَّبُ

وعيشٍ ييبسِ بالسماح بللتَه ... ووجهُك فيه من بنانك أرطَبُ

رعَى اللهُ منك البحرَ لم أَروَ بعده ... بَلَى ربّما أُفعمتَ والبحرُ ينضُبُ

ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيّقٍ ... عليه فسيحٌ عنده لِىَ مَرغَبُ

ومالى اذا أعسرتُ من كلّ وجهةٍ ... وجاهى الذى من بعضه المالَ أكسِبُ

تأجَنُ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ ... وتخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ

وَجُودُك لى سِيّان ما كنتَ حاضرا ... قريبا، وما ينأى وما يتقرَّبُ

فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشكُ غُصّةً ... ولا أجحفَ التَّردادُ بى والتقلُّبُ

ولكنّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ ... اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

---

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عجافا .   (٢) السماط : الصفّ ، يقال : قام القوم حوله سِماطين أى صفّين .   (٣) العُتْق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل .

(٤) الهجن جمع هجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته برذونة من حصان عربىّ .   (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه .   (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حوّلت عـنى ظِلالَك خُطّـةٌ تحُـلُّ ولا محـذورةٌ تترقّبُ
وعشتَ لمثلى واحدا فى زمانه وللنـاسِ بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نداك الغمـرَ نَشرا مخـلّدا(١) كلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلّ مطاعٍ أمرُها مستجيبةٍ لدعوتها الأسماعُ تُرجَى وتُوهَبُ
تولَّجُ(٢) لا تخشَى تلوّنَ آذنٍ، لها الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُقِرُّ لها بالفضـلِ مَن لم تُقِلْ(٣) له ويُعظِمُها العيّابُ والمتعصِّبُ
لها كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلغٌ فصيحٌ، ومَن غنَّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبر تُقتَنَى ورقَّتْ فقد كادتْ مع الماء تُشرَبُ
مصدَّقة فى المـدح أسرفَ أو غلا ومأمونة ما تستـزيدُ وتَعتِبُ
تزورك، يوما فى نَدِيّك تُجتَلَى ويوما مع السُّفّارِ تُقـرَا وتُكتَبُ
تسوقُ التهانى خلفَها وأمامَها تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَـوِّبُ
تذكِّرُكم من حقّها إن نسيتمُ بما تَقسِمُ الأعيادُ حظًّا وتَنصِبُ
ترَفُّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبِـه ولكن بكم فخرا تتيـهُ وتَعجَبُ

✦
✦ ✦

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَلِ الركبَ إن أعطاك حاجتَك الرَّكبُ مَن الكاعبُ الحسناءُ تمنعها "كعبُ"(٤)؟
قضى أنها مغلوبةٌ لِينُ عطفها وحصّنها - أن تُملَكَ - الأُسُدُ الغُلْبُ
حمَوْها وذبّوا أن تُرامَ وما حمَوا قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبّوا
وهزّوا القنا الخطّار والبيضَ دونها، فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

(١) فى الأصل : بشرًا . (٢) تولّجُ : تدخل . (٣) فى الأصل "يقل" .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها ... حديثا وأفواه المواسم تَستَبُّ
وما العارُ إلا أنّ بين بيوتهم ... قلوبَ المحبين السلائبُ[١] والنّهبُ
لئن أشحطوها أن تُزار فبيننا ... مواثيقُ ، بُعدُ الدار إن رُعِيَتْ[٢] قربُ
وإن حُجبتْ والريح تَسفُر[٣] بيننا ... بنجوى فؤادَينا فما ضَرّت الحُجْبُ
وفى دارها " بالروضتَين[٤] " لناظرٍ ... شفائفُ[٥] ضوءِ البدرِ تكفُره[٦] السحب
ومنها ومن أترابها فى ثرى الحمى ... عبائقُ تهديها الصَّبا لِىَ والتربُ
وقفتُ وصحبى فى " اللِّوى " فأملَّهم ... وقوفِىَ حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ
أُذاكِرُه مَرآةَ يومى بأهله ... فيشكو الذى أشكو ويصبو كما أصبو
ولم أحسَب الأطلالَ تُخضعها النوى ... ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُه الحبُّ
تحدَّثْ بما أبصرتَ يا بارقَ الحمى ... فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكذِبُ
وقلْ عن حشًى من حَرّها وخفوقها ... تعلَّمتَ ما تنزو خِطارا وتشتبُّ
وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرِيًا ... وَشائظَهُ[٧] حتى ٱلتقى الجنبُ والجنبُ
فلو أنه فى جفنِ ظبيةِ حابلٍ ... مكانَ القذَى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ
وهذا ضنا جسمى وقلبِىَ عندها ... فكيف به لو كان فى جسدى قلبُ
فُطِرتُ على طينِ الوفاء ودينه ... فنفسى اليه بالغريزة تنصبُّ
فكم نائمٍ عنّى وثيرٍ مِهادُهُ ... وجنبى له عن لين مَضجَعه ينبو
أصابرُ فيه الليلَ حتى أغيظَهُ ... فتحسُدَ أجفانى على السهر الشهبُ
وأعجبُ ما حدّثتُهُ أنّ ذمّةً ... وفَتْ فارسٌ فيها وخاسَت[٨] بها العُرْبُ

(٦٠)

(١) السلائب : كل ما أخذ قهرا . (٢) فى الأصل : دعيت . (٣) تسفر : تكون سفيرا . (٤) الروضتين : اسم موضع . (٥) الشفائف : الستائر يُستَشَفّ ما وراءها . (٦) تكفره : تحجبه . (٧) وشائظ جمع وشيظة وهى قطعة عظم تكون فى العظم الصميم . (٨) يقال : خاس بالعهد أى أخلفه .

عذيرِى من الأيّام أو نحن مرتعى ... ورنَّقن لى من حيث يُستعذبُ الشُّربُ
تُناوِبُ قومًا غَضَّها وهشيمَها ... وكلُّ نصيبى من معيشتها الجدبُ
أُحَلَّى عليهم عفوَها (١) ودُرورَها ... فأرضَى بلا ذلٍّ بما كدَّه العصبُ (٢)
وأتركُها تَركَ المسالِمِ قادرا ... لأسلَمَ منها وهى لى أبدا حربُ
وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشْكِيا ... وعاتبتُ جَورَ الحظّ لو نفع العتبُ
بلى فى يدى ـ لا أكفُرُ اللهَ ـ جانبٌ ... من العز لى فيه الوسيعةُ والرَّحبُ
ومنبعُ جُودٍ لو قنعتُ كفى الغنى ... وبلَّ غليلى ماؤه العَلَلُ (٣) السَّكْبُ
تعوّدَ جوّى غيمُهُ ونسيمُهُ ... وأرضِىَ أن تزكو عليه وأن تربو
أقِلْنى من التغرير يا طالبَ العلا ... ومن كدِّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو
فلولا الندى العِدُّ "الرحيمىُّ" ما جرى ... الى أيكتى ماءٌ ولا أخضرَّ لى تربُ
هم الناس ناسى والزمانُ زمانُهم ... ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ
تملّحتُ (٤) فيهم والتحفتُ بريشهم ... فوكرِى بهم حيث استوى الماءُ والعشبُ
وحسبى غنًى أو سُودَدا أنَّ بحرَهم ... وسيّدَهم عند الملمات لى حَسْبُ
الى "شرف الدين" انتشطنا حبالَها ... تُعانِقُ (٥) فى نفض الطريق وتخبُّ (٦)
سلائلُ ما صفَّى "الغَضينُ وداحِسٌ" (٧) ... وحازت كلابٌ رهنَها واعتلت كلبُ
بناتُ الفلا والريح كل حسيرة ... اليها الرياحُ المستقيماتُ والنُّكُبُ

(١) العفو : اللبن أوّل ما يحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ، وفى الأصل "العضب" . (٣) العلل : المتابع، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملّحتُ : سمِنتُ وفى الأصل : تملّحتُ . (٥) تعانق : تسير العَنَق وهو ضرب من السير . (٦) تخبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين، يضرب بأحدهما المثل يقال : "هو أشأم من داحس" .

كَسيرِ(١) العصا المقدود لو سُلكتْ بها ... تَقوبُ الخروت(٢) لم يضق دونها ثَقْبُ
تُخالُ عِناناً فى العنان من الطَّوَى ... وإن شُطِبتْ(٣) بالسوط قلتَ هى الشَّطْبُ
تُحطُّ اليه وهى قُلْبٌ(٤) من الطَّوَى ... وتُركَبُ عنه وهى مُجفَرةٌ(٥) قُبُّ
الى مَلِكٍ لا يملكُ الخوفُ صدرَه ... خُفوقا ولا يغشَى على رأيه الخطبُ
ولا يطَّبيه(٦) التيهُ فى معجزاته ... اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ
مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالغٍ ... به القولُ ما لا يبلغ الباتر العضبُ
مُحيطٍ بآفاق الإصابة رأيُهُ ... بديهاً ، ورأىُ الناسِ مختمرٌ غِبُّ(٧)
اذا رَفعتْ للإذن سَجْفا(٨) رواقُهُ ... فللأعين الإشراقُ والآنُفِ(٩) التربُ
مَقامٌ تُلاقِى عنده النِّعمُ السُّطَا(١٠) ... ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّعْبُ
اذا أَمَرتْه مُرَّةٌ من حفيظةٍ ... تسوءُ ، نهاه خُلْقه الباردُ العذبُ
تصوَّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ ... ففى الدَّستِ منه البدرُ والبحرُ والعضبُ(١١)
من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ ... ولم يَعتبِدْهم غيرَ خالقهم ربُّ
صدورُ قلوبٍ فى المجالسِ والوغَى ... اذا رَجَحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا
ومدَّ "عميدُ الدولة" العِرضَ راسخا ... فحدِّثْ عن ضَربِ العلا الرجلُ الضَّربُ(١٢)
وما علمتْ أُمُّ الكواكبِ(١٣) قبلَه ... وقبلَهُمُ أن الهلالَ لها عَقْبُ

(١) السير : القِدّة من الجلد ، و يقال فى مثل مولَّد : " ليس فى عصاه سير " يضرب لمن لا يقدر على ما يريده . (٢) الخروت جمع خُرت وهو ثقب الإبرة و يريد بها هنا الإبر نفسها . (٣) شطبت : خط فيها السوط بما يخالفه لونها من الأثر . (٤) قلب جمع قلباء : مقلوبة الشفاه . (٥) مجفرة : عظيمة الجنبين . (٦) لا يطبيه : لا يستميله . (٧) غبّ : متأنًّى فيه . (٨) السجف : كل سترين مقرونين بينهما فرجة . (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم . (١٠) السطا جمع سطوة . (١١) العضب : السيف . (١٢) الضرب : الماضى الندب الخفيفُ اللحم . (١٣) أم الكواكب : الشمس .

وأنَّ شروقَ الشمس عنهم سينتهِى ... الى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ
أرى المُلك بعـد المَيْل قامت قناتُه ... ولُوحِمَ منه بعد ما آنصدعَ الشَّعبُ
لك البُلجة البيضـاءُ إن مات بجْرُهُ ... وفى يدك التفريجُ إن غَشِىَ الكربُ
وقد علِمتْ أمّ الوزارة أنهـا ... اذا غبتَ ثكلَى قَصْرُها(١) الدمعُ والندبُ
وتُطمِعُ مخـدوعَ المنى فى نكاحِها ... مَطامعَ كدَّتهـا وأنت لهـا خِطْبُ(٢)
ودبُّوا لهـا تحت الظلام عقاربا ... ولو حسبوا وطءَ الأخامِص ما دبُّوا
ولمّـا رأَوا عنهـا آلتفاتَك عاجلوا ... وُثوبًا، وقِدْمًا طاح بالقَدَمِ الوثْبُ
رَقَيْتَ بفضـل الحلم شوكةَ لَسْبِهم ... فقـد ماتت الأفعَى وقد برأَ اللّسْبُ
هُمُ عقـروها إذ تعاطَوا فعُـذّبوا ... ورأيُك فيهم "صالحٌ"(٣) وهُم السَّقْبُ(٤) ٦١
وراموا التى يَرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ ... خِداعا وتأباها الحـزامةُ واللُّبُّ
ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً ... من الذئب أو يبكى من العطش الضَّبُّ
تُحدِّثُهم أحلامُهم أنّ ظهـرَها ... رَكوبٌ ولكن يُكْذَبون اذا هَبُّوا
صِلُوها فمـا يشقَى من اليوم سعدُها ... عليكم ولا تَذْوِى(٥) وأنتم لهـا قطبُ
ولا برحتْ فيكم تجُـرُّ عزيزةً ... سرابيـلَ لا يُخفِى ذلاذلَها(٦) السَّحْبُ
ضَممتَ عزيبَ الملك بعد آنتشارِهِ ... وأفرشْـتَه أمنًا وقد ذُعِرَ السِّربُ
وما زلتَ بالتـدبير تَركَبُ صـعبَه ... الى سهله حتى آستوى السهلُ والصعبُ
أَحبَّك ودًّا مَن يخافُك طاعةً ... وأعجبُ شىءٍ خِيفـةٌ معَها حُبُّ
ولو نشَزتْ عنك القـلوبُ لردَّها ... لسانُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرَّطْبُ

(١) قصرها : غايتها . (٢) خِطب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبىّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القميص الطويل واحدتها : ذُلْذُل ، وقيل : أثواب تلبس فوق بعضها كل واحد منهـا أقصر ممـا تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ... ولا كبدٌ إلا وأنت لها خِلبُ(١)
وأما القوافي فهي منذ رعيتَها ... بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامِه خِصبُ
يكاثفها نبتاً ويعذُب مَشرَباً ... فلسّاتُها(٢) خَضْمٌ ورشفاتُها عَبُّ
صحائحَ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا ... بها عند قومٍ وهي مُجْفِلةٌ جُرْبُ
وكم بكْرةٍ منها لمدحك قُدتُها ... فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ
تغاديك أيام التهاني بوفدها ... مكرَّرةً لُبسًا وهنّ بها قُشْبُ
بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يُرى ... له رُكُنٌ ولا يقصُرُ له طُنْبُ(٣)
وأنّ يدَ الله البسيطةَ جُنّةٌ ... تقيكم وأحزاب السعودِ لكم حزبُ
يزورُكُمُ قلبي بها مثلَ منطقي ... فلا الغِشُّ مَخشيٌّ عليها ولا الخِبُّ(٤)
وأمدحُ مَن أعطاكُمُ مِن لسانِه ... وأرضاكُمُ مَن قلبُه بِكُمُ صبُّ
فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطَّلًا ... لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ(٥)
اذا مشتِ الأقران حولَ خريدةٍ ... فوَحدتُها في الحسنِ ليس لها تِربُ
أجُدُّ بها والطبعُ يُجرِي خلالَها ... طُلاوةَ رَقراقٍ تُرِى أنها لِعْبُ
وغيرُكُمُ يرتاب بي إن مدحتُه ... لعرفانه ألّا يحِلَّ لها الغصبُ
فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا ... وقد خَفَضَتْهُ من نقيصتِه رُبْ(٦)
يُساءُ كأنّي بالثناء أسبُّهُ ... لعمرُ أبي إنّ النفاقَ هو السبُّ

---

(١) الخِلب : حجاب الكبد . (٢) اللَّسة : أخذ الدابة النباتَ بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفي النسخة المطبوعة .

* له ركنُ عزّ أو تقصّر له طنبُ *

(٤) الخَبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع ، وفي الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلُبُ : السوار . (٦) ربْ لغةٌ في ربّ ، والبيت مكتظٌّ بكثيرٍ من التورية النحويّة .

* * *

وقال فى سمكة

وكالرقيم يحسـبه من قـرا ويُعرَفُ ممَّنْ إذا مَن كُتِبْ
من البَهْمِ لو طَلَبَ النطقَ ضلَّ وفى الأنبياءِ إذا ما طُلِبْ (١)
يبادر خيـلَ الوغى الدُّهمَ والـ ـوراد (٢) بشهبـاء (٣) تُجلِى الشهبْ
بحيث تُرَى مخطفاتُ (٤) الحـديـ ـد يضعفن عن مرهَفات القَصَبْ (٥)
إذا ما تَرَدَّى (٦) نجـا سالمـا ويُقعَصُ (٧) إن قام أو إن وثبْ
يكون بدرعٍ فيَلقَ وإنْ تسربلَ درعين لاقَ العطبْ (٨)

* * *

وقال فى سُمَارِيّة (٩)

وجاريةٍ فى مَجارى الحياةِ خلعت (١٠) عليها رداء الشبابِ
وحَلَّيْتُها حِليـةَ المشـرفـ ـىّ فوق حمائلِهِ والقـرابِ

---

(١) يريد بالبَهْـم البهائم ، وسُمّيت بذلك لما فى صوتها من الإبهام ، ويسـتوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والماء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمنته حكاية عن سيدنا "يونس" عليه السلام من قوله تعالى : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) الآية . (٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمر . (٣) "بشهباء" أى "بدرع بيضاء" وهى كناية عن إهاب النون لبياضه ولمعان ما عليه من قشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعله يريد بمخطفات الحديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها السمك [صنارة] . (٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ، ويريد بها "الزعانف" وهى أجنحة السمك وغيرها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللجّة واتخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقعص : يقتل رغم أنفه . (٨) يريد أن هذا الحوت يلق كل ما يذابه بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصيّاد بها — فانه يلاقى الموت والهلاك . (٩) سُمَارِيّة : نوع من السفن الصغيرة تركب فى الأنهر . (١٠) بالأصل "جُلتُ" ،

إذا غادةٌ منعتْ وطأها ... تبطّنتُ منها ذلولَ الركابِ
وحرّقَ ما تحته ظهرَها ... كما تحرقُ الشمسُ ثوبَ السحاب
وأحمدُ من جسمها أنه ... كريمُ العظام لئيمُ الإهابِ (١)

✦ ✦ ✦

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها ... أراعى خدوشا فوقها وندوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ ... فأذكُرُ أصداغا لها وتَريبا
أكونُ حليما تارةً ما اجتليتُها ... وقُوراً وأحيانا أكون طَروبا
ويُعجبنى منهنّ أنّى لا أرى ... حبيبا لها لى أو أراه قريبا
سَبَتْنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى ... جَناها ولم تنطقْ ولم أرَ طيبا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى ... جلابيبَ خيطت لاتُقِلُّ جيوبا
تُقصِّرُ عن أقدامِها ورءوسِها ... وتملأُ أصلابا لها وجُنوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقَتْها عيوبَها ... وإن أُلبِسَتها لم توارِ عيوبا

قافيــة التــاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصدّتِ ... وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى
غَرّاءُ يَشْعَفُ قلبَها فى نحرِها ... وجَبينِها ما ساءنى فى لِمّتى
لولا الخلافُ وأخذُهنّ بدينِه ... لم تكلَفِ البيضاءُ بالمُسوَدّةِ

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظَلمائها ونفرتِ أن طلعتْ عليك أهلّتى ؟
ولقدعلمتِ ـ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا فتبيَّن ـ أنّى لم أشبْ من كَبرةِ
وإذا عددتِ سنىَّ لم أكُ صاعدا عَددَ الأنابيب التى فى صَعدتى (١)
أَجنيتِها من خَلَّةٍ (٢) فى مَفرِقى فتكونَ عندكِ قادحا فى خُلّتى (٣) ؟
نَكِروا ـ فلا عَرَفوا ـ "برامةَ" وقفةً ميلاءَ نادتها الديارُ فلبّتِ
وألامَ فيكِ وفيكِ شِبتُ على الصِّبا يا جَورَ لائمتى عليك ولِمّتى
وحننتُ نحوكِ حَنّةً عربيّةً عِيبت، وتُعذَرُ ناقةٌ إن حنّتِ
ماذا على الغضبانِ ؟ ما آسترفدتُه دمعا ولا آستوقفتُه من وقفتى
أبغى الشفاءَ بذكره من مُسقِمى عجبا لمن هو علّتى وتعلّتى !
يا هلْ لليلاتٍ "بجَمْعٍ" عودةٌ ؟ أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرةِ ؟
والحاصباتِ، وكلُّ موقع جمرةٍ يَنبِذْنها فى القلبِ مَوقِدُ جمرةِ
ومِنَ المحرَّمِ صيدُهنّ خليعةٌ طابت لها تلك الدماءُ وحلّتِ
حكمتْ عليكِ بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ورنتْ اليكِ بعينِ ظبيٍ مُفلِتِ
ورأيتُ أمَّ الخشفِ تَنشُدُ بيتها أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيةِ !
نشَطوا عن الركبِ الحبالَ فنفَّروا سكَناتِ أضلاعى بأوّلِ نفرةِ
رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنةٍ يرنو اليكِ وأنتِ وحدكِ فتنتى
لا آستوطأتْ منّى مكانَكِ خُلّةٌ (٤) كلُّ الفؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ (٥)

---

(١) الصعدة: القناة . (٢) الخَلّة : الحاجة . (٣) الخُلّة: الصداقة . (٤) الخُلّة : الخليلة . (٥) الكِلّة : الستر الرقيق أو غشاء يُتوقَّى به من البعوض [ناموسيّة] .

* * *

يامن يلوم على آجتماعى قاعدا … والأرضُ واسعة الفُروجِ لنهضتى

ويَرى الرجالَ وكلُّهم متكثِّرٌ … بصحابةٍ فيلومنى فى وَحدتى

أُعذُرْ أخاك فما تهجَّر مُشمِسا … حتى تقلَّص عنه ظلُّ الدَّوحةِ

كيف آعترافى بالصديق وكيف لى … بالفرق بين محبتى من بِغضتى ؟

وقلوبُ أعدائى الذين أخافُهم … مغلولةٌ لِى فى جسوم أحبَّتى

رقَصَ السرابُ فراقنى من راقصٍ … كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّحكةِ

ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشورَها … طلبًا لتقبيلى فكان لنهستى (١)

وَلَدَ الزمانُ الغادرين فما أرى … أمَّ الوفاء سوى المقلِّ المُقلِتِ (٢)

وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما … ذلُّ المطامع حزُّ عزَّةَ جَوْعتى

ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليَّةٌ … وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همّتى

أمّا على كذبِ الظنون فإنها … صدَقتْ أمانِى فى "الحسين" وبرَّتِ ٦٣

المجدُ ألقحَ فى السماء سحابةً … نَتَجتْ به مطرَ البلاد فعمَّتِ

أَروَى على يَبَس الشفاهِ وبيَّضتْ … كفّاه باردةً سوادَ الحِرَّة (٣)

متهلّلا أعدَى بخُضرة جودِه … جدبَ الرُّبَى من أرضها المغبرَّةِ

"بالصاحب" آنفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا … خِصبًا وغنَى الساقُ (٤) فوقَ الأيكةِ

كُفِلَتْ بأولَى مجدِه أيامُهُ الـ … أخرَى فأحيا كلَّ فضلٍ ميِّتِ

شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما … تُجنَى الثمارُ بقدرِ طيبِ المَنبِتِ

لكُمُ قُدامَى المجدِ لكن زادكم … هذا الجناحُ تحلُّقا فى الذروةِ

غدتِ الرياسةُ منكُمُ فى واحدٍ … كَثُرتْ به الأعدادُ لمّا قلَّتِ

(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحرّة : الحجارة السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطفتْ لكم يدُهُ وزَمّتْ آنُفـا   شُمًّا لغـيرِ خشاشِـهِ ماذلّتِ
لمـا تقـلّدها وكانت ناشزًا   ألقتْ عَصاها للمقام وقَرّتِ
موسومة بكُمُ فمَن تعلّق بهـا   دعواهُ يفضـحُهُ عِلاطُ (١) الوسمـةِ
نِيطتْ عُراها منـه بابنِ نجيبـةٍ   سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ
يقظانَ يلتقِطُ الكرى من جفنِـه   نظـرُ العواقبِ واتّقاءُ العِـذرةِ (٢)
لا يطمئنُّ على التـواكُلِ قلبُـهُ   فيما رعى إن نامَ راعى الثَّـلّةِ
تدجُو (٣) الأمور وعنـده من رأيه   شمس إذا ما جَنّ خطبٌ جلّتِ
ويُصيبُ مرتجـلًا بأوّل خَطْـرةٍ   أغراضَ كلِّ مُحمِّـرٍ ومُبيّتِ
تَدمَى بنـانُ النـادمين وسِـنُّهُ   ملسـاءُ إثرَ ندامةٍ لم تُنكَتِ
ما ضمَّ شمـلَ المُلكِ إلا رأيُهُ   بعـد انتشار شَعاعِهِ المتشتّتِ
حَسَرَ القذَى عن حوضِهِ وسقَى على   طولِ الصدَى فشفَى بأوّلِ شربةِ
من بعد ما غمزَ العـدا فى عُودِهِ   واستضعفوا قَـدَمًا له لم تثبُتِ
ولربَّ بادئةٍ وكانت جـذوةً   كُمِتْ ضِراما "بالحسين" وتمّتِ
حاميتَ عنه بصـولةِ المتخمّطِ (٤) الـ   ـعادى وهَـدْيِ المستكينِ المُخبِتِ (٥)
وإذا عُرَى الحزمِ التقتْ عَلِقَ الفتى   بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبّتِ
إن الذينَ على مكانِك أجلبـوا   ضربوا الطُّلى (٦) بصـوارم ماسُلّتِ
طلبوا السماءَ فلا هم ارتفعوا لهـا   شُلَّ (٧) الأكُفُّ ولا السماءُ انحطّتِ
وبودّ ذى القَدَمِ القطيمةِ ماشيا   لو أنّهـا سلمتْ عليـه وزلّتِ

---

(١) العلاط: سمة فى عرض عنق البعير، ومنه: لأعلُطنّك عَلْطَ البعير. (٢) العِذرةُ: اسم بمعنى المعذرة. (٣) تدجو: تُظلِمُ. (٤) المتخمّط: الشديد الغضب. (٥) المخبت: الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ). (٦) الطُّلى: الأعناق أو أصولها. (٧) شُلّ جمع أشلّ.

خانَ السُّرى رُكْبَ القِلاصِ (١) وسُلِّمتْ | بُسُطُ الفلاةِ الى القُروم (٢) الجِلَّةِ (٣)
يَفْــديك مُرتابٌ بغلطَةِ حظِّه | سَرَقَ السـيادةَ من خِلالِ الفَلتـةِ
ما رُدَّ يوما عازبٌ من عقـله | إلا رأى الدنيـا به قد جُنَّتِ
قُبِضتْ يداه وما يبـالى سـائلٌ | بخِلتْ عليـه يدُ آمرئٍ أو شَلَّتِ
وأرى الوزارةَ لا يُعاصِـلُ (٤) نابَهـا | حاوٍ سواكَ على آختلاف الرُّقيَـةِ
يرجوك ريِّضُهـا لمتنٍ مُزلِقٍ | قـد قُطِّـرتْ (٥) فُرسـانُهُ فتردَّتِ
يشتاق ظهرُكَ صـدرَ مجلسها وكم | شكَتِ الصدورُ من الظهورِ وضَجَّتِ
وإذا آلتفتُّ الى الأمور رأيتُهـا | مذخورةً لك من خِلالِ تلفُّتى
فألٌ متى يامنت سانحَ طـيرِهِ | صـدقَتْ عِيافتُهـا بأوَلِ زجرةِ
فهناك فآذكُرْ لى طريفَ بِشارتى | بعـلاك وآحفَظْ تالدًا من صحبتى
لو شـافَهَ الصُّمَّ الجِـلادَ محـدِّثٌ | عنكم بنى "عبد الرحيم" لأصغتِ
أو عُوِّضتْ بكم السماءُ وقد هوتْ | أنوارهـا بَدَلَ النجـومِ تسلَّتِ
البـاذلون فـلو تُصافحُ راحَكم | ريحُ الصَّبا وهى الحيا لآستحيتِ
والقائلون بلاغةً فلو آحتبَتْ | أمُّ الفصـاحة بينكم لأذمَّتِ (٦)
أَنِستْ بفاتحة الكتاب شِـفاهُكم | ورزقتُمُ ظَفَرَ الكتّابِ المُسكِتِ

---

(١) القلاص جمع قَلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد آجتمع كلاهمـا فى قول المتنبى :

ولكنّا نداعب منـك قَرمًا ❊ تراجعت القرومُ له حِقاقا

أى نمازح منك سيدا عظيما صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال ، وحقاق جمع حِقّ وهى الناقة التى سقطت أسنانها هرما . (٣) الجلّة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوّج .
(٥) قطِّرتْ : ألقيت على قطرها . (٦) لأذمّت : لأعيت وتخلفت .

لكُم انحنَى صَيَدِى (١) وأعسلَ حنظلى … للمجتَــنِى وتولّدتْ حُوشِــيَّتِى (٢)
وسجـــرتمونى (٣) منصــفين مودّةً … ورفادةً يومَىْ رَخاىَ وشِــدّتى
أعشــبتُم فَبِطِنْتُ (٤) فى مَرعاكُمُ … والدهرُ يَقْنعُ لى بفضــلِ الجـرّةِ (٥)
أدعو وغابَ أبى وقلّ عشيرتى … فيكون نصرُكُمُ إجابةَ دعــوتى
ومتى تقيِّدُنى الليالى عن مدًى … قمتم فأوسعتم اليهـا خطـوتى (٦٤)
عجِبَ المديحُ وقـد عمَمتكُمُ به … من رَجعتى فيـه عقيبَ ألِيّتى
حرّمتُـــه زمنا فكنتم وحدكم … من بينِ مَنْ حمَـلَ الترابُ تحلّتى
هو جوهرٌ، ما كلُّ غائصـةٍ له … بالفكرِ تعـلمُ ما مكانُ الدُّرّةِ
ويَصحُّ معناه ويسـلَمُ لفظُـهُ … ونظامُهُ، وهنـاك باقى العـلّةِ
كم خاطبٍ بأعزّ ما تحوِى يدٌ … عذراءَ منـه وعرضُـهُ دونَ ابنتى
ولقـد زففتُ لكم كائنَ خـدرِهِ … فـكرمتمُ صِهراً ووالِىَ عُــذْرَةِ
من كلِّ راكبـةٍ بفضـلِ عَفافِها … والحُسنِ عُنُقَ العائبِ المتعنّتِ
عزّتْ فمـا عَثَرتْ بغيرِ معوّذٍ … بِلعًا (٦) ولا عَطَستْ بغيرِ مُشمّتِ
أمَـةٌ لكم بجـزيل ما أوليتمُ … وتُصـانُ عنـدكُمُ صِيانَ الحُرّةِ
سلِمتْ على غَرَرِ الخلافِ، ولادُها … فى أُمَّــةٍ ووِدادُهـا فى أُمّـةِ
مدّتْ الى "ساسانَ" (٧) ناشرَ عِرقِها … وقضت لهـا "عدنانُ" بالعربيّةِ
يُصغى الحسودُ لهـا فيشـكرُ أُذْنَه … طـربا وودَّ لغيظـه لو صُمّتِ

---

(١) الصَّيَدُ : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشيّة : وحشىّ الكلام وغريبه ويريد أنه صار مولّدا بعد حوشيّته . (٣) سجرتمونى : ملأتمونى، وفى الاصل "سحرتمونى" ولعله تحريف . (٤) بطنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرّة : مايفيض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالانتعاش . (٧) ساسان : جدّ ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسرِى رفيقةَ كلِّ يومٍ مُؤذِنٍ … بسعادةٍ فاذا ألَمَّ ألَمَّت

تَروِى لكم عن "ذى القرون"(١) حديثَهُ … قِدْماً ويُحيى نشرَها "ذا الرُّمَّة"(٢)

أحمدتُمُ ماضىَّ فى أمثالها … ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يومَ البين ظبيا أذمَّ(٣) لى … بما أثَّر التوديعُ فى وجَناتِهِ

تعاطيتُ إلا النومَ بعد فِراقِهِ … كأنّى عليه مُسقَمٌ بحياتِهِ

وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجَا … وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم ويتفجّع له

قِفَا نِضوَيكما(٤) "بالغَمْرِ" نسألْ … حَفِيًّا(٥) أينَ مثوى المكرماتِ ؟

وأىُّ ثرًى كريمِ العِرقِ سِيطَتْ(٦) … به رِمَمُ المعالى الدارساتِ ؟

وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى … مَطارحُ أعظمٍ فيها رُفاتِ ؟

وكيف تكوَّرتْ بيدِ المنايا الـ … ـغزالةُ(٧) مُدْرَجًا للسافياتِ ؟

وإن أصفَى(٨) مَزادُكما فَمُدّا … بأذنبةٍ(٩) هُنالكَ مُترَعاتِ

أنامِلُ "للحسين" غَبرنَ حينا … ضرائرَ للغيوثِ المُرزِماتِ(١٠)

ولُوذَا مُسنَدَيْنِ بجنب طَودٍ … من المعروف عالى الهضبِ عاتى

(١) ذى القرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمّة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء باستقصاء . وفى القرآن الكريم (يَسألُونَكَ كأنَّكَ حَفِىٌّ عَنها) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس ، والسافيات : الرياح تحمل ترابا . (٨) أصفَى : خَلَا . (٩) أذنبة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فـثَمَّ الجـارُ محميُّ النَّـواحِى وثَمَّ الرَّعىُ مكتهِلُ النباتِ
وثَمَّ الوجـهُ أبلجُ والمسـاعى الـ كِرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُـفاةِ
قِفَـا فتنادَيا فلعـلَّ صـوتًا سـيزقو(١) أو يُصـيخ الى الدُّعاةِ
وقولا : كيف يا حَنَشَ الرمالِ آخـ تُدعتَ واستَ من قنَص الرُّقاةِ ؟
مَن الحاوى الذى انترعتْ يداهُ نيوبَ العـزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟
لعمرُ العاطفين اليـك ليـلًا لنعمَ أخو العشايا الصالحـاتِ
ونِعمَ عدوّ مالكَ كنت فيهـم وخصبُ الحالباتِ الرابحـاتِ
ومأوَى كلِّ مُطَّـردٍ تُرامى به الأخطـارَ أيدى النائبـاتِ
لِمَنْ خيـلٌ تُضـمَّر للسرايا(٢) وفُرسانٌ تُخمَّـر للبيـاتِ ؟
وأنـديةٌ وأروقـةٌ رِحابٌ تَضُمُّ بدائدَ الفضـلِ الشتـاتِ ؟
ومَنْ للمحكَماتِ من القـوافى تطـيرُ بهنَّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟
ومَنْ لى يَزحمُ الأيامَ عـنّى وقـد هجمتْ علىَّ مصمّماتِ ؟
ويجـذِبُ من يد الزمنِ المُعاصى بأضبـاعى(٣) الى الزمنِ المُواتى ؟
ومَن ذا قائـلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ إذا أنا قلتُ : هَبْ ، أو قلتُ : هاتِ
وما أنا والعـزاء وقد تقضَّتْ حيـاةٌ تُستَمَدُّ بها حياتى
يُعنِّفُ فيك ـ أنْ صُدِعَتْ ضلوعى ـ خَلِيُّ القلبِ من تلك الهَناتِ
كأنّى فيـك أُبعَثُ بالتأسّى على جزعى وأُغـرَى بالعظاتِ
رزئتُـك أطولَ الرجلين باعا وأمضَى الصارمينْ على العُـداةِ
وأوفَى من سِراجِ الأفقِ نورًا إذا الأيّام كانت داجيـاتِ

---

(١) سيزقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهى قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضـد .

كأنى قبلَ يومِك لم أُفزَّعْ بصائحةِ العشىِّ ولا الغداةِ
ولم تُطرَفْ بفاجعةٍ لحاظى ولم تُقرَعْ بمَرْزِئةٍ(١) صَفاتى
بكيتك فى العُناةِ لحين قالوا: قُتلتَ، ووددتُ أنك فى العُناةِ(٢)
أصاب السيفُ منك غِرارَ(٣) سيفٍ وحُطَّ بك الفُراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُتْرُ(٤) التَّواتى(٥) سيوفٌ أسلمتك الى النَّواتى(٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صَحبى وإخوةِ شِدَّتى وبنى ثِقاتى
هوت "بالصاحبِ" القِرطاتُ(٧) منى فَرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَماتِ(٨)
لقد خُولستُ وُسطَى العِقدِ منكم به وخُدِعتُ عن أُخرى القناةِ
فيا مطلولُ، بلَّ ثراك صبحاً صلاةُ الله تَتبعُها صلاتى
لقد واسيتنى فى العيش دهراً فمالى لم أُواسِك فى المماتِ
عَسَى وبَلَى لنا لا بدّ يومٌ سيَقضى فيك ممطولَ التِّراتِ
فإن أجزعْ فماضٍ كلُّ ماضٍ وإن أصبِرْ فآتٍ كلُّ آتِ

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ الكاتب، يذكُرُ سروره بمودّتِهِ من بين الإخوان، وقد سأله ذلك

دعْها تكنْ كالسَّلْفِ(٩) من أخواتِها تجرِى بها الدنيا على عاداتِها
ما هذه يا قلبُ أوّلُ عثرةٍ قذفتْ بك الأطماعُ فى لَهَواتِها
هى ماعلمتَ، وإن ألمتَ لفضلةٍ من ثِقَلِ وطأتِها وحدّ شَباتِها

(١) المرزئة: المصيبة. (٢) العناة جمع عانٍ وهو الأسير. (٣) الغرار: الحدّ.
(٤) البُتْر: المقطوعة. (٥) النواتى: المتمايلة ضعفا. (٦) النّواتى: الملاحون.
(٧) القِرطات: القُرط ما يُعلَّق بالأذن وجمعه قِرَطَة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل "الفرطات".
(٨) مصلمات: مقطوعة الآذان. (٩) السَّلْف: المتقدم، وسكّنت لامه للضرورة.

كم خطوةٍ لك فى المُنى إزليقةٍ (١) ... لم تنتصرْ بلَعًا على عثراتِها
وذخيرةٍ طفِقتْ يداك تضمُّها ... والدهرُ خلفَك مولَعٌ بشَتاتِها
ووثيقةٍ ألجأتَ ظهرَك مُسنَدًا ... بغرورها فسقطتَ فى مَهواتِها
لو كنتَ عند نصيحتى لم ترتبِقْ (٢) ... بمشُورةِ الآمالِ فى حَلَقاتِها
وهَوًى أطعتَ أميرَهُ فى لذّةٍ ... متبوعةٍ لم تَنجُ من تَبِعاتِها
يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها ... ويُعَدّ مخدوعا ترابُ فلاتِها
وفتاةِ قومٍ لا ينامُ مُغيرُهم ... رُمتَ آقتسارَهُمُ على خلَواتِها
شحذوا المُدَى لك دونها فركبْتَها ... تغترُّ حتّى طرتَ فى شَفَراتِها
ويمينِ جاريةٍ * سلكتَ فى ... مِسبَاحِها وذهبتَ فى آناتِها (٣)
ما كانَ قبلَك للحفاظِ شريعةٌ ... فى دينِها أبدًا ودينِ لِداتِها
نظرَتْ فكنتَ ضريبةً لحسامها ... ومشَتْ فكنتَ دريئةً (٤) لقناتِها
ومضيتَ تتبعُ وصلَها ولسانَها (٥) ... والرشدُ عند صدودِها ووشاتِها
ثمَّ ، قد سهرتَ فدونَ يومِ وفائِها ... ـ وهى التى جرّبتَ ـ يومُ وفاتِها
وآشكر لها كَشْفَ القِناعِ فإنها ... غدرتْ فكانَ الغدرُ من حسناتِها
وآذكر مآربَ غيرِها وآعجبْ لها ... غصبتك آفتُها على لذّاتِها !

* * *

ومُلثَّمينَ على النِّفاقِ بأوجهٍ ... صُمٍّ يصيحُ اللؤمُ من قَسَماتِها (٦)

(١) إزليقة : لم نعثر على هــذه الكلمة ولعله يريد بها "زلاقة" . (٢) لم ترتبق : لم تُدخل رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البَهم وقد تقدّم . (٣) هكذا ورد بالأصــل رسما وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى آكتناه ألفاظه ومعناه . (٤) الدريئة : الحلقة يتعلّم الطعن عليها . (٥) لسانها أى المتكلم عنها ويريد به الواشى . (٦) القَسمات جمع قَسمة بفتح السين وكسرها : الوجه ، أو ما بين الوجنتين والأنف .

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه ... والمكرماتِ هبوبَها بسُباتِها
متراهنين على الدنيَّةِ أحرزوا ... غاياتِها وتناهبوا حَلَباتِها
ورِثتْ نفوسُهُم خبائثَ أصلِها ... لؤمًا وزادت دِقَّةً من ذاتِها
أيدٍ تجفُّ على الربيع وألسنٌ ... سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها
يَصفُ المودّةَ بِشْرُها ووراءه ... بِشْرُ الزجاج يشِفُّ عن نيّاتِها
دَسُّوا المكايدَ في مواعدَ حُلوةٍ ... كانت عقاربَ والكِذابُ حُماتُها (١)
خَلَقٌ إذا حَدّثت عن أخلاقِها ... فكأنما كشَّفت عن سَوْآتِها
٦٦ لله آمالٌ أَرَقْتُ دماءَها ... فيهم فلم يتعلَّقوا بدِيَاتِها
وكرائمٌ ولَّيتُ فَضَّةَ عُذرِها (٢) ... منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها
غُرٌّ أهنتُ على اللئام كرامَها ... وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها
أهملتُها فيهم سُدًى مظلومةً ... تبكي أراجزُها على أبياتِها
يتناكرون حقوقَها من بعد ما ... عُلِطوا على أعراضهم بِسِماتِها (٣)
من كلّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ ... مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها
يَهوَى العُلا فاذا ٱرتقى لينالَها ... ردّاهُ (٤) حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها
حيرانَ يتبعُ مِن أخيه ونجلِه ... ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها
مَن عاذري منهم ومَن لحرارةٍ ... أَشرجتُ (٥) أضلاعي على جمراتِها ؟
ولُحُطَّةِ خَسْفٍ عصبتُ بِعارِها ... رأسَ العلا وحططتُ من درجاتِها ؟
أنا ذاك جانيها فهل أنا آخذٌ ... غيري بها وهو الذي لم ياتِها (٦) ؟

(١) حُمات جمع حُمَة وهى إبرة العقرب تَضرِبُ بها . (٢) العُذر : البكارة . (٣) عُلِطوا : وُسِموا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والأشراج : العُرى . (٦) ياتها : يأتها وقد سهلت الهمزة .

يا حظُّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةٌ جارى الحظوظِ وغافرُ زلّاتها
كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَماطةٍ (١) لا يطمعُ الحاوون فى حيّاتها ؟
عيشٌ كَلَا عيشٍ ونفسٌ ما لها من مُتعةِ الدنيا سوى حسَراتها
وتودّ حين تودّ لو ما بُدّلتْ أحبابَها من جورها بعُداتِها
ويزيدها جلَدا وفـرطَ تجـلّدٍ بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها
إن كان عندك يا زمانُ بقيّـةٌ ممّا يضام بها الكرام فهاتِها
صبرا على العوجاءِ من أقدارِها لا بدّ أن تجرى الى مِيقاتها
ولعلّها بالسخط منك و بالرضا أن تستقيمَ طريقُها بحُداتها
كم مثلها ضاقتْ فخلّلَ (٢) ضِيقَها يومٌ ولم يُحسبْ جَلَا غَمَراتها
ولقد كنزتُ فهل علمتَ مكانَهُ من صفوِ أيّامى ومن خيراتها ؟
خِلًّا تخلّلَه ٱرتيادى واحـدا صحّتْ به الدنيا على عِلّاتها
غلطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ فيـه وخابت فى بنى عَلّاتها (٣)
لى منه كالئةُ العيون وبسطةُ الـ أيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها
وقـرابةُ الأخ، غيرَ أنّ مسافةً فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتها
مِن ما نمى حَرَمِ الإخاءِ ونافضِى طُرُقِ الوفاءِ فمُحرِزى قصَباتِها
والسالمين على تلوّنِ دهرهم وتحوّلِ الأشياء عن حالاتها
واذا الأكارعُ والزعانفُ عوّروا من خلّةٍ كانوا مكانَ سَراتها
نبهتُـهُ ومن العيون غضيضةٌ حولى وأخرى كنتُ أختَ قذاتها

---

(١) الحماطة شجرة التين أو الجمّيز وعشبة خشنة المسّ . (٢) خلّل : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمّهاتٍ شتّى من رجل واحد ، واحدتها "عَلّة" وهى الضَرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول[1] فمالت[2] الـ ـأرماحُ تَدعَسُه[3] على غاباتها

ملآن من شرفِ السجيّة، نفسُه تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتها

منقادة للكرما تِ، وأنفسٌ تدعُ العلا وتُقادُ فى شهواتها

ما آختارت المختارَ لى إلا يدٌ وثِقتْ لمُغرِسها بطيبِ جَناتها

لله خائـلةٌ رأيتُ ودادَها بدلالة التوفيقِ فى مِرآتها

رَدَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى بعد آشتعال الشَّيب فى شَعَراتها

وتسـوّمت غُرًّا محجّلةً به أيامُ دهرٍ قد نكِرتُ شِياتها

كم خَلَّةٍ داويتُها بدوائها منه ونعمَى كان من أَدَواتها

وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فتوقَها منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتِها

مِن حاملٍ صُحُفَ الثناءِ أمانةٌ لا يستطيعُ النَّكثُ[4] قرعَ صَفاتها

شكرًا كما ضحكتْ اليـه مجودةٌ[5] "بالحَزْنِ" باقى الطلِّ فى حَنَواتها[6]

يغـدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ فى سَمتِها[7] هَـدْىٌ وفِى إخباتها[8]

طَبٌّ بعـلم فُروضِها وقُروضها حـتى يؤدّيهـا على أوقاتها

أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها مرمًى لغالبـة المنى ورُماتِها

عـنّى : مُغلغَلَةً تُسِرُّ حديثَها أمَّ الكواكبِ[9] أو أعيرَ صِفاتها

مِن منبع الحُلوِ الحلالِ اذا غدا مِلحُ القـرائح ذاهبا بفُراتها

لو نازل الرُّهنانَ[10] حطَّ قِنانَها[11] فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتِها

(١) الشبول جمع شبل وهو آبن الأسد . (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف . (٣) تدعسه : تدفعه . (٤) فى الأصل : "النَّكُثُ" . (٥) مجودة : ممطورة . (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة . (٧) السمت : السير على الطريق بالظن . (٨) الإخبات : خروج القوم للخبت وهو المطمئن من الأرض . (٩) أمّ الكواكب : الشمس . (١٠) الرُّهنان : اسم موضع ولعله مشهور بقنان جباله . (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلة الجبل .

٦٧ يَجزيك عن كسبِ العلاءِ وحبِّهِ ... ما تَنطقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِها (١)
وتردُّ أعراضَ الكرام كأنها ... يمنيَّـــةٌ تختالُ فى حِبَراتِـها (٢)
ثَمَنا لودِّك، إن يكن ثَمَنًا له ... بذلُ القوافى فيك مكنوناتِها
تسخو به لك من نَخيلةِ سرها ... نفسٌ ترى بك ما ترى بحياتِها

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بها الى أبى قَوامٍ ثابتِ بنِ علىّ بن مزيدٍ يتنجَّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصيمایَ من "ظمياءَ" واشٍ وشامتُ ... وحظَّاى مظنونٌ لديها وفائتُ
وقلبى لهـا وحشيَّةٌ ضلَّ خشفُها ... تُطاوِلُ تَبغيـهِ الرُّبا وتُلافتُ
مضت ليـلةٌ تقتصُّه بعـدَ ليلةٍ ... ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ
تناشدُ عنه النجمَ : أين طريقُه؟ ... تحارفُه طَورا وطَورا تسامتُ (٣)
ولا هو منهـا حيث يُجمَـعُ شاردٌ ... ولا يُرتجى للعَـودِ إن عاد فالتُ
سوى أنهـا مرّت بمـاءِ سُوَيقةٍ (٤) ... سُحَيرا (٥)، ورامٍ بالشريعـةِ بائتُ
عـلى يده للــرزقِ أذلغُ (٦) أحرسٌ (٧) ... وضَلعاءُ (٨) فوها ساعةَ النزعِ صائتُ
يقوتُ شِـعاثًا (٩) مقـترين (١٠) بفضلها ... أطابت له أو جانبتـــه المَقاوتُ
فمـا رابهـا إلا دمٌ ونُـوَيرةٌ (١١) ... ومنتقيَاتٌ (١٢) ـ من عظامٍ ـ رفائتُ

(١) الصُّمات : لغة فى الصُّموت وهو السكوت . (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حِبَرة : ضرب من برود اليمن . (٣) تسامت : تقابل وتوازى . (٤) سويقة تصغير ساقية .
(٥) سحير تصغير سحر . (٦) الأذلغ : متشقق الشفتين ويريد به السهم ، وفى الأصل "أذلع" .
(٧) الأحرس : القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرْس أى الدهر . (٨) الضلعاء : القوس المعوجّة .
(٩) شعاثا : غُبر الرءوس . (١٠) مقترين : معسرين . (١١) نويرة تصغير نار .
(١٢) منتقيات : أُكل نِقيُها وهو مخُّها .

فعادت تُماشى اليأسَ موضعَ ظلّه ولِلحَيْن ـ لو أغنى الحِذارُ ـ مَواقتُ
وخبّرنى السُّفّارُ أن قد تبدّلت فقلت : حديثٌ مضحِكٌ وهو كابتُ (١)
أسدَّ مكانى فى الهوى من تعوّضتْ ؟ مـدًى وأبيها بيننا متفاوتُ !
أمِنْها خيالٌ والجُنوبُ خوافقٌ بجانب "خَبْتٍ" (٢) والجفونُ خوافتُ ؟
طوى الليلَ نجمًا وهو يستثقلُ الخُطا بساهـلةِ الأرداف ثم يعانِتُ (٣)
فبتنا به فى ضَوعـةٍ وإنارةٍ وبانُ "اللوى" خزيان والبدرُ باهتُ
نرى أنّ فأرَ (٤) المسك تحتَ رحالنا فتائـقُ من أردانه وفتائتُ
سل الخِيمَ (٥) بالبيضاء من جانب الحمى : أتُجمَعُ أوطارى بكنّ الشتائتُ ؟
وهل لطريدٍ سلّه الدهرُ مُدرَكٌ فتُعقَلَ لى ليلاتكنّ الفَـلائتُ ؟
اذ العيشُ حىٌّ والزمانُ مراهق فـتًى وريحانُ البطالةِ نابتُ
تلوّنَ رأسى صِبغَتين فَميّتٌ وذو نبّـةٍ أو لاحـقٌ متماوتُ
وأمست على أيدى الغوانى حبائلى وهنّ بأطـراف البنان بتائتُ (٦)
وما الدهرُ إلا داءُ هـمٍّ مماطل مدى العيش أو خطبٌ هُجومٌ مُباغِتُ
عذيرى من الإخوان لا أستشِفُّ من قلوبهمُ مَـنْ وامقٌ لى وماقتُ
خِفافا الى ما ساءنى فمُصالتٌ (٧) به أو مُداجٍ ، كيف لى لو يصالتُ ؟
جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لىَ منهُـمُ وفى الناس أجساما قلوبٌ عَفارتُ
وعلّمنى نَبـذى لهـم وتوحُّدى بنفسِىَ أنّى فى التكثّر غالتُ (٨)

(١) كابت : محزن . (٢) خَبْت : من قرى "زبيد" باليمن . (٣) يعانت : يشقّ عليه .
(٤) الفأر : النافجة وهو وعاء المسك . (٥) الخيم : اسم جبل . (٦) بتائت : مقطوعة .
(٧) المصالت : المضارب بالسيف . (٨) الغالت : الذى يغلط فى الحساب وقيل : الغَلَتُ فى الحساب ، والغلط فى القول .

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه جَفاءُ السُّمِى[١] والسنونَ السوانتُ[٢]،
توغَّل يرجـوها وتُخلف ظنَّـــه مَنابـعُ أكـدَى ماؤها ومَنابتُ :
الى أين ؟ وآبن الغاضرية[٣] شاهـدٌ يغـرُّك نجـمٌ أو يدلُّك خارتُ[٤]
تلقَّ الحيا من جَوِّه وآرعَ روضَـهُ تَدرّ العجافُ أو تعيش المَوائتُ
ألا إنما بدرُ السماءِ آبن شمسها وبدرُ بنى "عوف" على الأرض ثابتُ[٥]
فتًى، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ ولا معَ فرط الجود للسنِّ ناكتُ[٦]
يبيتُ خميصا جنبُـهُ ووسادُه وطارقُهُ خِصـبا كما شاء بائتُ
اذا الليلةُ الطُّولَى أمرّتْ وأيبستْ فللضيف منه مُتمِرُ الليـلِ رابتُ[٧]
تَرى مالَه ما سـلَّه الجودُ لا التى تناعرُ[٨] حوليها الحداةُ المَصاوتُ
رخىُّ البنانِ فى النوائب كلّما أضبَّ[٩] على المال الحسيبُ[١٠] المباكتُ[١١]
تَهادَى نساءُ الحىِّ وصفَ حنانه وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ[١٢]
ترى الحلمَ مشـحونا وراء ردائه اذا مرَّ ينزو الطائشُ المتهافتُ
فهل مبلغٌ عنى "خُزيمَةَ" ما وعى حصاها البديدُ أو رباها الثوابتُ ؟ : ٦٨
وَقَى لكِ مجدا ما تَعُدِّين فى "أبى قوامٍ" اذا خان الفـروعُ النوابتُ
ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ، ومثلُه قليـلٌ وأُمّاتُ الصقور مقالتُ[١٣]
سبقتَ فـلم يعلَق غبارَك جامحٌ وفتَّ فـلم يملكْ صِفاتِك ناعتُ

(١) السمىّ جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضريّة نسبة الى "غاضرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أَخرات المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفيّة . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكت : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبىّ بيده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبّ على المال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المَصالت جمع مِصلات وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرَّبك الأعداءُ غمزا وهِزّةً … فما خدَشتْ فى مَروتَيك النواحتُ
فداك صديقٌ وجهُهُ، وفؤاده … مُعادٍ على دين المعالى مُعانتُ
يريك الرضا والغِلُّ حشو جفونه … وقد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ
طوَى بغضةً فى جفنه فهو باسمٌ … وفى فيه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ(١)
أهبتُ بشِعرى فانبرت لك عيسُهُ … بما حملتْ وهى الخُضوعُ الخَوابتُ
فعادت بما أرعيتَها، ولِبَانُها(٢) … طَواعٍ(٣) على لىِّ الحبالِ ضواغتُ(٤)
ونادتك لُغواتُ(٥) السؤال فأفصحت(٦) … يداك وأيدى المانعين صوامتُ
وأوسعتنى مالًا أتى لم تَخُض له الـ … ـدياجى ولم تَنفُض عليه السَّبارتُ(٧)
وخُلقًا كما شعشعتها ذهبيَّةً … "ببابلَ" أهدتها اليك الحوانتُ
ولم تك ـ حاشا مجدِ نفسك ـ كامرئٍ … تَصامَمَ عنّى وهو للمدح ناصتُ
وقومٍ كأن الشِّعر فيهم بليَّةٌ … أعرّت(٨) وعافتها الأكفُّ الزوافتُ
فكن سامعا ما امتدّ باعُك فى العلا … وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شامتُ
ثناءً، فمُ الراوى عليك مسلِّمٌ … به ومصلٍّ الشكر باسمك قانتُ
تزورك منه فى أوانٍ فروضها … قوافٍ لها عند الكرام مَواقتُ
يُفِدْنَ الغنى أضعافَ ما يستفدنَهُ … وهن بقايا والعطايا فوائتُ
أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى … فما أنتِ إلا المقبلاتُ اللوافتُ
فلست أبالى مَن تزيَّل ركبُهُ … "وثابت" لى على المودة ثابتُ

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لِبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك بأسنانها ونواجذها ، وفى الأصل "طواعت" . (٥) لُغوات جمع لُغوة كغُرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل "فأصبحت" ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سُبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أى جاءت بالعرّ وهو الجرب .

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكَرَّم بعد انقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حماها بأطراف الرماح حُماتُها — فلا حَفلُها منّا ولا خَلواتُها
وذبّب عنها من "عُقَيلِ بن عامرٍ"(١) — أراقمُ لا تحوى شَباها رُقاتُها
عشيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصّنٍ — يَعِزُّ بنوها أن ترام بَناتُها
معودة طردَ العيوب غيوبُها — اذا حفِظتْ عوراتِها أسَلاتُها(٢)
وحرّم واليها الوُلوعَ بذكرها — وإن عَتَبت أخرى عليها سِماتُها
فهل مغمزٌ فى جانبٍ من ورائه — "سلامةُ" يا قلبى وهذى حَصاتُها(٣)؟
فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى — يُناط كما نيطت بها خالفاتُها
ومثلُك أَسرَى لا يُسام فداؤها — هوانا وقتلى(٤) لا تُساق دياتُها
بلى لكَ منها فى الكرى إنْ وفَى الكرى — وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُها
وليلٍ "بذى ضالٍ" قصيرٍ طويلُه — على البُدْن، تَطوى دَرجَه ناجياتُها
ترى العيسُ فى أجوازه بقلوبها — الى قصده ما لا ترى لحظاتُها
بها من حنينٍ تحته ما بركبها — وإن نطقوا الشكوى وطال صُماتُها
اذا الريح قَرّت(٥) فاستهزّت ضلوعَهم — تصلّوا(٦) بما تُذكى لهم زفراتُها
سَرتْ بنشاوَى من مُعاقرة السُّرى — وسائدُهم فوق الثرى ركُبَاتُها
نضَوا ما نضَوا من ليلهم ثم هوّموا — غِرارا(٧) وقد خاط العيونَ سِناتُها(٨)

---

(١) ذبّب: دافع. (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدقّ اللسان. (٣) الحصاة: العشيرة القوية الكثيرة العدد. (٤) فى الأصل: "قلبى" وهو تحريف. (٥) قرت: بردت. (٦) تصلّوا: استدفأوا. (٧) الغرار: القليل من النوم. (٨) سنات جمع سِنَة وهى فتور يتقدم النوم.

علـى ساعةٍ جنُّ الفـلاةِ ووحشُها ... تريها الشـخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُها
تخطَّت الينا "الغَورَ فالعرضَ فالحمى"(١) ... وما ذاك مَمشاها ولا خُطُواتُها
فبتنا لهـا فى نعمةٍ شكرتْ لهـا ... وما هى جَـدواها ولا أعطياتُها
عواطفُ دُنيـا فى الكرى لو أردتُها ... علـى مثلها يقظانَ عزَّ التفاتُها
فـلم أرها وعنـد قومٍ أداتُها ... من العيش إلا وهْىَ عنـدى أداتُها
سـقى الله شرًّا دوحةً لى سَـيالُها(٢) ... وللنـاس مُلْقَى ظلِّهـا وجَناتُها(٣)
ولودا، ولِى من حظِّها بطنُ حائلٍ ... معنَّسَـةٍ(٤) شابت وشابَ لِداتُها ٦٩
أغامز منهـا صخرةً "إرميَّـةً"(٥) ... تفُـلُّ النيوبَ وهى جَلْدٌ صَـفاتُها
وكيف تسـامُ النَّصْـفَ أمُّ تلوَّنتْ ... مَعارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُها
تُرِى الوكَلَ المغـمورَ كُحْلَ لحاظِها ... وكُحْلُ أخى الهـمِّ البعيـد قَذاتُها
هوت برءوس الناسِ سُفْلًا وحلَّقتْ ... بأذنابهـا مجنـوبةً طائراتُها
فعنـدك منهـا أن ترى بِبُغاثِها(٦) ... كواسبَ جوٍّ حُصَّ(٧) فيه بُزاتُها(٨)
ركبتُ من الأيّامِ ظهـرَ ملوِّنٍ ... صبائغَـهُ(٩)، والخيـلُ شتَّى شِياتُها
وقلَّبتهـا يوما فيـوما مجـرِّبا ... فـلا سوءُها يَبـقَى ولا حسناتُها
سأحملها حـتَّى تخِفَّ وُسُـوقُها ... وأحلُمُ حـتى ترعوِى جَهَـلاتُها
لعـلَّ مميتَ الحـظِّ يُحييه آنفًا ... فإنَّ الحظوظَ موتُها وحياتُها
فلا يؤيِسَـنْكَ صـدُّها من وصالها ... ولا مَطلُها من أن تَصحَّ عِداتُها
ألم ترَ مُلكَ "المكرَّمين" نارُهُ ... خبت غَلَطا ثم اعتلتْ وَقَـداتُها

(١) الحمى وماقبله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم ، والمعنَّسة : التى طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرمية نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) فى الأصل "صبائعه" .

هفا الدهرُ فيهـم مستغرًا بغـيره — فخاضـوا وشاكـت رِجلَه عثراتُهـا
بغى نقلَ ما أُعطُوا سـفاهًا ولم تكن — هضابُ "شَرَوْرَى"(١) زائلا راسياتُها
هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها — جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُهـا
علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعَمُ بحرُها — فيطغَى وفى "بغدادَ" يجرى فُراتُهـا
حمى "ناصرُ الدين" العلا بعد من مضى — فضُمّتْ قواصيـها ولُمَّ شَـتاتُهـا
وأضحى "بتاج الدولة" العـزُّ مفـرِقا — لهـا، تتلظَّى فوقـه خَرَزاتُهـا
وإن فروجا سدَّها مثـلُ سعيه — لضيِّقةٌ أن تُرتجى خَطَفاتُهـا
رعاها أبو الأشـبالِ حتى دنا بهـا — لهـا من شميمِ سَرحِها حسراتُهـا
أخـو عزماتٍ لا يُراع صـديقُها — — كما لم ينم — ولا تنام عُداتُهـا
كريمُ المحيَّـا رطبـةٌ قَسَماتُه — اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُهـا
على الصدرِ منـه هيبةٌ تملأ الحشـا — ممـرَّرةٌ، أخـلاقـه مُحلياتُهـا
ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ — وما الحـرب إلا سـيفُها وقَناتُهـا
كريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها — لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُهـا
اذا آعترضَتْهُ هِزَّة الجـود ساكنا — نزت بالنـدَى فى كفِّه نَزَواتُهـا
أفاد النـدَى فـلم تزل برياضـه — رياحُ العـلا أو صَوَّحت شجراتُهـا
من القوم فضُّوا عُذرة الأرض سادةً — وشابت وهـم أربابُها وولاتُهـا
فمن حلمهـم أركانُها وجبالُها — ومن جودهـم أمواهُها ونباتُهـا
وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـه — وجاءت به من دولةٍ فَلَتاتُهـا
ولا كذبا طارت به الريح طـيرةً — فأقعصه أن طاطأتْ عاصفاتُهـا
تقيلتُهـم والنفس يَكرُمُ أصلُها — على عِرقها السارِى فتكرُمُ ذاتُهـا

(١) شرورى : اسم جبل .

بك اهتزّ فرعاها وأينع ظلُّها ... وطاب جَناها وانتهت بَرَكاتُها
جمعتَ لها شُذّانَ[1] كلِّ فضيلة ... تعزّ على من رامها مفرداتُها
فمن كان من قوم سَفًا[2] فى أديمهم ... وزعنفةً[3] تُزرى فأنت سَراتُها[4]
لئن عَركتْ فى جنب طودك نبوةٌ ... من الدهر لا تُمحَى بعذرٍ هَناتُها
وهزَّ العدا من حسن صبرك صعدةٌ ... فقد علموا بالهزّ كيف ثباتُها
وما كنتَ إلا الشمسَ، لِثَتْ جَهامةٌ ... على خدّها ثم انجلت غاشياتُها
تنصَّل منها الملكُ لمّا تبيَّنتْ ... لعينيه أُخراها ومعتقباتُها
وأبصرها شنعاءَ يبقَى حديثُها ... ذميمًا ولا تبقَى له عائداتُها
فردّك ردَّ السيفِ فى الغِمدِ لم تُعِب ... مَضاربُهُ إن ثُلِّمتْ شَفَراتُها
فكيف يَليقُ الحسنُ أوجُهَ دولةٍ ... اذا عدِمتْ تيجانَها خَرزاتُها
رعى الله نفسًا لا الغنى زادها عُلًا ... ولا فقرُها حُطَّتْ له درجاتُها
معظَّمةً فى حدّها وسنانها ... وسلطانها لا ما حوت مَلَكاتُها
اذا قزعتْ[5] يوما من الدهر نكبةٌ ... اليها، عَسَتْ[6] فلم تُسِغْها لَهاتُها
وأنت الذى تُعطى ـ وعامُك أشهبُ ـ ... عطاءَ رجالٍ خُضِّرتْ سنواتُها
مع الجود أنّى مِلتَ غيرَ مصرِّفٍ ... يمينَك إلا حيثُ شاءت عُفاتُها
أقلنى أقلنى جفوةً ما اعتمدتُها ... وهجرةَ أعوامٍ خلَتْ ما ابتدأتُها[7]
وسعيًا بطيئا عن مقامى من العلا ... لديك إذا الأقدام فازت سُعاتُها
فما كان إلا الحظُّ منكم حُرمتُهُ ... ودنيا كثيرٌ بالغنى فلتاتُها
تريد بنفسى كلَّ ما لا تريده ... وتمنعها ما تقتضى شهواتُها

(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفى الأصل "شفى" .
(٣) الزعنفة : طرف الأديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أسرعت .
(٦) عست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ابتدأتها .

وإنّي لكم ذاك الذى لا حبالُه ... تَرِثُّ ولا يُخشى عليه انبتاتُها(١)
مقيمٌ على نعمائكم حافظٌ لها ... مُضِبٌّ(٢) على ما أوجبت حُرُماتُها
يُنقّلُ قوما قربُهم وبعادُهم ... ونفسى لا تهفو بها مُبْدِلاتُها
تحنُّ الى أيامكم فى ذراكُمُ ... وتحفزها من عهدكم مُذكِراتُها
وعندى لكم ـ إن أسخطتكم سوالفى ـ ... عوائدُ، تُرضى مجدَكم آنفاتُها
تسيرُ على عاداتِها بِصفاتكم ... طوالعَ تمشى بالعلا مُثقلاتُها
نوازلَ فى عرض الفلا وصواعدًا ... تُرَدُّ على رَوْحاتها غُدُواتُها
تُخالُ هواديها بنشرِ علائكم ... بُرودَ "زُبَيدٍ"(٣) نُشِّرتْ حِبَراتُها
يَقُصُّ بها تحت الظلام سميرُها ... وتَرجُزُكم وجهَ النهارِ حُداتُها
تَطرَّبُها الأسماعُ فيكم كأنما ... عزيفُ الملاهى ما تقولُ رواتُها
كأنَّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها ... بنو نشوةٍ دارت عليهم سُقاتُها
مبشِّرة أيامَكم باتصالها ... تُرى الحسنَ قبلَ أن تُرى أخرياتُها
خوالد ما لبَّى الحجيجُ وطوَّفوا ... وعَجَّتْ بسفحَىْ مكّةٍ عرفاتُها
وما عقروها واجباتٍ جُنوبُها ... تَفَجَّر من لَبّاتها فاجراتُها
تزوركم الأعياد مجلوَّةً بها ... تحلَّى بما صاغت لكم عاطلاتُها
اذا لَعَنَتْ قوما لئاما فإنما ... على ذكركم تسليمُها وصَلاتُها

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفو لِعُلوىِّ الرياح اذا جرَتْ ... وأظنُّ "رامة" كلَّ دارٍ أقفرتْ
ويشوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا ... يَصِفُ الترائبَ والبروقَ اذا جرتْ

(١) الأنبتات: الأنقطاع. (٢) المضبّ: الحريص. (٣) زبيد: اسم موضع.

متعللاتٍ بعد طارقةِ النوى ... أو أبرأت داءَ الجوى أو علّتْ
يا دِين[١] قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" ... مَكَرَتْ به فقضتْ عليه وانقضتْ
ومَضاجِعٍ "بالنَّعْف" بات يعدُّها ... غُنما وأصبح ودُّه لو لم يبِتْ
ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها ... فى الحسن ماثنَت الصليفَ[٢] ولا رنتْ
بيضاءَ من كِلَلِ الخدور وربّما ... ذُكرتِ بداوةُ قومِها فتسهّمتْ
أخذَتْ وأعطتْ من ضياء الشمس ما آحـ ... ـتكمت بجُمعتِ الجمالَ ووفّرتْ
وكأنما وَلِيَتْ خطائطَ وجهِها ... يدُها فجاءتْ فى الكمالِ كما آشتهتْ
ملكت على باناتِ "جوٍّ"[٣] أمرَها ... فلها الإمارةُ ما آستقامتْ وآنثنتْ
فاذا أرادتْ بالقضيبِ مَساءَةً ... وتنقّمتْ جُرما عليه تأوّدتْ
سنحتْ لنا دون الغدير فما سَقَى ... صفوُ الغدير وعذبُه مَنْ أعطشتْ
ورمتْ فلولا أنها ثُعَلِيَّةٌ[٤] ... قُلنا : رأت ثُعَلًا رمى فتعلّمتْ
غَدرتْ فلولا أنّها نَذرتْ دمى ... لم تعرفِ النَّذر الذى فيه وفَتْ
وعلى "النقا" والعيسُ تحفِرُ فى النقا ... أخفافُها من ثِقلِ ما قد حُمِّلتْ
حلَفتْ على قتلى فلمّا أن رأت ... بدَماىَ باقيةَ الرِّماقِ تأوّلتْ
أبشر فانك فى الحياةِ مخلَّدٌ ... يا من رأى يومَ "القليب" ولم يَمُتْ
وتشرّفَتْ[٥] لتشبَّ جمرةَ صدرِهِ ... بنتُ الأراكِ[٦]، وهل تُشَبُّ وما آنطفتْ؟
وُرقاءُ ذكَّرها الحُداةُ هوًى لها ... طارت ألائفُها[٧] به فتذكّرتْ
هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنّمتْ ... من فوقِها مالت بها فترنّحتْ

(١) الدين الداء ومنه * يادِينَ قلبِكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصليف : عرض العنق .
(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نسبة الى ثعل وهو أبو قبيلة مشهورة بالرمى .
(٥) آرتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريد بنت الأراك "الحمامة" . (٧) الألائف : الألّاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهوى ... شيءٌ لضُعفٍ أو لمرحمةٍ نجتْ
ولقد طربتُ كما حزنتُ لصوتها ... فشككتُ هل غنّت بشجوٍ أو بكتْ
قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَلٍ ... حملَ الأمانةَ هضْبةً أو أُدّيتْ
وٱجهرْ بصوتك للتى لو خاطبتْ ... فى السرّ أوعالَ القِنانِ لأسمعتْ
(٧١) وقلِ التحيةَ والسلامَ وحاجةً ... من بعدِ أن خابت وإن هى أُنجحتْ
يا أختَ "سعدٍ" فيمَ باتَ معذَّبا ... قلبى عليكِ كأنما عينى جنَتْ؟
رُدّى الفؤادَ علىَّ فهو وديعةٌ ... مضمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ
إن كان ظنُّك بالخيانةِ والقِلَى ... أن يشمتَ اللاحى عليك فقد شَمِتْ
وعميّةِ الأوضاحِ خرساءِ الصدَى(١) ... عَشِيَتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ
مَرَدَتْ على عينِ الدليلِ ورأيِه ... فتخالُه فيها أضلَّ بما خرتْ(٢)
تتغايرُ البَوْغاءُ(٣) تحتَ شميمِه ... فيها ويُنكِرُ صوتَه والمُلتفَتْ
مركوبةٍ، جَوْبُ المهارى جوَّها ... غَرَرُ المقامرِ فيه أخْستْ أو زكتْ(٤)
وإذا الركابُ ٱستيأستْ فى جهلها ... كيفَ النجاءُ توكّلتْ وٱستسلمتْ
داوستُها أبغى العَلاءَ بهمّةٍ ... لو شاورت أمَّ الشقيق لَمَا سمتْ
تغلى على الكرماء تنفضُ منهمُ ... طرقَ المَطالبِ أسهلتْ أو أحزنتْ
ووراءها ـ لولا المطامعُ منهمُ ـ ... قُرباءُ لو قنعتْ بهم ما أبعدتْ
نبّهْ بنى "عبدِ الرحيم" ولا تُبَلْ ... معهم عيونَ الدهرِ كيف ٱستيقظتْ
وٱستفتهم فى المجدِ تسألْ أنفسا ... لَقِنتْ على جهلِ الورى وتفهّمتْ
خَبُثَ الترابُ وما عليه، وماؤها ... شرفٌ فطابت وحدَها وتطهّرتْ

---

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء". (٢) يقال: خرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها. (٣) البوغاء: ما يثور من الغبار. (٤) أخست أو زكت: لعبت بالفرد أو بالزوج.

فكأن زاكِي عِرقِها لم يُسقَ من	ماءِ الزمانِ وفى ثـراه ما نبتْ
قـومٌ اذا حدَرَ التناكرُ لُثمَهمْ[1]	وجلا الصِّـفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ[2]
كفرتْ وجوهُهم البدورَ وآمنتْ	لأكفِّهم أيدى السحابِ فكَفَّرتْ
شفعوا العلاء تليـدَه بطريفـه	فتقـدّمت عليـاؤهـم وتأخَّرتْ
ولدتهـم الأرضُ التى قـد أجمعتْ	فى الأكثرين فأكيستْ[3] وتجبَّتْ
جاءت بهـم وهى الوَلودُ كأنّهـم	غُرباءُ جاءوا فى العـقامِ أو القَلَتْ
متواردينَ على العَلاء كأنّهـم	ضربوا له ميقاتَ يـومٍ لم يُمُتْ
راضـوا الأمورَ، فتيُّهم كمسنِّهم	سَوْمَ الكعوبِ تلاحقتْ فتنظَّمتْ
شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا	لـولا صنيعـةُ نفسِها ما فُضِّلَتْ
جُوفًا[4] ترى الصمَّ الصـعابَ وراءها	فى الحرب تقفُو ما حذَتْ أو مثَّلتْ
كتبوا على شهب الطروس لنا كما	طَعنوا على الخيـل الوِرادِ أو الكُمُتْ[5]
والجالسُ القـوّالُ منهـم آخذٌ	منهـا بأنفاس الشـجاع المنصلتْ
خذ من حديثِهمُ حديثَ قديمهم	وٱعجب لأطراف العلا كيف ٱلتقتْ
وٱسأل "زعيم الدين" عمّـا خلفـه	من مجـدهم فهو الشهادة والثَّبَتْ[6]
قمـرٌ هو المِـرآة عن أحسابهم	مهما رأت ممّـا يقابلها حكتْ
أدَّى فروضَهـمُ وسَنَّ نوافـلا	فى المجـد تممت الفروضَ وكمّلتْ
فضحَ السـوابقَ مالكٌ أشـواطَه	جارَى الرياحَ فخُلَّ عنـه وقُيِّدَتْ
وتقـرّطت أيامُـه بيتيمـةٍ	منـه صفَتْ للناظرين وأشرقتْ

(١) لُثم جمع لثام . (٢) تحسرت : تعرّت . (٣) أكيست : ولدت أولادا كَيْسَى أى ظرفاء فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُمَيت وهو الفرس فى لونه كُمتة أى حمرة مشوبة بسواد . (٦) الثَّبَت : الحجّة .

لم يدرِ جهدُ الغائصين وكيدُهم … من أىّ أصداف البحار آستُخرِجتْ
قد جوّلوا فيها الظنونَ وأكثروا … بالخوض لما آستُغرِبتْ وآستُعظِمتْ
قالوا : من البحر المحيط تصعّدتْ … لا ! بل من الفلكِ المحيط تنزّلتْ
بيضاء ملء يد المنى ملمومة، … مَلَكَ المنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ
يا جامعَ الحسناتِ بعد شذوذها … مِزَقًا(١) وموجدَها أوانَ تعذّرتْ
ومقطّر الأقران عن صَهَواتِ ما … رُبطتْ من الرأى الأصيل وضُمّرتْ
كم واثقٍ منهم بعِصمةِ رأيه … وحسابِهِ من هفوةٍ أو من غَلَتْ
ضايقتَه حتى أقرّ بعجزه … لما وضعتَ له يديك على النُّكتْ(٢)
ومُنطّقٍ ظنَّ البلاغةَ آيةً … نُصبتْ له علَمًا وشخصا صُوِّرتْ
قال الكثيرَ موسّعا لَهَواتِه … عُجْبا فلمّا قلتَ واحدةً سكتْ !
حَسِب الفصاحةَ فى التشادقِ وحدَه … ما كلُّ ما وُصِف الأسودُ به الهَرَتْ(٣)
وأرى الوزارةَ مذ حَملتَ لواءَها … نُصِرت على فشل الولاة وظُفِّرتْ
ساندت فيها ما عليك صلاحُهُ … وفسادُه إن أَصلحتْ أو أُفسِدتْ
ثنّى أخوك أخاك فيها مُسهِما … وبُعثتَ ثالثَها الذى بك عُزِّزتْ ٧٢
أنتم فوارسُها المذاودُ دونها … إن حوربت وملوكُها إن سولمتْ
وظهوركم لصدورها مخلوقةٌ، … مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ
نُصبتْ لكم وتمهّدتْ فمتى طرا … من غيركم طارٍ(٤) نَبَتْ وآستوحشتْ
هى مِلكُكم فمتى آستُعيرت منكمُ … لتجمّلٍ وأردتموها آسترجِعتْ

(١) مزق جمع مِزقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة أخرجت بدقة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : آتساع الشدقين . (٤) طار : يريد "طارئ" .

أبناء نِسبتِها وأبعُلُ[1] عُذْرِها[2] … وإذا عَدَتكم أعزبت وتأيَّمتْ
تَفدى "أبا الحسنِ" الترابَ وطئته … قِمَمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ علت
ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَه، … نفسٌ لعمرك ضَلَّةً ما سَوَّلتْ
لو ثاقلوك به وأُلقِىَ "يَذبُلٌ"[3] … معه لكانت قِسمةً ما عَدَلتْ
أغنيتنى بك عن سواك فلم أُبَلْ … فُتِحت أناملُ معشرٍ أو أُقفِلتْ
وسُقِيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى … بأسا ببارقةٍ همَتْ أو أخلبتْ
وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم … تَشُبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ
أنكرتُ ودَّ أخى وعهدَ أحبتى … وكريمُ عهدك طينةٌ ما أخلقتْ
فمتى طَلبتُ من الزمان سواك أو … شَرْواك[4] فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ
ولترُضِينَّك ما سمعتَ نواهضٌ … بالشكر لم تخَفِ اللغوبَ ولا وَنتْ
يقضين ما أسلفن من أيدى غِنًى … وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ
يَغنَى بها العرضُ الفقيرُ وإن رأت … عِرضا غنيًّا زيَّدته وأثّلتْ
ريحانة ما آستُنشِقت أرواحُها … وسلافة تُصحِى اذا ما أسكرتْ
تقضى على الألباب أين خلاصها … من شَوبها ما آستُحظِيت أو أُلغِيتْ
ضَجَّتْ منابرُها بدعوتها لكم … فلو آدعت بكم النبوَّةَ صُدِّقتْ
إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا … حلّته أو تَفِلَ[5] النواحى عطَّرتْ
والمهرجان وكلّ يومٍ عادكم … فى لطفه مما كستْ أو زخرفتْ
فتملَّها وتملَّه متلوَّةً … ومُقابَلًا ما كرّ أو ما أُنشِدتْ
حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها … والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

(١) أبعل جمع بَعْل وهو الزوج . (٢) عُذْر جمع عذراء وهى البكر . (٣) يذبل : اسم جبل .
(٤) الشروى : المِثل . (٥) التَفِل : المنتن الريح ، وفى الأصل "نقل" وهو تحريف .

قافيـة الجيم

بعد خلو حرف الثاء

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى منصور بن ماسرجيس ، وقد ورد من سفرة كان أبعدَ وأطال أمدَها وآتفق إنفاذُه إيّاها اليه فى المهرجان الواقع فى جمادى الأولى من سنة تسع وأربعمائة

لِمن الحُمولُ سلكن "فَلْجا"(١) يَطلُعنـه بُجًّا ففجّا ؟

يخبطن بالأيدى الطريـ ـقَ فما يكدن يجدن نَهجا

سُـودٌ بما صبغ الهجـ ـيرُ جلودَهن الحمرَ وَهْجا

من كلِّ حاملةِ الهلا لِ(٢) بنَى عليها البينُ بُرجا

بيتا يسير وفيه قلبـ ـك فهو جسمك خيل حِدْجا(٣)

لك من وراء سجوفه ـما أوسعتها الريحُ فَرْجا

رحٌ ونصـلٌ لا كما سمَّوهما هَيَفا(٤) وغُنْجا(٥)

كالبَيْض لم تلجِ السما ءُ كِنَّهنّ فلُحنَ بُلْجا

لما أَنِسنَ من الظلا م رفعنَ لى فنظرنَ سُرْجا

وعلى الطليعة فاردٌ(٦) كالرئم خافَ فرام مَلْجا

خالستُ قُبلتَه الوشا ةَ كما آدغمت الحرفَ دَمْجا

ففتحتُ عن غُرٍّ(٧) تمـ ـجُّ المسكَ والصهباءَ مجّا

---

(١) فلج : اسم بلد . (٢) الهلال : ما آستقوس من البعير عند ضمره . (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء كالهودج . (٤) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . (٥) الغنج : الدلال . (٦) الفارد : المتفرّد . (٧) غرّ : بيض .

٧٣ لو لم تكن مخلوقةً للرشفِ لم يُخلقن فُلْجا
ومؤاخذٍ أن حرتُ يو م وداعهِ والبينُ يَفْجا[1]
لو كان خاصمني بعيـ ـشي وحده كان الأحجا
وبسيطةٍ دون العلا ءِ نفضتها نشرا ودَرْجا
كلَّفتُ حاجاتي بها مَرِحا يرى التغرير أحجى
وأخٍ صفوتُ كما صفا ومزجتُ لمّا شاء مزجا
رمتُ التمام لودّه وأراد إجهاضا وخَدْجا[2]
أمعِي هزيلا ثم أنـ ـت عليَّ إن أعطيتَ نَفْجا[3] ؟
ومفارقٍ لى "كابن عيسى" غمَّ أيامى وأدجى
راودتُ قلبي عن نوا ه فكلّما لاطفتُ لجّا
وحملتُها كالداء أشـ ـرُجُ فوقه الأضلاعَ شَرْجا
متنظرا هذا الإيا بَ لعُرّها كيًّا ونُضْجا
فإن انتصرتُ بقربه فلقد صبرتُ وكنتُ مُلْجا[4]
أو عُدنَ أيامى الحسا نُ به فقد أسلفن سُمْجا[5]
يابن الوزارة أثبتتْ فى بيتهِ وتدا أشجّا[6]
أبلَى وأخلقَ قومُهُ أثوابَها فورثنَ نُهْجا[7]
يتنقلون على مرا كبها فما يضعون سَرْجا
ومشت أمورٌ بعدهم بتعاشرٍ فمشين عُرْجا

(١) يريد "يفجأ" أى يباغت . (٢) الخدج : إلقاء ولد الدابة قبل أيام تمامه .
(٣) النفج : فخر الإنسان بما ليس عنده . (٤) يريد "ملجأ" . (٥) سمجا : قباحا .
(٦) الأشج : المشجوج الرأس . (٧) نُهجا : بالية .

من آل "ما سرجيس" محـ … ـسودُ العـلا يُخشَى ويُرجَى
متقيِّـلٌ فى المجـد سُنَّـ … ـةَ مغرمين به أَلَجَّا (١)
جارين ســدَّ الجوَّ شَـو … طُهُمُ وشـقَّ الأرض رَجَّا
فصـلُ الخطـابةِ ناطقٌ … ما قال إلا كان فَلْجا (٢)
مسـتردفا يـدَه وأخـ … ـرسَ عجَّ فى القرطاس عجَّا
كالرمح أُرهِفَ صـدرُه … وكعوبُه نصْـلا وزُجّا (٣)
هـذا يمجُّ بما يخُـ … ـطُّ دمًا وذاك يخُـدُّ دَرْجا (٤)
مَلَكَ السماحُ يديـه، يمـ … ـرُجُ فيهما العافين مَرْجا (٥)
مغـرًى بأثقال النـوا … ل يخالها دَيْنا وحَرَجا
سـوَّغتنى ودًّا غـبر … تُ برَنْقِهِ (٦) غصَّانَ أشجى (٧)
وسحـرتنى بخـلائق … كنَّ العيون فكنَّ دُعْجا
فلتطرقنـك ما بكـر … ن غواديا وسرين دُلْجا
زُهرٌ كـثابتـة النجو … م سوائرٌ يهدجن هَدْجا (٨)
موسـومةٌ بك أنك الـ … ـمقصود فيهنّ المرجَّى
ما أُنشـدتْ خِلتَ البرو … دَ عُرِضن تفـويفا ونَسجا
وسـواك يسمعها فيحـ … ـزن سمعُه من حيث يُشجَى (٩)
يـرتاب منهـا بالثنـا … ء كأنه بالمـدح يهجَى

---

(١) ألجّ : ركب اللجّة . (٢) الفلج : الاستظهار على الخصم ومنه المثل «من يأت الحَكَم وحده يفلُج» . (٣) الزجّ : الحديدة التى فى أسفل الرمح . (٤) الدرج : التزام المحجّة فى الكلام . (٥) يقال : مرج الدابّة : أرسلها ترعى فى المرج ومرج بمعنى خلط أيضا . (٦) الرنق : غير الصافى . (٧) أشجى : أغصّ . (٨) يهدجن : يمشين فى ارتعاش . (٩) يشجى : يطرب .

خادعتُــه فأضــرَّ بى ... غِشى، وكان الصدقُ أنجى
فتملَّها ما راح ســر ... حُ أو رأيتَ البيتَ مُجَّا

قافيـــة الحاء

وقال يهنئ أبا منصور يَزْدَانْفادار(١) بالنيروز

أشوقا ومَن تهوَى خلىُّ الجوانح ؟ ... لك اللهُ مِن وافى الأمانةِ ناصح!
فما كلّ عهــدٍ بالسليم على النوى ... ولا كلّ ناءٍ حافظٌ عهــدَ نازح
حبيبُك من خلَّفتَ بين ضــلوعه ... — وسرتَ — فؤادا لا يلين لكاشح (٧٤)
لمَن منزلٌ أنكرتَه فعرفتَــه ... وقــد راح أهــلوه بطيبِ الروائح
خليلَىَّ — والواشون حولى عصابةٌ ... فمن مُسرِفٍ فى لومــه ومُسامِح —
أَجِلْ فى جناب الركب طرفَك هل ترى ... أسى بارحا أو طائرا غيرَ بارح؟
وخلفَ الستور الرُّقمِ(٢) من كان بينُــهُ ... — على طولِ ما استَرتُ حبِّىَ — فاضحى
وهبتُ له عينى وقلبى وإنما ... لعــزّته هانت علىَّ جوارحى
أفى كل دارٍ صاحبٌ أصلحتْ له الر ... عايةُ قلبى وهــو لى غير صالح؟
وخاطبُ شكرٍ يُرخِص البخلُ مهرَهُ ... عليــه فيُمسى وهــو ألأمُ ناكح
أهزُّ بعتبى منــه طودا كأننى ... أريد لأكسو العَــيْرَ(٣) جــلدةَ سابح(٤)
اذا ما عليــل البخل لم يُبرِ داءَه ... مخافــةُ هاجٍ لم يُثِبْ قــولَ مادح
بلى! فى فتًى من أسرتى إن شكرتُها ... منائحُ تُعطيــه حلالا مــدائحى

(١) كلمة فارسية معناها : القاصد وجه الله . (٢) الرقم : التى بها خطوط من قولهم : رقم الثوب أى خططه ومنــه الأرقم وهو الثعبان لخطوط فيــه سوداء و بيضاء . (٣) العير : الحمار .
(٤) السابح : الفرس .

هنيئا لكم يا طالبي سيبِ كفِّه أبيحت قَلِيبا فليفز دلوُ مائح
يُخيِّم غادٍ للسؤال ورائحٌ بساحةِ غادٍ للسماحةِ رائح
صباحُك — والنيروز يجلوه فآنعمن — رأى خيرَ مصبوحٍ، رأى خيرَ صابح
هو الجَذَع(١) فاستقبل به بَكْرَ(٢) عامه وإن كان مما كرَّ فى سنِّ قارح(٣)
اذا وجه يومٍ غيره كان عابسا تبسّم عن ساعاتِ أبلجَ واضح
وعش بين جَدٍّ للخطوب محاربٍ حرىٍّ وجدٍّ للسعود مُصالح
سليما على الأيام طـرًّا، طِوالُها رقاقُ العشايا صالحاتُ المفاتح

✦

وكان بينه وبين أبى الحسين أحمد بن عمر النّهروانىّ — وهو من الآحاد المعروفين المعدودين فى البغداديّين — مودّةٌ ترتفع عن حدّ القرابة، ومجانسةٌ ترفع المنافسة، وتسقط المحاسدة، وفضائلُ تستوفيه الأفراح؛ وكان أبو الحسين أخلَّ بعادته فى مكاتبته، ورأى كتبه عند جماعةٍ من إخوانه، فشقّ ذلك عليه، وآتفق أنه عقد لنفسه عَقدَ نكاحٍ بالنّهروان، فكتب اليه يعاتبه فى الجفاء ويهنّئه بالعَقد

لها بعد خطوٍ لات حين مَراحِ قضاءٌ بوصلٍ غدوةً برواح
وهل هى إلا رقدةٌ فاسمحا بها وحسبكما أن توقظا لسماح
وإلا فسيرُ الريح أسرعُ طِيّةً وكم هبّ لى شوقٌ هبوبَ رياح
أقول لها — والنّهروانُ طريقُها — : هُناكِ آستحى لا زلتِ طيرَ نجاح
ألمّى بها فى السّحب ثم تحفّلى(٤) فسُحّى تحيّاتى بأنضرِ ساح

---

(١) الجَذَع : الجديد وهو من البهائم : ما قبل الثنىّ وسكنت الذال للضرورة . (٢) البكر : الفتىّ من الإبل . (٣) القارح من البهائم : الذى آنتهى سنه . (٤) تحفّلى : تجمّعى .

وقولى : سلامٌ " يابن رَوح " تظنُّه ... صبيبــةَ طــلٍّ فى صُبابَةِ(١) راح
شكوتُ فياللشوقِ أين تصــبُّرى ... ونمتُ فيا لَلّيــلِ أين صباحى!
وغرَّك إسمــاحى فسرّك أن ترى ... اذا عنَّف المقتــادُ كيف جماحى
رعى الله ظبيا سارحا لِىَ رعتَــه ... بنفْــرةِ قلبٍ للعُقــوقِ مُباح
وتوهَبُ للعــذر الصُّراح مودّتى ... لديك وبعض العُــذر غير صُراح
رسائلُ تعــدونى وكُتْبٌ تجوزنى ، ... صــداى على ماءٍ يُذادُ قَــراح(٢)!
تلوح لعينى كلّمــا مرّ خاطف ... بناحيــةٍ منها بكت بنواحى
بمن ـ ليتَ شعرى وهى ليتُ تعجُّبٍ ـ ... يُردُّ شبابى إن حملتُ سلاحى
أبِن لِىَ هل جاذبتنى فى مودّةٍ ... فعــيّرتنى يا صاحِ عَــيرة صاح
وهــل رمتَ أسبابَ السماء لبغيــةٍ ... فخلّفتَ إلا طائرا بجنــاحى
ســقى الله نفسى كيف يكْرُم عهدُها ... على نفــرٍ ممن أُحبّ شِحاحِ
أروم انتصارا منــك ثم يردُّنى ... هــوًى لم تدنِّســه ملامــةُ لاحى
فأغمِــدُ فى الودّ الحــدادِ(٣) صوارمى ... وأكسِرُ فى الحبّ الســداد رماحى ٧٥
فلا تنكرنْ هــذى العوائدَ إنما ... لسانِىَ ســكرانٌ وقلبِىَ صــاحى
ولا تُلزمنِّى فى العتاب بقيــةً ... فسادُك فيها فاتكٌ بصــلاحى
ولمــا أتانى ما أقــرَّ جــوارحى(٤) ... وأبرأ من تلك الهَناتِ جِراحى
خلطتُ التهانى بالتشاكى مُرجّيًا ... بموضعِ جِدّى أن يكون مزاحى
وبعــدُ ! فيــالله أيّة فرحــةٍ ... تخــبّرنى عن أىّ فوزِ قِــداحِ(٥)!

(١) الصبابة : البقيّة . (٢) القراح : العذب الصافى . (٣) الحداد : ذو الحدّة .
(٤) جوارح جمع جارحة وهى العضو . (٥) القداح جمع قِدْح وهو سهم الميسر .

اذا كانت الجوزاءُ للمشـتري حلَّ — وكان قِباحٌ غيرُها لقباح
فما آتفق السعدان حتى تكافآ — أعزُّ بطونٍ(١) فى أعزِّ بِطاحِ(٢)
ولو قيل : غيرُ الشمس سيقت هديةً — الى البـدر لم أفـرح له بنِكاح
فأنتم بنـو مالٍ على الدهر هالك — وقاءٌ لأعراضٍ عليـه صِحاح
شـبابٌ مراجيحٌ(٣) تفرّعتِ النُّهى(٤) — بهم عن شيوخٍ فى الندىّ مِلاح
تعقّبْ غدًا يُمنا وسـعدا بها «أبا الـ — حسين» وسـعيا مؤذنا بنجاح
كأنك بالأشـبال حولك رُبّضا(٥) — ليـومِ رُواء(٦) أو ليـومِ كفاح
صَـباحا صَباحا ! كُلُّ يومٍ بشارةٌ — الى سبعةٍ مثـلِ البـدورِ صِباح

⁂

وقال وأنشدها أبا القاسم بن ممّا فى يوم المهرجان

ماكان سهما غار بل ظبيٌ سنحْ — إن لم يكن قتلَ الفؤادَ فقـد جرحْ
جلبَ الجمالَ يريد أنفسَـنا به — ثمنا فتاجرناه فيـه كما آقـترحْ
أَرِجتْ جِنانَ «السفحِ» فيه بنافضٍ — رُدنيـه عن عَرف الجنان اذا نفحْ
عَرَقُ المجاسـدِ(٧) فاض ماءُ شـبابه — والوردُ أطيب منـه ريحا ما رشحْ
فى جيـده الكافورِ سبحةُ عنـبرٍ — ماكان أغفلنى وليس عن السُّبَحْ
وأَمَا ومِشـيتِه — توقُّـرَ تارة — صلَفًا وأحيانا يُجنُّ من المَـرَحْ —
ومَواعـدٍ لىَ فى خلال وعيـده — مَزجتْ بدمع صبابتى دمعَ القدَحْ،
لأشاطرنَّ هواه جسـمى إن وفَى — ولأبخلنّ على العواذل إن سمحْ

(١) بطون جمع بطن وهو دون القبيلة . (٢) بطاح جمع بطحاء وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصباء . (٣) المراجيح : الحكماء . (٤) النهى جمع نُهية وهى العقل . (٥) ربّضا : جثّما . (٦) الرواء : حسن المنظر . (٧) المجاسد جمع مجسد وهو القميص يلى البدن .

راحت تعنّفُ فى الصِّبا : ما آن أن ... يثنيك عن أَشَرِ[1] الثنَى نَهى القَــرحْ[2]
والخمسُ والعشرون تعـــذرُ فاسدا ... لو ناهزتْه الأربعون وما صلحْ
منّاك ظنُّــك بى غـــرورا أننى ... أصحو، وفى الظنّ المحالُ المطَّرَحْ
كالليث والغمـــرُ استغرَّ بثغـــره ... فـــدنا اليـــه فاستلى عمّا كَلَحْ[3]
"والصاحبِ" التمس الغمامُ تشبّها ... بيديه، لا جَرَم انظرى كيف افتضحْ
جاراهمــا ويكاد يغـــرق فيهـــما ... بالجـــود إلا أنه فيـــه سَـبَحْ
للعـــزّ ما منعَ "الحسينُ" فلم تَنَل ... كفُّ الزمانـــ ، وللمكارم ما منحْ
إنـــ هَمَّ أبصر غايتيـــه بحزمه ... كالطَّرف يُدرِك نورُه أنّى طَـرَحْ
أو جَدَّ فى خطبٍ كفاه ووجهُـــه ... متبسّـــمٌ، فيقول حاسدُه : مزِحْ[4]
كم نعمةٍ لم تُلهـــهِ عنـــ عصمةٍ ... وجمادِ عامٍ لم يعُقهُ أن انفسحْ[5]
ومدامـــةٍ عـــذراءَ بات نديمَهـــا ... وبغارةٍ شـــعواءَ يومئـــذٍ صبحْ
رفقا بجَـــرَّبهُ وقـــل فى ناره ... إن أُضرِمتْ وقد اشتواك بما لفحْ
واهتزَّ كالكلِه فكنت سحيقـــةً ... بددا[6] فأين يكون[7] ركنك إن نَطحْ :
بى أنت، ضجَّ الســـيفُ حتى إنه ... لو كان يومَ يُســـلُّ ذا صوتٍ لَبَحْ
وشكا جوادُك فى الضوامرِ بثّـــه ... لمّا استراحت وهو تحتك لم يُرِحْ
طِـــرفٌ تعـــوّد أنه لو طارد ال ... ريحَ الشَّمالَ عليـــه فارسُـــه بَطَحْ[8]
وأغرُّ يسرج - يوم يَسرَحُ[9] - وجهُهُ ... زُهْرَ الكواكبِ قام فيها أو سرحْ

(١) الاشر : البطر . (٢) يريد بالثنى شرخ شبابه وبالقرح كبره . (٣) كلح ، يقال : كلح وجهه : تكشر فى عبوس . (٤) فى الأصل : "مرح" وهو تحريف و يعينها قوله فى أول البيت "جد" . (٥) فى الأصل " إن انسفح " وهو تحريف . (٦) بددا : متفرقة . (٧) هـــذه الكلمة فى الأصل غير موجودة وقد رجّحناها ليستقيم المعنى و يتّزن الشطر . (٨) يريد بقوله "بطح" : ألقى الريح على وجهها وتقدّمها . (٩) يسرج : يضىء .

ومؤدَّبِ الأعضاءِ لا يهفـو به ... جنباه، ما حسَّ(١) الغـلامُ وما مسحْ

فســواه ما خلع اللجامَ ومدَّ طغـ ... ـيانا وما منـع الركابَ وما رمحْ

ولك المقامُ زأرتَ فيـه، والقنـا ... أجَمٌ(٢)، فهان على عرينـك من نبحْ

والرأىُ أعجـزه الصوابُ فلم يُشِرْ ... فيــه سواك ولو أشار لمـا نصحْ

أمؤاخذى كرما عـلىَّ قضيتُهُ ... إن ضاق عنه لسانُ شكرى أو رزحْ(٣)

غَفْـرًا متى قصّرتُ عنـك فإننى ... بالمـدح أولَى لو بلغتُـك بالمِدَحْ ٧٦

هـذا ولم تَخْفُـرْكَ(٤) قدرةُ خاطرى ... ما جاءه عفـوا وما فيـه كدحْ

كم نومةٍ للعاشقين وهبتُها ... ليـلا أراقب ديكَه حتى صـدحْ

والليـلة البهماءُ تُولِد فكرتى ... غرّاءَ يحسـدها الصباحُ اذا وضحْ

ولأنتَ باستحسانها أنطقتـنى ... وشرحتَ بالإكرام صدرى فانشرحْ

ونسـيتَ ما أعطيتَنيه وفيهـمُ ... ـ حاشا سماحِك ـ مَنْ اذا أعطى لَمَحْ

فلغـيرك المتسهِّلُ المبذولُ فى آسـ ... ـترخاصه ولك الغـرائبُ والمُلَحْ

✦
✦ ✦

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى عيد الأضحى

لَمَن الحُمول بجوّ "ضاحى"(٥) ... من باكرٍ غَلَسًا(٦) وضاحى

مِثـل الأَداحِى(٧) تحتها ... أمثالُ أُمّاتِ(٨) الأداحى

يحملن أفـارا حَما ... ن السقمَ فى مُقَلٍ صحاح

من دون أطراف الحـديـ ... ـث لهنّ أطـرافُ الرماح

---

(١) يقال : حسَّ الدابة : نفض التراب عنها بالمحسّة وهى آلة ينفض بها الغبار . (٢) الأجم جمع أجمة وهى الشجر الكثير الملتف . (٣) رزح : أعيا . (٤) لم تخفرك : لم توفك . (٥) ضاحى : اسم موضع . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليـل . (٧) الأداحى جمع أدحيّة وهى بيض النعام فى الرمل . (٨) أمّات جمع أمّ .

مَن مخبرى عن رائحـ ... ـين نكِرتُ بعدهُمُ مراحى ؟
هيهات لو صدق الدليـ ... ـلُ سألتُ ليلى عن صباحى
والنجمُ يحمل كأسها ... منها الحبابُ بغير راحِ
حَظَرَ الكرى مَنْ لا يُطا ... عُ سواه فى حَظْر المباح
راضٍ اذا سفك الدما ... ءَ بما تقلَّد من جُناح
كَثُرَ المِلاحُ وما له ... مِثْلٌ بإقرار المِلاح
بأبى ثناياه لقد ... غولطتُ عنها بالأقاحى
غَلَطَ المُقايِسِ بابن "أيـ ... ـوبَ" السحابةَ فى السماح
"ومحمدٌ" أزكى نسيـ ... ـمَ ثرًى وأندى بطنَ راح
وأعمّ حين يخصّ جو ... دُ الغيث ساحا بعد ساح
طالت به عينٌ الى الـ ... ـعلياء واسعةُ الطماح
ويدٌ تقلّبُ أنملا ... تِ مكارمٍ سُبطٍ[1] سِجاح[2]
لم تدرِ أنّ الله خا ... لِقُ هذه الأيدى الشحاح
من معشرٍ يتذمّمو ... ن المالَ ليس بمستباح
لا يُطعِمون مع العشـ ... ـىّ حلاوةَ النَّعمِ المُراح
فاذا تزاحمت الوفو ... د على بيوتهم الفِساح
يَسروا[3] فكان لمن يفو ... ز بضيفه فوزُ القِداح
فى عِرضهم سَرَفُ القِصا ... صِ[4] وما لِهم هَدرُ الجِراح

(١) سبط : من قولهم فلان سبط البنان أى كريم وهو من باب الكناية نقيض قولهم : جعد الكف كناية عن البخل . (٢) سجاح : لينة سهله . (٣) يسروا : لعبوا بالقداح .
(٤) السرف : الإفراط ومجاوزة الحدّ فى القصاص ، وفى الأصل هكذا رسما وشكلا "شَرَفُ العصاصِ" .

فاذا ٱنتضَـوا زُبَرَ الصحا ئف ثلَموا زُبَرَ الصِّـفاح
وإذا قِيامـةُ سـؤْدُدٍ كذَبتك فى الصُّوَرِ القِباح
بلَجوا عـلى ضوء الصَّبا ح ببهجة الغُــرر الصِّباح
لبيك عـدةَ ما ٱكتسبـ ـتُ وقد دعوتُك من صلاح
وضممتنى والدهــرُ مجـ ـتمعُ الصروف على ٱطراحى
وإذا شهرتُ عليـه سيـ ـفا عاد يُدمينى جِـراحى
قد كنتَ مقترِحا بجا ء بك الزمانُ عـلى ٱقتراحى
لا توسعـنِّى من نوا لك فوق ما يَسعُ ٱمتداحى
دعـنى أطيرُ بشكره ما دام يحملنى جَناحى
فى كلّ شاردةٍ مبا عِـدةِ الغـدوِّ مع الرواح
بِكرٍ وَلودٍ من بنا تِ الناتجات بلا لقاح
أحبُـوك منهـا كلَّ عيـ ـد بالخـريدةِ(١) والرَّداح(٢)
تصـف اللطائمُ(٣) طيبَهـا من طيبك الشرف الصُّراح
ما كُسِّرت رُجُمُ الجما رِ وسُوِّقت بُدُنُ الأضاحى

* * *

(٣٧) وقال يرثى الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهُمَانىّ الكاتب، وكان بقيّة الأعيان فى صنوف الفضـل، وواحد الزمان فى كمال الأدب، وممن أوجب عليه حقوقا فى المودة، وٱتخذ عنده حرمات من التفقّد والمراعاة، وتوفى فى رجب سنة ثمان وأربعمائة، ودفن فى مدينة المنصور

(١) الخريدة: العذراء. (٢) الرداح: المرأة الثقيلة الأوراك، وثقل الأوراك من صفات الحسن فى النساء. (٣) اللطائم جمع لطيمة وهى: ٱلجة المسك أو المسك نفسه أو العير التى تحمل الطيب.

أُغَشّ بآمالي كأنّيَ أُنصحُ ... وأبقَى لأشقَى بالبقاء وأفرحُ
وأصبو الى وجهٍ من الدهر مسفرٍ ... ضحوكٍ، ووجهي في الخِمار مكلّحُ
ويعجبني إملاء يومٍ وليلةٍ ... وما الموتُ إلا غابقٌ أو مصبّحُ
مَطلتُ بدَيني والغريمُ مصمّمٌ ... وأحسنتُ ظنّي والمسيءُ مصرِّحُ
تُدمّي المنايا الناسَ حولي وإنما ... دمى ذاك في أثوابهم يتنضّحُ
وأسلو اذا أبصرتُ جِلدِيَ أملسا ... وما صحّةٌ في الجلدِ والقلبُ يُجرَحُ!
اذا مرّ يستقري مَن الهالكُ الردَى ... يميّلُ في أبنائه ويرجّحُ
تطامنتُ أرجو ان أفوتَ لحاظه ... فأخفَى وعينُ الموت "زرقاءُ" تلمحُ
وقد غرّني ليلُ الشباب فأين بي ... أضلّ وفجرُ الشيب عُريانُ مصبِحُ؟
وأقرب شيء من قضيبٍ جُفوفُهُ(١) ... اذا الورقاتُ الخُضرُ ظلّتْ تَصوّحُ
تَيَّمَ بالعُمرِ الجِذاعُ(٢) وخانهم ... فما ليَ أرجو ودّه حين أَنزحُ
وقد كان قدّامي مدًى منه يُرتجَى ... هو اليومَ مُلقًى من ورائيَ يُطرَحُ
حسوتُ بمُرّ الدهر حبّا لحلوه ... فطورا يُصفّي لي وطورا يُصبّحُ
اذا برّني في صاحبٍ بزّ صاحبا، ... أغنّي بشعري تارةً وأنوّحُ
أبيحُ الترابَ أوجها كان مُسخِطي ... على الشمس منها الساهمُ(٣) المتلوّحُ(٤)
وأحثو بكفّي أو أشقُّ حفيرةً ... يُهال على قلبي ثراها ويُضرَحُ
ترى الحق مطروفا وتعشى لَواحظٌ ... يراقصها هذا السرابُ الملوّحُ
يودّ الفتى أن البسيطةَ دارُهُ ... وما فوقها مالٌ عليه يروّحُ
وسيعةُ بطنٍ جلّ ما هو محرِزٌ ... ومطرحُ جنبٍ جَهدَ ما يتفسّحُ

(١) الجفوف: اليبس. (٢) الجذاع جمع جَذَع وهو الشاب الحدث. (٣) الساهم: الذي تغيّر لونه وبدنه مع هزال. (٤) المتلوح: الذي تغيّر لون وجهه.

تبايعنا الدنيا مُنًى بنفوسنا   فتوكسُ غَبنا والمُبايع مُصلِحُ
فلا نحن من فرط الخسارةِ نرعوى   ولا هى ترضى فرطَ ما هى تربَحُ
فما لكِ يا دنيا وأنتِ بطينةٌ   ونحن خِماصٌ تبخلين ونسمحُ!
ألا طرقتْ لا يملأُ الليلُ صدرَها   ولا تتحاشى صارخا حين تَصْبحُ
مغلغلةٌ لا طودَ يعصمُ ما ارتقت   ولا موئلٌ من حيث تهبطُ أبطحُ (١)
وَصولًا الى البيت الذى تستضيفه   ولا مُوقدٌ يُورى ولا كلبَ ينبحُ
لها من قِرًى ما استصلحتْ وتخيّرتْ   حشايا (٢) تُوطّى أو صفايا (٣) تُذبّحُ
أصابت صريحَ المجد من حيث ينتمى   وغضّت لحاظَ الفضل من حيث تطمحُ
وحلّت فحكّت بَرْكَها (٤) من "محمدٍ"   بجانب ركنٍ لم يكن قبلُ يُنطحُ
قويمٍ على عركِ الخطوب، فما له   وقد زحمته زحمةً يتطوّحُ!
سلا مُقعصَ الأقران: من أىّ طعنةٍ   تَقطّرَ عن ظهر الكفاية يُطرحُ؟
وقاطعَ مَشْناةِ الجبال حِرانُهُ:   بأىّ زمامٍ قِيدَ يعنو ويُسمحُ؟
ومَن هزّ من بين الوسائد طودَه   وفى دسته "ثهلانُ" (٥) لا يتزحزحُ!
وقولا وإن لم يخرق التربَ صائحٌ   اليه ولم يفهم صدى الأرض موضحُ:
"أبا حسنٍ" أمّا الرجاءُ فخائبٌ   وأما الرجا فيما نعاك فمنجحُ
حملتُ الرزايا جازعا ثمّ صابرا،   على ذاك حسنُ الصبر بعدك يقبحُ
وواصلتُ من أحببتُ ثم فقدتُه   فما نازلٌ إلا وفقدُك أبرحُ
ذكرتُك إذ غصّ الندىُّ فلم يُشرْ   نصيحٌ ولم ينطق لسانٌ مُفصّحُ

(١) الأبطح: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى كالبطحاء. (٢) حشايا جمع حشيّة وهى الفراش المحشو. (٣) الصفايا جمع صفيّة وهى الناقة الغزيرة اللبن المصطفاة. (٤) البَرْك: الصدر. (٥) ثهلان: اسم جبل.

ولا أضمـرتْ صـدقا مَعاقدُ حبوةٍ … جثا بفخارٍ ربُّها يتبجّحُ
وقد غاض بحرٌ كان فكرك مدّه … وأُرتج بابٌ كان فى فيك يُفتحُ
وقد جاء نجمٌ من جُمادى بليـلةٍ … بَليلٍ يريك الطولُ أن ليس تُصبحُ ٧٨
يسائلُ عن اطناب بيتـك ضيفُها … ردائدَ خطفِ البرقِ فيا تـلوحُ
تعيفُ(١) طـيرا بارحاتٍ يسرنه(٢) … بفقدكَ قد كانت ميامينَ تَسنحُ
فبات صـعيدُ الأرضِ والريحُ زادُهُ … شـقياً بما يَسـافُ أو يتنفّحُ
بليـلةِ بؤسٍ فات مُعتامَها القِـرَى … كما فاتهـا منك المصلِّى المسبِّحُ
وللأمر كنتَ الليثَ إما حفظتَهُ … تَعاوتْ تَعاطاه ثعـالبُ تَضبحُ(٣)
رُعِى بعدك الشِّقُّ الذى كنت حامياً … له وعتا الخـرقُ الذى كنت تَنصحُ(٤)
وخُلِّىَ للعجـز التنافسُ وآسـتوى … عـلى الجهـل سَرحٌ سائمٌ ومُسرَّحُ
وقام رجالٌ كان فضلُك مقـعِدا … لهـم فـتراءوا للعـلا وترشَّحـوا
بلا عائبٍ تُزرِى عـلى سيئاتهـم … محاسنُه، والنقصُ بالفضـل يُفضَحُ
ائن حَرَصـوا فيا عَمرت تعافُه … فـربَّتَ سـاعٍ للدنيّـة يكدحُ
تمالَوا على ما كنتَ تأباه أوحدًا … ومنُّـوا بمـا آستضعفتَه وتمـدَّحوا
وما آزدحموا أن القذى بعـدك آنجلى … عن المـاء لكن يشربون وتَقمحُ(٥)
فداكَ ـ وهـل حىٌّ فداءٌ لميّتٍ ـ ؟ … قصـيرُ الخطا يكبو بمـا كنتَ تجمحُ
تعجّبَ لـمّا ساد من حظّ نفسه، … وقـد يُدرِك الجَـدُّ الدنىَّ فيُفلحُ
ولـمّا رأيتَ الدهرَ ضاقت ضلوعُه … بحملك وهى للئام تَفَسَّـحُ
أنفتَ من الدنيا الذليـلةِ عارفا … اذا عيشـةٌ ضامتك فالموت أروحُ

(١) تعيف : زجر . (٢) يسرنه : جئن من جهة اليسار . (٣) تضبح : تصوّت .
(٤) تنصح : تخيط . (٥) تقمح : ترفع رأسك كرها لها .

وذكّرنيك الودُّ أحليتَ طعمه　　　وأصفيتَ فهو الآن يَقذَى ويَملُحُ
ضَربتُ عن الإخوان صفحا مؤملا　　　بأن الردى لى عنك وحْدَك يصفحُ
وأغنيتنى ودًّا ورفدا بحاجةٍ　　　من اليوم ما أرتادُ أو أتمنَّحُ
أعلّل نفسى عنك لو أن مُسقَمًا　　　يُفيق بنوحٍ من جوًى أو يُصبِّحُ[1]
وأرقَعُ أيامى أروم صلاحَها　　　وقد فسد العيشُ الذى كنت تُصلِحُ
سألتُ بك الأيام أرجو مسرّةً　　　فلما أبت إلا التى هى أترحُ
ضحكتُ الى ناعيك أحسب أنه　　　ـ وقد جدَّ ـ إكبارا ليومك يمزحُ
عفا ربعُ أنسى منك ضيقا، وما عفا　　　بساحةِ قلبى منزلٌ لك أفيحُ
به ساكنٌ من طيبِ عهدك عامرٌ　　　يُريحُ عَزيبَ الحُزن من حيث يَسرحُ
اذا ذبلَت فيه على الصبر جمرةٌ　　　خمودا ورى زندٌ من الذِّكرِ يَقدحُ
وذاك اللسانُ الرَّطبُ لا زال فى فمى　　　هو اليومَ يرثِى، مثلَهُ أمسِ يَمدحُ
يقول وإن لم يُغنِ عنك وإنما　　　ملأتَ إناءً نعمةً فهو يرشَحُ
ولو رُدَّ قبلى الموتُ بالشّعر أو مضى　　　شَبا لَسِنٍ أو عاش فى الدهر مُفصِحُ
نجا لائذا بالعزّ فى غير قومه　　　ـ وقد سبق الناسَ ـ الغريبُ المقرَّحُ[2]
ومستنزِلُ "النعمان" عن سطواته[3]　　　بما يَنتقِى من عِذرةٍ[4] وينقِّحُ
و"عُروةُ"[5] لم يُصغِ الردى لنسيبه　　　ولم يُعطَ فى "قيسٍ"[6] مناه "الملوحُ"[7]
وغيرُ "غيلانَ"[8] المهارى بعَنسِهِ[9]　　　فلم تُنجه من عَدوة الموتِ "صيدحُ"[10]

(١) يصبّح : يُسقَى الصبوح . (٢) يشير الى امرئ القيس وكان يقال له : ذو القروح لأن قيصر ألبسه قيصا مسموما فتقرّح جسمه ومات غريبا "بأنقرة" وفى ذلك يقول

أجارتنا إنا غريبان ههنا　　　وكلّ غريب للغريب نسيب

(٣) يشير الى النابغة الذبيانى حين هجا النعمان بن المنذر ثم عاد اليه معتذرا . (٤) العِذرة : المعذرة .
(٥) عروة بن حزام هو أحد العشاق الذين قتلهم العشق . (٦) اسم مجنون ليلى . (٧) اسم أبى مجنون ليلى . (٨) غيلان : اسم ذى الرّمة الشاعر . (٩) العنس : الناقة القوية .
(١٠) صيدح : اسم لناقة ذى الرّمة .

ولكنه شَرطُ الوفاء وغُمّةٌ   على الصدر بآستخراجها أتروّحُ
ذممتُ فؤادى فيك والحزنُ محرقٌ   وعاتبتُ جفنَ العين والدمعُ مُقرِحُ
وما عجبٌ للدمع أن ذَلَّ عزُّه   فما جَمّ إلا أنه لك يُنزحُ
وأقسمُ ما جازاك قلبٌ بما طوى   غليلا ولا قولٌ يطولُ فنشرحُ
ولا كان فى حكم الوثيقة أن أرى   عليك الثرى كَلًّا وجسمِى رَيِّحُ
وما أنا إلا قاعدٌ عن فضيلةٍ   اذا قمتُ فيها مائلا أترنّحُ
سقاك — وإن كان الثرى بك غانيا   عن السحب — غادٍ بالحيا متروّحُ
حمولٌ(1) لماء المزن تطفو لصوبه   فواغرُ أفواهِ الجِواءِ فتطفَحُ
اذا خار ضعفا أو تراخى حدتْ به   مَواقرُ(2) من نوءِ السماكين دُلَّحُ(3)
يُحفِّلُ طردُ الريح فيها كأنها   سفينٌ جَوارٍ أو مَراسيلُ(4) جُنَّحُ
شجاعٌ كأنتَ أو جوادٌ بمائه   فإن عاقه ضنٌّ فعينى تَسفَحُ
ليعلمَ قبرٌ بالمدينة أننى   من الغيثِ أوْفَى أو من الغيثِ أسمحُ

* * *

(٧٩) وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به

أمرتُكمُ أمرى "بنَعمانَ" ناصحا   وقلتُ : آحبسوها تلحقِ الحىَّ رائحا
فماريتمونى تخبُرون آجتهادَها   فأبتم بلا حاجٍ وأُبن طلائحا(5)
وقد صدقتنى فى الصَّبا عن مكانهم   أخابيرُ(6) أرواحٍ سبتنى نوافحا
كأنّ الثرى من طيبها فَتَّ فوقه   مجيزون من "دارِين"(7) فأرا فوائحا

(١) فى الأصل "حوك" . (٢) مواقر : مثقلات . (٣) دُلَّح جمع دالح وهو السحاب الكثير الماء . (٤) مراسيل جمع مرسال وهى الناقة السهلة السير . (٥) الطلائح جمع طليحة وهى الناقة التى أعياها السير . (٦) خبر جمعه أخبار وجمع الجمع "أخابير" . (٧) دارين : فُرضة بالبحرين يُجلب اليها المسكُ من الهند .

لقاءٌ على "نَعمانَ" كان غنيمةً   وهيهات يدنو بعد أن فات نازحا

حَمَى دونه حَرٌّ "السماوة" ظَهرَها   وعبَّس وجهَها ناجرٌ(١) فيه كالحا

الى الحول حتى يشربَ القيظُ ماءهم   "بنجدٍ" وإما يسلخون البوارحا(٢)

لعلّك فى إرسالِىَ الدمعَ لائمٌ   وقد عطَف الناسُ المطىَّ جوانحا

نعم، قد تجرّعتُ الدموعَ عليهمُ   عِذابا وأقرحتُ الجفونَ الصحائحا

وما قلتُ: غاضت بالبكاء رَكِيّةٌ   من العين إلا أرسلَ الشوقُ ماتحا(٣)

فهل ظبيةٌ "بالغور" يَجزِى وفاؤها   هوًى لم يُطِعْ فيها على النأى كاشحا؟

اذا آعترضتْه من سلوٍّ معوضةٌ   محاسنُ فى أخرى رآها مَقابحا

ومن أين يَنسَى من يَرَى الغصنَ مائلا   مثالَكِ والظبىَ المروَّعَ سانحا!

أرى عينه عينيك و"الغورُ" بيننا   فأدمَى، لقد أبعدتَ يا سهمُ جارحا!

يعنِّفُ فى حُبِّ البداوة فارغٌ   من الوجد لم يَقرِ الغرامَ الجوانحا

فياليتَ لى من دار قومى وأسرتى   جوارَكِ رواحًا عليكِ وصابحا

ومن تُرَّهاتِ(٤) الريف أرضا قطنتُها   من الجدب فيها يأكلون النواضحا(٥)

اذا ما شربتُ الوصلَ عَذبا مرقرَقا   بها لم أعَفْ أن أشرب الماء مالحا

دعُونى "ونعمانَ الأراك" أروده   يجاوبُ صوتى طيرُه المتناوحا

عسى سارحٌ من دار "ميّةَ" يامنٌ   يُقيِّضُ لى عن شائمٍ طار بارحا

سقَى ما سقتْ خدّى الدموعُ الحيا الغضا   بواكرَ من جمّاته وروائحا

فكم ليلةٍ فيه نضوتُ حميدةٍ   وألبستُ يوما بُرقُعَ العيش صالحا

---

(١) يقال "لصفر" ناجر: وهو الشهر الواقع فى صميم الحرّ، وفى الاصل "ناجز" (٢) البوارح جمع بارح وهى الريح الشديدة الباردة. (٣) الماتح: الذى يستق وهو على رأس البئر. (٤) التُرّهات: الطرق الصغار تتشعب عن الجادّة واحدتها تُرّهة. (٥) النواضح: الإبل التى يُستقَى عليها، واحدها ناضح.

وهمٍّ ترى القلبَ الرحيبَ وراءه … من الضيقِ لهفا يستعيبُ المَراوحا (١)
تلطَّفْتُــه (٢) حتى وجدتُ مَفارجا … لصـدرِىَ من غُمّاته ومَسارحا
وبحرٍ من الآلِ الغَـرورِ محرَّمٍ … ركبتُ له من سير "لاحقَ" (٣) سابحا
الى حاجةٍ فى طُرْقها الجِـدُّ كلُّه … فأدركتُها جذلانَ أُحسَبُ مازحا
ومضطغِنٍ (٤) أنْ قدَّمتنى زوائدٌ … من الفضل أخْفَتْه وقد كان واضحا
يعـيِّرنى الحِدْثانَ وهو أعزُّ لى … كفى جَذَعا أن فاتَكَ الشـوطَ قارحا
وهل ضائرى شيئا ــ اذا جئتُ آخرا ــ … تأخُّرُ ميـلادى وقـد جئتُ فاصحا
وهَرَّ فلم يُطـرَدْ فعضَّ سفاهـةً، … وعقـرُكَ لى أنى حقَـرتُكَ نابحا
وزنتُ بحلمى جهـلَه لا أجيبـه … فلله مِنّا مَن تمكَّن راجحا
وعجماءَ من وحش القوافى خدَعْتُها … ولم تُعطِ قبـلى جِلدَها قطُّ ماسحا
خطبتُ اليها عُـذرَها فتحلّلَتْ … وكانت حـراما لا تلامس ناكحا
وعادتُهـا فى المـدح ألا أذيلها … ولكنَّ قوما يكرمون المـدائحا
تمنّى بنى "عبد الرحيم" ومجـدَهم … رجالُ أمانٍ لم يقعن نجائحا
وريمـوا، فما حَطَّ الثريّا لبـاعه … فتًى ظنَّها كفًّا فمـدَّ مُصافحا
كرام مضـوا بالجود إلا صُبابةً … أعاروا نداها الهاطلاتِ السوافحا
لهم من تليـد العزِّ ما يدَّعونه … اذا خِفْتَ فى دعوى الحسيبِ القوادحا
اذا نشَروا الأغصانَ من شجراتهم … على ناسبٍ عُـدُّوا الملوكَ الجحاجحا
تواصَـوا فطابوا فى الحياة وأُكرِموا … نفوسا وطابوا ميتين ضرائحا

---

(١) المراوح : المفاوز تخترقها الرياح واحدتها مَروحة . (٢) تلطفته : ترفقت فيه .
(٣) لاحق : اسم فرس معروف عند العرب . (٤) المضطغن : الحاقد .

وأَخفَى "الحسينُ" خطفَهم[١] بشُعاعِه … كما أخفت الشمُس النجوم اللوائحا

فتًى لا يريد المجـدَ إلا لنفســه … ولا المـالَ إلا قسمةً ومَنائحا

ينـازع أزْماتِ السنيـن بأنملٍ … جوابرَ للأحوال تُسـمَى جوارحا

أنامل من يُسرٍ اذا ما أدارها … على مغلقاتِ الرزق كنَّ مَفاتحا

(٨٠) أقام على وجه الطـريق بوجهــه … مجيرَ النهار عاقرَ الليــل ذابحا

بحيث السـماح لا يخيِّبُ سائلا … وحدُّ الصفاح لا يخيِّبَن صائحا

اذا عجِـزتْ يوما مواعظُ صفحه … عن الأمرِ ولَّاه القنا والصفائحا[٢]

ويأبى فيأتى مَشـرَعَ[٣] الدمِ واردا … حريصا ويأتى مشرعَ المـاء قامحا[٤]

يصيب بأطراف العـوالى مُحاربا … عِداه، وأطـرافِ الكلام مُصالحا

اذا هزَّ رمحا طاعنا خِيــلَ كاتبا … سَدادا، وطِرسًا كاتبا خِيلَ رامحا[٥]

أقــول لأيامى وهن عواثر … بحظِّى: لَعًا، قد أدرك الذنبُ صافحا

اذا "الصاحبَ" استبقيتِه لى ورهطَهُ … فمُرِّى بقــومٍ طائراتٍ طوائحا

أذمّوا على الآمال لى وتعاقــدوا … على رفْعِ خَلَّاتى أكفًّا نواصحا

غَبرتُ زمانا أمنع النـاسَ مِقــوَدى … حَرونا الى غير المطـامع طامحا

أعِزُّ فلا ألقى ابنَ مالٍ مؤمِّـلا … لمـالٍ ولا يلقـانِىَ الدهرَ مادحا

مع النـاس حُرًّا خاطرى، غير أنهم … بأخلاقهـم يستعبدون القرائحا

وما كنتُ فى طرد الخطوب بيُمنهم … بأولِ داجٍ يستضىء المصابحا

بك اعتدلتْ حُوشيةٌ من تصعّبى … وراخيتَ من أنسى فأصبحَ سارحا

صَحِبتُك لم يَمسحْ عِذارى ســوادُه … وها أنا قد غطَّى ســوادى المسائحا[٦]

(١) يريد خطفهم الأبصار بضوئهم . (٢) الصفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض . (٣) المشرع: المورد . (٤) القامح الذى يرفع رأسه عن المـاء كرها له وقد تقدّم . (٥) الرامح: ذو الرمح . (٦) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

وسدّيتَ (١) عندى نعمةً ليس ناهضا ... ثنائى بها ما لم أجدك مُسامحا
فكن سامعا فى كلّ نادى مسرّةٍ ... شواردَ فى الدنيا ولسن بوارحا
حواملَ أعباءِ الثناء خفائفا ... صعِدن الهضابَ أو هبَطن الأباطحا
يَرَى المفصِحُ المفتونُ عُجْبا بشعره ... لها ناقصا ما سَرّه منه رازحا
اذا قمتُ أتلوها آقشعرّ كأننى ... تلوتُ مَزاميرا بها ومَسابحا
تزورك ، لا زالت تزور بشائرا ... يسوق التهانى وفدُها والمَفارحا
يضُمُّ الزمانُ شملَ عزّك نظمَها ... ويطرحُ مَن عادَى علاك المَطارحا

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بها الى الأستاذ الرئيس أبى منصور بن ماسرجيس يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة، ويعتذر له ويعرّض بذكر قوم يحسدونه على الشعر ويغتابونه

أيا ليلَ "جوٍّ" مَنْ بشيرُك بالصبح؟ ... وهل مِن مَقيلٍ بعدُ فى ظُلَل الطَّلح (١)؟
وماؤكم آستشفيتُ "زمزمَ" بعده ... فما بَرَدَتْ لُوحِى (٢) ولا رقدتْ جُرحى
سَرقتُ على سؤرِ (٣) البخيلة نهلةً ... بها لم أكن أدرى أَنُسكرُ أم تُصحى؟
قضت ساعةً "بالجوّ" أن ليس عائدا ... بها الدهرُ فى يومٍ بخيلٍ ولا سمح
فما لكَ منها غيرُ لفتةِ ذاكرٍ ... اذا قلتُ: بَلّتْ، أوقدتْ لوعةَ البَرْح (٤)
أيا صاحِ، — والماشى بخير موفَّقٌ — ... ترنّمْ "بليلَى" إن مررتَ على "السفح"
وقامِرْ بعينى فى الخليط مخاطرا ... عست نظرةٌ منها يفوز بها قِدحى
وسلْ ظبيةَ الوادى : أأنتِ أم التى ... حكتكِ على قلبى بلحظتها تُنحى؟

(١) سدّيت بمعنى أسديت . (١) الطلح : شجر عظام من العضاه واحدتها طلحة .
(٢) اللُّوح : العطش . (٣) السؤر : الحوض . (٤) البرح : شدة الأذى والمشقة .

رَمتْ بِخَنَت وآستصفحتْ ، هى عامدٌ ألا أين جُرم العامدين من الصفح!
وإيـــلٍ لبسناه بقـــربِك ناعمٍ بطائنَ ما بين القـــلائد والوُشح (١)
ويُضحِى ويُمسِى ضوءُ وجهِك بيننا سراجا ، وضوءُ البدر يُمسى ولا يُضحِى
وما آســـتوى قسمُ الملاحةِ فيكما تكلّمتِ حتى بان فضلُكِ بالمُلح (٢)
تدمُّ آطراحى وُدَّ قـــومٍ ومدحَهم وما مسَّها حملى الهـــوانَ ولا طرحى
تعاوت على سَرح القريض تقصُّــــهُ ذئابٌ لها من عجزها نَقَـــدُ السَّرح (٣)
تجانَفُ عن حُلوِ الكلام وصفوِه اذا ولِعت جهـــلا وتكرعُ فى المِلح (٤)
اذا كان للتقبيل والشمّ أصبحت تماضغه ما بين أنيابهـــا القُلْح (٥)
ترى كلَّ علج (٦) يحسبُ المجـــدَ جَفنةً (٧) تُراوِحُ أو قَعْبـــا (٨) يُخمِّـــرُ للصَّبح
اذا رشحت من بَهْـــرِهِ (٩) وآنتفاخه أياطـــلُه (١٠) ظنَّ الفصاحةَ فى الرشح
اذا معجزاتُ الشـــعر عارضن فهمَه حَلبن بكيئا (١١) لا تدرُّ على المسح (٨١)
لكلِّ غريبٍ نادرٍ فى فـــؤاده وأحقادِه فعـــلُ النكاية فى القَـــرْح
اذا الغيظُ أو جهـــلُ الفضـــيلة عاقه عن المـــدح فى شىء تجمّـــلَ بالقَدح
وكم دون حُرّ القولِ من جنح ليلةٍ اذا أظلمتْ لم يورِ فيها سوى قَدحى
وقافيـــةٍ باتت تحارب ربَّهـــا فنازلتُهـــا شيئا فألقت يدَ الصـــلح
وصلتُ اليهـــا والأنابيبُ حولهـــا تَكسَّرُ لمّـــا كنتُ عاليـــةَ الرمح
اذا شئتَ أن تبلو آمرأً أين فضـــلُهُ من النقصِ فاسمع منه إطراءَ أو جَرحى

(١) الوشح جمع وشاح وهو معروف . (٢) الملح : الحُسْن . (٣) النَّقد : صغار الغنم .
(٤) الملح غير العـــذب . (٥) القُلح : جمـــع قلحاء وهى السنّ التى يعلوها صفرة أو خضرة .
(٦) العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم . (٧) الجفنة : أوسع القصاع . (٨) القعب : القدح الضخم ، والصبح : شرب الصبوح . (٩) البهر : انقطاع النَّفَس من الإعياء . (١٠) الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . (١١) البكىء : الناقة أو الشاة التى قلّ لبنها .

وكم ملكٍ لو قد سمحتُ أريتُه بوجهِ قريضى طلعةَ النصر والفتح
اذا ما ترامت عالياتُ المنى به بعيدا تمنّى موضعَ النجم أو مدحى
وخِلٍّ أتى من جانب اللين عاطفا فياسره عُودى ولانَ له كَشحى
وفَرتُ له قِسما كفاه وزادَه فمالَ به الإسفافُ فى طلب الرِّبح
وساومَ غيرى المدحَ يُرخص عرضَهُ فلم يُغننى بخلى عليه ولا شُحّى
فأصبحتُ كالبيضاء ضرّت فغاظها بسوداءَ والعجزاءِ غارت من الرَّسح (١)
ولكنّ "ماسرجيسَ" من لا تردُّه عن الجِدّ حنّاتُ الطباعِ الى المزح
ولا تُقتضَى ممطولةُ الحقِّ عنده ولا يُكسَبُ الإنصاف بالكدِّ والكدح
اذا نال بيضاتِ الأنوق ميسَّرا له وَكرُها لم تَسبِه بيضةُ الأُدحى
كريمُ الوفاء أملسُ العرض طاهرٌ اذا دَنَسُ الأعراضِ عوجلَ بالرَّضح (٢)
تضيقُ صدورٌ بالخطوب وصدرُه الى فُرُجاتٍ من خلائقه فُسحُ
يُشير بصغرى قولتيه فيكتفى بها، وذُبابُ (٣) السيف يَقطعُ بالنفح (٤)
غزيرٌ اذا آستملى البلاغةَ فكرُه سق بقليبٍ لا يُغوَّرُ بالنزح
تدبّرَ من بيت الوزارة باحةً له السبق فيها، والجِذاعَ من القُرح
اذا زلقتْ يوما بأقدامِ معشرٍ فمالت مشى فيها قويما على الصَّرح
أُخِذتم بأحقادٍ قديمٍ وَقُودُها عليكم ونارُ الضِّغن تُحرق باللفح
وغاظت (٥) علاكم حاسديكم فنفَّرتْ فُوقَ كُبودٍ لا تُعالَج بالنُّصح
وجوهُ اليكم ضاحكاتٌ وتحتها دخائلُ نيّاتٍ معبَّسةٍ كُلْح
وددتُكَ لم أذخر هواكَ نصيحةً أروح بها ملءَ الفؤادِ كما أُضحى

(١) الرسح جمع رسحاء، وهى القليلة لحم العجز . (٢) الرضح : القليل من العطية . (٣) ذباب السيف : طرفه . (٤) النفح : الضرب الخفيف . (٥) فى الأصل "وغاضت" .

حبيتُكَ من سَلمى وأغدو بشفرةٍ على عُنْقِ مَن أبغضتُ مِن منطق أنحى
وكم من فتاةٍ قد منحتُك رقّها على العزّ لم أمنُنْ عليك بها مَنحى
لها بين يوم المهرجان مواقفٌ لديك وبين الصوم عندك والفِصْح
أدلّت بحسنٍ فهى تبرُزُ سافرا اذا آختَمرتْ أخرى حياءً من القُبح
اذا المنشدُ الراوى بها قام خِلتهُ يناوبُ ترجيعَ الحَمامة بالسَّجح (١)
وإن أبطأتْ عاما عليك سماؤها فعندك سَلْفٌ من مَرازمها (٢) الدُّلْح (٣)
ولا ذنبَ لى إن أعقمتنى عوائقٌ من الدهر يوما أن يُقصّر بى لَقحى

وقال وكتب بها الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفّق على بن إسماعيل فى النيروز الواقع فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

مَن عَذيرى يومَ شرقىّ الحمى من هوًى جدّ بقلبٍ مزحا ؟
نظرةٌ عادت فعادت حسرةً قتلَ الرامى بها مَن جرحا
قلن — يستطردن بى عينَ "النقا" — : رجلٌ جُنّ وقد كان صحا
لا تعُدْ — إن عُدتَ حيًّا بعدها — طارحا عينيك فينا مَطرحا
قد تذوّقتُ الهوى من قبلها وأرى مُعذبَهُ قد أملحا
سل طريق العيس من "وادى الغضا" كيف أغسقت (٤) لنا رأْدَ الضحى ؟
ألشىءٍ غير ما جيراننا نفضوا "نجدا" وحلّوا "الأبطحا" ؟
يا نسيم الصبح من "كاظمةٍ" شدّ ما هجت الجوى والبُرَحا (٥)
الصَّبا — إن كان لا بدّ الصَّبا — إنها كانت لقلبى أرْوَحا

(١) السجح : السجع . (٢) مرازم جمع مُرزِمة وهى السحابة الشديدة صوت الرعد .
(٣) الدلح جمع دالح وهو : السحاب الكثير الماء . (٤) أغسقت : اشتدت ظلمتك وفى الأصل "أعسفت" . (٥) البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة ومنه "برحاء الشوق" .

يا نداماى "بسلْع" هل أرى   ذلك المَغْبق والمصطَبِحا ؟
أُذكرونا ذكرَنا عهدَكُمُ[1]   ربَّ ذكرى قرّبتْ من نزحا (٨٣)
وآذكروا صبًّا اذا غنّى بكم   شرِبَ الدمعَ وعاف القَدَحا
رجَعَ العاذلُ عنى آيسا   من فؤادى فيكُمُ أن يُفلِحا
لو درَى — لا حَمَلتْ ناجيةٌ   رحلَهُ — فيمن لحانى ما لحا
قد شربتُ الصبرَ عنكم مُكرَها   وتبعتُ السقم فيكم مُسمِحا
وعرفتُ الهمَّ من بعدكُمُ   فكأنّى ما عرفتُ الفرحا
ما لسارى اللهوِ فى ليل الصِّبا   ضَلَّ فى بحرٍ برأسى وضحا ؟
ما سمعنا بالسُّرى من قبله   يابن ليلٍ ساءه أن يُصبِحا
طارقٌ زارَ وما أنذرنا   مُرغِيا بَكرا ولا مُستنبِحا
صَوَّحتْ ريحانةُ العيش به   فَمَن الراعى نباتا صَوَّحا[2]
أنكرتْ تبديلَ أحوالى، ومَن   صحِبَ الدنيا على ما آقترحا ؟
شدَّ ما مَنَّى غرورا نفسَه   تاجرُ الآداب فى أن يربحا
أبدا تُبصِرُ حظًّا ناقصا   حيثما تُبصِرُ فضلا رجَحا
والمنَى والظنُّ بابٌ أبدا   تُغلَق الأيدى اذا ما فُتِحا
قد خَبَرتُ الناسَ خُبرى شِيَمى   بخلاء وتَسمَّوا سُمَحا
وتولّجتُ على أخلاقهم   داخلا بين عَصاها واللِّحا
وبعثتُ الماءَ من صُمِّ الصَّفا   قبلَ أن أبعثَ ظنًّا مُنجِحا
يشتهون المالَ أن يبقَى لهم   فلماذا يشتهون المِدَحا ؟

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة * أذكرونا مثل ذكرانا لكم * (٢) صَوَّحَ النبتُ كتصوّح : يبِس .

يُفصِح اللّحّانُ بالجودِ وهُمْ   فرطَ بخلٍ يُعجِمون الفُصَحا
جرّتِ الحسنى غلاما ماجدا   لم يطِع فى الجود إلا النُّصَحا
طوّلوا فى حَلبةِ المجدِ له   فمضى يتبعُ رأسا جَمَحا
مُنجبًا من "آل إسماعيل" لم   يَرِو فى الأخلاقِ إلا المُلَحا
كيفما طارتْ عِيافاتُ الندَى   حَوْلَه طِرنَ يمينا سُنُحا
لا يبالى أىَّ زندٍ أَصلدتْ   مَن أتى راحتَه مقتدِحا
كلّما ضاقت يدُ الغيثِ بما   ملَكتْ جاودها مُنفَسِحا
لربيبِ النعمةِ آجابَ الدجى   خابطٌ يُنضِى قِلاصا طُلَّحا
حمّلَ الهمَّ وقد أثقلَه   جَلْدَةَ العظمِ أَمُونا (١) سُرُحا (٢)
تُوسِعُ البيداءَ ظهرا خاشعا   فى يدِ السير ورأسا مَرِحا
لا تبالى ما قضت حاجتَها   ما دَمِى من خُفِّها أو قَرِحا
حمَلتْ أوعيةَ الشكرِ له   وانثنت تحملُ منه المِنَحا
أحرز الفضلَ طريفا تالدا   والمعالى خاتِما مُفتتِحا
وجرى يقتصُّ مِن آياته   أثَرَ المجدِ طريقا وَضَحا
نسبٌ كيف ترامت نحوه   أعينُ الفخرِ أصابت مَسرحا
أملسُ الصفحةِ لم تعلَق به   غمزةٌ من قادحٍ ما قدَحا
عَوّدَ البدرَ وقد قابله   غُرّةً بات بها مستصبِحا
ورآه البحرُ أوفَى جمّةً   منه بالنائل لمّا طفَحا
وتسامت أعينُ الشِّعر الى   أن يكونَ السامعَ الممتدَحا
لم تجد أبكارُهُ أو عُونُهُ   عنك فى خُطّابها مُنتدَحا

---

(١) الأمون : الناقة القوية . (٢) السرح : السريعة المشى السهلة السير .

غير حُرّاتٍ أراها مُهمَلا حقُّها عندكُمُ مُطَّرحا[1]
كم ترى أن يصبر الشعرُ على أن تُهينوا مثلَها أو يَصفَحا ؟
أنتم آستنزلتُمُ عنها يدى بعد ما عزَّ بها أن أَسمحا
ورغبتم فى علا أنسابها وكرامٍ من ذويها صُلَحا
وأرى مطلكُمُ فى مهرها دام، والمهرُ على مَن نَكَحا
وثِق الشعرُ بكم وآتصلتْ غفلةٌ تُحجلُهُ فافتضَحا
فآعذروه إن أتى مُقتضِيا فلقد أنظَركم ما صَلَحا
ومضى حَولٌ على حَولٍ ولم يُنتِج الوعدُ الذى قد أُلقِحا
أُذكروه مثلَ ما يذكركم مُحسِنا وآستقبِحوا ما آستَقبَحا
وآعلموا أنّ قَليبَ الشكرِ إن هو لم يُمدَدْ برفدٍ نَزَحا (٨٣)
وآصحبوا أيامَكم وآستخدموا فى المعالى هُجنَها والصُّرَحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا رائدَىْ إقبالكم أو اصبحا
تَكمَهُ الأحداثُ عنكم إن رأى[2] طرفُها غيرَكُمُ أو لَمَحا

✣

وقال وكتب بها الى أبى القاسم بن ما كولا، وقد آجتمع معه ببغداد فأنس به، ثم شخص الى البطيحة[3] متقلدا إياها يتشوّقه ويمدحه ويصف السفينة

مَن الغادى تَحُطُّ به وتعلو نجائبُ من أزمّتها الرياحُ ؟
جوافلُ، تَحسَب الظُّلمانُ[4] منها أضاء لوجهِ قانِصها الصَّباحُ

(١) فى الأصل "حقا" وهو تحريف. (٢) تكمه: تعمى. (٣) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة. (٤) الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام.

فمـرّتْ كلُّ شائلةٍ (١) زَفوفٍ (٢) … لها من غيرها اليـدُ والجَناحُ

ململَمـةٍ لها ظَهـرٌ مصونٌ … وبطنٌ تحت راكبها مُتاحُ

ترى سـوطَ الشِّمال يَشُلّ (٣) منها … طـرائدَ لا يُكَفُّ لها جِماحُ

تُراوح رِجلُ سائقهـا يديه … ولا التعريس منـه ولا البَراحُ

تعبُّ الماءَ بين قذٍ وصافٍ … اذا ما عافت الإبلُ القِماحُ

لعلّك ترتمى بك أو سيقضى … الى المجـد الغـدوُّ أو الرواحُ

فصُلْ ـ وخلوتَ من ولهى ووجدى ـ … وقل ـ ولك السلامة والفلاحُ ـ

لمقتدحين فى كبدى ـ وساروا ـ … لـواعجَ ما لقاطنهـا براح :

أَظَنًّـا أنكم بتمٍ وأبقَ ؟ … لَبعضُ الظنِّ إثمٌ أو جُنـاحُ

ويَحسَبُ بدرُ " عِجِلٍ (٤) " أنَّ ليلى … له من بعـدِ غيبته صباحُ !

وأنّى بعـده بمُنًى وحـظٍ ، … ينازعـنى الى جـذلٍ طِماحُ !

إذن ففركتُ بعلَ المجـدِ منـه … وبنتُ من العـلاء ولا نِكاحُ

بمَن ولِمَن أريدُ القلبَ عنكم … ليذهلَ وهو عنـدكُمُ يُراحُ ؟

ومَن بدلٌ وهل عِوضٌ وظهرى … بكم يَعـرَى وعزّى يُستباحُ ؟

حَملتُ فراقَكم أو قيلَ : جَـلْدٌ … وخلف حشاى أسنمةٌ طِـلاحُ

وكيف تغيضُ لى نزواتُ دمعى … وتحت الدمع أجفانٌ قِراحُ !

فهل فيكم على العُـدَواء (٥) آسٍ ؟ … فإنّ البينَ فى كبدى جِراحُ

ألا عَطفا عـلى عيشٍ فسادٍ … يكون له بقربكُمُ صـلاحُ

وحُرٍّ قيَّـدَته لكم طليقا … من النـاس المكارمُ والسماحُ

---

(١) الشائلة التى ترفع ذنبها . (٢) الزفوف : السريعة العدو . (٣) يشلّ : يطرد .

(٤) عجل : اسم قبيلة . (٥) العدواء : البعد .

وقادته لكم خِلًّا صريحا — حبائلُ مدَّها المجدُ الصُّراحُ
وأخلاقٌ سقته فأسكرتْه ، — وبعض خلائقِ الكرماءِ راحُ
نَكصتُ وقد أحالَ عليَّ قِرنٌ — له سيفانِ : شوقٌ وآرتياحُ
كأنَّ دمي الحرامَ على يديه — بُعيدَ البينِ مالُكُم المباحُ
فمن يكُ في النوى بطلا فإنِّي — أنا المقتولُ والبينُ السلاحُ
بُجعتُ بقربكم والعهدُ طِفلٌ — وساعةُ وصلنا بِكرٌ رَدَاحُ
وما شبِعت برؤيتكم لحاظٌ — سواغبُ لي ولا بَرَدَ آلتياحُ
وحتى بعدَ أملسَ لم تَعَلَّقْ — له بذيول طِيبِ الوصلِ راحُ
فراقٌ سابقَ اللقيا وعطفٌ — من الأيَّام زاحمه آطراحُ
ونُهزةُ نهلةٍ لم تحْلُ حتى — تأجَّن ماؤها الشبِمُ(١) القَراحُ
كأنَّ الدهرَ قامرني عليها — معالجةً فخانتني القِداحُ
لئن قَصُرت مساعيها وضاقت — ففي الأشواقِ طولٌ وآنفساحُ
فإن كسرتْ عصا جَلَدي عصاها — فآمالي برجعتها صِحاحُ
وقد يلد السرورُ على عقامٍ — ويحيا بعد ما مات المِراحُ
لعلك — يابنَ أكرمهم يمينا — وأقدمِهم اذا كُرِهَ الكفاحُ
وأوسعِهم قِرًى وأعمَّ قدرا — اذا ما الكلبُ أعجزه النُّباحُ —
بقربك أن ستُخبِرُ أو سيُقضَى — لهذا الخرقِ رقعٌ وآنتصاحُ
فترجعَ لي ليالٍ صالحاتٌ — بكم فاتت وأيَّامٌ مِلاحُ
وينبُتُ تحت ظلِّكُمُ لحالي — جَناحٌ حصَّه القدرُ المتاحُ ٨٤
عَلِقتكُمُ هوًى ومُنًى فما لي — على الأيَّام غيركم آقتراحُ

(١) الشبم القراح : البارد الصافي .

وبعتُ بكم بنى دهرى ودهرى ... فعـدت وملء حِضْـنَىَّ الرياحُ
أقول – وقد تعـرَّم[(١)] جُرح حالى ... وسُـدَّ على مَطالعِىَ السَّـراحُ[(٢)]
وكاشـفنى وكان مجاملا لى ... عَبوسُ الوجه من زمـنى وَقاحُ
وقد مَنعتْ غضارتَهـا وجفَّتْ ... على أخلاقها الأيدى الشِّحاحُ – :
غدًا يا نفس فٱنتظرى أناسـا ... هُمُ فَـرَجٌ لصـدركِ وٱنشراحُ
ستطلُعُ من "بنى عيسَى" عليكِ الـ ... أكفُّ البيضُ والغُرُرُ الصِّـباحُ
ثِقى بغِـنَىً ثَراكِ غـدًا براجٍ ... يُطَلُّ بهـا جُـدويكِ أو يُراحُ
ولا تَسـغَبى أسـفا ويأسـا ... فعنـد مَغالـق الأمر ٱنفتاحُ
سَيُنهِضُ سـقطتى منهـم غلامٌ ... عزائمـه الأزمَّـةُ والصِّـفاحُ
كريمٌ جاره حـرمٌ منيعٌ ... عـلى الأيّام أو حَىٌّ لَقَـاحُ[(٣)]
كأنَّ الفضـلَ فى ناديه صَونًا ... فتـاةُ الحىِّ تمنعهـا الـرماحُ
هو ٱبتـدأ النَّـدَى لم أحتسبه ... وأورَى لى ولم يكن ٱقتـداحُ
ودَرَّتْ راحتـاه ولم تُعصَّبْ ... وكم من مُـزنةٍ لا تستـاحُ
وظنّى أن سيشفعُها بأخرى ... يسـابقُ سـعيَه فيهـا النجاحُ
تقُوم بهـا على مَيَـدٍ[(٤)] قناتى ... وتُلحَمُ من خصاصـتِىَ الجـراحُ
وتُنتَجُ من كرائم رأيـه لى ... بجانبِ جاهـه فيهـا لِقاحُ[(٥)]
وعنـدى فى الجـزاء مسوَّماتٌ ... لهـا بالشكر مَغـدًى أو مَراحُ
حُلَى الأعراضِ تَضحك فى تَريبٍ ... لهـا عِقـدٌ وفى صدرٍ وشاحُ
لهـا الغرضان من معنًى دقيقٍ ... تقُـوم بنصـره كَلِمٌ فِصاحُ

---

(١) نُزِعَ ما عليـه من لحم . (٢) السراح : التسريح . (٣) لقاح : لا يدينون للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباءٌ . (٤) الميد : الميل . (٥) اللقاح : الإبل واحدها "لَقُوح" .

أبوها "فارسٌ" وكأنّ قومى بها "عدنانُ" أو دارى "البِطاحُ"
وأفضلُ ما جَزَيت أخًا بودٍّ وإحسانٍ ثناءٌ وآمتداحُ

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بها الى المهذّب أبى منصور بن المزرّع يمتدحه ويهنئه بإملاكه (١) وإعراسه (٢)، ذهابا مع مودّة واحدةٍ بينهما، ترتفع مع حقوقها المنافسة وتجب المساعفةُ، وكان قد قدِم من سفرةٍ طويلة

قُلْ للزمان : صُلْحا قد عاد ليلى صُبحا
جادَ فزار قمرٌ كان لَوَى وشَحّا
يلبَس جِنحا من دجى الـ ـليل وينضو جِنحا
فَرَدَّ ريحًا ناشقا "كاظمةً والسَّفحا"
كأنّ فأرَ (٣) تاجرٍ أنحَى عليها ذبحا
يبعثُ منها بُرْدُه مع النسيم نَفحا
غلّس شوقا وأصا ب فُرصةً فأضحى
طال به الليلُ نعيـ ـما والنهارُ سَبْحا
يا لَسَقامِ آملٍ بَرَا (٤) به وصَحّا
ورشفةٍ كانت على نارِ حشاى نَضْحا
رشّ الغليلَ بَرْدُها وبلَّ ذاك البَرْحا
كانت سِبارَ (٥) كبِدى وكان شوقى جُرحا
سل ظبيةَ الوادى تَدُسُّ بانَهُ والطَّلْحا،

(١) الإملاك : التزوج . (٢) بالأصل "تعريسه" وهو تحريف، والإعراس بناء المرء على أهله وهو الذى يريده الشاعر كما تدل على ذلك أبيات القصيدة. (٣) الفار : نافجة المسك وقد تقدم . (٤) يريد "برأ" وقد سُهّلت همزتها، وفى الأصل "برأبه" . (٥) السبار : ما يسبر به الجرح .

لها "بنعمانَ" طَلاً(١) تَـاوِى عليـه الكَشْحا :
أأنتِ أم "ظمياءُ" زُر تِ لاغبين طُلَّحا ؟
تَوَسَّـدوا مَنَاسما ورُكُباتٍ قُـرَّحا
أم جئتِنا بسِـحرِها تلفُّتـا ولَمحـا ؟
قاربتِهـا مـلاحة وفَضَـحتْكِ مِـلْحا
يا ٱبنـةَ أمّ البـدر يا(٢) أختَ نجـومِ البَطحا
إسـاءةً ومَـلّلا(٣) أزدْ أسًى وصـفحا
لَحَا عليـكِ حاسـدٌ وحيثُ رُدَّ لَحَـا
حُبُّـكِ خَرْقٌ لاأرى له المـلامَ نَصْـحا
فالعـذلُ غِشٌّ لى ولو مات العـذولُ نُصْحا
أنـكَرتِ ٱبتسامَ أيّـ امى وكنَّ كُلّحا
وأبصرتْ جِـدّى غدا فكاهـةً ومَـزحا
وما أحسّتْ أنّ ربـ عَ الهمّ قـد أمَحَّا(٤)
وأعذبَ الشّربُ الذى كان الأُجَاجَ المِلْحا
أضحت خُطا البين الّذ ى باللقـاء تُمْـحَى
وعاد "بالمهـذّبِ" الـ ـدهرُ البخيـلُ سَمْـحا
أهلا ــ وقد مات الحيا حـتى أمات السَّرحا
وكَشَرتْ دُرْدًا سـنو نَ أربـعٌ وقُلَّـحا
وعاد ضرعُ النابِ(٥) من تحت العصابِ قَرْحا(٦) ـــ

(١) الطلا : ولد الظبى . (٢) فى الأصل "الغدر" . (٣) يريد "زيدى إساءة وملالا" .
(٤) أمحّ : عفا . (٥) الناب : الناقة المسنّة . (٦) القرح : الجرب الشديد .

٨٥

بغـرَّةٍ تزيـدُ فى   ليـلِ الجـدوب قَدْحا
وبِيَـدٍ يعـدى ندا   ها التَّحـزينَ[1] الرُّشَّحا
إن قَطَـرَتْ فوابـلا   أو هَطَلَتْ فسـحَّا
ميمـونةٍ ما مسـحَتْ   بساطَ أرضٍ مَسـحا ،
إلَّا كستْ غـدائرا   هـامَ رباهـا الجُلَّحا[2]
لا تعجبوا إن أصفرتْ   ومُـوَّلَ الأشِـحَّا
هـل يَسـمنُ العُودُ يُشَـ   ـظَّى[3] أبـدا ويُلْحى[4]
لو أنهـا بحـرٌ لأفْـ   ـنَتْهـا الحقـوقُ نَزْحا
ومرحبًا بهِنَّ أخـ   ـلاقا رِطـابا سُمْـحا[5]
اذا السـجايا فَـتَرَتْ   عدنَ نشاوى مرِحا
أبلجُ زكَّاه النـدَى   فمـا يخـاف جَـرْحا
جهِـدتَ يا عائبَـهُ   فهـل وجـدتَ قَدْحا ؟
تنـحَّ عن مكـانه   من العـلا! تنحَّـا
يابن "علىٍّ" فُـتُّمُ الـ   أشـراطَ جُذْعا قُرْحا
علـوتمُ النـاسَ ترا   با والنجـومَ سَـطحا
لم تدَّعـوا رِبابـةً   للمجـد تحـوى قَدْحا ،
إلا لكم فـورتُهـا[6]   منحا بهـا وسـنحا
طينـةُ بيتٍ أرضُـه   فـوق السماء تُـدحَى

---

(١) التحزين : جمع لِحَز وهو البخيل . (٢) الجلح جمع جلحاء وهى التى انحسر شعر رأسها
(٣) يشظى : يشقق . (٤) يُلحى : يُقشر . (٥) سمحا : كريمة . (٦) الفوره : مَراة الجبل ومتنه وهو هنا مجاز .

ودوحــةٌ أفــرط فيـ ـــها من أطال السَّــرحا[1]

بثُمُــرِكم[2] حامـــلةً ولم تُهجَّنْ لَقْـحا

جُمـلةُ مجـدٍ كنتمُ تفصيلَها والشَّــرحا

كلُّ غـلامٍ كافـرٌ[3] تحت اللثامِ الصُّــبحا

يَفـرَعُ[4] من شَــطاطِهِ قبـلَ الركوبِ الرُّمحا

يرمى بعينيــه طُمو حا فى العـلا وطرحا

كما تَفــعَّى[5] أرقــمٌ[6] بالرمـل يُذكِى اللمحا

اذا أحسَّ نبــأةً[7] كشَّ[8] لها وفحَّا[9]

عِلقتُكم تحت شنـو فِ الدهرِ بُلجا[10] قُــرحا[11]

وبعتُ من بعتُ بكم فعَبَّ بحرى[12] رِبحا

زوّجتُ آمالى بكم فــولَدتْ لى النُّجحا

لــولا هَناتٌ كالشَّرا رِ يلتمعن لَفــحا

وغفــلةٌ تُحرِق فى وجـهِ الجمالِ القُبحا

وحاجــةٌ تَحفِــزنى يُضرَبُ عنها صــفحا

وكم غضبتُ ثم عــد تُ أستميح الصُّــلحا

وشــفَعتْ نفسى لــكم لحال عتــبى مــدحا

---

(١) السرح جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة ، وفى الأصل ''الشرحا'' وهو تحريف . (٢) جمع الثَّمَر ثِمار وجمع الجمع ثُمُر ككتب وسكّنت الميم للضرورة . (٣) كافر : ساتر وفى الأصل ''مكفِر'' . (٤) يفرع : يطول و يعلو ، وفى الأصل '' يقرع '' ، والشطاط : حسن القوام واعتداله . (٥) تفعّى : تنكّر . (٦) الأرقم : الثعبان . (٧) النبأة : الصوت الخفىّ . (٨) كشّ : صات من جلده لا من فيه . (٩) فحّ : صات من فيه . (١٠) بلجا جمع أبلج وهو المشرق الوجه ذو الكرم والمعروف . (١١) قرحا جمع أقرح وهو الأغرّ . (١٢) فى الأصل ''نحرى'' .

يا بدرُ، هذى الشمسُ مهـ ـداةٌ اليـك نِكحا
ففـز بها وقل لها : نصـرا بكم وفتحا
ملكتَ "بِلقيس" (١) بها وما تَقلتَ الصَّـرحا
أقـررتَها عَينا وأعـ ـينُ الأعادى قَـرْحى
وآجتـلِ (٢) نجما مشرقا منها وصُـبحا صُبحا
وآذخـرْ ثنائى لبنيـ ـك كيمياء صَحّا
أنظـم منـه لهُمُ قـلائدا ووُشُحـا
يَخطِـر فيها الحضَـ ـرِىُّ بـدوياً قُحّا
يتـلون منـه ما تلو ن خطبـاء فُصْـحا
ما أرقص الأيكَ الحما مُ طـربا وسَجحـا
وما جرى الصـومُ وجا ء الفطرُ يحـدو الأضحى

وقال وكتب بها الى الشريف الأجلّ الذكى ذى النباهتين أبى على عمر بن محمد السَّابُسِى، وقد كاتبـه دفعات آبتدائياً، وكتب يخطب فيها ودّه ويمدحه، ويسأله نسج الحال والمودّة بينه، وأنفذها الى الكوفة فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

سَلْ فى الغضاـ وصَبا الأصائِل تنفحـ : هل ريحُ "طيبةَ" فى الذى يُستروَحُ ؟
وهل النوى ــ وقضاؤها متَمرِّدٌ ــ تركتْ "برامةَ" بانةً تـترنَّحُ ؟
أم شقَّ ليلَ "الغورِ" عن أقمـارِهِ بعـدى يدٌ (٣) تمطو وطرف يطمحُ ؟

---

(١) بلقيس : اسم الملكة التى تزوّجها سيدنا سليمان عليه السلام وسيرة نقل عرشها جاء بها القرآن الكريم فى سورة النمل . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجّحناها لأتزان الشطر وإتمام معناه .
(٣) تمطو : تمـدّ .

أهلُ "القباب" ـ ومن بهم لمصفَّدٍ ... بالبعد أتلَع "بالعراق" وأبطحوا ـ
جعلوا "اللّوى" وعدَ اللقاء فقرَّبوا ... ورمتْ "تهامةُ" دونهم فتنزَّحو
ووراءهم "عينُ الغوير" وهامةٌ ... رعناء من "أجإٍ" ورحبٌ صحصح (١) (٢) (٣)
وسيالُ "طيٍّ" في رءوس صعادها (٤) ... والخيلُ تزبِنُ في الحديد وترمحُ (٥)
فمِن المطالبُ والغريمُ "ببابلٍ" ... والدَّينُ يحجبه "الأراكُ" و"توضحُ"؟ (٦)
يا موردي "ماءَ النخيل" هناكمُ ... أن تعذبوا وشروبُ "دجلة" تَملحُ (٨٦)
هل في القضيّة عندكم من نهلةٍ ... تروى بها هذى القلوبُ اللُّوَّحُ؟
تردُ الغرائبُ آنساتٍ بينكم ... وأسيركم يجدُ الفراتَ فيقمحُ
لا سكرةُ البلوى "ببابلَ" بعدكم ... تصحو ولا ليلُ البلابلِ يُصبِحُ
كم سهمِ رامٍ عندكم أهدفتُه ... قلبي ولكن تقتلون ويجرحُ
وتمايحت لى ظبيةٌ "غوريّةٌ" ... سنحتْ وظبيتكم "بنجدٍ" أملحُ
إمّا بدتْ عنكم "بسيطةُ عامرٍ" ... "نطراةُ شَيبةَ" بالمناسم يُرضَحُ (٧) (٨)
"والحرّتان" وزندُ ناجرَ فيهما ... إمّا يشبُّ لظًى وإما يقدحُ
فلكمْ على "الزوراءِ" من متعلّقٍ ... بشكيمتى شغفًا ورأسى يجمحُ
وكريمةِ الأبوين أطرقُ بيتَها ... والليلُ بابن سمائه متوضّحُ
وعلىّ من ثوبَىْ هواى وعفّتى ... شوقٌ يبلُّ وخلوةٌ لا تقبحُ
ومحجّب الأبوابِ في رَيْعانه ... أضحت مغالقُه لشعرى تُفتحُ
تتزاحم الآمالُ حولَ بساطه ... عِظَمًا ولى منه المكانُ الأفيح

---

(١) رعناء : شاهقة . (٢) أجأ : اسم جبل . (٣) الصحصح : ما استوى من الأرض .
(٤) السيال : شجر ذو شوك ، والصعاد جمع صعدة وهى القناة . (٥) تزبن : تدفع . (٦) توضح وما قبلها أسماء مواضع . (٧) طراة شيبة : اسم جبل . (٨) يقال : رضح الحصى : كسره

رفضَ الكلامَ الوغدَ يعلم أنه … يُهجى – سوى فِقَرى – بما هو يُمدَحُ

ومشى يجُرُّ قلائدى متخايلا … فيها يُقلَّد دُرَّها ويُوشَّحُ

وعلى "السَّدير" و"حيرة النعمان"(١) لى … من خاطبٍ لو أنّ ودّى يَنكحُ

وفتًى، ذؤابةُ "هاشمٍ" آباؤه … دينًا وبيناه "مِنًى" و"الأبطحُ"

رضعَ النبوّةَ وآرتبَى فى حجرها … جَذَعًا على طول الإمامة يقرَحُ

ورمَى بطَرفيه السماءَ فلم يفت … طَرفيْه من فَلَك "المجرّة" مطرَحُ

"عمرُو العُلا" أدّته عن "عمرِو العلا" … أمٌّ متممةٌ وفحلٌ مُلقِحُ

شرفٌ الى "الزَّهراء" مَسرَى عرقِهِ … وعلى "الوصىّ" فروعُه تترشَّحُ

تتهابطُ الأملاكُ بين بيوته … وتطير وهى بهَديه تَستنجحُ

يا راكبَ الوجناء، ينقل رحلَهُ … عُنُقٌ لها ذُلُلٌ وذيلٌ مِلوحُ(٢)

تمضى عزوفا لا تُغَرّ بيوتها … يُلقِ السقائطَ(٣) بالفلاةِ ويَطرَحُ

وإذا أراها الخِمسُ ماءَ عشيّة … عدّته قانعةً لآخرَ يُصبِحُ

بلِّغ كأنك مُفصحا "غيلانُ" وآن … تفض الطريقَ كأن عنسك "صيدحُ"

"الكوفةَ البيضاءَ": أنّ "بجوّها" … قمرا تُغاظ به البدورُ وتُفضَحُ

عرِّجْ وقُل "لأبى علىٍّ" ما لنا … أُذُنيه: حيّتك الغوادى الرُّوَّحُ

وسقتك كفُّك فهى أغزرُ ديمةً … ما قلّصتْ عنك السحابُ الدُّلَّحُ

وآزداد مجدُك بَسطةً وإنارةً … وعلوُّ جَدّك والجدودُ تُطوِّحُ

فتَّ الصفاتِ فلجلجَ المثنى بما … تولى وأعجمَ فى علاك المفصحُ

فالبدرُ تمٌّ وأنت أكملُ صورةً … والبحرُ عمٌّ وأنت منه أسمحُ

(١) بالأصل "جيرة". (٢) ملوح: كثير الالاحة. (٣) السقائط جمع سُقاطة وهي ما سقط من الشيء.

والخادرُ[1] الحامِى حِمى أشبالِهِ ... لك عن وليجةِ غابِهِ يتزحزحُ
تركتْ سيادتَها العشيرةُ رغبــةً ... لك فى اقتبالك وهى بُزْلٌ قُــرَّحُ
ورأتْ زئيرَك دونها فتأخرت ... وثعالبُ الأعداءِ فيها تَضْــبَحُ
جمَّعتَ أُلفــةَ عزِّها ، وعَزِيبُها ... بقنا العـدا طردا يُشَــلُّ ويُسرحُ
وشفَتْ سيوفُك من بنى أعمامها ... داءً تَضيقُ به الصـدورُ وتَبرحُ
دَينٌ شكوتَ الى الحسامِ مِطالَهُ ... فقضاه ، والسيفُ المشاوَرُ أنصحُ
دِمَنٌ على القُـربى تزيدُ عداوةً ... نخروقُها ما بينكم لا تُنْصَــحُ
حسدوا تقــدُّمَ فضلكم فحقودُهم ... لا تنطفِى وفسادُهــم لا يَصلحُ
زحموك أمسِ فعاركوا ململمةً ... صَمَّاءَ يُوقِصُ[2] ركنُها مَن يَنطَحُ
فسقيتهم كأسًا مُجاجتُها الردى ... شربوا على كرهٍ لها ما يُجدَحُ[3]
يا جامعَ الحسـناتِ وهى بدائدٌ ... ومُرِبَّ روضِ الفضل وهو مُصوَّحُ
كفٌّ تخفُّ مع الرياح سماحةً ... ومهابةٌ تزنُ الجبالَ وترجَحُ
قد جاءت الغـــرر الغرائبُ طُلَّعًا ... كالشهب تَثقُبُ فى الدجى وتلوحُ
ثمـرٌ بغرسِك قد حلتْ مَجْناتُهُ ... ونتائجٌ من بحـر فكرك تُلقَحُ
فنطقن والأشعار خُرسٌ عنــدنا ... ونجومُ سبقا والقــوافى طُلَّحُ ٨٧
فكأنَّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصَّبا ... ما ظَلْتُ من قرطاسها أتصفَّحُ
فسوادُها من ناظـرى ما يَمَّحِى ... وسَــوادُها من خاطرى ما يَبرحُ
أَلِفتُها من جوهرٍ فى النفس لا ... يَفنَى ومعدنِ فكرةٍ لا يُنزَحُ
نَظَمتْ لِىَ الحُسنَ المبرَّزَ والهــدَى ... فكأننى بنشــيدهنَّ أُسبِّحُ
وأمَا وذَرعِك فى العـــلاءِ فإنه ... قَسَمٌ لباعِ الصـدقِ فيه مَسرَحُ ،

---

(١) الخادر : الأسد . (٢) يوقص : يقال أوقص عنقه أى دقها . (٣) يجدح : يخلط .

ما خلتُ صدقَ القول شخصا ماثلا   يُهدَى وأنَّ الرفد سِحرٌ يُمنح
جاريتُها متحذِّرا من سبقها   والبرقُ يكبو عن مداى ويُكبَح
ومتى أقوم مكافئا بجزائها   ونداك مفترَعٌ بها مستفتَح
كرمٌ تطلّع من شريف خلائقٍ   أصفَى من المزن العِذابِ وأسمح
لم أرمه بسهام تقديرٍ ولم   أطرح له الآمالَ فيما أطرح
فلترضينَّك — إن قبلتَ — معوضةً   مما أصونُ "بحائلٍ" تتنفَّح
سيَّارةٌ فى الخافقين فذكرُها   ذِكرُ الغمائم باكرٌ مترَوِّح
تجزى الرجالَ بصدقهم فصديقُها   فى غِبطةٍ وعدوُّها لا يفرح
مجنوبةٌ لك لا تزال جِباهُهَا   أبدا على السَّبق المبرّح تُمسَح
فامددْ لها رسَنَ الرجاءِ فإنها   بالودِّ تُشْكَمُ(١) والكرامةِ تُشبَحُ(٢)
مهما تُعرِّضُ للرجالِ بِدِينِها   فمديحُها لك بالغلو يُصرِّح

✦

وقال وكتب بها الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم يهنّئه بالمهرجان ويشكر مراعاته

أتكتُمُ يومَ "بانةَ" أم تبوحُ ؟   وأجدرُ لو تبوحُ فتستريحُ !
حملتَ البينَ جَلْدا والمطايا   بَوازِلُها بما حَمَلَتْ طُلوحُ
وقتَ وموقفُ التوديع قلبٌ   يطير به الجوى وحشًا تَطيحُ
تَلاوذُ(٣) حيثُ لا كِبِدٌ تلظَّى   بمَعتبةٍ ولا جفنٌ قريحُ
فهل لك غير هذا القلبِ تحيا   به أو غير هذى الروحِ روحُ ؟
لعمرُ أبى النوى لو كان موتا   جَنَتْ لك فهو موتٌ لا يريحُ

(١) تشكم : يُسَدُّ فوها بالشكيمة . (٢) تشبح : تُقيَّد . (٣) تلاوذ : تلوذ .

يفارِقُ عاشقٌ ويموتُ حىٌّ   وخيرُهما الذى ضَمِنَ الضريحُ

وقال العاذلون : البعدُ مُسْلٍ   فما لجواك ضاعفه النزوحُ !

وفى الأظعانِ طالعةً "أُشَيًّا"   أبو اوزين مَتَاعٌ منوحُ

سلافةُ رِيقِه بَسْلٌ حرامٌ   ووردةُ خدّه مما يُبيحُ

اذا كتمتْه خالفةٌ(1) وخِدرٌ   وشَى بمكانه المسكُ النضيحُ

أسارقه مُسارَقةً ودون الـ   ـخِلاطِ به الأسنّةُ والصفيحُ

ولم أرَ صادقَ العينين قبلى   أضلَّ فدلّه شمٌّ وريحُ

أيا عجبا يُهتّكُ فى سلاحى   ـ وقد حطم القَنَا ـ طرفٌ طموحُ

ويقنصنى على "إضم" ـ وقدما   قنصتُ أسودَها ـ رشأٌ سَنيحُ

رمَى كبدى وراح وفى يديه   نُضوحُ دمى، فقيل : هو الجريحُ

وأرسلَ لى مع العُوَّاد طيفا   يُرِى كرما وصاحبُه شحيحُ

إذا كَرَبَ(2) الرمىُّ يُبِلُّ(3) شيئا   ألمَّ فدُمِّيتْ تلك القُروحُ

فقال : كم القنوطُ وأنت تحيا   وكم تأتى الغنىَّ وتستميحُ ؟

شكوتَ، ومَن أرى رجلٌ صحيحٌ !   فقلتُ له : وهل يشكو الصحيحُ ؟

فما لك يا خيالُ ـ خلاك ذمٌّ ـ   أتاحك لى على النأى المتيحُ !

فكيف وبيننا خيطا "زرودٍ"   قرُبتُ عليك، والبلد الفسيحُ !

أعزمٌ من "زعيم الملك" تَسرى   به أم من ندى يده تميحُ ؟

حملتَ اذًا على ملكٍ كريم   الى رحلى يعودُ بك "المسيحُ"

وجئتَ بنائلٍ لا البحرُ منه   بمنتصِفٍ ولا الغيثُ السَّفوحُ

حَمَى اللهُ ابنَ منجبةٍ حمانى   وقد شُلَّت على الراعى السُّروحُ

---

(1) الخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره .   (2) كرب : قرب .   (3) يُبِلُّ : يشفى .

٨٨ وســدَّ بجوده خـَـلَّاتِ حالى … وقد ضعفتْ على الخَرْقِ النُّصوحُ
تكفَّلَ من بنى الدنيا بحاجى … تنــوجُ فى عقائمها لَقــوحُ
تفــرّغ لى وقد شُــغِل المُواسى … وخالصنى وقد غُشَّ الصـريحُ
وقام بنصرِ ســؤدُده فسارتْ … مَطالعُــهُ وأنجمهــم جُنــوحُ
حَلَتْ مِدَحى لقــومٍ لم يهشّــوا … وغنّــاه فأطــربه المــديحُ
كأنَّ الشعرَ لم يُفصِــحْ لحىّ … سواه وكلُّهــم لحِنٌ (١) فصيحُ
جــوادٌ فى تقلُّبِ حالتيــه … فلا سَــعةٌ تَبِين ولا رُزوحُ
اذا قامت له فى الجــود ســوقٌ … فكلُّ مُتــاجرٍ فيهــا رَبيــحُ
تمرَّن فى السيادة منــه ماضٍ … عــلى غُــلَوائه لا يســتريحُ
جَرَى متــدفقا فى حلبتَيْهــا … كما يتــدفَّق الطِّرفُ السَّــبوحُ
وجمّــع مُلكُ "آل بويه" منه … على ما شتَّت "الكافى" النصيحُ
يقلِّبُ منــه أنبــوبا ضعــيفا … تَدينُ له الصــفائح والسريحُ (٢)
وكانَ الفارسَ القلَمىَّ يُبــلى … بحيث يُعــرِّدُ (٣) البطلُ المُشــيحُ
وَرَى بضيائه — والليلُ داجٍ — … خُفوقَ النورِ، منبلجٌ وَضــوحُ
أضـــلَّ الناسَ فى طرق المعالى … سبيلًا بين عينيــه يلوحُ
وضمَّ الحبــلَ مُحلَولًى مَرِيرًا … أخو طعمين منتقمٌ صفوحُ
فيــوم الأمنِ وَرّادٌ شروبٌ … ويوم الغبنِ عيّــافٌ قَمــوحُ
"أبا حسنٍ" عدوّك من ترامَى … به الرَّجوانِ (٤) والقــدَرُ الجموحُ
الى متمــرِّد المهوَى عميــقٍ … فتطــرحه مهالِكُهُ الطَّــروحُ

(١) اللحن : الفطن . (٢) السريح من الخيل : العُرْىُ . (٣) يعرّد : يفرّ ويهرب .
(٤) الرجوان مثنى رجا وهو ناحية البئر ويقال : "رمى به الرجوان" من باب الاستهزاء، كأنه رُمى به رجوا بئر .

تفــرّس فى الغزالةِ(١) وهو أعشى ليقـدَحَ فى محاسنها القَـدوحُ
ينـاطحُ صخـرةً بأجَـمٍّ(٢) خاوٍ أيا سَرْعانَ ما حُطِمَ النطيحُ
بحقك ما أبحتك من فؤادى مضـايقَ لم ينلهـا مسـتميحُ
أصـارك وهى خافيـةٌ اليهـا ودادُك لى ونائلُك السجيحُ(٣)
فإن أخرستَ ريبَ الدهرِ عنّى بعونك والنــوائبُ بى تَصيحُ ،
ولم تبعَلْكَ(٤) بى مـترادفاتٌ من الحاجاتِ تغـدو أو تروحُ ،
وغـيرك حامَ آمالى عِطاشا عليـه وما يُبَـلُّ لهن لُـوحُ(٥) ،
تزاورَ جانبـا عن وجه فضلى فضاع عليـه كوكبى الصبيحُ ،
جفانى لا يَعُـدُّ علىَّ ذنبـا بأعـذارٍ وليس لهـا وضوحُ ،
أعاتبُـه لأنقـلَه ويعيـا بنقلِ "يلَمْلَمَ" اليومَ المُـريحُ ،
وكم أغضيتَ إبقاءً على ما أتى وسـترتَ لو خَفِىَ القبيحُ ،
فلا تعـدَمك أنتَ مكرراتٌ على الآفاق تقطُنُ أو تَسيحُ
لهـا أرجٌ بنشرك كلّ يومٍ على الأعراض ضَوعتُه تفـوحُ
تَصاعَدُ فى الجبـالِ بلا مَراقٍ ويَقـذِفُ فى البحار بهـا السُّبوحُ
تمرُّ عليـكَ أيّامُ التهانى ومنهنّ المبـارَكُ والنجيحُ
بجِيـدِ المهرجان وكان عُطْلا قلائدُ من حلاها أو وُشـوحُ
بشائرُ أنّ عمركَ فى المعالى يَعُـدُّ مُضاعِفا ما عَدَّ "نوحُ"

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأجم : الكبش لاقرن له . (٣) السجيح : الغزير .
(٤) يقال : بعل بأمره : بَرِمَ فلم يدر ما يصنع . (٥) اللوح : العطش .

وقال وكتب بها الى ناصر الدولة أبى القاسم بن مكرم، وأنفذها الى عمان على يد صاحبه وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة

لمن صاغياتٌ(١) فى الحبابِ طلائحُ ... تسيلُ على "نعمانَ" منها الأباطحُ
تخابط أيديها الطريقَ كأنها ... مَوائرُ فى بحر الفلاة سوابحُ
دجا ليلُها وهى السهام تقامُصا ... فلم ينصرم إلا وهنَّ طرائحُ
كأنَّ الوجى(٢) سرٌّ تخاف انتشارَه ... فمنها مُرِمٌّ(٣) بالتشاكى وبائحُ
حَمَلْنَ شموسا فى الحُدوج غواربا ... وليلُ السُّرى منهنّ أبلجُ واضحُ
ينوء بها أنَّ القدودَ خفائفٌ ... ويُظلِعها أنَّ المتونَ رواجحُ
وفيهنّ منصورُ السهام مسلَّطٌ ... لعينيه أن تَدْوى(٤) القلوبُ الصحائحُ (٨٩)
يطير جُبارًا(٥) ما أراقت لحاظُه ... اذا وُفِّيتْ حكمَ القصاصِ الجرائحُ
رمانى ونسكُ الحجّ بينى وبينه ... ولم يدر أنّ الصيد فى الحج قادحُ
طرحْتُ "بجَمْعٍ" نظرةً ساء كسبُها ... وتبعثُ شرًّا للعيون المَطارحُ
فإن سترَتْ تلك الثلاثُ على "مِنًى" ... هواى فيومُ النَّفرِ لا شكّ فاضحُ
بكيتُ ولامَ العاذلاتُ فلم تغِضْ ... على رُقيةِ العذلِ الدموعُ السوافحُ
ولم أرَ مثلَ العينِ تُشفَى بدائها ... ولا كالعذول يجتوَى وهو ناصحُ
أمنكِ ابنةَ الأعراب طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبَّةُ التغويرِ والليلُ جانحُ؟
طوى "الرملَ" حتى ضاق بينى وبينه الـ ... عِناقُ وما بينى وبينكِ فاسحُ
فباتَ على ما ترهبينَ ركوبَه ... هجوما وفيما تمنعين يسامحُ

(١) الصاغيات: المائلات. (٢) الوجى: الحفا. (٣) المرم: الساكت.
(٤) تدوى: تمرض. (٥) جبارا: هدرا.

رعى اللهُ قلبـا ما أبرَّ بمن جفا ... وأثبتَ عهـدًا والعهـودُ طوائحُ
وأوسـعَ ذرعا بالوفاء وصـونِه ... اذا ضاق ما تُطوَى عليـه الجوانحُ
عذيرِىَ من دهرى كأنى أريده ... على الودّ سَلمـا وهو قِرنٌ مكافحُ
وصحبـةِ خَوّانينَ، بائعُهم وإن ... تَكثَّر منهـم بالتوحُّـدِ رابحُ
أخوهم أخـو الذئب الخبيثِ يَدلُّه ... على الدمِ ما تُملِي عليـه الروائحُ
وأيدٍ سِـباطٍ(١) وهى بالمنع جَعـدةٌ(٢) ... تلاطمنى منهـا اللواتى أصافحُ
يضىء على أبصارهم ضوءُ كوكبى ... وموضعُه من مطالِـع الفضـل لائحُ
قعدتُ مع الحرمانِ بينَ ظهورهم ... وطائرُ حظّى لو تعيَّفتُ سانحُ
لقد كان لى عن " بابلٍ " وجُدوبها ... مذاهبُ يتـلوها الغِنى ومَنادحُ
تركتُ عبابَ البحـر والبحرُ مُعرِضٌ ... وأمّلتُ ما تَسق الرَّكايا النـوازحُ
ولو نهضتْ بى وثبـةُ الجَدّ زاحمتْ ... على المـاء هذى الآبيـاتُ القـوامحُ
إذًا لسقاها " ناصرُ الدين " ما آستقتْ ... كُبودٌ حِرارٌ أو شِـفاهٌ مَلاوحُ
وقد كانت " الزوراءُ " دارَ إقامةٍ ... ومَنْعَمةٍ فيهـا المنَى والمَفـارحُ
زمانَ العُـلا محفـوظةٌ فى عِراصها ... ثِقـالٌ وميزانُ الفضـائلِ راجحُ
فقـد حُوِّلتْ تلك المحاسنُ، وآنتهتْ ... الى غيرها فى الأرض تلك المَنـائحُ
وأضحتْ " عمانُ " لمكارمِ رُحلةً(٣) ... تُراحُ عليهـا المتعَباتُ الروازحُ
بهـا المُلكُ طَلْقٌ والمغانى غَنيَّـةُ الـ ... ـرُّبا ومسـاعى الطالبين مَنَاجحُ
يضوع ثراهـا بالنـدى فتخالهـا ... رياضـا وكانت قبـلُ وهى ضرائحُ
يدبّرها سَـبط اليدينِ، بنـانُه ... لمقفَل أرزاق العبـاد مَفاتحُ

(١) سباط : كريمة لينة . (٢) جعدة : شحيحة جامدة . (٣) الرُّحلة بالضم : المكان يقصده الراحل .

صفا جوُّها بعد الكدور بعدله وطابت حسـاياها(١) الحباثُ(٢) المَوالحُ
فما غـيرها فوق البسيطة للعلا مقـرٌّ، على أن البلاد فسائحُ
ولا مَلِكٌ إلا وفضـلةُ ربهـا عليه اذا عُدّ الملوكُ الجحاجحُ
بهمّة محيي الأمّـة اجتمعت لها الـ ـبدائدُ وانقادت اليها الجوامحُ
بأروعَ، وسمُ الملكِ فـوق جبينـه - اذا ارتابت الأبصارُ - أبلجُ واضحُ
اذا نُسِبَ الأملاكُ لم يَخْش مخجلةَ الـ ـدعاوى ولم تدخل عليه القوادحُ
من النفَـر الغـرّ الذين ببأسهم ونعمائهـم تُلقَى الخطوبُ الفوادحُ
اذا ما دجت عشواءُ أمرٍ فأمرُهـم ونُهيُهُـم شـهبٌ لها ومَصابحُ
لهـم قصباتُ السبق فى كلّ دولة هـم السرُّ(٣) منها والعتاقُ الصرائحُ
ينالون أقصى ما ابتغوه بأذرع مَخاصرُها(٤) صُمُّ القنا والصفائحُ
أصولُ عـلًا منصورةٌ بفـروعها اذا غاب مُمسٍ منهُـمُ هبَّ صابحُ
وربَّ "يمينُ الدولة" المجدَ بعدهم كما ربَّت الروضَ الغيوثُ السوافحُ
جرى جريَهـم ثم استتمّ بسبقه(٥) وكم وقفتْ دون الجِذاعِ القوارحُ
همـامٌ مع الإصرار مُصطلِمٌ(٦) لمن عصَى ومع الإقرار بالذنب صافحُ
تسـنَّم أعوادَ السـرير مُحجَّبٌ لواحظُه شرقا وغـربا طـوارحُ
تُراصِدُ جَرْىَ الأرضِ رجْعاتُ طَرْفه كما ركبَ المَرباةَ أزرقُ لامحُ(٧)
ألا أيها الغادى ليحملَ حاجتى لعلك إن بُلّغتَ بالنُّجح رائحُ
أعد فى مقرّ العزّ عنى تحيّـةً يُذكّى النسيمَ طيبُها المتفاوحُ

(١) الحسايا جمع حِسيَة وهى كل ما يُحتَسَى وفى الأصل "حشاياها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "الجنات" وهو تحريف أيضا . (٣) السِّر : اللُّبّ : (٤) المخاصر جمع مِخصرة وهى ما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب . (٥) فى الأصل "بسيفه" وهو تحريف . (٦) مصطلم : مستأصل . (٧) الأزرق اللامح : البازى .

وقل : عبدُك المشتاقُ لا عهدُه عفا — ولا وجدُه — إن نُقِّلَ الوجدُ — نازحُ
ومن لم يُجَيَّبْ قطّ عالى ظنونِه — لديك ولم تُخْدِجْ (١) مناه اللواقحُ
وأغنيتَه عمّن سواك فلم يُبَلْ — جفا مانعٌ أو بَرّ بالرفد مانحُ
قَليبٌ، قريبٌ لى "ببغداد" ماؤها — ومنبعُها شحطَ النوى متنازحُ
لها كلّ عامٍ من سماحك ناهزٌ (٢) — ومن عهدك الوافى رِشاءٌ وماتحُ
اذا ما آستدرَّ الشكرُ سلسالَ صوبِها — وجاءك عنى تمتريها المدائحُ
أتتنى وبطنُ البحر ظهرُ مطيِّها — فروّتْ غليلى والسفينُ النواضحُ
وما زادها التنقيصُ إلا غزارةً — وإلا صفاءً طولَ ما أنا نازحُ
تبُلُّ ثرى أرضى وجسمِىَ وادعٌ — وتُثمِرُ لِأبنى وهو ساعٍ مُكادحُ
كلانا سُقِى من عفوِها وزُلالِها — وإن حبستنى عُقْلَتى (٣) وهو بارحُ
فللهِ مولًى منك ما لِىَ عنده — ومَتجَرُ من يُدلى بجاهى رابحُ
وها هو قد كرّت اليك رجاءه — سوائرُ حاجٍ طيرُهنّ سوانحُ
فأمرَك — زاد الله أمرَك بسطةً — بما عوّدت تلك السجايا السحائحُ
أَعِنْ جهدَه واعرف له خوضَ زاخرٍ — يهزُّ الضلوعَ موجُه المتناطحُ
ولم أستردْ نُعماك إلا ضرورةً — وقد تُستزادُ المزنُ وهى دوالحُ
بما ثقّلتْ ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ — تكاليفَ عيشى وآنتحتنى الجوائحُ
وما بُثَّ من زُغبٍ حَوالَىَّ كالقطا — تنزّى الشرارِ أعجلتها المقادحُ
أمسّح منهم كلَّ عِطفٍ أسفتُ إذ — أتانى وقد بُيِّضنَ منّى المسائحُ
نجوتُ على عصرِ الشبيبةِ منهمُ — وأرهقنى المقدارُ إذ أنا قارحُ

---

(١) يقال : أخدجت الدابة : جاءت بولد ناقص الخلق . (٢) الناهز : الذى يضرب بالدلو فى البئر لتمتلئ . (٣) العُقلة : ما يُعقل به كالقيد أو العقال ، وفى الأصل "غفلتى" .

فدتك ملوكٌ ذكرُ مجدك بينهم مثالبُ فى أعراضهم وجرائحُ
اذا لُعنوا صلّتْ عليك محافلٌ صفاتُك قرآنٌ لها ومَسابحُ(١)
حَمَوا مالهم أن تُنتحى بنقيصة عقائلُه والساريات السرائحُ
ومالُكَ فى الآفاق شتّى موزَّعٌ، كرائمُه والباقياتُ الصوالحُ
سهرتَ ونام الناسُ عمّا رأيتَه كأنك للعلياء وحدَك طامحُ
وجاريتَ سيبَ البحرِ ثم فضلْتَه وهل يستوى البحرانِ عذبٌ ومالحُ؟
أعرنِىَ سمعا لم تزل مطربًا له اذا ما تغنّته القوافى الفصائحُ
وأَصغ لها عذراءَ لولاك لم تُجب خطيبا ولم يظفَر بها الدهرَ ناكحُ
من الباهراتِ لم تُحدِّثْ بمثلها الـ ـنفوسُ ولم تُوصَل اليها القرائحُ
ظهرتُ بها وحدى على حين فترةٍ من الشِّعر، برهانى بها اليومَ لائحُ
ومِنْ شرفِ الأشعار أنك سامعٌ ومن شرف الإحسان أنّى مادحُ
ومَنْ لِىَ لو أنّى مَثَلْتُ مُشافِها أفاوضُها أسماعَكم وأطارحُ
وأن ينهضَ الجَدُّ العَثورُ بهجرةٍ(٢) تُعالَجُ أشواقى بها والتَّبارِحُ
ويا ليتما ريحُ الشَّمال تهبُّ لى، فتطلعَنى منها عليك البوارحُ
وكيف مَطارى والخطوب تحُصُّنى وأخذِىَ شَوطى والليالى كوابحُ
وقد كان جُبن القلب يُقعِدُ عنكمُ فقد ساعدَتْه بالنكولِ الجوارحُ
وأقسمتِ الستُّونَ ما لخروقها اذا آتسعتْ فى جِلدة المرءِ ناصحُ(٣)
وإنى على أنسى بأهلى وموطنى لأَعلمُ أنَّ العيشَ عندك صالحُ

(١) فى الأصل ''مسابح'' وهو تحريف. (٢) فى الأصل ''وإن نهض''. (٣) الناصح: الخياط.

قافيـة الدال

بعـد خلو حرف الخاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن مما بخلع وحملان(١) أخرجت اليه من الحضرة ويصف العود والجام والخلع

(٩١) أرى طرفها أن الخضابين واحد ولكنه ما بهرج(٢) الشيب ناقد
ضلالة حب غادرتنى مزورا عذارى وإنى لو أفقت لراشد
يقولون: عمر الشيب أطول بالفتى، وما سرنى أنى مع الشيب خالد
أماض فغدار زمان أباحنى حريم الهوى أم حافظ لى فعائد؟
ودارين من عالى "الصراة" سقتهما الـ ـبوارق ربعى(٣) الهوى والرواعد
ألفتهما والعيش أبيض ضاحك بربعهما والظل أخضر بارد
وندمان صبحى صاحب متسمح معى، وضجيع الليل إلف مساعد
وأخرس، مما سنت "الفرس" ناطق(٤) يهب رياحا روحه وهو راكد
على صدره بالطول سبع ضعائف تدبرها بالعرض سبع شدائد
وخمس سكون تحت خمس حوارك تمد ثلاثا يتطيهن واحد
يشرد من حلم الفتى وهو حازم فيرجع عنه فاسقا وهو عابد
وقوراء(٥)، ماء الكرم أحمر ذائب عليها وماء التبر أصفر جامد

(١) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة . (٢) بهرج : زيف .
(٣) الربعى : ما نتج فى أيام الربيع وهو هنا مجاز . (٤) يكنى عن العود ويصفه .
(٥) القوراء : الواسعة ، ويريد بها الكأس .

تُمَثِّلُ "بَهْرامَ الكواكبِ"(1) قائماً ... بها حيثُ "بهرامُ الأكاسر" قاعدُ
أميرانِ، يُخفِي قائمَ السيفِ قابضٌ ... عليه، ويُبدِى دُرّةَ التاجِ عاقدُ
تَبِينُ وحبّاتُ المزاجِ نوازلٌ ... وتَخفَى وحبّاتُ الحَبابِ صواعدُ
مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها ... اذا لاحظ الأعقابَ فهى مَفاسدُ
ودنيا، لسانُ الذمّ فيها محكَّمٌ ... ولكنها عند "الحسين" محامدُ
اليكم بنى الحاجاتِ إنّى رائدٌ ... ليُحبَسَ جارٍ أو ليَبرُكَ واخدُ
أبٌ بكمُ برٌّ وأنتم معقّةٌ ... أخٌ لكمُ دِنْيًا وأنتم أباعِدُ
حبيبٌ اليه ما غنمتم كأنه ... اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافدُ
أناةٌ(2) ومن تحت القطوبِ تبسُّمٌ ... أوانًا وفى عقب الأناةِ مكايدُ
محاسنُ لا ينفكّ ينشُرُ حامدٌ ... لها بعضَ ما يَطوِى على الغلّ حاسدُ
ولما جلاكَ الملكُ فى ثوب جسمه ... تراءت على قدر العروس المَجاسدُ
أثبتُ بها عذراءَ ما آفتضّ مثلَها ... سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهدُ
"بهائية" تُعزَى لأشرفِ نسبةٍ ... لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تراودُ
لها أرَجٌ للعزِّ باقٍ وإنها ... على عزِّ من تُهدَى اليه لَشاهدُ
على منكِبِ الفخرِ آستقرّت ولم تكن ... تُلاقيكَ(3) لو لم تدرِ أنّك ماجدُ
أبانَ بها ما عنده لك، إنما ... تُحلَّى لإكرامِ السيوفِ المَغامدُ
فزاد "بهاءَ الدولةِ" اللهُ بسطةً ... على أىِّ عِلقٍ(4) منك أضحى يزايدُ
لئن كان سيفًا مرهَفَ الحدّ إنه ... ليَعلمُ عِلمَ الحقّ أنك ساعدُ
أتانِى ليلا — قرَّ عينا — مبشّرى ... فأيقظنى وَهْنًا وإنى لَراقدُ

(1) بهرام الكواكب : المريخ، قال حبيب بن أوس :
له كبرياءُ المشترى وسعودُه * وسَوْرةُ بهرامٍ وظَرفُ عطاردِ
(2) فى الأصل "أناك" . (3) فى الأصل "تلقّيك" . (4) العلق : الشىء النفيس .

وقمتُ، فكفٌّ(١) يشكر الدهرَ كاتبٌ ... ثناك، وخدٌّ يشكر اللهَ ساجدُ
وناديتُ فانثالتْ معانٍ كأنّما ... تنظّمه منها القوافى فرائدُ
وتَنقدْنَ لى ما سِرنَ ظهرَ مدائحى ... اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صواديا ... ليَسْرَحنَ إلا حيث تصفو المواردُ
ولستُ كمن يُعطِى الأسامِى نوالَهُ ... اذا جاد تقليدا وتُلغَى القصائدُ
وما الشِّعرُ إلا ما أقامت بيوتُه ... وسارت نأضحى(٢) قاطنا وهو شاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ — اذا فشا ... به الحفظُ — أغلالٌ وأخرى قلائدُ

✧

وقال يمدحه ويتنجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبى كفيلا من العهدِ ... يذكّرنى بالقربِ فى دولة البعدِ
فقولا لواشيها — وإن كان صادقا — : ... وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليلىَّ، ما للريح هبّت مريضةً ... هل آجتدتِ البُخّالَ أم حَملتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداءِ ما لا تُقِلُّه ... على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملِى بجامعٍ؟ ... ومدُّ يدٍ، لكن مَنِ الرّجُلُ المُجدِى؟
فلا حُبَّ بل لاحظَّ نالك حظُّه(٣) ... قد آشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسمّى زمانى طولَ صبرى تجلّدا ... عدمتك، ما أبقيتَ بعدِىَ للجَلْدِ؟
كما ذَمّ مَنْ قبلى ذممتُك عالما ... بأنك موقوفٌ على الذمِّ مِن بعدِى
ولكن تجاوزْ لى بصَرفك ماجدا ... اليه اذا جارتْ صروفُك أَستعدى
اذا "الصاحبَ" آستنجدتُه فوجدتُه ... فَرُغْنِىَ فيمن غيره شئتَ بالفقدِ ٩٢

(١) كفّ مؤنثة وتذكيرها هنا يراد به العضو . (٢) رجحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

وإن مرَّ فى الأحباب عيشٌ بغيره — فحسبى بعلم الله فى ذاك والحمدِ
وما أعرفُ الممدوحَ لم يجزِنى به — اذا قلتُ خيرا ، إنَّ ذلك بالضدِّ
أحقُّهم عندى بما قمتُ مثنيا — أعدِّده مَنْ فات إحسانُه عَدِّى
فإن تكن الأيّام أجدبن مرتعى — لديه وكدّرن الزلالة من وِردى
أقولُ لآمالى – وأخشى قنوطَها – — ركوبُكِ ظهرَ الصبر أدنَى الى الرشدِ
تُطار فلولا وجهُ سعدِك لم يكن — سِراجُك فى الظلماء نجمَ "بنى سعدِ"
"أباالقاسم" آمنحنى–سمعتَ–آستماعةً — وقِفْ بى من آستبطاء حظّى على حدِّ
سخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لاقيا — بِسَبط كلامى(١) كلَّ ذى نائلٍ جعدِ
اذا قلتُ : أينَ الجودُ؟ أنشد بخله : — محا الدهرُ ربعاً "بالمشقَّرِ(٢)" من "هِندِ"
تعابُ لديه الشمسُ بالنور حُجّةً — على منعه ، والماءُ فى القيظ من بَرْدِ
وفاضت – وهم يُبْس – بحارُك بينهم — فياليت شعرى ما لجودك ما يُعدى!
وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ — ولكن قليلٌ مكثُها دولةُ الوَرْدِ
أظلُّ وما فى عاشقيك محقَّقٌ — سواى ، أقاسى الهجرَ من بينهم وحدى
فلِمْ أنت راضٍ لى وللجِد وقفةٌ — تزاحَمَ دمع اليأس فيها على خدِّى
وما غيرُ تأميلى بدينى قضاؤه — فكم أتقاضاه وأنحتُ من جِلدى
عسى يقف الإنجاز بى عند غايةٍ — تريح فلى حَولٌ أُجرُّ على الوعدِ
تساويفُ وفّاها المِطالُ حدودَه — فعجِّل لها الإنجازَ أو جبهةَ الرّدِّ

(١) السبط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل "بسبط" . (٢) المشقّر : اسم موضع .

⁂

وأنفذ اليه الكافى الأوحد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه ، ويذكُر تنزُّهه عن النظر فى الوزارة بالرَّىّ ، وآعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه ، وما بان من عجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بهـا ملأَى ثِقالا أو آغتـدى
فكان وما باراه من عَبَراتنـا ... نصيبَ مَحَـلٍّ "بالجنـابِ" تأبَّدا (١)
وما كنتُ لولاه ـ ولو تربت يدى ـ ... لأَحمـلَ فى تُربِ لمـاطِرِهِ يدا
خليلَىَّ، هذى دارُ "لمياء" فاحبسا ... معى وآعجبا إنْ لم تُميـلا فتُسعدا
نعاتب فيها الدهرَ، لا ! كيف عتبُهُ؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا
سلاها ـ سقاها ما يُعيـد زمانَهـا ... وعيشا بهـا ما كان أحلى وأرغدا ـ :
عهِـدْنا لديكِ الليـلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يَطلُعُ أَسـودا؟
فأينَ الظباء العامراتك بالظُّبى ... ثُنًى وفُـرادى، غافلاتٍ وشُرَّدا؟
وليـلُ آختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لمـا مازت الأيدى القِنـاعَ من الرِّدا
أبعدَ جلاءِ العينِ فيك من القذَى ... أرى أثرًا أنَّى تلفتُّ مُرْمِـدا؟
لعمرُ الجـوى فى رُفقتى بكِ إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعـوَّدا
وقلتُ: صَدًى، قالوا: الفراتُ الذى ترى ... وهيهات ! غيرَ المـاء، ما نُقع الصدَى
مضى الناسُ ممّن كان يعتَـدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقين إن هو عـدَّدا
وكان بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ، فمَن لى أن أرى المتـودِّدا!
أمنعطفٌ قلبُ الزمان بعاطشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه مَوردا؟
تحمَّل شرقياً مع الركب شـوقُهُ ... وقد غار شـوقُ العاشقين وأنجدا

(١) تأبد : أقفر ولزمته الوحوش .

له بين أثناء الجبالِ وأهلها   مَزارُ حَبيبٌ دونه طُرُقٌ عِدَا
وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا   " وثهلانَ " شخصا جالسا متوسِّدا
وليثَ الشرى تحت السُّرادق مُلبِدا   وبحرَ الندى فوق الأسرَّة مُزبِدا
وأن أدركَ العلياءَ شخصا مصوَّرا   هناك وألقى العزَّ جسما مجسَّدا
ومن بَلَّغَتْهُ " الأوحدَ الكافيَ " المُنَى   تَغَزَّلَ مَكْفِيًّا وفاخَر أوحدَا ٩٣
لذاك آشتياقي ، ليس أن جازني[1] له   على البعد إحسانٌ ولا فاتني نَدَى
مواهبُه سارت لحالي كثيفةً   وشعريَ مطلوبا وذِكْرِي مشيَّدا
فمن نِعمةٍ خضراءَ تسبق نِعمةً   له ، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا
فتى لم أجد لي غيره فأقول : ما   أعمّ عطاءً من فلانٍ وأجودا
أنالَ وفي الأيام لِينٌ وأيبستْ   فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا
اذا بَلَغَ الزُّوَّارُ بابَك أُلقيتْ   رِحالُ ذليلٍ عزَّ أو حائرٍ هَدَى
وقَلَّ من الآرابِ[2] قُلٌّ[3] ضَمِمتَهُ   وقد جاز في الآفاق نَهبا مطرَّدا
تُغلَّقُ أبوابُ الملوكِ أمامَهُ   ويَرعَى لديها الجهلُ وهي لَقًى سُدَى
تدافعه آدابُها وأكفُّها   مدافعةَ السَّرح البعيرَ المعبَّدا[4]
كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ   جفوتَ ، فقد صارت كما شاءها العِدا
فمركبها بعد السكينة نافرٌ   ومركبها صعبٌ وكان ممهَّدا
عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه   وكان آحتشاما منك يمشي مقيَّدا
فإن يك ضَرَّت[5] هجرةٌ بعثَ " أحمدٍ "   فقد حطَّ هجرُ " الرَّيِّ " رتبةَ " أحمدا "
تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده   ووازرها والكدُّ فيمن تقلَّدا

(١) في الأصل "حازني" . (٢) الآراب جمع أرب وفي الأصل "الآداب" . (٣) القُلّ الذي لا أحد له . (٤) المعبَّد : البعير المهنوء بالقطران لجربه . (٥) في الاصل "ضرب" .

أيخشى "ابن إبراهيمَ" فوتَ وِزارةٍ   وقد حازها سقفَ السماء وأبعدا
ولما بدت للعين وَقْصاءَ(١) جهمةً   وكانت تريك البدرَ والظبيَ أجيدا
معنّسةً أفنيتَ(٢) عمرَ شبابها   فلم يبقَ إلا الشيبُ فيها أو الردى
نهضتَ على الإحسان فيها ولم تقم   وعيشِك إلا وهى تُزعِجُ مَقْعَدا
تزوجتها أيامَ تُنْكَحُ لذةً   وسرّحتَ إذ كان النكاحُ تمرّدا
وخلّفتها قاعا يغرُّ سرابُها   يَدَىْ(٣) حافرٍ لم يُسْقَ منها سوى الكُدَا(٤)
قليلِ اطلاعٍ فى العواقب لو درى   مشقّةَ ما فى مَصدرٍ ما توردا
تلبّسها جهلا بأنك لم تكن   لتنزِعها لو كنتَ تنزِعُ سؤددا
تحدّثنى عنك الأمانى حكايةً   بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى
وكم زائرٍ منّا حملتَ اقتراحَه   مضى ساحبا رِجْلا وآب مقوّدا
ومثلِىَ لو دونى أتاك بنفسه   ذُنابَى(٥) وولّى عنك رأسا مسوّدا
عسى عزمةٌ أشوتْ فمُلّتَ كاتبا   يقرطسُ أحيانا فأمثُلُ منشدا
وقائلةٍ : هل يدركُ الحظُّ قاعدًا ؟   فقلتُ لها : هل يقطعُ السيفُ مغمَدا !
سيلقَى بها "الكافى" عهودا وثيقةً   لقد زادها الإسلامُ حقًّا وأكّدا
رضيتُ ـ وإن جدّ(٦) الجدوبُ ـ تعفّفا   وعيشا مع الوجه المصون مبدّدا
وميلا بنفسى عن لقاء معاشرٍ   أحتّهمُ(٧) صخرا وأعصِرُ جلمدا
أرادوا بنخلٍ أن يُذَمّوا فيُعرَفوا   خمولا ، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا
أعالج نفسا منهمُ مقشعِرّةً   وأنفا اذا شمّوا المذلّة أصيدا

(١) الوقصاء : قصيرة العنق ، وفى الأصل "وقضاء" وهو تحريف . (٢) فى الاصل "معبسة أفيك" وهو تحريف . (٣) فى الأصل "بذى" وهو تحريف . (٤) يقال : أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر . (٥) الذُّنابى : الذنَب . (٦) بالأصل "جَرّ" . (٧) حتّ : فرك وقشر .

هو المنقذى من شِرْكِ قومى و باعثى على الرشد أن أُصفِى دواى "محمدا"(١)
وتاركُ بيتِ النارِ(٢) يبكى شرارُهُ علىَّ دمًا أن صار بيتىَ مسجدا
عليك بها وَصَّالةً رحِمَ الندى اذا آشتمل الشعرُ العقوقَ أو آرتدى
هجرنا لها اللفظَ المقلقَلَ قربُهُ الى السمع والمعنى العَوانَ المردَّدا
يُخالُ بها الراوى اذا قام منشدا بما ملك الإطراب قام مغرِّدا
لكم "آلَ ابراهيم" نُهدِى مدائحا وذمًّا الى أعدائكم وتهدُّدا
اذا عزَّ مُلكٌ أن يدوم لمالكٍ وطال على ذى نعمة أن يُخلَّدا
فلا تعدَم الدنيا الوَساعُ مدبِّرا يقوم بها منكم ولا الناسُ سيِّدا

✢

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ إن كان بخلٌ لديك أو جودُ
يشقَ ويرضَى بك الفؤادُ كما الطَّـ ـرْفُ اذا ما رآك مسعودُ
يا غُصُنًا دهرُه الربيعُ فما يفترقُ الماءُ فيه والعودُ (٩٤)
فات بك الحسنُ أن تُحَدَّ ولا بدر بما آنحطّ عنك تحديدُ
قم حدّث الليلَ عن أواخره إن مَقامَ الصبوح مشهودُ
يا ظبىُ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد عَنَّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ
أما ترى الفِطرَ صائحا: نورِزُوا حَلَّ حرامٌ وآنحلَّ معقودُ
والبدر يدعو بحاجبٍ حاجبٍ للعيدِ: بشرى هنالك العيدُ
فاسبق بها الشمسَ أختَها(٣) لهبا بقاؤها فى الزمان تخليدُ
صان اليهودىُّ خِدرَها أن يُفَـ ـضَّ الختمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

(١) يريد النبي صلى الله عليه وسلم. (٢) بيت النار: معبد المجوس. (٣) يكني عن الخمر.

عَدَّ رجالا من قومه، لَهـمُ في فضلها عنـده أسانيـدُ
سنَّ له اللهـوُ أن يعظِّمَها فهى له فى الدنان معبـودُ
حمـراءُ، ما فازت الأكُفُّ به من لونها فى الخـدود مردودُ
من فمِ إبريقها الى شَفة الـ كأس عمودُ الصباح ممـدودُ
دينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ ليس متى حُدتَ عنـه مطرودُ
تغنَّم اليـومَ من سرورك والسـ اعةَ، إن الزمان معـدودُ
ما دام يدعونك الفتى مَرَحا والغصنُ فينانُ والصِّبا رُودُ(١)
غدا بياضٌ، يا قاتـل الله ما تنشق عنـه من بيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّيبَ والسرورَ يدٌ ولا يتـمُّ الثراءُ والجـودُ
لا أخلَفَ المـالَ غيرُ متلفـه إن الغـنىَّ البخيـلَ مكدودُ
يا راكبا لم تُلِحْهُ هاجـرةٌ ولا ترامت بشخصه البيـدُ،
ولم تَقُـدْ حظَّـه مخاطَرةٌ تُنضَى اليهـا المهـريَّةُ القُـودُ،
بين مناه وبينـه غرضُ الـ رامى سـدادٌ منـه وتعضيدُ(٢)،
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما يعـدَمُ فضـلٌ وأنت موجودُ
ملَّكك المجـدَ أنّ بابَك مفـ توحٌ وبابَ الأرزاقِ مسـدودُ
يزدحم الناس فيـه راجين را ضين، وحوضُ الكريم مورودُ
وأن عافيك — والمكثِّفُ مشـ نوءٌ — مُرادٌ لديـك مودودُ
لا هـو فى الذلِّ بالسـؤال ولا بالمنّ فيما منَنتَ مكدودُ
يختلفُ النـاس من كرامتـه عنـدك مَنْ قاصـدٌ ومقصودُ

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطب ما يكون وأرخصـه وهو هنا من المجاز .

(٢) التعضيد : ذهاب السهم شمالا و يمينا .

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ والحلمُ حتى يقالَ : جلمودُ
يُلبسك المدحُ كلَّ ضافيةٍ لها بطول الإخلاق تجديدُ
دُرُّ المعالى فيها بوصفك منـ ـظومٌ ووشىُ الألفاظِ منضودُ
تَخْبرُ منه ما أنت ناقده وأكثر الإنتقادِ تقليدُ
والشعر، ما لم توجدك آيتُهُ — إلا القوافى والوزنَ — مفقودُ
يتعبُ فيه الموفَّرون له وهو مع المُسْهلين موءود
بَقِيتَ منه لزائراتك بالـ ـشناءِ غيدا أكفاؤها الصِّيدُ
كلّ فتاةٍ مُحْدُوُّها يومَ تبـ ـغى الحظَّ إمَّا أتتك مجدودُ
صديقُها أنتَ ، والحسود بها وبى على القرب منك مفؤودُ (١)
فى وجهه البشر حين يسمعها خوفا وفى قلبه الأخاديدُ
يَطرَبُ منها للشىء يُحزِنُهُ وآسمُ بكاءِ الحمامِ تغريدُ
لا آجتاز عيدٌ إلا عليك وإن أَجَزْتَ أن تُمطَلَ المواعيدُ

✦ ✦ ✦

وقال وكتب اليه أيضا يهنئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ فسيّانِ القرابةُ والبعادُ
عهودٌ يومَ "رامةَ" دارساتٌ كما يتناوب الطَّلَلَ العِهادُ
وأيمان تضيعُ بها المعانى وتحفظها الأناملُ والعِدادُ (٢)
تطيرُ مع الخيانة كلّ جنبٍ وحبّاتُ القلوبِ بها تصادُ
أمعترِضٌ صدودُكِ "أمَّ سعدٍ" ببعض الشرِّ، أم خُلُقٌ وعادُ (٣)؟

(٩٥)

---

(١) فى الأصل " ولى " . (٢) العداد : العدّ . (٣) عاد جمع عادة .

وعــــذلٌ فيـك أوجعَ نازلٍ بى   أنا الملسوعُ والعـذلُ العِـــداد (١)

وعبتِ وليس غيرُ الشيب شيئا   أُذادُ له بعيبٍ أو أُكادُ

وما مــنّى البياضُ فتجرِمينى   به ذَنْبا ولا منـكِ الســوادُ

بأيمنِ ملتـقَى الماءين دارٌ   لمــرتادِ الهــوى فيها مَرادُ

وقفتُ، ومسعِدون معى عليها،   ألا يا دارُ ما فَعَلتْ "سعادُ"؟

أقول لهـــم أُعَلَّلُ فيكِ شوقى :   وشــيكا ينقعُ الظماَ الثِّمادُ (٢)

خذوا من يومكم لغــدٍ نصيبا   من الأطلالِ، إنَّ اليومَ زادُ

توقَّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ   فَـداؤك من دوائك مســتفادُ

يخــوفنى مَكايدَه زمانى   صَــغارِكَ (٣) لا أُحِسُّ ولا أكادُ

وقـــدرتُه اذا لم يُعطِ بخــلٌ   وغايتــه اذا أعطى نَفادُ

فقـل لبنيه : لستُ إذًا أخاكم،   بعــادٌ بيننا أبــدا بعادُ

أعان الله مســكينا رجاكم   فإن رجاءَ مثلِكُمُ جهادُ

رضــينا من قبائلكم ببيتٍ   عمــادُ المكرماتِ له عمادُ

بنى "عبدِ الرحيم" وكلُّ فخـــر   يفــوت فبآسم نســبتهم يُفادُ

أعِــدْ ذكرَ التحيّـــة فى أناسٍ   اذا بَدءُوا (٤) اليــك يدًا أعادوا

وقم وآخطب بحمدك فى ربوعٍ   وفــودُ المجــد عنهـا لا تُذادُ

ومبتسمين يُورى الملكُ منهـــم   جباها، كلُّ واضحـــةٍ زنادُ

رأَوا حفظَ النفوسِ اذا آستميحوا   ـــ وقد بخل الحيا ـــ بخلا، فجادوا

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، ويقال عداد اللديغ سبعة أيام ، ويقال له مادام فيها : هو فى عداده . (٢) الثماد : الماء القليـل . (٣) صغارك أى هات ضيمك ومذلتك فإنى لا أحس . (٤) فى الأصل "أبدوا" .

فِدًى للحسنين فتًى عُلاهم ... وناشرُها وقد درسوا وبادوا [١]
دعيٌّ في السماح وليس منه ... متى اعترف الندى بك "يا زِيادُ" [٢]؟
دعِ العلياءَ يسحبُها عريقٌ ... بياضُك يومَ نسبته سوادُ
يطولُ ركابه إن قام فيها ... ويقصرُ عن مقلَّده النجادُ [٣]
أيا "ابن عليٍّ" اعتقلتك منّي ... يدٌ لم تدرِ قبلك ما العَتادُ
عركتُ يدَ الخطوبِ وفيَّ ضعفٌ ... فلِنَّ وهنَّ أعباءٌ شِدادُ
لذلك تُستزاد الشمسُ نورا ... وحُبُّك الذي لا يُستزادُ
وحظُّك من جَنَى فكرى ثناءٌ ... يطول، وطُولُه فيك اقتصادُ
اذا الشيءُ المعادُ أَملَّ سمعا ... تكرَّر وهو طيبًا يُستعادُ
فما خُطِبَتْ بأبلغَ منه خاءٌ ... ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضادُ [٤]
ألا لاتذكرُ الدنيا بخيرٍ ... فتًى إلا وأنتَ به المرادُ
اذا حاز امرؤ تأبيدَ نجلٍ ... أمدَّك من "أبي سعد" مِدادُ
شبيهُك، والعلا منها اكتساب ... ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ
وكنتَ البدرَ تمَّ فزيدَ نجما ... كما أوفَى بغُرّته الجوادُ
فعِشْ وادخرْه للعافين كهفا ... وخيرُ ذخيرةِ الجسم الفؤادُ

* * *

وكتب اليه أيضا يهنئه بعيد الفطر ويتقاضاه حاجة

أبالغور تشتاقُ تلك النجودا؟ ... رميتَ بقلبك مرمًى بعيدا
وفيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ ... يُذِلّ العزيزَ ويُضوِي الجليدا [٥]

(١) يرى المتمعن أنه انتقل بخفاة مع التعمية الى غرض آخر ولعله تهكّم . (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب . (٣) النجاد : حمائل السيف . (٤) فى الأصل "صاد" .
(٥) يضوى : يُضعِف .

أفى كلّ دارٍ تمـــرُّ العهـــودُ   عليك ولم تنس منهـا العهـــودا ؟
فـــؤادٌ أســـيرٌ ولا يفتـــدى   وجفنٌ قتيـلُ البكا ليس يُودَى(١)
ســــهرنا "ببابـــلَ" للنــائمِيـ   ـنَ عمّـا تقاسى "بنجدٍ" رقــودا
من العربيّات شمسٌ تعــودُ   بأحرارِ "فارسَ" مثلَ عبيـــدا
اذا قـــومُها آفتخــــروا بالوفا   ءِ والجود ظلّتْ ترى البخلَ جودا
ولو أنهـــم يحفظون الجوا   رَ رَدُّوا علىّ فـــؤادا طـــريدا
نعم جَمَـــعَ الله يامن هَـــوِيتُ   وصَدًّ، عليك الهوى والصـــدودا
رَنَتْ عينُـــه ورأت مَقتَـــلى   ففـــوّقهـا ورمانى ســـديدا
قـــلوبُ الغـــوانى حديدٌ يقـــالُ   وقلبـــك نارٌ تذيبُ الحـــديدا (٩٦)
سأجرى مع النــاس فى شوطهم   فَعـــالا بغيضــا وقـــولا وديدا
أُغَرّ بِبِشْـــرِ أخى فى اللقـــا   ءِ لو تبـــعَ الغيثُ تلك الرعـــودا
ويُعجبنى المـــاء فى وجهـــه   وفى قلبـــه الغِـــلُّ يُذكِى وَقودا
مُريبون أوســـعُهم حجـــةً   وعذرا معى مَن يكون الحســـودا
وحادِ(٢) فلستَ ترى المســـتريـ   ـحَ فى الناس من لا تراه الوحيدا
وحازت سجايا آبن "عبدالرحيم"   ثنــاءً كسؤدُده لن يَبيـــدا
ومدحا اذا مات مجــدُ الرجا   لِ أعطى الذى سار فيــه الخلودا
تمهّدَ من "فارسٍ" ذِروةً   تُحَطُّ "المجـــرّة" عنهـا صعودا
مكانةَ لا تســـتفزُّ العيـــو   بُ نفـــرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا
تشـابَهَ عِـــرقٌ وأغصـــانُه   كما بدئَ المجــدُ فيهـــم أُعيـــدا
فعُـــدَّ الكوا كبَ منهـــم بنينَ   وعُدَّ الأهاضيبَ منهـــم جدودا

---

(١) يودَى : تُدفَع دِيتُه .   (٢) وَحادِ : كن وحيدا .

سَعَدتُ بحبّك لو أننى ... لحظّىَ منك رُزِقتُ السعودا
إلامَ توانٍ يُميتُ الوفاءَ ... وعندى ضمانٌ يَحُلُّ العقودا ؟
ونقصُ اهتمامٍ أرى مُكْرِهًا ... لجودك من أجله مستزيدا
أمَا آن للعادة المرتضا ... ةِ من رحبِ صدرِك لى أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهى يذوبُ ... بها ثمنا لم يَرُعْنى جمودا
أمانٍ صدرنَ بطانًا وعدنَ ... خمائصَ ممّا رَعَيْنَ الوعودا
الى الله محتسبا(١) عنده ... بعثتُ هوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولة ... فطاولْ زمانَك بيضًا وسُودا
ولا تبرحنّ بشعرى عليك ... عرائسُ يُجْلَيْنَ هِيفًا وغِيدا
تَخالُ اليمانىَّ حاك البرودَ ... اذا أنا قصّدت منها القصيدا
ولى كلَّ عيدٍ بها وقفةٌ ... أناشدُ عطفَك فيها نشيدا
تهانٍ يَغُصُّ التقاضى بها، ... فهل أنا لا أتقاضاك عيدا ؟

✦ ✦ ✦

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيوب يهنئه بعيد الفطر

أنا اليومَ ممّا تعهدين بعيدُ ... تُريدين منى والعَلاءُ يريدُ
طوَى رَسَنى عن قبضة الحبّ خالعا ... قُواه ، وقدمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — وليالى اللهو بيضٌ — وهبّتُه ... اليها ، وأيّام الكريهة سودُ
وهِيفٌ رقاقٌ موضعَ الهَيَفِ(٢) فُتْنَنى ... وهنّ جسومٌ حلوةٌ وقدودُ
دعينى وخُلْقًا من سنىَّ استفدته ... عزيزا فمعدودُ السنين مفيدُ

(١) فى الأصل "مستحسبا" .

(٢) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهى هيفاء ، وجمعهما هِيف .

ولا تحسبينى صِبْغَ لونين فى الهوى ... أتوبُ وتبدو فرصةٌ فأعودُ
ولا كامنا فى الحىّ أنظرُ بِربه ... على خدعة الأشراكِ كيف أصيدُ
وحصّ غرابى يا ابنة القومِ أجدلٌ (١) ... بصيرٌ بأوكار الشبابِ صَيودُ
أراكِ تَرَيْنى ناقصا ونقيصتى ... ليالٍ وأيامٌ علىّ تزيدُ
لكلِّ جديدٍ باعترافِكِ لذةٌ ... فما لكِ عفتِ الشيبَ وهو جديدُ
تأخرتِ بالصمصامِ وهو مصمّمٌ ... وخالفتِ رأىَ الرمح وهو سديدُ
متى (٢) ضنّتِ الدنيا علىّ فأبصرت ... لسانىَ فيها بالسؤالِ يجودُ
اذا كنتَ حرًّا فاجتنبْ شهواتِها ... فإن بنيها للزمان عبيدُ
وبِنْ فى عيون الناس منهم مباعدا ... اذا اشتبهوا واسلم وأنت وحيدُ
وقل بلسان الحظّ، إن خطيبَهُ ... بليغٌ ومَن أعيا عليه بليدُ:
اذا شئت أن تلقَى الأنام معظّما ... فلا تلقهم إلا وأنت سعيدُ
ورُبَّ نجيبٍ "كابن أيوب" واحدٍ ... تراه مع الحالاتِ حيث تريدُ
صديقٍ، وما يُغنى صديقُك لم يُطِقْ ... ثقيلا ولم يقرُب عليه بعيدُ؟
أعُدُّ سجايا الأكرمين وتنقضى ... وأمُّ سجاياه الكرامِ ولودُ
اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِىَ العُلا: ... أعِد، والحديثُ المستحبُّ يعودُ
وصدّق وصفى — والمحبُّ بمعرِضٍ ... من الريب — آياتٌ عليه شهودُ (٩٧)
يدٌ فى الندى ماءٌ، وقلب اذا التوتْ ... عليه حبالُ المشكلات حديدُ
ومخضوبةِ الأطرافِ لم تُصبِ عاشقا ... عميدا، وكم أودى بهنّ عميدُ
قواطع أوصالِ البلاد سوائر ... وما ثار عن أخفافهنّ صعيدُ
اذا ثارُ حربٍ أُغرمتْ أو مكيدةٌ ... فهنّ لها وما احترقن وقودُ

(١) الأجدل : الصقر .   (٢) فى الأصل "مضى" .

وعلّمه أن يصنع المجـدَ منبِتٌ ... عريقٌ وبيتٌ فى السماء قعيـدُ
وحامون بالرأى الجميع حِماهُمُ ... ووَفْرُهُمُ عنـد الحقـوق شريدُ
مطاعيمُ أرواحِ الشتاء، (١) اذا طغت ... سـواجرُ (٢) فى أبياتهم وركودُ
قِيامٌ الى أضيافهم وعليهِـمُ ... ولكنّهم عنـد الملوك قُعودُ
سخا بِهِـمُ أنّ السخاء شجاعةٌ ... وشجّعهـم أنّ الشجاعةَ جـودُ
وُقيتُ من الحسّاد فيك فكلّ من ... يَرَى ودَّك الباقى علىَّ حسـودُ
يودّون ما أصفيتنى من مـودّةٍ ... وما أصطفِى من شكرها وأُجيـدُ
لبعضهِمُ من بعضهم متخلَّصٌ ... وتأبَى غلولٌ بينهـم وحقـودُ
وعذراء مما آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى ... معقَّلةٌ فى الخِـدرِ وهى شرودُ
نجـومُ سجاياك الصّباحُ اذا سرت ... قـلائدُ فى أعناقها وعقـودُ
اذا يومُ عيـدٍ زفّهـا قام ناصبا ... لتجهيزِ أُخرى مثلِها لك عيـدُ
لها بعـدما يفنَى الزمانُ وأهــلُه ... بقـاءٌ على أحسابكم وخلودُ

✧ ✧ ✧

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُملان

إمّا تقومونَ كذا أو فآقعـدوا ... ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ
نامَ على الهُونِ الذليـلُ ودرَى ... جفنُ العـزيزِ لِمَ بات يَسـهَدُ

---

(١) يشير بذلك الى الذين يقال لهم: مطاعيم الريح فى العرب، زعم آبن الأعرابىّ: أنهم أربعة أحدهم عمّ أبى مِحجن الثّقفىّ ولم يسمّ الباقين، وقال أبو الندى: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عمّ أبى محجن، ولبيد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب، وفى المثل "أقرى من مطاعيم الريح". (٢) السواجر السيول تملأ كل شىء.

أخفكم سعيا الى سودده … أحقكم بأن يقال : سيد
عن تعب أورد ساق أولا … ومسحت غرة سباق يد
لو شرف الإنسان وهو وادع[١] … لقطع الصمصام وهو مغمد
هيهات أبصرت العلاء وعشوا … عنه فضلوا سبله وتجد
يا عمدة الملك وأى شرف … طال ولم ترفعه منكم عمد ؟
لله هذا اليوم يوما أنجز الـ … ـدهر به ما كان فيه يعد
لما طلعت البدر من ثنية … تجلى بها عين وعين ترمد
من شفق الشمس يسدى ثوبها … وتلحم[٢] الجوزاء أو تعمد
دق وجل فهو إن لامسته … سبط وإن مارسته مجعد
متوجا عمامة وإنما … عمامة الفارس تاج يعقد
ممتطيا أتلع[٣] لو حبسته … تحتك قيل : فدن[٤] مشيد
مناقلا بأربع كأنما … يلاطم الجليد منها جلمد
وقرها خوفك فهو مطلق … ينقلها كأنه مقيد
خف بطبع عتقه وآده[٥] … ثقل الحلى فمشيه تأود[٦]
مقلدا مهندا ما ضمه … قبلك إلا خافه مقلد
أبيض[٧] لا يعطيك عهدا مثله … اذا أخوك حال عما تعهد
اذا ادرعت فى الدجى فقبس … وإن توسدت الثرى فعضد
ما اعتدت كسب العز إلا معه، … والمرء مشاء وما يعود

---

(١) الوادع : الساكن المستقر، وفى الأصل "دارع" . (٢) فى الأصل "يحلم" .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد، ويريد به الفرس . (٤) الفدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأود : الانحناء والانعطاف . (٧) الأبيض : السيف .

ما زال "فخر الملك" فى أمثالها ‌ ‌ ‌ يرشُدُ فى آرائه ويسعدُ
فكيف لا وأنت من فؤاده ‌ ‌ ‌ عزًّا وعينيه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى ‌ ‌ ‌ فيك بُراقٌ بالمنى مزوّدُ[1]
أنت الذى جمعتَنى من معشرٍ ‌ ‌ ‌ شملُ العلاء بينهم مبدَّدُ
كأنى آخذُ ما أُعطيهمُ ‌ ‌ ‌ من مِدَحى اذا نطقتُ أُنشِدُ (٩٨)
أبحتَنِى مجدَك إذ أرحتنى ‌ ‌ ‌ ممّن أذمُّ منهمُ وأحمَدُ

✦
✦ ✦

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتك لمّا لم تكن مُسعِدا ‌ ‌ ‌ أو مصلحا لم تكن المفسدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى ‌ ‌ ‌ ظنّى، فكثَّرتَ عديدَ العدا
وشى وقد قدَّمتَهُ رائدا، ‌ ‌ ‌ لا تبعث الظلمة مسترشِدا
يسومنى الغدرَ بعهد "اللّوى" ‌ ‌ ‌ ما حقُّ من يغدِرُ أن يَعهَدا
غيرِى أبو الألوانِ فى حبّه ‌ ‌ ‌ يشكو الهوى اليومَ ويسلو غدا
أصبو الى "طَيْبَةَ" من "بابلٍ" ‌ ‌ ‌ ما أقربَ الشوقَ وما أبعدا
يا فارسَ "الغيداء" يبغى "مِنًى" ‌ ‌ ‌ بلّغْ — بلغتَ الرشأَ الأغيدا —:
يا حبذا الذكرى وإن أسهرتْ ‌ ‌ ‌ بعدك والدمعُ وإن أرمَدا
لا تأخذِ النَّفْرَ بتفريقنا ‌ ‌ ‌ فربّما عاد لنا موعِدا
"بالغور" دارٌ و"بنجدٍ" هوًى ‌ ‌ ‌ يا لهفَ من غار لمن أنجدا
ما كان سَلمِى يوم فارقتكم ‌ ‌ ‌ يا "سَلْمَ" منّى حاملا أجلدا
سجيّةٌ فى الصبر عوَّدتُها ‌ ‌ ‌ قلبى والقلبُ وما عُوّدا

(١) فى الأصل "ومَزيدُ" ولعله تحريف .

لم تُدنِنِى الأيامُ من عدلها ... قــطّ فالقِ الجَـورَ مستبعَدا

وإنما يُنكِرُ مِن عَيشِــهِ ... أنكدَهُ مَنْ عَرَفَ الأرغـدا

حـوادثٌ أعجبُ من كرِّها ... أن أتشكّاها وأن أحسَــدا

ليتَ بنى الدنيا التى لا ترَى ... لى نسـبا منها ولا مَــولدا

كفتهُمُ عنّى أو ليتهُــمْ ... كانوا جميعا "للحسين" الفدى

للقمرِ الفـردِ وهــل مالكٌ ... فى الأفْقِ غيرُ البدرِ أن يُفرِدا

لا يَحسَبُ الطيِّبَ مِن ماله ... ما لم يكن معــترضا للجَــدَا

وكان أغنَى حسبا عنــدهُمْ ... من لم يزل أفقــرَ منهــم يدا

والأبيض الرأيِ اذا ما شكا ... خابطُ ليــلٍ رأيَهُ الأسـوَدا

وفارس القَـولةِ لم يَستقِمْ ... فى ظهــرها الفارسُ إلا آرتدى (١)

وسالك الخطبِ وقــد أظلمتْ ... مَحجَّــةٌ بالنجــم لا تُهتَــدَى

ما شِــيمَ منكم صارمٌ مغمدٌ ... إلا وأمضى منــه (٢) ما جُــرِّدا

ولا قَضَى اللهُ عــلى سيِّــدٍ ... قضــاءَهُ إلا آجتَبى ســيِّدا

إن بدأوا تمّم أو تقصَّــوا ... أنعمَ أو حطُّوا عُــلاً شـيَّدا

كأنه أُرضِعَ ثــدىَ النُّهى ... أو شاب من حُنكيته أمردا

لا عاقَ أنــوارَك يا بدرَهُــمْ ... ما يَنقُصُ البــدرَ اذا زُيِّدا

ولا أغبّتكم (٣) عــلى عادِهـا ... ـ ما أفطر الصائمُ أو عيَّدا ـ ،

بواكرٌ من مِــدَحى تقتفى ... فى صونهـا آثارَكم فى النـدى

---

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يقضى بقوله ما يقضيه غيره بسيفه ؛ أو لعله محرف عن

وفارس الجولةِ لم يستقمْ ... فى ظهرها الفارسُ إلا ردَى

ومعنى ردى : سقط . (٢) فى الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجلو على الألباب أحسابكم بواديًا فى حَلْيِها عُوَّدا
تبقَى على الدهر وِساعَ الخُطا فى جَوِّها الأرضَ طِوالَ المدى
يزيدها ترديدُها جِدَّةً ويُخلِقُ القولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّة الى أبى الحسن محمد بن الحسن الْهمَانى، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه، وكتب اليه كتابا منصفا يستوفى معانىَ الاعتذار والتشوّق، فأخّر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة، واتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنّئه بالعيد

لا تَلمَسُ الشمسَ يدُ فما يَرُدُّ الحسدُ؟
ما لمُريدٍ حسنَها إلا الأسى والكمدُ
يَفْنَى نزولا ولها علاؤها والخُلُدُ
أرى نفوسا ضَلَّةً تَنشُدُ ما لا تجِدُ
تحسَب بالكسب العلا ءَ والعلاءُ مُولَدُ
أفصَحُها مفنَّدُ لو سدّ غيظا فَنَدُ
وكلّ قلبٍ قُرحة يشِفُّ عنه الجسدُ
أبردُه بعذلى لو أن نارا تَبرُدُ
هيهات من دوائها ودواؤها "محمّدُ"
فات على أطماعه حمى العيون الفرقدُ
شَوَّقها لحاقَهُ جَهلُ الحظوظِ المسعدُ
ونِعَمٌ نابتةٌ[1] مع الربيع جُدُدُ

(٩٩)

---

(١) فى الأصل "نائبه".

حــدَّثَهــا أضغاثُهــا (١) هذا السرابُ المُوقَــدُ
والصبحُ فى تكذيبهــا إن بلغوه الموعــدُ
يا حاسدى "محمّدٍ" لا تطلبوه وآحسُدوا
شريعــةٌ مــورودةٌ لو أصدَرتْ مَنْ يَرِدُ
منتكمُ جـدودُكم أَنّ السبيلَ جِدَدُ (٢)
تنكّبوا فإنما على الطريق الأسَـدُ
أغيَـدُ لا يُنجِى الرقا بَ من يديه الجَيَدُ (٣)
أوفَى عـلى مَرقَبِـه لكفّه ما يرصُـدُ
أزَبُّ (٤) ما مِن قِـرَّةٍ (٥) خِيطت عليـه اللِّبَدُ (٦)
اذا غــدا لسفَرٍ أقسَــمَ لا يُــزَوَّدُ
النــاجياتُ عنــده وذيّــةٌ (٧) ونَقَــدُ
قد قلتُ لمّــا أجمعوا وأنت عنهــم مفردُ
تخبِــطُ عشواؤُهُم : ما فعــل المُقَــوِّدُ (٨) ؟
البــدرُ فى أمثالهــا حنادسا يُفتقَــدُ
ضاع بياضُ ناركم والليلُ بعــدُ أسْوَدُ
أكرمُكم أحقُّكم بأن يقالَ : سيِّدُ
دلَّ عــلى آياتِه فمــا لنــا تَقَــلُّدُ

(١) الأضغاث جمع ضِغث وهو ما اختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته . (٢) الجَدَد : الأرض الغليظة المستوية . (٣) الجَيَـد : طول الجيد وحسنه . (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه . (٥) القرّة : البرد . (٦) اللبد جمع لبـدة وهى كل شـعر أو صوف متلبّد . (٧) الوذيّة : الحقيرة . (٨) المقوِّد : الذى يقود الدابّة .

وناقصُ الشِّكّة(١) مض ـعوف الحشا مُعَوَّدُ(٢)
صمّ القنا الصِّلابِ من خَـوَرِهِ تقصَّـدُ(٣)
يطـولها شـوارعا وهـو لَقًى موسَّـدُ
إذ الكمالُ كلُّه فى جسـد يجـدَّدُ
ما تَـلِدِ الأرضُ كذا والأرضُ بعـدُ تَلِدُ
قل لبنى الآراب(٤) تُجْ نَحِى والمـنى تُشَرَّدُ
والحاجُ يُلـقَى دونه ـنَ الَحِـزُ المُزَيِّدُ(٥):
الكوفةَ الكوفةَ يا مغـوّرٌ يا منجـدُ
ما الناس إلا رجـلٌ والأرض إلا بـلدُ
مَن راكبٌ مُربِعـةً(٦) تمّ عليها العُـددُ؟
موضوعةَ الرحـل تدُ ـسّ حَكَمْها(٧) وتَـرِدُ
يُمُـدُّ قِيـدَ الرمح ظ ـلاّ قَصـرُها المشيَّدُ
تحمـله مُخِفَّـةً ولو علاها "أُحُـدُ"
تَخـدِ فى الصخر ملا طِمٍ(٨) عليها تَخِـدُ
عَجْلَى اذا ما الساق صا دت ما تَثِيُر العَضُـدُ
لم يدر لحـظُ ضابطٍ ما رجلُهـا وما اليـدُ
بلِّغ – بلغتَ راشـدا تسرى ، ويحدو مُرشدُ –:

(١) الشكة : السلاح . (٢) المعـوّد : المسن من قولهم عوّد البـعير أى صار عَوّدا .
(٣) تقصد : تنكسر قِصَدا أى قطعا . (٤) فى الأصل "الآداب" . (٥) الحز المزيّد :
البخيل الذى يزيّد ماله أى يُنميه . (٦) المربعة : من ذوات الخفّ التى دخلت فى السنة السابعة .
(٧) الحكَم وضع الحكَمَة فى فم الدابّة وهى ما أحاط بحنكى الدابّة من لجامها وفيها العذاران . (٨) ملاطم ،
جمع مَلطم وهو الخد وفى الأصل "ملاطيم" .

شـــوقا يقُضُّ[1] نَبلُهُ الـ ـأضـــلاعَ وهى زَرَدُ
دام عـــلى حصاة قلـ ـبى ويذوب الجلمـدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يُحَسّ المُوقـدُ
كم يُسعِدِ الصبرُ تُرَى ؟ بعـــدك خان المسعدُ
على مَن الفضلُ ــ وقد فارقتَـــه ــ يعتمدُ ؟
يا طولَ ذَمّى للنوى ، هـل من لقاءٍ يُحمَـدُ ؟
متى ؟ فقد طال المدى ، لكلِّ شىءٍ أمـدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُها لا تُجحَـدُ
لو كُتِمتْ تطأمتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـدادَ رحْلةٍ أصيب فيها المقصدُ
رممتَ منها ثُلَماً[2] ما خلتُها تُســدّدُ
علّك من مطلِ بالـ ـشكر عليها تجـدُ
ما كان تقصيرا ، فهـل يقتصـر المجتهـدُ ؟
لكنّها عارفـةٌ من الثناء أزيـدُ
أفســدنى إفراطُها ، بعضُ العطاء يُفسـدُ
والجود ما أسرفَ والـ ـإمساك فيـه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ[3] فاسمع لها أجـدّدُ
تأتيك بشرى ما تسو د أبـدا وتسـعَدُ
وما تصوم مُرضِـياً بقاك أو تعيّـدُ

(١) يقضّ : يدقّ ، وفى الأصل "يفضّ". (٢) الثلم جمع ثُلمة وهى فُرجة المكسور والمهدوم.
(٣) المُسكة : ما يُتمسّك به .

سنينَ لا يضبطهـ ـنّ فى الحساب عَـدَدُ
إن عاقنى دهرٌ أقو م أبـدا ويُقـعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِـدُ
فربّما قمتُ غـدًا، إنّ أخا اليـومِ غـدُ

✦ ✦ ✦

قال وقد رثى الشريف الرضىّ رضوان الله عليه بالقصيدة الميميّة، وشقّت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضىَّ بالفضل فى حياته أن يُرثَى بمثلها فى وفاته، ونسبه قومٌ الى السرف فيما آدعى له ولنفسه من المحاق به وشدّة الأنس معه، حبّا لأن تضاف بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا فى غرضـه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا فى ذاك، وكان فيهم مَن رثاه بما ظاهرُه التأسّى، وباطنـه الشماتة، بشِعرٍ لا يسرُّ سامعا، ولا يملك فَهِما، فأسفَ لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقـدر على قوله، وعمل هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوّح بذكرهم، ويزيد فى غيظهم (١٠٠)

أقـريشُ، لا لفمٍ أراكِ ولا يدِ فتوا كلى، غاض الندى وخلا النّدى[1]
خواستِ، فآلتقى بأوقصَ[2]، وآستلى من بزِّظهرك، وآنظرى من أرمدِ[3]
وهي الذُّحولُ[4] فلستِ رائدَ حاجةٍ تُقضَى بمطـرورٍ[5] ولا بمهنّـدِ
خلّاكِ ذو الحسـبين أنقاضًا[6] متى تُجـذَبْ على حبـلِ المذلّة تَنقَـدِ
قمـرُ الدُّنا أضحت سماؤكِ بعده أرضـا تداسُ بجائرٍ وبمهتـدى
فاذا تشادقت الخصـومُ فلجلجى واذا تصادمت الكماةُ فعـرّدى

(١) يقال توا كل القوم : آتكل بعضهم على بعض، والندىّ : النادى . (٢) الأوقص : العنق القصير . (٣) الأرمد : الذى به رمد . (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد . (٥) المطرور : المحدّد ويريد به سنان الرمح . (٦) الأنقاض جمع نِقْض وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا .

يا ناشدَ الحسناتِ طوِّف فاليًا(1) ... عنها وعاد كأنه لم يَنشُدِ
اهبِط الى "مُضَر" فسلْ "حمراءها": ... مَن صاح "بالبطحاء": يا نارُ اخمدى ؟
بَكَرَ النعىُّ فقال : أُردِىَ خيرُها، ... إن كان يصدُقُ "فالرضىُّ" هو الرَّدِى(2)
عادت أراكةُ "هاشم" من بعده ... خَوَرا لفأسِ الحاطبِ المتوقِّدِ
فُجِعتْ بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ ... ولربَّ آياتٍ لها لم تُشهَدِ
كانت اذا هى فى الإمامةِ نوزعتْ ... ثم ادّعت بك حقَّها لم تُجحَدِ
رَضِىَ الموافقُ والمخالفُ رغبةً ... بك واقتدى الغاوى برأى المرشدِ
ما أحرزت قصباتِها وتراهنتْ ... إلا ظهرتَ بفضلةٍ من سؤدُدِ
تَبِعتكَ عاقدةً عليك أمورَها ... وعُرَى تميمِك(3) بعدُ لمّا تُعقَدِ
ورآكَ طفلا شِيبُها وكهولُها ... فتزحزحوا لك عن مكان السيِّدِ
أنفقتَ عمرَك ضائعا فى حفظها ... وعققتَ عيشَك فى صلاح المفسدِ
كالنار للسارى الهدايةُ والقِرَى ... من ضوئها ودخانُها للموقِدِ
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُه ... وتُناط منه بقارحٍ متعوِّدِ؟
ألِف التطوّح(4) فهو ما هددته ... يفرى فيافى البيدِ غيرَ مهدَّدِ
يطوى المياهَ على الظما وكأنه ... عنها يَضِلّ، وإنه لَمُهتدى
صُلبُ الحصاة يثورُ(5) غيرَ مودَّع ... عن أهله ويسير غيرَ مزوَّدِ
عُدِلتْ جَوِيّتُه(6) على ابن مفازةٍ ... مستقرِبٍ أَمَمَ(7) الطريق الأبعدِ
يجرى على أثَرِ الدِّراب(8) كأنه ... يمشى على صَرحٍ بهن مُمرَّدِ(9)

(١) فاليا : باحثا . (٢) الرَّدِى : الهالك . (٣) التميم : جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبى اتقاءً من العين . (٤) فى الأصل "التطرح" . (٥) فى الأصل "ينور" . (٦) الجوية : الأرض غير الموافقة . (٧) الأمم : القرب . (٨) الدراب جمع دَرْب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل : "الضراب" . (٩) الممرّد : المطوّل المملّس .

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهبِطٍ ورُبا الهضابِ بمثلها من مَصعَدِ
قَرِّبْ، قرُبتَ من التلاع فإنها "أمّ المناسك" مثلُها لم يُقصَدِ
دأبا به حتى تُريحَ "بيثربٍ" فتنيخه نِقْضًا[١] بباب المسجدِ
وٱحثُ التراب على شحوبك حاسرا وٱنزِلْ فعزِّ "محمدا" "بمحمدِ"
وقل : ٱنطوى حتّى كأنك لم تلدْ منه الهدى وكأنّه لم يولَدِ
نزلت بأمّتك المضاعة فى ٱبنك ال مفقودِ بنتُ العنقفيرِ المُؤيِدِ[٢]
طرقَتْه تأخذُ ما ٱصطفتْه ولا ترِى[٣] مكرا وتقتُل من تحبّه ولا تَدِى
نشكو اليك وَقود جاحمها وإن كانت تخصّك بالمِلَظِّ[٤] المكمِدِ
بكت السماءُ له وودّت أنها فقدت غزالتَها ولمّا يُفقدِ (١٠١)
والأرضُ وٱبن الحاج سُدّتْ سُبْلُهُ والمجدُ ضيم فما له من مُنجِدِ
وبكاك يومُك إذ جرتْ أخبارُهُ تَرَحا وسُمّى بالعبوس الأنكدِ
صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ بحْره يا لَلعيون من الصباح الأسودِ
إن تُمسِ بعد تزاحمِ الغاشين مه جورا بمَطرَحِةِ الغريبِ المُفرَدِ
فالدهرُ ألأمُ ما علمتَ وأهلُهُ من أن تروحَ عشيرَهم أو تغتدى
ولئن غُمِزت من الزمان بلينٍ عن عَجْمِ مثلكَ أو عُضِضت بأدردِ
فالسيفُ يأخذُ حُكمَهُ من مِغفرٍ[٥] وطُلًى[٦] ويأخذُ منه سِنُّ المِبرَدِ
لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ لكن أصابك منه مجنونُ اليدِ
قد كان لى بطريفِ مجدِك سلوةٌ عن سالفٍ من مجدِ قومك مُتلَدِ

(١) النِّقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا . (٢) العنقفير المؤيد : الداهية الشديدة .
(٣) ولا ترى : ولا تظهر نارها أى أنها تطرق فى الظلام . (٤) الملظّ : الملازم، ويريد به الحزن .
(٥) المغفر : خوذة من الزرد تقى الرأس . (٦) الطلى : الأعناق .

فكأنكم – ومدًى بعيدٌ بينكم – … يومَ افتقدتُك زُلتمُ عن موعِد
يا مشكلا أمَّ الفضائلِ (١) مُورثا … يُتما بناتِ (٢) القاطناتِ الشُّرَّد (٣)
خلقتهنَّ بما رضيتك ناظما … ما بين كلِّ مُرجَّزٍ ومُقصَّد
فُتحتْ بهنّ – وقد عدمتُك ناقدا – … أفواهُ زائفةِ (٤) اللُّهى لم تُنقَد
ورُثيتَ حتى لو فَرقتَ مميِّزا … راثيك من هاجيك لم تستبعِد
غادرتني فيهم بما أبغضتَهُ … أدعو البيوعَ الى متاعٍ مُكسَد
أشكو انفرادَ الواحدِ السارى بلا … أُنسٍ وإن أحرزتُ سَبقَ الأوحد
واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنا … عابوا عليك تفجُّعى وتلدُّدى (٥)
أحسنتُ فيك فساءهم تقصيرُهم، … ذَنْبُ المصيبِ الى المغيرِ المُعضِد (٦)
كانوا الصديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا … صلَّى الإلهُ على مكثِّر حُسَّدى
يغترُّ فيك الشامتون وإنه … يومٌ هُمُ رهنٌ عليه الى غد
وسيسبرونى كيف قطعُ مُجرَّدى … إن كان حزَّ ولم يُعمِّق مُغمَدى
وتُثير (٧) عارمةُ الرياح سحائبى … من مُبرِقٍ فى فضلِ وصفك مُرعِد
فتقتْ بذكرك فأرها فتفاوحت … نعما تأرَّجُ لى بطيب المولد
تزداد طولا ما استرحت فإننى … أرثيك بعدُ وحُرقتى لم تبرُد
ماء الأسى متصبب (٨) لى لم يَغِض … فى صحنِ خدٍّ بالبكاء مُخدَّد
لو قد رأيتَ مع الدموع جدوبةً … – فرطَ الزفيرِ – عجبتَ للراوى الصَّدى

(١) أمّ الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثيّ التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائفة" . (٥) التلدد : التحير . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الغور شمالا ويمينا . (٧) فى الأصل "تسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غـيَّرتك جَنائبُ[1] تحت البـلى وكساك طِيبُ البيت طيبَ المَلحدِ
وقَرُبتَ، لا تَبعُـدْ، وإن علالةً للنفس زورا قولتى لا تَبعُـدِ

✦ ✦ ✦

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنئه بالنيروز وبعيد الفطر الذى آتفق معه، وبسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خلعة شتوية أخرها عنه

حاشاك من عاريَةٍ تُرَدُّ ابيضَّ ذاك الشَّعَرُ المسودُّ
أشرفَ بازىٌّ على غرابه حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصـدَّدٍ لو كان من هُجومه يُصَـدُّ
وثالمٍ بلقطـه ثنيَّـةً معروفةً من يومها تُسَـدُّ
يصبغ سـوداءَ ودون أخذه بيضـاءُ تَخفَى تارة وتبـدو
أخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْرِ[2] مذ لِثْنَ[3] خمـارًا لِىَ مُسـتَجَدُّ
قلنَ[4] — وقد عتبتُ فى وثائق نقضنها[5] — : ما غادةٌ وعهدُ
نأى بك الشيبُ بِطالاتِ الصِّبا الليـلُ هزلٌ والنهارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُهُ، قلنَ : فأينَ الماءُ والفِرِندُ ؟
كان قناةً فغـدا حنيَّةً ظهرُك، ما القضيبُ إلا القدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىّ مأثمٍ لم يتقلّدْ منكِ ظلما "سعدُ" ؟
أهندُ قالت : ملَّنى، وحلفتْ؟ تحلَّلى حالفـةً يا "هنـدُ"
أمُنكِ بين أضلعى جنايةً أعجبْ بهـا نارا خباها[6] زَندُ !

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خِمار وهو مثل النقاب .
(٣) لِثْن : لُفّ . (٤) فى الأصـل " قلتُ " . (٥) فى الأصل " نقضتها " .
(٦) خباها لغة فى خبأها .

وعدُك لِمْ أُخْلِفَ[1] يومَ "بابلٍ"؟ بل كان سحرا وآسْمُهُ لِى وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللسانُ مَلَقًا دقًّا عليك أن يصحَّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفَظُه ومات مع أهل الوفاء الودُّ
أُنْجُ ربيحَ العِرضِ وآقعدْ بَجرة[2] منفردا، إن الحسامَ فردُ
كم مستريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ وأنت فى تأميله تَكُدُّ
طالك بالمال ولو أريتَهُ صَونا رآك مَعَهُ تَعُدُّ
ملكتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبدُ
ولو علمتُ رغبةً تسوق لى نفعا لخفتُ أن يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخلاقَ الرجال فإذا بسَمحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهم بكلِّ رُقيةٍ تلينُ والأيدى معى تَشْتَدُّ
لم يعُنِى فضلٌ أداريهم به وإنما أعيا علىَّ الجَدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ غَرَّ فمى وقلتُ : ماءُ عِدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عُنُق غُلٌّ، وفيهم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً فاتت، وهل مِثْلٌ له أو نِدٌّ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجدَه مشمِّرٌ للمجدِ مستعِدُّ
غَلَّسَ فى إثر العلا وأشمسوا فجاء قبلا والنجومُ بَعدُ
ومن بنى "عبد الرحيم" قَمَرٌ كلُّ لياليه تمامٌ سعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفَت طاهرةً أطيبُ مما ضمَّ منه البُردُ
لابنِهُ لا تُلفِ القضيبَ عاسيا[3] وآصعُب يزاحمك ثقيلا "أُحْدُ"

(١) فى الأصل "خلف". (٢) بجرة : ناحية. (٣) عاسيا : يابسا.

من المحامين على أحسابهم ... بمالهم، فالفقرُ فيهم مجدُ
لا يتمنَّـون على حظوظهم ... أن يَجِدُوا دنيا اذا لم يُجدُوا
سخوا ولم تَبْنِ عليهم "طيٌّ" ... وفصُحوا ولم تلدهم "نَجْدُ"
كانوا الخيارَ وفَرَعْتَ زائدا، ... والنارُ تعـلو وأبوها الزَّندُ !
يا مؤنسى بقربه سلْ وحشتى ... بعدَك : ما جرَّ علىَّ البُعدُ !
أكلَّ يومٍ للفراق فيكمُ ... تعمُّدٌ(١) يسوءنى أو قصدُ ؟
ما بين أن يجبُرنى(٢) لقاؤكم ... حتى النوى فنَعمةٌ وجُهدُ
وكيف لا وأنتمُ فى نُوَبى ... يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعَضُدُ
ريشُ جناحى بكمُ مُضاعَفٌ ... وحبلُ باعِى منكمُ مُمتدُّ
كم تحملون كُلَفِى ثقيلةً ... كأنَّ حملى ليس منه بُدُّ
مبتسمين والثرى معبِّسٌ ... بيضَ الوجوهِ والخطوبُ رُبدُ
قد فَضَلَتْنى سَرفا ألطافُكم ... فحسبكم ! لكلِّ شيءٍ حدُّ
أبقُوا علىَّ إنما إبقاؤكم ... ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ
شِيبُكمُ والنُّصفاءُ منكمُ ... والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ
فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها ... بُتْرٌ(٣) وأجفانُ الليالى رُمْدُ
أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا ... ثوبا من النَّعماء يستجدُّ
يزورك الشِّعرُ به فى مَعرِضٍ ... منشِدُه يُحسبُ طِيبًا يشدو
وربما أذكرُ، ما أنساكَ من ... رسمى اتفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ
سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلَّفتَه ... مجرَّدًا ليس عليه غِمدُ ؟

(١) فى الأصل "تعمُّه". (٢) يجبرنى : يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (٣) بُتْرٌ جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل "بترا".

وكيف طِبتَ أن يُرى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أُسْـدُ
يَحتشِمُ النَيروزُ من إطلاله(١) والمهرجانُ يقتضيكَ بعـدُ

✧
✧ ✧

وآتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيّوبَ سَفْرةٌ الى سُرَّ مَن رأى وما يجاورها من البلاد لهفوةٍ لحقت الجَنَبةَ(٢) التى يتعلّق بها، ومات أخوه وهو غائبٌ، ولحقته قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجُّع له فيها فكتب اليه (١٠٣)

خليلُكَ مَن صـفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أذمَّ على الودادِ
وحظُّك من صـديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصىَّ العِـرق فيه سـلوٌّ عن أخيك من الوِلادِ
فلا تغـرُرْك ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنَّ أكبادٌ صَـوادى
وعِش إمّا قرينَ أخٍ وفىٍّ أمينِ الغيب أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعـدَ تجـربتى لأمرى أنستُ ـ ولاأغشُك ـ بآنفرادى
تريدُ خـلائقُ الأيام مَكرا لتُغضِبنى(٣) على خُـلُـقٍ وعادى
وتغمـزنى الخطوبُ تظنُّ أنى ألينُ على عرائكها الشِّدادِ
وما "ثهلانُ" تشرف قُنّتاه بأحملَ للنـوائب من فؤادى
تغـرّبُ فى تقلّبهـا الليالى علىّ بكلّ طارقـةٍ نآدِ(٤)
اذا قلتُ: آكتنفت منى وكفّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِـدادِ
رعَى سِمنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صـديق ويوما فى الذخيرة من تِلادى

(١) الإطلال : إهدار الدم. (٢) الجنبة : الناحية. (٣) فى الأصل: "لتعصبنى".
(٤) النآد : الداهية.

يذمُّ النـومَ دون الحرص قومٌ … وقلتُ لرقدتى عنه : حَمادِ (١)
وما كان الغِنَى إلا يسـيرا … لو آنَّ الرزقَ يبعثـه آجتهادى
وضاحكةٍ الى شَـعرٍ غريبٍ … شُكِمتُ به فاسلس من قيادى
تَعُـدُّ سِنِىَّ تَعجَبُ من بياضى … وأعجبُ منه ـ لوعلمتْ ـ سوادى !
أمانٍ كلَّ يـومٍ فى آنتقاصٍ … يساوقُهنَّ همٌّ فى آزديادِ
وفُرقـةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا … به قَلِقُ المـدامع والوسادِ
تُخفِّضُ بعـدَه الأيّامُ صـوتى … على لَسَنِى (٢) وتَخفِضُ من عمادى
وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى … وكنتُ بقـربه وارى الزنادِ
أقيمُ ولم أقِمْ عنـه لِمُسْلٍ … ويرحَـلُ لم يَسِرْ منّى بزادِ
كأنّا إذ خُلقنا للتصافى … خُلقنـا للقطيعـة والبعادِ
أرى قلبى يطيش اذا المطـايا … الى الزابين يأسرهنَّ حادِى
ولم أحسب "دُجَيلا" (٣) من مياهى … ولا أنّ "المَطيرةَ" (٤) من بلادى
ولا أنى أبيت دعاى يحـدو … الى "تكريتَ" (٥) سارِيةَ الغوادى
ومن صُـعَداء أنفاسى شِرارٌ … تمـرُّ مع الجَنوب بها تنادى :
أأحبـابى أثار البينَ بينى … وبينكُم مساخَطةُ الأعادى
سقت أخلاقُكم (٦) عهـدى لديكم … فهنَّ به أبرُّ من العِهادِ
ورُدَّ علىَّ عنـدكُمُ زمانٌ … مَجـودُ الروضِ مشكورُ المَرادِ
أصابت طيبَ عيشى فيـه عينٌ … فقـد جازيتُها هجـرَ الرقادِ

(١) يقال حَمادِ له كقَطامِ بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهير . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد وسامراء . (٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل "أخلاقكم" .

فلا تحسب ـ وظنُّك فىّ خيرا ـ بقاىَ ـ وأنت ناءٍ ـ من مُرادى
ولا أنّى يسُرُّ ســوادَ عينى بما عُوِّضتُ من هــذا السوادِ
وكـيف وما تَلِفُ المجـدَ دارٌ نأتْك، ولا يَضُمُّ الفضـلَ نادى
فإن أصبرْ ـ ولم أصبر رُجوعا الى جَــلَدٍ ولم أحمل بآدِ[1] ـ ،
فقــد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ
وكنتُ ، وبيننا إن طال مِيلٌ وإما عرضُ "دجلة" وهى وادى ،
اذا راوحتُ دارَك لجَّ شــوقى فلم يُقنِعه إلا أن أُغادى
فكيف وبيننـا للأرض فَرْجٌ يماطِل طُــولُه عَنَقَ[2] الجيادِ !
ومعترِضُ "الجزيرة" والحوافى من "القاطول"[3] تلمع والبوادى
وُفودٌ من مطايا الماءِ[4] سُــودٌ ، روادفُها تطول على الهــوادى
اذا كنّ الليالى مقمــراتٍ فراكبُهنّ يخبـِـطُ فى الدّآدى[5]
لهنّ من الرياح الهــوج حادٍ ومن خُلُجِ[6] المياه العوج هادِى
اذا قمِصت على الأمواج خِيلتْ على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى
١٠٤ فهل لى أن أراك وأن ترانى وهل من عُدّتى هى أو عتـادى ؟
سأنتظر الزمانَ لهـا ويــوما يطيل يدَ الصديق على المعـادى
ظمئنا بعــدكم أسفا وشــوقا كما جِيــدتْ[7] بكم يُبْسُ البلادِ
لعل "محمدا" ذكَرتْه نُعمى ترانى ناسيا فيـه آعتقـادى

---

(١) الآد : القوة ، وفى الأصـل "ناد" . (٢) العنق : ضرب من ضروب السير .

(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد و بنى على فوهته قصرا وسماه "أبا الجند" لكثرة ما كان يسقى من الأرضين وجعله لأرزاق جنـده . (٤) مطايا الماء : السفن .

(٥) الدآدى جمع دأداة وهى آخر ليال الشهر المظلمة وقد تقـدمت . (٦) خلج جمع خليج .

(٧) جيدت : أصابها مطر جَوْدٌ .

وعـل الله يجبرُ بالتـدانى كسيرةَ قانطٍ، حَسْبُ التمادى
وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيـه على الله اعتمادُك واعتمادى
فلا تعدم ـ ولا يعدمْك ـ خلا متى ما تعْدُهُ عنك العـوادى
يزُرْك كرائما متكفلاتٍ بجمع الأُنسِ قيـل له : بَدادِ (١)
نواحبَ (٢) فى التعازى والتشاكى حبائبَ للتهانى والتهادى
طوالعَ فى ســوادِ الهم بيضًا طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى
اذا جرّتْ ذلاذلَها " بجـوٍّ " تضوّعَ حاضرٌ منـه وبادى
لها فعلُ الدروع عليك صونا وفى الأعداء أفعالُ الصِّعادِ
ربتْ يا " آلَ أيوبٍ " وأثَّتْ (٣) رُباى بكم على السَّنَةِ الجمادِ
فهـل رجلٌ يدُلُّ اذا عَدِمتم على رجلٍ وفىٍّ أو جـوادِ
ومَن أخذَ المحاسنَ عن سـواكم كمن أخذَ المناسبَ عن " زيادِ "

✦
✦ ✦

وكتب الى الأستاذ الجليـل أبى سعد محمـد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم ابن عبد الرحيم يهنّئه فى النيروز وهى أوّل ما عمل فيه

سلمتِ ـ وماالديارُ بسالماتٍ ـ على عنتَ البلى يا دارَ " هندِ "
ولا برِحتْ مفوّقةُ الغـوادى تُصيب رباكِ من خَطَإٍ وعمـدِ
بموقِظـةِ الثرى والتربُ هادٍ (٤) ومُجـديةِ الحيا والعامُ مُكدى
على أنى متى مطـرَتْكِ عينى ففضلٌ ما سقاكِ الغيثُ بعدى
أميـلُ اليكِ يجذبنى فؤادى وغيرُكِ ـ ما استقام السيرُ ـ قصدى

---

(١) بدادِ كقطام بمعنى تبدّدْ. (٢) فى الأصل " نوائب ". (٣) أثّت: كثر نباتها والتف.
(٤) يريد " هادئ " بمعنى ساكن.

وأُشفق أن تبـدِّلكِ المطايا بوطأتهـا كأنَّ ثراكِ خـدّى
أرى بكِ ما أراه فستعيرُ حشاى وواجدٌ بالبين وجـدى
وليتكِ إذ نحلتِ نحولَ جسمى بقيتِ على النحول بقاءَ عهـدى
وما أهلوكِ يومَ خلوتِ منهـم بأوّلِ غـدرةٍ للدهر عنـدى
سَـلى الأيام ما فعلت بأندى وعيشٍ لى على "البيضاء" رغدِ ،
وفى الأحداج عن رشاٍ حبيبٍ على لونيـه من صِلةٍ وصدِّ
يماطلُ ثم يُنجِـزُ كلَّ دَيْنٍ ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث فلو مُلِكَ الفِـداءُ لكنتُ أفدى ،
شـاياه وفاه ولا أغالى بمـا فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألَا مَن عائدٌ ببيـاضِ يومٍ لعينى بين "أحناء" و"صمدِ" ؟
وعينٍ "بالطُّوَيلع" بارزاتٍ على قَسَماتهنّ حياءُ "نجـدِ" ؟
نظرنَ – فما غزالته ؟ – بلحظٍ ومِسْنَ – فما أراكته ؟ – بقدِّ
وبلهـاء الصِّبا تبغى سِقاطى اذا حلّتهـا هزلتْ بجِـدّى
تَعدُّ سِنىَّ تعجَبُ من وقارى ولم يحتزْ مراحَ العمـر عَدّى
فما للشَّيْب شـدَّ علىَّ ركضا فطوّح بى ولم أبلغ أشُـدّى !

✣

يعـيّرنى ولم أره شآنى[1] ، تنبـه حظُّه بخمـولِ جَـدّى
وودَّ على غضـارة[2] حُلّتيـهِ مكانَ الرقع من أسمـال بُردى
وما ورقُ الغـنى المنفوضُ عنّى بمُعرٍ من حُسام المجـدِ غِمـدى
حملتُ – وليس عن جَلَدٍ بقلبى – حُمولةَ واسع الجنبين جَـلْدِ

(١) شآنى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة، وفى الأصل "غضاضة".

تبادهني النوائب مستقرًا … فأدفعها بعزمة مستعدِ
يزِلُّ الخوفُ عن سكَنات قلبي … زليلَ الماءِ عن صفحاتِ جلدي
دعِ الدنيا تَزِفُّ على بنيها … وتُجلِبْ بالجفاءِ عليّ وحدي
وفِرْ(1) أموالَهم تنمو وتركو … فليس كنوزُها ثمنًا لحمدي
لعلَّ حوائلَ الآمال فيهم … تُطَرِّقُ من "أبي سعدٍ" بسعدِ
فتى عَقدتْ تمائمَه فطيمًا … على أُكرومةٍ ووفاءِ عقدِ
وربَّته على خُلُقِ المعالى … غرائزُ من أبٍ عالٍ وجَدِّ
فما مجّت له أُذُنٌ سؤالا … ولا سمحتْ له شَفَةٌ بردِّ
اذا اخضرّت بنانُ أبٍ كريم … فصبغتُها الى الأبناء تُعدِي
تطاولَ للكمال فلم يفُتْهُ … على قُربِ الوِلاد مكانُ بُعدِ
وتمَّ فعلَّق الأبصارَ بدرا … ولم يَعلَقْ له شَعَرٌ بخدِّ
رآه أبوه – وابنُ الليث شبلُ – … لسَدَّةِ ثُغرةٍ وهو ابنُ مهدِ
فقال لحاسديه: شُقيتُمُ بي … وهذا ابني به تَشقَوْنَ بعدي
جَرَى ولِداتِه فمضى وكدُّوا … لو انَّ الريحَ مُدرَكةٌ بكدِّ
اذا سبروه عن عوصاءَ أدلَى … بها فنجا على غَرَرِ التحدّي
دَعوا دَرَجَ الفضائل مزلِقاتٍ … لماضٍ بالفضائلِ مستبِدِّ
وما حسدُ النجومِ على المعالى … – ولو ذابَ الحصا حسدا – بمُجدي
"أبا سعدٍ" ولو عثروا بعيبٍ … مشوا فيه بحقٍّ أو تعدّي
وقد تسرى العيوبُ على التصافي … فكيف بها على حَنَقٍ وحِقدِ
ولكن فتّهم فنجوتَ منهم … نجاءَ اللحن بالخصمِ الألدِّ

(١) فِر: صن أو كثّر.

وملّكَكَ الفخارُ فلم تنازَع ... بقُـلٍّ فى النـدىّ ولا بحَشْـدِ
أبٌ لك يُلجِمُ العلياءَ طولا ... وخالٌ فى عِراصِ المجـد يُسدِى
ولم يعدِلْ أبا لك "يَعرُبيًّا" ... زميلٌ مثلُ خالك فى "معَـدِّ"
جزيتُك عن وفائك لى ثناءً ... يودّ أخى مكانَك فيـه عنـدى
ولولا الودُّ عزّ عليك مدحى ... ولولا الفضـلُ عزّ عليك ودّى
بنى "عبد الرحيم" بكم تعالت ... يدى وورى على الظلمـاء زَندى
وإن أودَى "بنيسابور"(١) قومى ... بمجـدُكُمُ من الأملاك جدّى
وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى ... اذا ما كان مجـدُ القوم مجـدى
تُفـاعِينى(٢) لتُردِيَنى الليـالى ... فأذكـرُكم فتنهسُنى بدُرْدِ
وأزحَمُ فيـكُمُ نكباتِ دهرى ... بعصبةِ "غالبٍ" وبنى "الأشدّ"
لذلك، ماحبوتُكُمُ صـفايا ... ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأُهـدى
طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى ... بهنّ يُبـدُّ غايةَ كلّ جُهـدِ
تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم ... مدَى عامينِ للسارى المُجِدّ
يَرِينَ(٣) ـ وبعدُ لم يُروَيْنَ ـ حسنا ... كأنّ سطورَهن وُشـوعُ بُرْدِ
اذا روَّت رجالَكُمُ كُهولا ... سأرنَ(٤) لصبيةٍ منكم ومُرْدِ
ولولا كم لمـا ظفرت بكفءٍ ... يُسَرُّ ولا سـعت قدما لرشـدِ
ولكن زفّهـا الأحـرارُ منكم ... فـما أشقيت حرّتَهـا بعبـدِ
فَضَلتم سؤددا وفضَلتُ قـولا ... فكلٌّ فى مـداه بغـير نِدِّ
بكم خُتم النـدَى وبِىَ القوافى ... بقيتم وحدكم وبقيتُ وحـدى

---

(١) فى الأصل "بنوسابور". (٢) تفاعينى : تداهمنى كالأفعى. (٣) يرين : يضئن من ورى الزند يرِى. (٤) سأرن : أبقين من السؤر وهو البقية من الماء.

وكتب الى أبى الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين ، وقد آنحدر الى واسط مستدعًى للنظر ، يتشوق أيامَ آجتماعه ، ويستوحشُ لبعده ، ويذكُر ما يرجوه له من آستقامة الأمر ، ويهنّئه بعيد الفطر سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

تَظُنُّ ليالينا عُـوَّدا … على العهد من ” بُرقَتَىْ ثَهمَدا “ ؟
وهل خبرُ الطيفِ من بعدهم … اذا طاب يصدُقُك المَوعِدا ؟
وياصاحبِي ، أين وجهُ الصباح ؟ … وأين غدٌ ؟ صِفْ لعينى غدا
أسدُّوا مَسارِحَ ليـل ” العرا … ق “ أم صبغوا فجرَه أسودا
وخلفَ الضلوعِ زفيرٌ أبَى … وقد بَرَّدَ الليلُ أن يبرُدا ١٠٦
خليلَىَّ ، لى حاجةٌ ما أخفَّ … ” برامةَ “ لو حَمَلتْ مُسعِدا
أريدُ لِتُكتَمَ وآبن الأرا … ك يفضحُها كلّما غرَّدا
و ” بالرمل “ سارقةُ المقلتين … تَكَحَّلُ أجفانُها المِرودا
اذا هُصِرتْ هَصرتْ بانةً … وإن سئلتْ سئلتْ جلمدا
أُحبّ وإن أخصبَ الحاضرون … ببادية الرمل أن أخلُدا
وأهوى الظباءَ لأمّ البنينَ … بما تُشبهُ الرشأَ الأغيدا
وعِيناً يرِدنَ لصابِ[1] ” الغويرِ “ … بأنقعَ من مائه للصدَى
فليت — وشَيْبى بحامِ[2] العذارِ — … زمانَ ” الغضا “ عاد لى أمردا
ويا قلبُ قبلَك ضلَّ القلو … بُ لو كنت أملك أن تَنشُدا

(١) لصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى ، ويقال : ” أعذب من ماء اللصاب “ . (٢) حام آبن نوح وهو أبو السودان وذكرُه هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِمتْ شُقّتين مع الشوق غوّر أو أنجدا
"فبالنّعف" ضائعةٌ شُعْبةٌ وأخرى "بميسانَ" ما أبعدا !
وما خلتُ لى "واسطا" عُقْلةً (١) تعلّم نومِىَ أن يَشرُدا
ولا أننى أستشمّ الجنو بَ أطيبَ ريحِىَ أو بَردا
وأطرحُ منحدِرا ناظرى لها أبتغى رفدَها المُصعِدا
وأحمدُ من نشرها أنه اذا هبّ مثّلَ لى "أحمدا"
ولا كنتُ قبلكِ فى حاجةٍ لتحمِلَ عُنْقَ لريح يدا
أسالكَ "دجلةَ" تجرى به محايدةً موجَها المُزبِدا ،
صُهابيّةُ اللون قاريّةٌ تخالف صبغتُها المولدا
تحِنّ وما سمعتْ فى الظلا م غيرَ غناء النّواتىّ (٢) حُدا
لها رَسَنٌ فى يمين الشّمال اذا ضل قائفُ (٣) أرضٍ هدَى
تحمّلْ ـ سلمتَ على المهلكاتِ وساقَ لك الله أن ترشُدا ـ ،
رسائلَ عنّى تقيم الجُموحَ وتستعطف العُنُقَ الأصيدا
أجيرانَنا أمسِ جار الفرا قُ بينى وبينكُمُ واعتدى
جفا المضجعَ السَّبْطَ جنبى لكم محافظةً ونفَى المرقدا
وأوحشتُمُ ربعَ أُنسى فعاد يهدِّم بانيهِ ما شيّدا
وفاجأنى بينُكُمْ بغتةً ولم أكُ للبين مستعدِدا
ففى جسدى ـ ليس فى جُبّتى ـ نوافذُ ما سلَّ أو سدّدا
تمنتك عينى وقلبى يراكَ بشوقِى ـ حاشاكَ أن تُفقدا ـ

---

(١) فى الأصل "عقله" . (٢) النواتىّ جمع نوتىّ وهو الملّاح . (٣) القائف : الذى يعرف الأثر .

كأنّى سُرعــةَ ما فُتّنى   عدمتُك من قبلِ أن تُوجَدا
لئن نازعتْنى يدُ الملك فيــك   فــلم أستطع بدفاعٍ يــدا،
فحظٌّ عساه – وإن ساءنى –   يكون بما ســرَّنى أعــوَدا
دعوك لتعــدِلَ ميْــلَ الزمانِ   ويُصــلحَ رأيُك ما أفســدا
يسومون كفَّك سبْرَ الجــراح   وقد أخذتْ فى العظام المُــدَى
سيُبصر مستــقربا من دعا   ك موضعَ تفــريطه مُبعَــدا
ويعلم كيف انجفالُ(١) الخطوب   اذا سُلَّ منــك الذى أُغمِدا
وإن كان منكِبُه منجِبا   درى أىَّ صَمصامةٍ قُــلِّدا
وقبلك لو أثلتَ الفــرقدي   ن خابطُ عشوائهــم ما اهتدى
ولما رأوك أمام الرعيـ   ـلِ ألقوا الى عنقــك المِقوَدا
وأدنوا لحمــل المهــمّات منـ   ـك بَزلاءَ(٢) عِجْلِزةً(٣) جلْعــدا(٤)
اذا ثقُــلَ الحمــلُ قامت به   وإن ظَلعتْ نهضتْ أجــلدا
تكون لراكبها – ما استقا   م دون خِطار الفيافى – فِدَى
وتُضحى على الخِمْس لا تستريـ   ـبُ عجرفةً أن ترى المَــوردا
تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ   أثاروا بهــا الأسَــدَ المُلبِدا
اذا ما الفتى لم تجِــدْ نفسُــه   بهمّتهــا فى العــلا مَصْعَدا،
ســوى غلَطِ الحظّ أو أن يُعَـ   ـدَّ فى قومــه نَسَــبا قُعــدُدا(٥)،
فلله أنت ابــنُ نفسٍ سمتْ   لغايتهــا قبــلَ أن تُولَدا (١٠٧)
اذا خُيِّرَ اختار إحـدَى اثنتيـ   ـنِ إمّا العَــلاء وإما الرَّدى

(١) الانجفال: الهروب بسرعة. (٢) البزلاء: الناقة المسنة. (٣) العجلزة: الناقة الشديدة. (٤) الجلعد من الإبل: الصُّلب الشديد. (٥) القعدد: البعيد الآباء من الجد الأعلى.

كأنى أراك وقد زاحموا بك الشمسَ إذ عزلوا الفَرقدا
وخاطوا النجومَ (١) قميصا عليك ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى فحلّوا طُلَى خيلك العَسجدا
وان أخلَقَ الدهرُ ألقابَهم بما كرّ منها وما ردّدا ،
رضُوا باختيارىَ أن أصطفى لك اللقبَ الصادقَ المُفردا
فكنّيتُ نفسَك : أمَّ العلاء وسمّيتُ كفّك : قطرَ النّدى
وهل سمعوا فى اختلاف اللغات بلجّة بحرٍ تُسمَّى يدا !
مُنًى فيك بِتُّ يدى منذُ شِمْـ ـتُ عارضَها المُبرقَ المُرعِدا
فتَمَّ فراغُ عهودى فقد أمِنتُك من قبلِ أن تَعهدا
فلا ترمينَّ بحقّى ورا ء ظهرِ النسيئة مُلقًى سُدى
ولا يَشغلنَّك عِزُّ الوُلا ة عن حُرُماتى وبعدُ المدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القريبَ ولكنّه من رعَى الأبعدا
تحلّيتُ طَعمةَ عيشى المريـ ـر يومَ لقيتُك مستَرغِدا
وأيقنتُ أن زمانى يصيـ ـر عبدِى مذ صرتَ لى سيّدا
وأصبح من كان يقوى علىَّ وغايتُه فىَّ أن يحسُدا
وقد كنتُ أصعبَ من أن أصا دَ رأسا وأعوزَ أن أُوجَدا
اذا استام ودّىَ أو مدحتى فتًى رام أخنسَ (٢) مستطرِدا
يفالتُ قَطعا حبالَ القنيصِ يرى كلَّ موطنه مشرَدا
فآنستنى بمديح الرجال وذلّلتنى لقبول الجَدا

(١) فى الأصل "وخاطرا" . (٢) الأخنس : الأسد ، وفى الأصل "أخيس" .

ولو راض خلقك لؤمَ الزمان لعلّمه المجدَ والسؤددا
فما أمكنَ القولُ فاسمع أُزِرْك قوافيَ بادئةً عُوَّدا
قواضيَ حقِّ الندَى والودا دِ مَثنًى تؤمك أو مَوْحَدا
اذا أكلَ الدهرُ أعواضَها[1] من المال عمَّرَها سرمدا
لو استطاع سامعُ أبياتها اذا قام راوٍ بها منشدا،
لصيَّرَ أبياتَها سُبحةً ومثَّلَ قِرطاسَها مَسجدا
مهنئةً أبدا من علاك بما استأنفَ الحظُّ أو جدَّدا
وبالصوم والعيدِ حتى تكو نَ آخرَ من صام أو عيَّدا
وحتى تُرَى واحدا باقيا كما كنتَ فى دهرِنا أوحدا

✧

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط فى النيروز، يجزيه على عادة الإتحاف ويتشوّقه، وقد اتفق ذلك فى عشر عيد النحر

أخْلقَ الدهرُ لِمّتى وأجدّا شعَراتٍ أريننى الأمرَ جِدّا
لم يزلْ بى واشى الليالى الى سمـ[2] ـع معير الشباب حتى استردّا
صِبغةٌ كانت الحياةَ فما أفـ ـرُقُ أودَى دهرى بها أو أردَى
يا بياض المشيب بِعْنِى بآيا مك ليلا نضوته مسودّا
يالها سرحةً تَصاوَحُ تنو مًا[3] وعهدى بها تَفاوَحُ رَندا
لم أقل قبلها لسوداءَ: عطفًا واقترابا، ولا لبيضاءَ: بُعدا
عدَّتِ الأربعون سنِّى تمامى وهى حلّت عُراىَ عَقدا فعقدا

---

(١) أعواض جمع عِوَض وهو الخلف والبدل. (٢) فى الأصل "لى". (٣) التنوم واحدته تنومة وهي شجرة يضرب لون ورقها الى السواد.

بانَ نَقصي بأن كَمُلتُ وأحسسْـ ... ـتُ بضَعفي لمّا بلغتُ الأشُدّا
رجعتْ عنّيَ العيونُ كما تر ... جعُ عن حاجب الغزالة رُمْدا
ليت بينا "بالخَيف" أمسِ استضفنا ... ه قِرانًا ولو غَراما ووَجْدا
وسقاةً على القليب احتسابا ... عوّضونا التي شِفاءً وبَرْدا (١٠٨)
راح صحبي بفوزة الحجّ يحدو ... ن، وعَنسي باسم البخيلة تُحدَى
ولحاظي مقيّداتٌ "بسلعٍ" ... فكأنّي أضللتُ فيه المَجْدا
ربَّ ليلٍ بين "المُحصَّب" و"الخَيْـ ... ـف" لبسناه للخلاعة بُرْدا
وخيامٍ بسفح "أُحْدٍ" على الأقـ ... ـمار تُبْنَى، فحيَّ يا ربّ "أُحْدا"
لا عدا الرَّوْحُ في "تِهامة" أنفا ... سًا اذا استُروحتْ تمنّيتُ "نجدا"
وأعان الرقادُ حيرةَ طرفٍ ... لم يجِدْ في الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نمتُ أرجو "هندا" فكلَّ مثالٍ ... خيَّلَتْ لِي الأحلامُ إلّا "هندا"
عَجَبا لي ولابتغائي مَودّا ... تِ ليالٍ طباعُها لِيَ أعدا (١)
نطَقَتْ في نفوسها وتعفّفـ ... ـتُ، فما ودُّ من يَرَى بك صدّا
أجلبتْ (٢) جِلدتي عريكةُ دهري ... فرمَى بي وقام أملسَ جِلْدا
كلَّ يومٍ أقولُ: ذمًّا لعيشي ... فاذا فاتني غدًا قلتُ: حمدا
زفراتٌ على الزمان اذا استبـ ... ـردتُ منها تنفُّسا زدن وَقْدا
يا لحظّي الأعمى أما يتلقّى ... قائدا يبتغي الثوابَ فيُهدَى!
يا زمانَ النفاقِ مالك زاد الله ... بيني وبين أهلك بُعدا
مَن عذيري من صحبة الناس ما أخـ ... ـفرَها ذمّةً وأخبثَ عهدا
كم أخٍ حائمٍ معي واصلٍ لي ... فاذا خَفّت به الحالُ صدّا

(١) يريد أعداء. (٢) أجلبت: تركت عليها جُلبة وهي القشرة التي تعلو الجرح.

وصـــديقٍ سَبْطٍ وأيّامـــه وُسْـ   ـطَى فلمّـا انتهتْ تقلّصَ جَعْـدا
ليتـه غـيرَ منصِـفٍ لِىَ إسـعا   دا عـلى الدهرِ منصفٌ لِىَ وُدّا
واذا لم تَجِـدْ من الصبرِ بُدًّا   فتعـزَّلْ وَجِدْ من النـاس بُدّا
يدفع اللهُ لى ويَحمى عن "الصا   حِبِ" فَـردا كما وَفَى لِىَ فـردا
أَجِنَتْ(١) أوجـهُ الرجالِ فما أنْـ   كَرتُ من بِشرِ وجهِه العـذبِ وِرْدا
كيفما خالَفَتْ عِطاشُ أمانيْـ   ـنا اليــه كان النمـيرَ العِـدّا(٢)
مَلَكَ الجـودُ أمرَه فحـديث الـ   ـمال عن راحتيه : أعطَى وأجدَى
زد لحاجا اذا سألتَ وإلحا   حا عليـه يزِدْك صـبرا ورِفْـدا
لا ترَى — والمياهُ تُعطِى وتُكدِى —   حافـرًا قطّ فى ثـراه أكدَى(٣)
كلما عرّضَتْ له رغبـةُ الدنـ   ـيا توانى عنهـا عفافا وزُهـدا
كَثَّرَ النـاسُ مالَهـا، واقتناها   سِـيَرًا تَشرف الحـديثَ وحَمْـدا
لحقتْــه بغـاية المجـد نفسٌ   لم تحـدَّد فضـلا فتبلغ حـدّا
عـدّتِ الفقر فى المكارم مُلكا   وفَنـاءَ الأيّام فى العـزّ خُـلدا
وأبٌ حــطّ فى السماء ولو شا   ءَ تخطّى مكانَهـا وتعـدّى
من بهـاليلَ أنبتوا ريشة الأر   ضِ وربَّوا عِظامَهـا والجِـلْدا
أرضعتْهـا أيديهـمُ دِرّة الخصـ   ـبِ فروّت تِلاعَها والوُهْـدا
بين "جَمٍّ"(٤) منهم و"سابورَ"(٥) أقيا   لٌ(٦) يعـدّون مَـولد الدهر عَـدّا
لهـمُ حاضرُ الممالك إن فا   خـر قومٌ منهـا بقفرٍ ومَبـدَى(٧)

(١) أجنت : صارت آجنة أى متكدرة متغيرة . (٢) النمير العد : الزاكى الكثير .
(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أى بلغ الكدا وهى الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جَم : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفى الأصل "خم" . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخذوا عُذرةَ الزمانِ وسدُّوا ... فُرَجَ الغيلِ (١) يقنصون الأُسْدا
سِيَرُ العدلِ فى مآثرهم تُرْ ... وَى وحسنُ التدبير عنهم يؤدَّى
واذا أغبرّت السنونَ وأبدَى ... شَعثُ الأرض وجهَها المُربَدَّا
طردوا الأَزْلَ (٢) بالثراء وقاموا ... أَثرَ المحلِ يخلُفون الأنْدَا (٣)
تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ ... ـناس أبناؤهم شبابا ومُردا
عدَّد الدهرُ سيدًا سيدًا منـ ... ـهم وعدَّ "الحسينُ" جَدًّا فجَدًّا
حَبَسَ الناسَ أن يُجاروك فى السؤ ... دُدِ تعريجُهم وسَيرُك قَصدا
ووقى المُلكَ زلّةَ الرأى أن صر ... تَ بتدبير أمرِه مستبِدَّا
لك يومٌ عنه مِراسٌ مع الحر ... بِ يردُّ السوابقَ الشُّعْرَ (٤) جُرْدا
تركبُ الدهرَ فيه ظَهْرا الى النصـ ... ـر وتستصحبُ الليالىَ جُندا
وجدالٌ يوما ترَى منك فيه ... فِقَرُ الوافدين خَصْما أَلَدَّا
١٠٩ كلَّ عَوصاءَ يسبِقِ الكَلِمُ الهدَّ ... ارُ فى شوطها الجوادَ النَّهْدا (٥)
أنا ذاك الحرُّ الذى صيَّرَتْه ... لك أخلاقُك السواحرُ عبدا
مُعلَقٌ من هواك كفِّى بحبلٍ ... لم يزده البعادُ إلا عَقْدا
ملَكَ الشوقُ أمرَ قلبى عليه ... مذ غدا البينُ بيننا ممتدَّا
أشتكى البعدَ وهو ظلمٌ ولولا ... لذّةُ القربِ ما أَلِمتُ البُعدا
ليت من يحمِلُ الضعيفَ على الأخـ ... ـطارِ ألقَى رحلى اليك وأدّى
فتروت عينى ولو ساعةً منـ ... ـك، فإنى من بعدها لا أَصْدَى
وعلى النأىِ فالقوافى تحيا ... تُك متى تسرى مَراحا ومَغْدَى

(١) الغيل: عرين الأسد. (٢) الأزل: الضيق والقحط. (٣) يريد الأنداء جمع ندى.
(٤) الشعر جمع أشعر وهو ضد الأجرد. (٥) النهد: الفرس الحسن.

كلّ عذراء تفضح الشمسَ فى الصبـ ـح وتُـورِى فى فحمة الليـل زَندا
لم تُدنَّس باللمس جسما ولم تَصـ ـبُغْ لها غَضّـةُ اللواحـِظ خدًّا
أَرِجاتُ الأعطافِ مُهْـدًى جَناها لك يُهْـدى الى الربيع الوَرْدا
فتلقَّ السـلامَ والشوقَ منهـا ذاك يُشْكَى وذا يطيبُ فيُهْـدَى
وَٱحْبُ جيـدَ النيروز منهـا بطوقيـ ـن وفصّـل لليلة العيـدِ عِقْـدا
وتسـلَّم من الحوادث ما كـ ـرّ على عَقْبـه الزمانُ وردَّا
ما أبالى اذا وجـدتُك مَنْ تَفـ ـقِدُ عينى – لا أبصرتْ لك فقدَا –

✦
✦ ✦

وكتب الى ربيب النّعمة أبي المعمّر بن الموفّق يهنّئه بعيد الفطر

اذا قُطمتْ قَـرارةُ كلّ وادى فدَرّتْ "باللوى" حلمُ[١] الغوادى
ومرّت تهتـدى بالريح فيـه مطايا الغيثِ مثقَـلةَ الهوادى
فَفُتِّحتِ الرُّبا خـدا وسُـدَّت بشكر المزن أفـواهُ الوهادِ
أناديـه وتَنشُـدُه المغانى ولكن لا حياةَ لمن تُنادى
وما أَرَبِى الى سُقيا ربـوعٍ لها من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يدَ السحاب الجَوْن[٢] فيها ولستُ معوَّدا حمـلَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لها وجفـنى تيقَّنتِ البخيلَ من الجـوادِ
ضَممتُ "بمَسْقَطِ العَلَمَيْن" صحبى وقد صاح الكَلالُ بهم : بَدادِ
على أَرَجِ الـثرى لما ضَـللنا تضوَّعَ منـه فى الأنفاس هادى

(١) حلم جمع حلمة وهى الثؤلول فى وسط الثدى يُمتَصّ منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون: الأسود.

وقد سقط السُّرى والنجم هاوٍ   عيون الركب فى حطّ الرقادِ (١)
نَدامى صبوةٍ دارتْ عليهم   بأيدى العيس أكوابُ السهادِ
اذا شربوا السُّرى آقترحوا عليه   صفيرَ حمامةٍ وغناءَ حادِى
ولما عزَّ ماءُ الرَّكب فيهم   وقفتُ أُحُلُّ من عينى مَزادى
تحوم وقد تقلّصتِ الأداوَى (٢)   على أجفانِيَ الأبُلَ الصوادى
أجدَّك هل ترى بذيول "سلمى"   نَضارةَ حاضرٍ وخيامَ بادِى ؟
خرقن لكلّ عينٍ فى سواد الـ   ـخدورِ خَصاصةً (٣) مثلَ السوادِ
وما أتبعتُ ظُعْنَ الحىِّ طرفى   لأغنمَ نظرةً فتكونَ زادى
ولكنّى بعثتُ بلحظ عينى   وراءَ الركب يسألُ عن فؤادى
وفى نُوّامِ هذا الليل شمسٌ   وَقَى سهرى لها وجفَا وسادى
اذا ذُكرتْ نزتْ كبدى اليها   هبوبَ الداء نُبِّهَ بالعِدادِ
عجبتُ يَضيمنى زمنى وأرضَى   ويحصُدنى ولم أبلغْ حَصادى
وتُنفِقُ مسرفاتٍ من شبابى   لياليه الصعابُ بلا آقتصادِ
وعهدى بالتشابهِ والتنافى   يجرّان التصادقَ والتّعادى
فما بالُ الليالى وهى سُودٌ   يُزالُ بها البياضُ من السوادِ (٤)
توقَّ الناس إن الداءَ يُعدى   وإن قرُبوا فحظُّك فى البِعادِ

---

(١) هكذا بالأصل ولعله
وقد سَمَطَ السُّرَى والنجم هاوٍ   عيونَ الركب فى خيط الرقادِ
وسَمَطَ بمعنى علّقَ ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى
والحىّ إمّا خالفٌ أو حاضرٌ   خيطُ الكرى فى جفنه قد آنعقدْ
(٢) الأداوَى جمع إداوة وهى وعاء صغير من جلد يُتّخذ للماء ، وفى الأصل " الأوادى " .
(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أو نحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغررْك ذو مَلَقٍ يغطِّى … أذاه وجمرُهُ تحتَ الرَّمادِ
كِلا أخويك ذو رَحِمٍ ولكن … أخوك أخوك فى النُّوبِ الشِّدادِ
عذيرىَ من صديقِ الوجهِ يحنِى … أضالعَه على قلبٍ مُضادِى(١)
لوى يدَه على حَبلٍ لعُنْقِ … وقال: آضمُمْ يديك على ودادى
تمنَّى — وهو ينقُصنى — تمامى، … وأينَ الزِّبْرِقانُ(٢) من الدآدى ؟
ومجتمعين يرتفدون عيبى … فلا يَزِنُ آجتماعُهم آنفرادى
اذا آنتسبوا لفضلٍ لم يزيدوا … على نسبِ "آبن حرب" من "زِيادِ"
أُلامُ على عُزوفِ النفسِ ظلما … وما لومى على خُلُقٍ وعادى
ويخدعنى البخيلُ يريد ذمِّى … وهل عند الهشيمة من مَرادِ
كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى … بلغتُ بهم من الدنيا مُرادى
وأنّ "محمدا" دارَى نفارى … فلانَ له وأسلسَ من قيادى
رقَى خُلُقَى بأخلاقٍ كرامٍ … ألانت من عرائكه الشِّدادِ
وكنتُ أذمُّ شرَّ الناسِ قِدْما … وعيبُهُمُ فصحّ على آنتقادى
وكم خابطتُ عشواءَ الأمانى … وكاذَبَنى على الظنّ آرتيادى
فلمّا أن سللتُ على الدياجى … "ربيبَ النعمة" آستذكَى زِنادى
وأنبضَ من يديه لى غديرا … وقد أعيا فى مَصِّ الثِّمادِ
جلا لى غُرّةً رَويتْ جمالا … أُسَرُّ بها ووجهُ البدرِ صادى
تفاديها السماءُ بنيِّريْها … فتَعرِفُ حظَّها فيما تُفادى

(١) فى الأصل "مصاد" . (٢) الزبرقان : القمر ليلة تمامه، والدآدئ مر تفسيرها .

من الوافين أحلاما وصبرا … اذا الجُـلّى هفت "بحلوم عادِ"(١)
بني البيض الخفافِ توارثوها … مع الأحساب والخيـلِ الورادِ
تَضاحَكُ فى أكفّهـم العطايا … وتكلَحُ عنهُـم يوم الجـلادِ
مطاعيمٌ اذا النكباءُ قـرَّت … وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البـلادِ
لهم أيدٍ اذا سُـئلوا سِباطٌ(٢) … موَصَّـلةٌ بأسيافٍ جِعادِ
اذا كلَّت من الضَّرب المواضى … أعانوها بأفئـدةٍ حِـدادِ
طوَوا سلفَ الفخارِ فلم تُوَصَّمْ … طوارِفُهم بمعـروفِ التـلادِ
اذا الأحسابُ طأطأتِ آستشاطوا … عـلى متمـرّد الشرُفاتِ عادى
يَعُـدُّ المجـدُ واحدَهم بألفٍ … من النجباء فى قِيَم البـلادِ
اذا وَلَدوا فـتًى سعت المعالى … تَبـاشَـرُ بينها بالإزديادِ
نموْك أغرَّ من ملكٍ أغرٍّ … جـوادا بالكرائم من جـوادِ
أخا طَعمينْ : حُلْوُك للموالى … بلا منٍّ ، ومُرُّك للمعادى
اذا لم يختضبْ لك غربُ سيفٍ … دما خضَّبتَ سـيفا بالمـدادِ
فأنتَ اذا ركبتَ شهابُ حربٍ … وأنت اذا جلست شهابُ نادى
اذا رجع الحسيبُ الى فخارٍ … قـديم أو حديثٍ مسـتفادِ
فحسبك "بالموفّق" من فخارٍ … وبيتِ "الباهليّـةِ" من عَتادِ
ومن يُسـندْ الى طرفيك مجـدا … يَبِتْ من جانبيـه فى مِهادِ
فِـداؤك داثرُ الأبيـات يأوى … الى وقصـاءَ لاطئـةِ(٣) العمادِ

---

(١) حلوم عاد : يريد بها "أحلام عاد" والعرب تضرب المثل بها لما تصوّره من عظم خَلقها وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها .
(٢) تقـدّم تفسيرها وفى الأصـل "بساط" .
(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يَتُــوبُ اذا هفا غَلَطا بجُـودٍ ... ولم يَتُب آتقاءً للمَعَــادِ
اذا جاراك فى مِضمارِ فضــلٍ ... عَدَتْه عن اللحاق بك العَــوادى
اليــك سَرَتْ مطامعُنا فعادت ... مَواقــرَ من ندًى لك مســتعادِ
يَخِـدْنَ فصائلًا (١) فيــدعنَ وَسْمًا ... لأرجُلهنّ فى الصُّمِّ الصِّــلادِ
يقــادحْنَ الحَصَى شَررا كأنَّا ... حذوناها مَناسمَ من زِنادِ
حَمَلن اليــك من تحف القــوافى ... غرائبَ من مَثانٍ أو وُحادِ
هــدايا تفخر الأسماعُ فيهــا ... على الأبصــار أيَّامَ التهــادى
مُخلَّصــةً من الكلم المعنَّى ... بطول الكرِّ والمعنى المُعَــادِ
نوافثَ فى عقود السـحر تُمَّى ... فصاحتُهــا الى رمــلِ العِقَــادِ (٢)
تمنَّى — وهى تُنْظَمُ فيك — أن لو ... تكونُ ترائبًــا مهجُ الأعادى
تُخالُ العربُ عجزا عن مــداها ... نبيطَ العُــربِ لم تنطِقْ بضــادِ
لأيَّام البشـــائر والتهــانى ... بهــا نشرُ الروائح والغــوادى
يجـــرِّرُ ذيلَهــا يومٌ شريفٌ ... فيجعلهــا على عيـــدٍ مُعَــادِ
شواهــدَ أن جدّك فى آرتقاء الـ ... ـسعود وأنَّ عمــرَك فى آمتــدادِ
كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ ... ـجزيل وقد وفَتْ لك بآجتهادى (١١١)
فكيف خلطْتَنى بســواى فيها ... أنلتَ وأنت تَشــهدُ بانحادى !
تمـادَى بى جفاؤك ثم جاءت ... مواصَــلةٌ أعقُّ من التمــادى
ألم تك لى من الذَّهب المصفَّى ... يدٌ بيضــاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه وأنثاه فصيلة وجمعها فصائل ، وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن مطامعه تسير الى الممدوح وهى فصائل صــغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثرت أخفافها فى الجلاميد لشدة وطئها شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَد كجبل وجبال وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوّهـةٌ اذا آنتشرتْ بذكرِى ولائقـةٌ بمجـدكِ وآعتقـادى
رضـائى أن تهـزَّك ريحُ شوقٍ الى قرْبِى ويوحشـك آفتقادى
اذا ما لم يكن نيـلا شريفـا فحسبى من صِـلاتك بالودادِ

✦
✦ ✦

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بالنيروز

نبهتُهُ فقام مشبوحَ العَضُـدْ أغلبُ(1) لو سِيمَ الهوانَ(2) ما رقَـدْ
فى يده مـذروبةٌ مَـزيدةٌ ودِرعُـه سابغـةٌ من اللَّبَـدْ
اذا غـدا لم يَحتشِمْ هاجرةً وإن سَرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْـورةٍ(3) وإن غـدَا لسفرٍ لم يستعدّْ
لكلّ باغى قنَصٍ طـريدةٌ تنفُـر منـه وله كلُّ الطَّـرَدْ
هبَّ بلبَّيك وقـد دعـوته مكتفيا بقـوله : الى الأَبَدْ
وخيرُ من سانَد ظهرى أسَـدٌ أو رجلٌ فى صـدره قلبُ أسَـدْ
وقال : فى لَهَـاةِ أىّ خطـرٍ تقـذِفُ بى وعَرِض ما أىِّ بلدْ ؟
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ فى أفُقِ المجـدِ، فقام فصَـعِدْ
يسـبِقنى سـعيا لما أُريده حـتى لقـد أدرك بى ما لم أُرِدْ
فـردينْ إلّا صـارمين آعتقـا وضامرينْ وردَا أينَ قَـدَدْ(4)
تُضـمِرُ أحشاءُ الدياجى والفـلا منّى ومنـه جسدين بجسَـدْ
كأنّ إثرْينـا اذا ما أصـبحا على الثرى مسحبُ رمح أو مَسَدْ
حـتى بلغتُ مسرحَ العـزّ به بأوّل الشـوط وأقرب الأمَـدْ

(1) الأغلب : الأسد . (2) فى الأصل " شيم " . (3) المشْوَرة والمشُورة : الأمر من أشار عليه بكذا . (4) قدد : اسم ماء والمشهور آستعماله " قُدَيْد " مصغرا .

وربَّ عزمٍ قبلها ركبتُه ففتُّ أن أُظلَمَ أو أن أُضطهَدْ
وغارةٍ من الكلامِ شنَّها على اللئامِ كلُّ معنًى مطَّرِدْ
شهدتُها مغامرًا وكنت بالـ ـحضّ عليها غائبًا كمن شهِدْ
ولذةٍ صرفتُ وجهي كرَمًا عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ
لم يعتلقني بأثامٍ (١) حبلُها ولم ينلني عارُها ولم يكَدْ
وحَلّةٍ طرقتُ من أبياتها أمنعَها بابا وأعلاها عَمَدْ
والحيّ إما خالفٌ أو حاضرٌ خَبْطُ الكرى بجفنه قد انعقَدْ
وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ لهم وإلا مقلةُ النارِ رَصَدْ
فبتُّ أستقرِي الحديثَ وحده وغيرُه لولا العفافُ لى مُعَدّْ
ودون إرهابِيَ حدُّ صارمٌ عانقتُه ومِقوَلٌ منه أحدّْ
وكم "بذاتِ الرملِ" من نافرةٍ بغير أشراكِ الشبابِ لم تُصَدْ
أحسنُ من بذلِ هواها منعُها ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ
نومىَ محفوظٌ اذا ما زرتُها وموضعى إن غبتُ عنه مفتقَدْ
يُعجِبُ قلبي مطلُها لطول ما يكرُّ بى المطلُ اليها ويَرِدْ
لله أحبابٌ وفيتُ لهُمُ بما آستحقُّوا من أسًى ومن كمَدْ
لم يَكفِهم شِقوةُ عينى بعدهم حتى آستعانوا بالدموع والسَّهَدْ
مضوا بجمّات الحياة معهُم وعوَّلوا بشِقوتى على الثمَدْ
صحبتُ قوما بعدهم ، حبالُهم سحيلةُ (٢) الفتلِ رخيَّات العُقَدْ
وما على مَن كدَّه حرُّ الظما اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فوَردْ !
يضربُ قومٌ فى وجوهِ إبلى وقد كفاهم أنها عنهم حِيَدْ

(١) الأثام : الإثم . (٢) سحيلة الفتل : غير مبرمة الغزل .

لا تُعجِل الكُومَ(١) الى ذِيادها   فهى قِماحٌ عنكمُ لو لم تُذَدْ
ما للبخيل يتحامى جانبى !   متى رآنى عاكفا على النَّقَدْ(٢) ؟
يستُرُ عنّى القعبَ دافَ(٣) حنظلا   فيه وقد أمرَّ فى فىَّ الشُّهُدْ
ما أبصرَ الدهرَ بما أريده   لو كان فى الحكم علىَّ يقتصِدْ
أنزلنى منزلةً بين الغنى   والفقرِ لم يَخلُ بها ولم يَجُدْ (١١٢)
وشرُّ أقسامك حظٌّ وسَطٌ   أرعَنُ لم تَحفُل به ولم تَسُدْ
أغرَى الليالى بِىَ أنّى عارفٌ   بالسهل من أخلاقهنَّ والنَّكَدْ(٤)
وأننى أقدحُ فى صروفها   بعزمةٍ تُضىء لى على البُعُدْ
تُطلعنى على اليقين ظنَّتى   كأنَّ يومى مُخبِرى بسرِّ غدْ
يا بائعى مرتخصا بثمنى   سوف يذُمّ مستعيضٌ ماحِمدْ
مثلى نُضارا ضنّت الكفُّ به   لو كان فى الناس بصيرٌ ينتقدْ
قد فطِنتْ لحظّها مَطالبى   وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَدْ
وقد علمتُ أىَّ برق أمترى   مُزنتَه وأىَّ بحرٍ أستمِدّْ
ووسَّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى   وبشرُهم ملء المنى مالا ووُدّْ
فما أبالى — وهُم الباقون لى —   مَن ذا فَنِى فى الناس أو مَن ذا نفِدْ !
ولا أروم الرزقَ من غيرهمُ   وإنما أطلبُ من حيث أجِدْ
المانعون بالجوار والحمى   والناهضون بالعديد والعُدَدْ
والغامرون المَحْلَ من جودهمُ   بكلّ كفٍّ ذاب فى عامٍ جَمَدْ
والضاربون فى اليفاع والذُّرى   اذا بيوتُ الذلّ عاذتْ بالوُهُدْ

(١) الكوم : جمع كَوماء، وهى الناقة الضخمة السنام . (٢) النقد : الأسافل من الناس .
(٣) داف : خلط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكِدَ عيشه أى اشتد وعسر .

تضىء تحت الليــل أحسابُهمُ ... لضيفهم إن حاجبُ النار خمدْ
مدُّوا الى الحاجات من ألسنهم ... ذوابلا منذ آستقامت لم تَمِــدْ (١)
لا تتقيهــا هامــةٌ بمغــفَرٍ ... ولا يداريهــا عن الجسم الزَّردْ
تبهَــر فى الأسماع كلَّ جائفٍ (٢) ... اذا آستقامت لُحمَـة الجُرح فسدْ
تعرَّفوا (٣) بالمجــد حتى سافرت ... أخبارُهم بطيبــهِ وهم قُعُــدْ
وآختلفوا، لا أخطأتْ بدهمها ... أمنيَّـةٌ صوبَ نداهم تعتمِدْ
وأفســدوا الدنيــا على أبنائهــا ... فــا ترى مثلَهُــم فيمن تلدْ
هُمْ ماهُمُ أصلا ! ومِن فروعهم ... أبلجُ أَرْبَى طارِقًا على التَّــلَدْ
وفى بمجـــدِ قومــهِ " محمدٌ " ... فــبرَّهم وربّمــا عَقَّ الــولَدْ
وبانَ من بينهــم بهــمَّةٍ ... خَلَّةُ كلَّ ســؤددٍ منهــا تُسَدْ
تمّ وبدرُ التمِّ بعــدُ ناقصٌ ... وزاد والبحــرُ المحيطُ لم يَزِدْ
ودبّر الدنيــا برأيِ واحــدٍ ... يأنَفُ أن يَشركه فيهــا أحــدْ
تراه وهو فى الجميــع واحــدا ... والبــدرُ فى حَفْلِ النجوم منفرِدْ
اذا آستشار لم يزد بصــيرةً ... ولا يــلوم رأيَه اذا آســتبدّْ
حتى لقــد أصبح بآتحاده ... يتيمةَ الدهرِ (٤) وبَيضــةَ البلدْ (٥)
قام فنال المكرماتِ متعَبا، ... وفاز بالراحة محفوضٌ قعــدْ
وخامَ (٦) عن حمــل الحقوق معشرٌ ... فــلم يرعْــه حملُها ولم يؤدْ

(١) تمد : تمل . (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه، وفى الأصــل " حايف " . (٣) تعرّفوا : تطيّبوا . (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لانظيرلها . (٥) بيضة البلد : هى بيضــة النعام وقد تجىء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم، فاذا مُدِحَ بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يُجتَمع اليه و يُقبَلُ قولُه وأنه فردٌ ليس مثله أحد فى شرفه، واذا ذُمّ بها أريد أنه منفرد لاناصرله بمنزلةِ بيضةٍ قام عنها الظليمُ وتركها لاخير فيها ولامنفعة .
(٦) خام : نكص وجبن، وفى الأصل " حام " .

ولو درى النائمُ أىَّ قَـدَمٍ … يُحرزها الساهرُ لاشتاق السَّهَدْ
وربّما برّح بالعين الكرى … وكانت الراحــة داءً للجســدْ
تسلّمتْ من القذى أخلاقُهُ … والماءُ يَقـذَى بالسِّـقاء والزَّبَدْ
وانتظم القــلوبَ سِلكُ وُدّه … فما يَرَى من لا يُحبّ ويودّْ
لا رفقَ الغيظُ بقلبٍ محفَظٍ (١) … عليك إن لم يقل الشِّعرَ اعتقدْ
جاراك يرجو أن يكون لاحقا ، … سومُ السَّحوق (٢) فات أن يُجنى بيدْ
ينقاد للذِّلّة طــوعَ نسبٍ … حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يَقُدْ
يدين بالبخل اذا سِيلَ فإن … أخطأ يوما بنـوالٍ لم يَعُـدْ
مـدّ بحبـلٍ شرّه فانفصمت … أسـبابُه وأنت بالخير تُمُـدّْ
فكلّما جاز مــدًى جاوزته … مقاربا للمجـد من حيث بَعُـدْ
بك اعتلقتُ ويدى وحشــيّةٌ … وضمّ أنسى شمــلَه وهــو بَدَدْ
وارتاض منّى لك خُلُقٌ قامصٌ … لم يدر قبــلُ ما العطاءُ والصَّـفَدْ (٣)
ملكتَ قلــبى شعَفا فما وَفَى … بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ
حــتّى حــوانى أوّلا فأوّلا … وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العــددْ
كم أيكةٍ أنبتَهــا جودُك لى … تُربُ ثراها طيّبٌ والماءُ عِــدّْ (١١٣)
وكلمــا صوّح منهــا غُصُنٌ … عاد بهــا جودُك غضّــاتٍ جُدُدْ
قــد ملأتْ أوعيتى ثمــارُها … فقَدْكَ (٤) إن ردَّ عبابَ (٥) السيل قَدْ
لم تبق فىَّ خَــلّةٌ تســدُّها … وإنمــا الخَلّةُ بالمال تُسَـدّْ

---

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الصفد : الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وارتفاعه وكثرته ، وفى الأصل "عنان" ، ومعنى البيت : لحسبك إن كانت لفظة حسب (قد) ترد عباب السيل .

لى فيك من كلّ فقيـدٍ خلَفٌ فابقَ فما يضرُّنى مَنْ أفتقدْ
اذا السنانُ سَلِمتْ طريرةً عُلياؤه[1] فلتمضِ الأنابيبُ قِصَدْ[2]
وآضرب بسهمٍ فى العلاء فائزٍ من يدِ عُمرٍ فائزٍ لا يُقتصدْ
تُقَضُ عنك الحادثاتُ شُعبا حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشدْ
كلّ صباحٍ شمسُ إقبالك فى فُتوقِه مفتنةٌ شمسَ الأبدْ
جذلانَ بين مادحٍ وحاسدٍ فموجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أنفًا من النظر، ذاهبا مع الحميَّة يستوحش له، ويذكر مكان الاستضرار ببعده، ويتفاءلُ له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بها إمّا ردًى أو مُرادْ ورِدْ لها أين وجدتَ المَرادْ
ولا تُماطلْها بجمّاتها معلّلا أظماءَها بالثِّمادْ
باعدْ عزيزا بين أسفارها فعزّةُ النجم السُّرى والبعادْ
للهِ رامٍ بلُبَاناتهِ طولَ الليالى وعروضَ البلادْ
يُقدِمُ إمّا مبلغا نفسَه معذرةً أو بالغا ما أرادْ
يحفِزُه الضيمُ فتنبو به مضاجعُ الغيدِ ولينُ المِهادْ
اذا أحسَّ الهُونَ صاحتْ به نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ: كادْ
يَعجُمُ منه الدهرُ إن رابهُ جَلْدَ العصا صُلبَ حصاةِ الفؤادْ
سمتْ به الهمّةُ حتى نجا منفردا من بين هذا السوادْ

(١) فى الأصل "غرباه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فلتتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله . (٢) قصد جمع قِصْدة وهى الكسرة .

مولِّيًا آخِرَ حاجاتـهِ خزائمَ العيس ولُجْمَ الجيادْ
أقسمَ مهما آكتحلتْ عينُه بمثلِهِ لا آكتحلتْ بالرقادْ
وبات مغمورَ العلا شاكرًا ميسورَه، يقنعُ بالإقتصادْ
يرضى من الحظّ بما جاءه عفوًا، وما الحظّ سوى الاجتهادْ
ينام للضيم على ظهره مُراوِحَ الخدّ وثيرَ الوسادِ
إن راع، من يومه رائعٌ قال : عُدُوًّا(١)، فَرَسُ الذلّ عادْ
ما أكثرَ المُنحِى على مجده لبُلغةٍ تُرجَى ورزقٍ يُفادْ
ومؤثِرَ المالِ على عرضه مجتهدًا ينقُصُ من حيث زادْ
عَدِّ عن الدنيا وأبنائها وبِعْ مودّاتهم بالبعادْ
ما هذه الدهماءُ(٢) إلا دَبًى(٣) ينشُرُه فى الأرض حُبُّ الفسادْ(٤)
إلّا فتًى يأنف من عيشةٍ لغيره فيها عليه آعتدادْ
ودولةٍ تخطُبُ راياتُها باسم سواه فى رءوس الصِّعادْ
مثل "أبى القاسم" غيران يسـ تفيد من عزّته ما آستفادْ
يجود بالنفس كما جاد أو يسود بالواجب من حيث سادْ
هيهات ! قامت معجزاتُ العلا فيه وبانت آية الإنفرادْ
لا تلدُ الأرضُ له من أخٍ، أعقمها من بعدِ طولِ الولادْ
شاد به اللهُ بُنَى(٥) مجدِهِ راسيةً، واللهُ ما شاء شادْ
بانَ من الناس فما عابه شىءٌ سوى تشبيهه بالعبادْ
أبلجُ فى كلّ دُجَى فحمةٍ عمياءَ لا يقدَحُ فيها الزنادْ

(١) العُدُوّ : العدوان . (٢) الدهماء : الجماعة من الناس . (٣) الدبى : الجراد الصغير .
(٤) فى الأصل "السفاد" . (٥) بنى جمع بُنْيَة وهى ما بنيته ، وفى الأصل "بنا" .

يُصيبُ بالأوّل من ظنّــه فليس يُســتثنَى ولا يُستعادْ

تهفــو قُــوَى الحلم، وغضباتُه تأوِى الى مستحصِفاتٍ[١] شِدادْ

(١١٤) أرهفَ من آرائه ذُبَّلا ترودُ للطعن أمامَ الطرادْ

وقاد للأعــداء رقَّاصــةً[٢] تعزِفُ — لولا يدُه — أن تُقادْ

معــرَّقاتٍ[٣] كان أُمّاتُهـا ربائطا ما بين أبياتِ "عادْ"

يشكُمُها إن خلعتْ لُجْمَهـا ما جرَّ من فضـلِ نواصى الأعادْ

خضَّبهـا الطعنُ بمـاء الطُّلَى فشُهْبُهـا[٤] فى شَـعَراتِ الوِرادْ[٥]

يحـالفُ الصـبرَ عليهـا فتًى ما بــدأ الكرَّة إلا أعادْ

يبــذُلُ فى حفظ العلا مهجةً تكبُرُ أن تفـدِيَها نفسُ فادْ

يَرَى طلابَ العــزّ أو بـردَهُ فى حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجِلادْ

شجاعــةٌ سبَّبهـا جــودُه، إن الفتى يشجُع من حيث جادْ

يا راكبَ الدهمـاء[٦] لم يُحفِها سَــيْرٌ ولا حنَّتْ لتغريدِ حادْ

حــدَّدها الطالى فمـا عابهـا علـى بياضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ

لا تلتوى من ظمأ والثرى مُكْـدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ

يَحفِــزها من مثـله سائقٌ يَضِــلُّ خرّيتُ الفـلا وهو هادْ

راكبُهـا وهو على ظهرها موطَّأُ الجنبِ قليــلُ السهادْ

يكرَعُ فى صافٍ قليـلِ القــذى عَذْبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ

بلّغ — بلغتَ الخيرَ — خيرَ امرئ شُدَّتْ عليـه حَبَوات البـوادْ

---

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصــة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب. (٣) معرّقات تمتد عروقها أى أصولها ، وفى الأصل "معرفات". (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير: آعترقتْ(١) بعدكم عظمى نيوبُ الأزَماتِ الحِدادْ
وآرتبع البخلُ وأبناؤه ما أسارتْ عندى كفُّ الجوادْ
غاض الندَى بعدك يا بحرَهُ وبانَ مذ بِنتَ بفضلِ السّدادْ
وآغبرَّ جوٌّ كنتَ خضرَتَهُ فشمَطتْ فيه الرُّبا والوِهادْ
دِينٌ من العدل عفا رسمُه شَرَعتَهُ للناس بعدَ آرتدادْ
وسُنّةٌ فى المجد قد قُوِّضتْ أقمتَ من أطنابها والعِمادْ
ومهمَلٌ من كلِمٍ نادرٍ نفَّقهُ(٢) مدحُك بعدَ الكسادْ
عاد يُوَفَّى أجرَهُ كاملا عندك حيًّا قبلَ يومِ المَعادْ
عرَفتَهُ والناسُ مِن حاسدٍ أو جاهلٍ بالقولِ والإنتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ منك مغانى الكرمِ المستفادْ
وشُلَّ(٣) سَرْحُ الأمر من قبضة الـ ـراعى فأمسَى هَجمةً(٤) لا تذادْ
معطَّلَ المجلسِ والمنبرِ الـ ـمركوبِ عارى السرجِ رخوَ البِدادْ(٥)
تعلَّقَ المسكُ أطرافَه منه برُسغَىْ قاطعٍ لا يصادْ
كأنما صاحَ غرابُ النوى: بدادِ فيه بعدَ جمعٍ بدادْ
قد أسِفَ الرأسُ على تاجه وأنكرَ العاتقُ(٦) فقْدَ النِّجادْ(٧)
ووَجْهُ "بغدادَ" على حسنه أسفعُ(٨) مكسوفٌ عليه آربدادْ(٩)
كانت حريمًا بك ممنوعةَ الـ ظهر فعادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلّ بيتٍ من أذًى عَوْلةٌ تُبْدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعادْ

(١) اعترقت: نزعت ما دليه من لحم. (٢) نفقه: روّجه. (٣) فى الأصل "سلّ".
(٤) الهجمة: من الإبل ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها. (٥) البداد: بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها. (٦) العاتق: موضع نجاد السيف من الكتف. (٧) النجاد: حمائل السيف. (٨) الأسفع: الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاق. (٩) الآربداد: التغير.

وكيف لا يُنكرُ عهدُ الحمى يفوتُه العامُ بصوبِ العِهادْ !
يا مبدئَ الإحسان فينا أعدْ فالبدر إن مرّ مع الشهر عادْ
قم فأثِرْها عزمةً لم تنمْ ضُعفا ولم تنقُصْ لغير آزدياد
عاجلْ بها جَدْعَ أنوفٍ طغتْ وأرؤسٍ قد أينعتْ للحصادْ
يحسبها الأعداء قد أُخمِدتْ وإنما جمرُك تحتَ الرَّمادْ
لا تأخذِ الدهرَ بزلّاتِه وسَعْهُ بالعفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشِّفْ عن صدورٍ خبتْ أضغانُها من قاتلٍ أو مُضادْ
فكلّما تُبصره صالحا فإنما يصلُح بعد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يدى من بعد شدّى بكم وآعتضادْ
وطمِعتْ فىّ ذئابُ العدا حتى حلا مضغُ لها وآزدرادْ
وفُتُّ فى حالى وفى عيشتى بطلبى ظِلَّكُمُ وآفتقادْ
لا نَسِىَ اللهُ لكم والعلا ما زدتُمُ فى عُدّتى أو عَتادْ
ونعمةً أثقلتُمُ كاهلى بحملها وهى يدٌ من أيادْ (١١٥)
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم وحاسدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكرٍ حفظى لكم يرتمى مَقاتلى من خطإٍ وآعتمادْ
وليس للخابطِ إلا العشا مِنّى وللخارطِ إلا القتادْ
وناشطاتٍ أبدا نحوكم من عُقَلِ الفكرِ ليانِ المَقادْ
سوافرٍ عن غُرَرٍ وُضَّحٍ ينصَعُ منهنّ سوادُ المِدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم بخالص الحبِّ وصفوِ الودادْ
حافظةً فيكم عهودَ الندَى حفظَ الرُّبا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّما يرعى أياديكمُ فى القرب مَنْ لم يرْعَها فى البعادْ

وقال وقد بلغـه تشوّقُ الأمير الأجلّ نور الدولة أبى الأغرّ دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، واقتراحه أن يُخصَّ بشىء يجمعُ فيـه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحاله، وتوسّط بعضُ كتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجمَ عليه فى جُمادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ "أسماءَ" والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّما بخلَتْ يجودُ؟
طوى طىّ البرود عِراصَ "نجدٍ" ... وزار كما تأرّجتِ البرودُ
يشقُّ الليـلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليـدُ
مواقِدَ "عامرٍ" و"مروح" "طىٍّ" ... وما قطعت برملتها "زرودُ"
له ما للبـدورِ من الدياجى ... فأرّقَنى وأصحابى هُجـودُ
فتمتُ له أطوّقـه عِناقا ... يدا ضعُفتْ وباعُها شديدُ
يدُ القنّاصِ تخفُـق أين مُدّتْ ... حبالتُـه فتضبِطُ ما تصيـدُ
فيا لكِ سُحـرةً سُرقتْ لو آنى ... غدًا فيها يتمّ لِىَ الجُحـودُ!
وكيف وتُربُ "بابلَ" سَلْخَ شهرٍ ... وأردانى(١) بريّاها شُهودُ!
أمَا ومشعشِعين "بذاتِ عِرقٍ" ... صِلًا(٢) يَقْرِى "العِراقَ" له عمودُ،
ورامٍ سهمَ عينيـه "بسَلعٍ" ... و"بالزوراء" يقتُلُ من يريدُ،
لمَا وقتِ الصوارمُ والعوالى ... بما جنتِ المحاجرُ والقدودُ
وكم يأوِى "المشقَّرَ" من غزالٍ ... تحاذر من كناستِه الأسودُ
تُقلِّمُ حولَه الأظفارَ عينٌ ... ويُهتِمُ دونَه الأنيابَ جيـدُ
وأبيضَ من نجوم "بنى هلالٍ" ... وجوهُ العيش بعـد نواه سودُ

(١) الأردان جمع رُدنٍ وهو الكمّ . (٢) الصلا : الوَقود .

هوِيتُ له الذى يهواه حتى   حلا إعراضُه لى والصدودُ

نفضن الحبَّ أسمالا وعندى   لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ

ورُحن وقد سفكنَ دمًا حراما   تصبح به الأناملُ والخدودُ

أما تنهاك عن عيدِ(١) التصابى   مواضٍ من شبابك لا تعودُ؟

وقادحةٌ لها فى كلّ يومٍ   ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ

طوالع فى عذارك لا الأحاظى   قسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ

وقالوا: حلّمتْكَ، فقلت شوقا: متى مبدى الخلاعةِ لى يعيدُ؟

يَجُرُّ علَىَّ أبيضُها خمولا   وكنت بجاهِ أسْوَدِها أسودُ

ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى   مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ

فتلحاه العوارضُ والمَفالى   وترضاه الترائبُ والنهودُ (١١٦)

عدمتُ مكارمَ الأيّام، مَنْ ذا الـ ش ـقىّ بها ومَنْ فيها السعيدُ؟

مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى   وحولَ العجزِ تزدحم الجدودُ

تُقامُ على الفقير وما جناها   اذا وجَبتْ على المثرِى الحدودُ

وما لك من أخٍ فى الدهر إلا   أخوك طريفُ مالِك والتليدُ

مَحضْتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ   بكِىءٌ(٢) دون زُبدته زهيدُ

هُمُ حولى مع النُّعمَى قيامٌ   وهم عنّى مع الجُلَّى قعودُ

توقَّ تحيةَ ابنِ العمِّ يوما   فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ

ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعَى   فتحتَ لثاته نابٌ حديدُ

وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن   تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ

وحَولك من قبيلك من تكون(٣) الـ   ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد: ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه.

(٢) البكىء: الناقة لا تدرّ.

(٣) فى الأصل "يكون".

مُـداجٍ أو مُبادٍ أو حسودٌ   وشرُّهُمُ على النِّعمِ الحسـودُ
ومولًى عرشُـه بك مشمخِرٌّ   بطول الحفرِ يهـدِمُ ما تشيدُ
نصحتُ لمارقٍ من "آل عوف"   لو انّ النصحَ يبلغ ما أريدُ
وقلتُ له : قناتَك لا تدعهـا   تُوَصَّمْ بالعـقوق ولا تميـدُ
وبيتَـك لا تبدّلْ فيـه غدرا   فإنّ عليـك ما يجني النُّـدودُ (١)
ولا تعبثْ بعـزٍّ "مَزيَديٍّ"   لتنقُصَـه وأنت به تزيدُ
هم آنتحـوك معـروقا (٢) وضمّوا   عزيبَـك وهو منتحسٌ طريدُ
ومـدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى   سمـا بك بعد مهبطِه صعودُ
الى نادٍ تفـوه به وتغشَى   وسامرةٍ يُشَبُّ لهـا وَقـودُ
عُنُوا بثراك وآغترسوك حتّى   بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ
وربّوا نعـمةً لك لا يغطّى   عليهـا الستـرَ غَمطُك والجحودُ
فمـا غَـنيَ المبصَّرُ وهو باغٍ   بمـا تُجدِى المَشورةُ أو تُفيـدُ
وقام يقـودُها سُوقًا (٣) عِجافًا   أعزُّ من القيام بهـا القـعودُ
يَلوثُ جبينَـه منهـا بعـارٍ   تبيـد المخزياتُ ولا يبيـدُ
فكيف وأنت طير البغى فيها   جرت لك بالتى عنهـا تحيـدُ
نزلتَ لهـا بدار الهُـون جارا   لأقـوامٍ تُضـامُ وهـم شهودُ
صديقَ العجزِ أسلمك الأدانى   بجُرمك وآستراب بك البعيدُ
تقاذفُـك المهامهُ والفيـافى   وتُنكرك التهائمُ والنُّجودُ
فمـا لك ـ لا وَألتَ (٤) ـ وأنت حرٌّ   يُجيرك من عشيرتك العبيدُ

---

(١) الندود : النفور والشرود . (٢) معروقا : منزوعا ما عليك من لحم . (٣) سوق جمع ساق . (٤) يقال : وأل فلانا : آتخذه موئلا .

وأنَّ الجارَ لا حيٌّ عزيزٌ ... بأسرته ولا مَيْتٌ فقيدُ
ولو بأبى الأغرِّ صرختَ فاءتْ ... عليك فضولُ رأفته تعودُ
إذن لأثرتَ عاطفةً وحِلمًا ... تموتُ له الضغائنُ والحُقودُ
وكان الصفحُ أبردَ فى حشاه ... اذا التهبتْ من الحَنَقِ الكُبودُ (١)
وعاد أبرَّ بالأنساب منكم ... وبالقربَى لو انك تستعيدُ
نَتجتَ من المنى بطنًا عقيمًا ... نَمَى بك والمنى أمٌّ ولودُ
أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ ... أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !
وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ، ... متى اجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟
تريدون الرءوسَ وقد خُلِقتم ... ذُنابَى لا انتفاعَ بأن تريدوا
ويأبى اللهُ إلا "مَزْيَديا" ... على "أسَدٍ" يؤمَّرُ أو يسودُ
فدعْها للذى جعلتْ اليه ... وسلْه العفوَ فهو به يجودُ
دَعُوا قوما يخاصم فى علاهم ... رقابَكمُ المواثقُ والعهودُ
بأىّ سلاحكم قارعتموهم ... أبَى الماضى الشبا ونبا الحديدُ
وإنّ سيوفَكم لتكون فيهم ... مكاوىَ لا تَنِشُّ (٢) لها الجلودُ
ففخرا يا "خُزَيمُ" فكلُّ فخرٍ ... الى أنواركم أعمى بليدُ
لكم نار القِرى وندَى العشايا ... وفرسانُ الصباحِ وَعَوْا فنُودوا (٣)
(١١٧) وأنديةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ ... اذا انتُضيتْ (٤) وأحلامٌ رُكودُ
ومنكم كلُّ ولّاجٍ خروجٍ ... وذو حَزْمَيْن صدّارٌ ورودُ
موقَّرُ ما أقلَّ السرجُ ثَبْتٌ ... اذا مالت من الرَّهَجِ اللبودُ

(١) الكبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوّت . (٣) فى الأصل "فنودوا" .
(٤) فى الأصل "انتضبت" .

اذا "مُضَرٌ" تَطَامَنَ كلُّ بيتٍ لها وعلا بربوتها الصعيدُ ،
وكانت جمرةَ الناسِ، آحتبيتم وفيكم عزُّ سورتها العتيدُ
بَنَى لَكُمُ "أبو المظفارِ" مجدا على موت الزمانِ له خلودُ
وقدّمكم على الناس آضطرارا مقاماتٌ وأيامٌ شُهودُ
إجارةُ "حاتمٍ"(١) ودمٌ شريقٌ به لَبَاتُ "حُجْرٍ"(٢) والوريدُ
وطعنةُ "حاتم" وطَرٌ قديمٌ قضى "مَرْوانُ" فيها ما يريدُ
وصاحتْ باسمِ صامتَ نفسُ حرٍّ "ربيعُ المقترين"(٣) بها يجودُ
و"صخرٌ" ذابَ(٤) "صخرٌ" على قناكم ولان لكم به الحجر الشديدُ
ويومُ "عُتَيْبَةٍ" عَلَمٌ عريضٌ تَبَاشَره المواسمُ والوفودُ
كرائمُ من دماءٍ باردات لديكم لا دِيَاتٍ ولا مَقِيدُ
وإنّ "ببابلٍ" منكم لبحرا لو آنّ البحرَ جاد كما يجودُ
اذا الوادى جرى مِلحا أُجاجا ترقرق ماؤه العذبُ البَرودُ
فتىُّ السنّ مكتهلٌ حجاهُ طريفُ الملك سؤدُده تليدُ
اذا آشتبهتْ كواكبهم طلوعا "فنور الدولة" القمرُ الوحيدُ
أناف به وقدّمه عليكم أبٌ كَرْمٌ(٥) أناف به الجدودُ
أغرُّ قسيمُه(٦) السيفُ المحلَّى ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ
يعود اذا تغرَّب فى العطايا ويُقلع فى الهَنَاتِ فلا يعودُ

(١) يشير الى حاتم الطائى حين أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندى يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتله بنو أسد ، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأفقم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدى ؛ ولهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بها أن ممدوح مهيار يمتّ بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسيم : النظير .

بليلُ الريقِ من كَلِمٍ سديدٍ ... يقوم بنصره رمحٌ سديدُ
تراغتْ حول قبَّته بِكارٌ ... شفار الجازرين لها قُتودُ
تراه الخيلُ أفرسَ من تمطَّتْ ... به والجيشُ أشجعَ من يقودُ
ويغنَى ثم يُفقِرُ راحتيه ... مقالُ المادحين : الفقرُ جودُ
مَن الغادى ينقِّله حِصانٌ ... مفدَّى السبق أو عَنْسٌ وَخُودُ
اذا ركب الطريقَ، وفَى بشرطى ... أخٌ منه على أربى عقيدُ
اذا بلغتُ عن "إنسانَ"(١) يتزو ... وراء ضلوعه قلبٌ عميدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ... ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقل لأميرهذا الحيِّ عنى : ... أيُجمَع لى بك الأملُ البديدُ؟
أحِنُّ الى لقائك والليالى ... علىّ مع العوائق لى جُنودُ
وتجذبنى نوازعُ موقظاتٌ ... اليك وراءها قَدَرٌ رقودُ
وكم وعدتْ بك الآمالُ نفسى ... ويقضى الدهرُ أن تُلْوَى الوُعودُ
فهل من عطفةٍ بالود؟ إنى ... على شحط النوى خِلٌّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِدْ ... كأنى من نجيِّكُمُ شهيدُ
وكم مَلِكٍ سواكم مدّ نحوى ... يديه فقصَّر الباعُ المديدُ
ومعصوبٍ بذكرِى أو بشِعرِى ... أحولُ عنه شعرى أو أحيدُ
أحاذر أن تبذِّلَنى أكفٌّ ... سوائمُ صانَنى عنها الغُمودُ
لعلّ علاكُمُ وندى يديكم ... سيُنهِضُنى بمُثقِلةٍ تؤودُ
ومُجتمِعٍ عليها القولُ، أنّى ... بها والقولُ مشتركٌ فريدُ
من الغرّ الغرائبِ لم يَعِبْها الـ ... ـكلامُ الوغدُ والمعنى الرديدُ

(١) إنسان : اسم ماء .

نوادر تلقـط الأسماعُ منها عن الأفواه ما نَثَرَ النشـيدُ
تَسـير بوصفكم وتُقيم فيكم خوالدَ فهى قاطنـةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكم لرِفـدٍ تَلَوُّمُهُ [اذا](١) قصـدَ القصيدُ

✧ ✧ ✧

(١١٨) وقال وكتب بها فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه وينتصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشةٍ له

جَـمَّ لها الوادى وعزَّ الذائدُ وطاب ما حـدَّثَ عنها الرائدُ
تخلّها راتعـةً مجـرورةً وراءها الأرسانُ والمَقاودُ
يُخلِفُ ما آستُسلفَ من جِرّاتها كَهْلٌ(٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغـيرُ لا ينالُ فرصـةً منها ولا يطمعُ فيها الطاردُ
تذبُّ عنها من سِماتِ ربِّها صـوارمٌ ليس لها مَغامدُ
اذا بدت فى عُنُـقٍ أو حارِكٍ فهى عليها أعينٌ رواصـدُ
ونَمْ فقـد حرّمها هـذا الحمى وضمّها وهى دُخانٌ شاردُ
وأعجزَ الناسَ جميعا رَعْيُها فاليـومَ يرعاها جميعا واحـدُ
أروَعُ لا يغلِبُـه المكرُ ولا تـدِبُّ فى حريمـه المَكايدُ
أعارها عينا فكانت عُـوذةً لها وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـهُ فالظلُّ سَكْبٌ والنسيمُ باردُ
دانَ بتاج الحضرةِ الدهرُ لها وحلَّ حبـلَ الذلِّ عنها العاقدُ
وصـدَّقتْ أن الربيعَ بعـدَها بـوارقٌ من يده رواعـدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها فأورقَ الذاوِى وقام المائدُ

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل . (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضَحِكَ القاطبُ من وجه الثرى وسالَ وادى المكرُماتِ الجامدُ
وبشَّر الفضلُ بقايا أهلِهِ : لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ
نقل لأبناء الطِّلاب والمنى والحاجِ ضاقتْ بهم المَقاصدُ ،
يتاجرون المجدَ فتخيسُ(١) فى أيديهم البضائعُ الكواسدُ :
تضمُّكم حَنوتُه(٢) وأنتمُ عِزُونَ(٣) فى الآفاق أو بدائدُ
زَمَّ الأمور فلَوَى أعناقَها ساعٍ الى الغايات وهو قاعدُ
ودبَّر الدنيا على عِلَّاتها فصَلَحَتْ والدهرُ دهرٌ فاسدُ
ماضٍ له من عزمه مجرَّدٌ يذُبُّ من جهلِ الزمانِ غامدُ
يَرَى بوجهِ اليوم صدرَ غدِهِ تُعطيه ما فى المَصدرِ المواردُ
لا يأخذ التدبيرَ إلا مِن علٍ فالناسُ يخطُونَ وهو صاعدُ
رأى انتهاءَ مجدِهِ مبتدأً لَمَّا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ
أسهرهُ حبُّ العلا منفردا وهو على ظنِّ العيون راقدُ
جَدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ وجادَ عفوا والسحابُ جامدُ
ولاحَ فى المُلك شِهابا فورَى زنادُهُ والمُلكُ نجمٌ خامدُ
منتصرا بنفسه لنفسه كالليث يشرَى(٤) ما لهُ مساعدُ
لا يَملكُ الحفظَ عليه أمرَهُ ولا تُفرِّى حِلمَه الشدائدُ
يُنهِضه الكمالُ من أثقالِهِ بأوسُقٍ تلفِظها الجلامدُ
مدَّ على الدولةِ من جناحه ما مدَّ عطفا لبنيه الوالدُ
حتى استقامتْ وهى بلهاءُ الخُطا عمياءُ ما بين يديها قائدُ

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنوة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَةٍ وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدم و يلج .

كم قـدَمٍ قبلك قـد زَلّتْ بهـا ... ضُعفا وكفٍّ لم يُطِعها الساعدُ
وضابطٍ لم يُغنِه ـ لمّا طغتْ ... أدواؤها ـ التجريبُ والعـوائدُ
يَحرُسها وليس من حُماتِهـا ... مثـلُ الشَّـغا(١) ينقُصُ وهو زائدُ
جاءت على الفَـتْرةِ منـه آيةٌ ... معجزةٌ قامت بهـا الشواهـدُ
مَوهِبـةٌ فاجئـةٌ لم تُحتَسَبْ ... ولم تسـوِّفْه بهـا المَواعـدُ
كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامُ فى ... إظهـارِه الميقاتَ أو تراصـدُ
كالنارِ فى الزَّند تكون شَرَرا ... بالأمس وهو اليومَ جمـرٌ واقدُ
فأبرزَتْـك للعيونِ كوكبا ... يَزهَرُ لم تَجـرِ به العـوائدُ
يَفـديك محظوظون وجهُ عجزِهم ... بِغَلَطِ النّعمة فيهم شاهـدُ
قـد سَرَق الدهرُ لهـم سيادةً ... ليس لهـا من المَساعى عاضدُ
تَنافَرُ الأقلامُ عن أيمانهم ... وتَقشعِرُّ منهـم الوسـائدُ (١١٩)
لم يَنظِموا المجـدَ كما نَظَمتَـهُ ... ولا حلَتْ عنـدهم المَحامـدُ
ولا أعان طارفا من حظّهم ... مجـدُ أبٍ مثـلِ أبيـك تالدُ
وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ ... أُسـرتَهُ لِمَا بَنَى قواعِـدُ
وبعضُ علياءِ الفتى مَكاسبٌ ... بنفسـه وبعضُـها مَوالدُ
وليهنِـكَ الأمرُ الذى ذلَّ به ... لك العـزيزُ وأقـرَّ الجاحـدُ
ولانَ فى يديك منـهُ مَرِسٌ(٢) ... مُـلاوِذٌ مَن رامَـهُ مُحايدُ
يَنقُصُ من قـدرِك وهو فاضلٌ ... على وسِـيعات الأمانى زائدُ
ومُشرِفاتٌ فُضُـلٌ لِبِستَهـا ... تَزلَقُ عنهـا المُقَـلُ الحـدائدُ
كلِبـدةِ الليثِ سَطَا وحسنُهـا ... كالوشيِ تكساهُ الدُّمَى الخـرائدُ

(١) الشغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لَمَا　　كان لها من مثلها مجَاسِدُ
باطِنةٌ وظاهرٌ جمالُها　　فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ
تَسحَبها فى الأرض ولفخْرها　　مَعالِقٌ فى الجوّ أو معَاقدُ
وكالسماء عِمّةٌ صِبْغتُها　　قد جاءها من الزمان وافدُ
مقدودةٌ منها ، ومن نجومها　　فى طَرَفيْها سائرٌ وراكدُ
إن لم تكن تاجًا فقد أكسَبها　　نورُكَ ما لم يكس تاجًا عاقدُ
وضاربٌ الى "الوجيهِ"(١) عِرْقُهُ　　بأربع تَشقَى بها الأوابدُ(٢)
من اللواتى نَصَرتْ آباءَها　　فى السبق أمّهاتُها الرائدُ
وصَبّحَتْها(٣) بالصريفِ(٤) عُلَبًا(٥)　　قبلَ عيالِ ربِّها الولائدُ
خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرّةٍ　　كوكبُها لمقلتيه قائدُ
يجاذبُ الريحَ على الأرض ومن　　قلائدِ الأفقِ له قلائدُ
حَلْىٌ من التبرِ اذا خَفَّ بها　　أُثقِلَ فهو تحتها مجُاهدُ
ينصاعُ "كالمرّيخ" فى آلتهابِهِ　　وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"
غرائبٌ من الحِباءِ(٦)، جُمِعتْ　　بها لك الفوارِكُ الشواردُ
تبرّعَ المَلْكُ بها مبتدئا　　وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ
قد كنتُ عِيفتُ لك الطيرَ بها　　مستيقِظا والحظُّ بعدُ هاجدُ
وبَرَقتْ لى فى المنى سيوفُها　　من قبلِ أن تُبرزَها المَغامدُ
عِلْما بما عندَك من أدَاتِها　　وأنها سيفٌ وأنت ساعدُ

(١) الوجيه : اسم فرس. (٢) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش. (٣) صبحتها : سقتها الصَّبوح وهو اللبن يحلب بالغداة. (٤) الصريف : اللبن ساعةَ يُحلَبُ، وفى الأصل "الصرير". (٥) العُلَب جمع عُلبة وهى قَدَح ضخمٌ من جلدٍ أو خشب يُحلب فيه. (٦) الحِباء : العطاء، وفى الأصل "الحياء".

فلم يَخُنِّى فارسُ الظنِّ ولا … غَرَّتْنِى المَخايِلُ الشواهـدُ
وبعـدُ ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ … الى السماء وحسابٌ زائـدُ
حتى يُشَـقَّ للزمان رمسُـهُ … وأنت باقٍ والعـلاءُ خالدُ
بك استقاد الفضـلُ ودماؤه … مطـلولةٌ وعَزَّ وهو كاسـدُ
نصرتَهُ والنـاسُ إمّا جاهـلٌ … بحقّـه أو عارفٌ مُعانِدُ
ورِشْتَ من أبنـائه أجنحةً … طار حَصيصا ريشُـهُ البـدائدُ
تُعطِى وأنت مُعـدِمٌ وإنما … يُعطِى أخوك البحـرُ وهو واجدُ
زرعتَ عنـدى نعمـةً سالفةً … أنت لهـذا الشكر منها حاصدُ
عَطفا على ذكرى ووصفا نَخـرُهُ … باقٍ علىَّ والزمانُ بائدُ
ونَظَـرا بَدأْتَنِى برأيـه … لو أن باديه الىّ عائـدُ
لكن أردتَ الخيرَ لى ودونه … حوائلٌ من زمنى حـوائدُ
فهـل لأرضى لك أن تَبُلَّها … على الجُـدوب سُحْبُك الجـوائدُ ؟
غَرَسْتُ منك بالولاء والهـوى … غرْسا فماذا أنا منـه حاصدُ
أُنظرْ ، فقد قدَرتَ ، فى مَظْلَمـةٍ … كنتَ على إنصافها تعاهـدُ
واقضِ ديونَ المجـد فيها وارْعَ لى … ما تقتضى الأواصرُ التـوالدُ
ولا تكن – حاشاك – من معاشِرٍ … تَخـذُلُ أقـوالهَم العقائدُ
كانوا يدى وريحُهـم راكدةٌ … وأُسرتى والحظُّ عنهم عاصد(١)
فحين هبّت عاصفا رياحُهـم … قـلَّ الوفىُّ ونأى المساعدُ
غَنَيتُ أَنْ أسكرَنى جفاؤهم … وفى غِنـائى لَهُـمُ عَرابـدُ ١٢٠
وبُخـلاء لا تُهـنّا نعمـةٌ … هُمُ اليهـا السُّبُلُ والمَقاصـدُ

---

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

اذا كَرُمتَ لؤموا سَفارَةً · وإن قربتَ فهُمُ أباعدُ
تُغالِقُ الأرزاقَ أيمانُهُمُ · تَضجُّ من مطالِهم المَواعدُ
لا يُرتجى حكمُ القريض بينهم · ولا يُخاف اللغوُ والعَرابدُ
وكيف أبغى فى النَّبيطِ منهمُ · والعُجمِ أن تنفعَنى القصائدُ
تلافَ بالفضل الوسيع ما جَنَى · مُسلِمُهم علىَّ والمُعاهدُ
حاشاك يشقَى واحدٌ بفضلِه · على زمانٍ أنتَ فيهِ واحدُ
قد طال صونى سمعَك المشغولَ عن · بثِّك ما ألقَى وما أكابدُ
ونقّبتْ جسمى(١) وقلبى صابرٌ · من زمنى نيوبُهُ الحدائدُ
ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْلَةً · فىَّ تدبُّ نحوها الأوابدُ(٢)
وأعوزَ المُقامُ أن أسْطيعَهُ · وسُدِّدَتْ عن سيرىَ المَقاصدُ
أيقتُلُ الزمانُ مثلى هَدَرا · وأنت ثأرى والزمانُ عامدُ ؟
أنت بفضلى شاهدٌ فلا أمتْ · هَزْلًا وتضييعا وأنت شاهدُ
أعدْ — مع الإثقالِ — نحوى نظرةً · تَنعشنى لحاظُها الروائدُ
لعلّها يا خيرَ مَن يُدعَى لها · تَصلُحُ شيئا هذه المفاسدُ
وابتعْ بها الشكرَ فعندى عوَضٌ · تَضْمنُهُ(٣) القواطنُ الشواردُ
كلّ مطاعٍ أمرُها مسلَّطٌ · فى الشعر ملقاة لها المَقالدُ
سائرة تنشرها الركبانُ أو · عامرة بذكرها المَشاهدُ
ترَى الكلامَ عَجُزًا وطرَفًا · وكلُّها وسائطٌ فرائدُ
اذا رأتْ عِرضَ كريمٍ عاطلا · فهى له العقودُ والقلائدُ

(١) نقبت : جعلت به نَقْبا أى خرقا . (٢) الأوابد : غرائب الكلام ويريد بها القصائد .
(٣) فى الأصل " تضمه " .

تحمِلُ من وصفك ما يحمِلُهُ عن روضة الحَزْنِ النسيمُ البـاردُ
طالعـةً بهـا التهانى أنجما ما كرَّ نوروزٌ وعيـدٌ عائدُ
يفنى بنـو الدنيـا وأنت معَها باقٍ على مرِّ الزمانِ خالدُ
تَبقَى عليك والذى نأخـذُه من الجـزاءِ مضمحِلٌّ بائـدُ
محامِدٌ يحسُدُك النـاسُ لهـا والنـاسُ إما حامدٌ أو حاسـدُ

وقال يصف دَواةً

وخرقاءَ مُعـرِقةٍ فى الضـلا لِ شاقك فى القَصد إرشادُها
اذا سُقيتْ فبما أُطعِمتْ مرنَّقـةً، ماؤها زادُها
وإن رَشَفتْ ريقَها ألسُنٌ وقاءَتْ ففى القىءِ أكبادُها
تَقطَّع منهـا فـلا ترعوِى وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها
ترى زوجَهـا أبدا فوقهـا ومن غيرِه جاء أولادُها

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ وغار يغـالطُ فى المُنجِـدِ
أحبَّ وصانَ فورَّى هوًى أضـلَّ، وخاف فلم ينْشُـدِ؟
بعيـد الإصاخة عن عاذلٍ غنىُّ التفـرّدِ عن مُسـعِدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ صبورٌ عن المـاء وهو الصَّدِى
وقورٌ وما الخُـرقُ من حازمٍ متى ما يُرَخْ شيبُه يغتـدى
ويا قلبُ إن قادك الغانيـاتُ فكم رسَنٍ فيك لم ينقـدِ
أفِقْ فكأنى بهـا قـد أُمِرّ بأفواهها العـذْبُ من مَوْردي

وسُـوِّدَ ما ٱبيضَّ من ودّها   بما بيّض الدهرُ من أسـودى
وما الشيبُ أولُ غـدرِ الزمان   بَلَى من عوائده العـوَّدِ
لَحَا اللهُ حظّى كما لا يجـودُ   بما أستحقّ وكم أجتـدى
وكـم أتعلّلُ عيشَ السقيم   أذمُّ يومى وأرجُو غـدى (١٢١)
لئن نام دهرِىَ دون المُنَى   وأصبح عن نَيلها مُقعِـدى
ولم أكُ أحمَـدُ أفعالَه   فلى أُسـوةٌ ببنى "أحمَـدِ"
بخير الورى وبنى خيرِهم   اذا وَلَدُ الخـيرِ لم يُـولَدِ
وأكـرمِ حىّ على الأرض قام   ومَيْتٍ توسّـد فى مَلحَـدِ
وبيتٍ تَقاصَرُ عنه البيوتُ   وطال عَلِيًّا على الفرقـدِ
تحـومُ الملائكُ من حـولِه   ويُصبحُ للوَحْىِ دارَ النَّدى
ألا سَلْ "قريشا" ولُمْ منهُـمُ   مَن ٱستوجبَ اللومَ أو فنِّـدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا   ل لم تشكروا نعمة المرشِـدِ؟
أتاكم على فـترةٍ فٱسـتقام   بـكم جائرين عن المَقصِـدِ
وولّى حميـدا الى ربّـه   ومَن سَنَّ ما سـنّهُ يُحمَـدِ
وقد جعـلَ الأمرَ من بعـده   "لحيـدرَ" بالخـبر المُسنَـدِ
وسمّـاه مـولًى بإقـرارِ مَنْ   لو ٱتبـعَ الحـقَّ لم يَجْحَدِ
فملتم بها – حسدَ الفضل – عنه   ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَـدِ
وقلـتم : بذاك قضى الاجتماعُ   ألا إنمـا الحـقُّ للمفـردِ
يعزُّ على "هاشمٍ" و"النبىِّ"   تلاعُبُ "تَيْمٍ" بها أو "عَدِى"
وإرثُ "عـلىٍّ" لأولاده   اذا آيـةُ الإرثِ لم تُفسَـد
فمِن قاعدٍ منهُـمُ خائفٍ   ومِن ثائرٍ قام لم يُسـعَدِ

تَسـلَّطُ بغيـا أكفُّ النفا ق منهم على سـيِّدٍ سـيِّدِ
وما صُرِفوا عن مقام الصـلاةِ ولا عُنِّفوا فى بُنِى(١) المسـجدِ
أبوهم وأمُّهـمُ مَن علمـ ـتَ فانقُصْ مفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يومِ "الحسين" عليـلًا له الموتُ بالمَرصـدِ
وما الشِّركُ لله من قبـلـه اذا أنت قستَ بمسـتبعَدِ
وما آل "حربٍ" جَنَوا إنمـا أعادوا الضـلال على من بُدِى
سيعلم مَن "فاطمٌ" خصمُهُ بأىّ نكـالٍ غـدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ فبـاءَ بقتلك، ماذا يـدى؟
فـداؤك نفسى ومَنْ لى بذا ك لو أن مولًى بعبدٍ فُـدِى
وليتَ دمى ماسقَى الأرضَ منك يقوتُ الرَّدى وأكون الرَّدى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ أمامَكَ يا صاحبَ المَشهدِ
عسى الدهرُ يَشفِى غدًا من عدا ك قلبَ مَغيظٍ بهـم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحالَ عسى يُغلَبُ النقصُ بالسـؤددِ
وقـد فعَلَ اللهُ لكننى أرى كبِدى بعـدُ لم تبرُدِ
بسـمعى لقائمكم دعوةٌ يُلبِّى لهـا كلُّ مسـتنجِدِ
أنا العبـدُ والاكُمُ عقـدُهُ اذا القـولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيـكم ودادى ودِينى معًـا وإن كان فى "فارسٍ" مولدى
خَصَمْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ ولولاكُمُ لم أكن أهتـدى
وجردتمـونى وقـد كنتُ فى يدِ الشِّركِ كالصارمِ المغمـدِ
ولا زال شـعرِىَ من نائحٍ(٢) يُنقِّـلُ فيكم الى مُنشِـدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسان اذا فاتنى نصرُكم باليـدِ

(١) بُنِى جمع بُنْيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

⁂

وقال وكتب بها الى الأجلّ العميد أبي منصور بن المزرّع في رجب سنة تسع وأربعمائة، وقد أحسن له السِّفارة، ووفَى بكثير من الشرط في المودّة

حـرِّم عليها نُزُهاتِ الوادى ... وولِّها جوانبَ البلادِ
وغنِّها إنْ طرِبَتْ لصافرٍ ... آذانُهـا بَرَهِجِ الجِلادِ
وآسبِقْ بها الى العلا شوطَ الصِّبا ... لعلّها تُعَدُّ في الجِيادِ (١٢٢)
قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا ... مَكاسرُ البيتِ وتَجْرُ[1] النادى
كم التمادى تطلب العفوَ به ؟ ... قد بلغَ الجهدَ بك التمادى
لا بد إن عفت تخاليطَ القذَى ... أن تُخلَطَ الأرجلُ بالهوادى
ما العزُّ بين الحُجُراتِ كامنا ... ولا الغنَى في الطُّنْبِ والعِمادِ
تفسَّحى يا نفسُ أو تطوَّحى ... إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ
إن النفوس فآعلمى إنْ حُمِلتْ ... مسجونةً في هذه الأجسادِ
خيرٌ من الزاد الوثيرِ والأذى ... أن أنفُضَ الأرضَ بغير زادِ
قد ملَّنى حتّى أخى وأنكرتْ ... كلابُ بيتى في الدجى سَوادى
كم أحملُ الناسَ على عِلّاتهم، ... قد جُلِبَ[2] الظهرُ وجُبَّ الهادى
في كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ في ... جنبيَّ وهو خاطبٌ ودادى
وحالمٌ لى فاذا آستسعدتُه ... في يوم رَوعٍ مال بالرقاد
يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ ... فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ
اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من ... تبجُّحى بكثرةِ الأعدادِ
أُنسا على ما خَيَّلتْ وخَلَبتْ ... بروقُها بوحشةِ آنفرادى

---

(١) تجْر جمع تجْرة وهى الناحية. (٢) جلب : ظهرت به الجلبة وهى القشرة تعلو الجرح.

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتىْ (١) صدرِى على فؤادى
قد شَمِتَ النُّقصانُ بالفضلِ وقد تَسلَّط العجزُ على السَّدادِ
فاجفُ الوُصولَ وَاْهجُ من مدحتَهُ فربما تُصلِحُ بالفسادِ
ولا تخلْ ودَّ "العميد" منحةً سيقتْ بقصدٍ أو عن اْعتمادِ
لكنّها جوهرةٌ يتيمةٌ تقذفها البحارُ فى الآحادِ
جاءت بها — والوالداتُ عُقْمٌ — مُقْبِلةٌ غريبةُ الولادِ
خلَّ له الناسَ وبعضُهم غانيا به على كثرتهم وفادِ
وحكَّم المجدَ التليدَ فيهمُ وفيه وٱسأل ألسنَ الرُّوّادِ
بالأقربينَ الحاضرين منهمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النادى
وحبذا بين بيوتِ "أسدٍ" بيتٌ اذا ضلَّ الضيوفُ هادى
أتلعُ طال كرماً ما حولَه تَشرَّفُ الربْوُ (٢) على الوهادِ
مُوضَّحةٌ على ثلاثٍ (٣) نارُهُ إن سَرِفوا (٤) النيرانَ فى الرَّمادِ
بيتٌ وسيعُ الباب مبلولُ الثرى ممهَّدُ المجالسِ رَخصُ الزادِ
إنْ قوَّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنِّبَ بالآباءِ والأجدادِ
تُرْفَعُ عن "محمدٍ" سجوفُهُ جوانبَ الظلماءِ عن زنادِ
أبلجُ يُورِى فى الدجى جبينُه على خبوِ الكوكبِ الوقّادِ
ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمه بالأطيبَيْن : النفسِ والميلادِ
وجاد حتى صاحت المزنُ به : أكرمتَ يا مُبخِّلَ الأجوادِ
من غلمةٍ تحاشدوا على الندى تحاشُدَ الإبْلِ على الأورادِ

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم ممتدّ . (٢) الربو : الرابية وهى ما ٱرتفع من الأرض .
(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفيّة وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبّروا المجـدَ فسدُّوا ما وَلُوا … ســدَّ السيوف ثُغَـرَ الأغمـادِ
مشَوا على الدارسِ من طُرْق العلا، … ويقتفى الرائحُ إثرَ الغـادِى
يعتقبون دَرَجا ذروتَهـا … تعاقُبَ العـقودِ فى الصّعادِ
مَثْنَى ووُحْـدانًا الى أن أحدقوا … بهالةِ البـدرِ على ميعادِ
للكَلِمِ المعتاصِ من سلطانهم … عليـه ما للجحفلِ المنقادِ
فهم قلوبُ الخيـل مثلُ ماهُمُ … إن خَطَبـوا ألسنةُ الأعـوادِ
هل راكبٌ ؟ وضَمِنَتْ حاجتَـهُ … غضبَى القِماصِ سَمْحةُ القِيادِ ؟
مُطلَقـةُ الباعِ، اذا تقيَّـدتْ … من الكَلالِ الشّـوقُ بالأعضادِ ،
تدرُّ قبـل البوِ أو تَطرَبُ من … مَراحِها قبـل غِناءِ الحادى ،
لا يُتهِمُ الليـلُ عليها بَخْـرَهُ … ولا يَخافُ عدوةَ العـوادى ،
لها من الجو العريضِ ما اشتهتْ ، … همُّك فى السرعةِ والإبعادِ ،
تَصدُقُها — والَّلحَظاتُ كُذُبٌ — … عينًا قُطامِىٍّ (١) على مِرصادِ :
بلّغ — وفى عتابك الخيرُ — إذَن … تحيـةً من كَلِفِ الفـؤادِ (١٢٣)
ينفُثُ فيها شجـوَه كما اشتفى الـ … ـمدنَفُ بالشكوى الى العُـوَّادِ
قُلْ لعميـدِ الحىّ بين "بابلٍ" … و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادى
ما اعتضتُ أو نمتُ على البين فلا … بقَـلِقٍ بتُّ ولا سهـادِ
أشرَقَنى الشـوقُ اليك ظامئـا … بالعـذبِ من أحبابِىَ البِرادِ
ما زارنى طيفُ حبيبٍ هاجرٍ … إلا اعترضتُ فثنَى وسادى
ولا نَسمتُ البـانَ تفليـه الصَّبا … إلا تضـوّعتُك من أبرادى

(١) القطامىّ : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

والبـدرُ يحكيك فيشقَ ناظرى حتى كأنّ بيضَـه دآدى (١)
فهـل عـلى ماء اللقـاءِ بِلّةٌ يُرْوَى بها هـذا النزاعُ الصـادى ؟
مالك لا تسمحُ بالقـربِ كما تسـمحُ بالمـالِ وبالإرفادِ ؟
أنت جـوادٌ والنـوى مَبخَـلةٌ ما أعجبَ البخلَ من الجـوادِ !
ملكتَنى بالودّ والرفـدِ معا، والرفـدُ من جوالبِ الودادِ
وقاد عُنْقى لك خُلُقٌ سايسُ الـ جبل على صُـعوبة آنقيادى
حملتُ منك اليدَ بعـدَ أختها بكاهلٍ لا يحمِـل الأيادى
ولم يكن قبـلَك من مآربى لمسُ يدِ المُجـدى ولا من عادى
مَواقفا أعطيتَ فيها مسرفا والبحـرُ يعطينى على آقتصاد
فما أذمُّ الحـظَّ إلا قمتَ لى بمِنـةٍ تكسبه أحمادى (٢)
ولا أنادى النـاسَ إلا خِلتُنى إياك من بينهـمُ أنادى
ولم تكن تَحُلَّىٌّ برقـهُ لا لحيا آعتنّ (٣) ولا الإرشادِ
يجلِبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ مـع النفاق ويدٍ جمـادِ
ماعرفَتْ فيه الندى "طىٌّ" ولا أغناه شيخُ البيتِ فى "إيادِ"
يدخُلُ فى مجدِ الكرام زائدا غبينـةَ الأنسابِ فى "زيادِ"
تسلّطَ البخـلُ على جَنابِه تسلُّطَ الخُلْفِ عـلى الميعادِ
لَتعلمـنّى شاكرا مجتهـدا إن هو كافا (٤) عفوك آجتهادى
بكلِّ مغبـوطٍ بها سامعُها كثيرة الأحبابِ والحسّادِ
مصمّتٍ لها النـدىّ، واسع نصيبهـا الضـخمَ فمُ الإنشادِ

---

(١) بيضه أى لياليه البيض والدآدى، تقدّم شرحها . (٢) أحماد جمع حمد . (٣) اعتنّ : ظهر وآعترض . (٤) يريد "كافأ" .

غريبـــة حتى كأنّ ما طُبِعَتْ   من طِيبِ هذا الكَلِمِ المُعتـادِ
ترفعُها عنايتى عن كُلْفة الـ   ـلفــظِ ومعنى الغـارة المُعـادِ
تغشـاك إما بالتهانى بالعـــلا   أو التهـادى بُكرة الأعيـادِ

✦ ✦ ✦

قال وكتب بهـا الى الأمير أبى الذوّاد المفرّج بن علىّ بن مَزْيَد أخى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه ويصف ملاقاته للأُسـد وظفره به ، وقد أطال سؤاله فى ذلك ، وأنفذها فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيك يومَ البينِ غَيْبى ومَشهَدى   وذلُّ مَقـامى فى الخليط ومقعَدى
وقولى ـ وقد صاحوا بها يُعجِلونهـا ـ :   نَشَدتــكُمُ فى طارقٍ لم يزوّدِ
أناخ بكـم مستسقيا بعضَ ليلةٍ   ولم يدرِ أن الموتَ منها ضحى الغدِ
أتحمون عن عضّ الضراغم جارَكم   ويقتلُنى منكم غزالٌ ولا يدى (١) ؟
ومازلتُ أبكى كيفَ حُلّت "بحاجرٍ"   قُوَى جَلَدى حتى تداعَى تجـلُّدى
وعنّفنى "سعدٌ" على فرط ما رأى   فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدى ؟
أسفتُ لحلمٍ كان لى يومَ "بارقٍ"   فأخرجه جهلُ الصبابة من يدى
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـرةٍ   قَتلتُ بهـا نفسى ولم أتعمّـدِ
تحرّشَ بأحقاف (٢) "اللوى" عُمْرَ ساعةٍ   ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : آزدد
وقل صاحبٌ لى ضلَّ "بالرمل" قلبُهُ   لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـدى
وسـلّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتى   وظلِّ أراكٍ كان للوصل مَوعدى
وقل لحَمـام "البانتين" مهنّئا :   تغنَّ خليًّـا من غرامى وغرّدِ
أعنـدكُمُ يا قاتلينَ بقيّـــةٌ   على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأن قَدِ ؟ (١٢٤)

(١) لايدى : لايدفع الدّية . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما آعوجّ من الرمل وآستطال .

ويا أهل "نجد" كيف بالغور عندكم بقـاءُ تهامىٍّ يهيم بمُنجِـد؟
ملكتم عزيزا رقُّـه فتعطَّفوا على مُنكرٍ للذلّ لم يتعوَّد
أغدرا وفيكم ذمّـةٌ عربيّـةٌ وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليـدِ؟
فليت وجوهَ الحىّ أعدتْ قلوبَهُ ففجَّرَ لى ماءً بها كلُّ جلمـدِ
وليتكُمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقَّنوا خلالَ الندى والجودِ من "آلِ مَزْيَدِ"
من الضيّق الأعذارِ والواسعِ القِرَى اذا ما "جُمادى" قال لليلة: آبردى
ولفَّ على خيشومه الكلبُ مُقعيا يرى الموتَ إلا ما آستغاث بموقد
وشدّ يديه حالبُ الضَّرع غامرا على مُصفِر(١) قد مسّه الجدبُ مثمِدِ(٢)
وباتَ غلامُ الحىّ يُسنِد ظهرَه من النَّضَـد(٣) الواهى الى غيرِ مُسند
هنالك يأوِى طارقُ الليل منهمُ الى كلّ رطْبٍ مُثمِرِ النبتِ مُزْبِدِ(٤)
كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانه رحيبِ الرواقِ مُنعمِ العيش مُرفِدِ
قليـل على الكُوم الصفايا حنوُّهُ اذا السيف ردّاهنَّ للساقِ واليـدِ
كمثـلِ "أبى الذوّادِ" لا متعلِّلٍ اذا سُئل الجدوَى ولا بمُنكَّدِ
فتًى، بيتُـهُ للطارقين، وسيفُهُ لهـامِ العـدا، والمـالُ للمتزوّدِ
ويوماه إما لآصطباحِ سُـلافةٍ تُصـفّقُ أو داعى صِـياحٍ ملدّدِ
وَفَى بشروطِ المُلك وهو آبن مَهدِه وسُـوِّدَ فى خيط التميم المعـقّدِ
وجادَ على العلّات والعـامُ أشهبٌ بأحمرَ من خير الرجالِ وأسودِ
ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه سِـنُوه التى حَلَّتـه حِليَـة أمردِ
أناف بجَدَّيه وأسـندَ ظهرَهُ الى جبلين من "عفيف" و"مَزْيَد"

---

(١) المصفر: المفتقر. (٢) المثمد: القليل الماء. (٣) النضد: السرير.
(٤) المزبد: المثور، وفى الأصل "مزيد".

له فى ملوكِ الشرقِ والغربِ منهمُ نجومُ السماءِ من ثريًّا وفرقدِ
أيارا كبَ الوجناءِ يخبط ليلَه على الرزق لم يقصد ضلالًا لمقصدِ،
ترامت به الآفاقُ ينشُدُ حظَّه فلم يُعطِه التوفيقُ صفحةَ مُرشِدِ،
أنخها تُفرِّجْ همَّها "بمفرِّجٍ" وطلِّق شقاءَ العيش من بعدُ وٱسعدِ
ورِدْ جمّةَ الجودِ التى ما تكدَّرتْ بمَنٍّ وردْ ظلَّ المنى المورقِ النَّدى
وبِتْ فى أمانٍ أن يسوءَك ظالمٌ علتْ يدُه أو أن تُراعَ بمعتدى
حماكَ "أبو الذوَّادِ" مالكُ أمرِهِ على كلّ حامٍ منهمُ ومذوِّدِ
أخو الحرب إذا مُخمِدٌ يومَ أُوقِدتْ وإمّا شبوبٌ نارَها غير مُخمِدِ
له الخطوة الأولى اذا السيف قصَّرتْ به ظبتاه فهو يوصل باليدِ
اذا ٱبتدر الغاراتِ كان سهامُها له من قتيلٍ أو أسيرٍ مصفَّدِ
خفيف أمامَ الخيلِ رسغُ جوادِهِ اذا الخوفُ أقعى بالحصانِ المعرِّدِ
ولما كفى الأقرانَ فى الرَّوعِ وٱرتوتْ صوارمُه من حاسرٍ ومسرَّدِ[1]،
تعرَّضَ للأُسدِ الغضابِ فلم يدعْ طريقا لذى شبلين منها ومُفرِدِ
حماها الفريسُ أن تُطيفَ بأرضه وشرَّدها عن غابها كلَّ مشرَدِ
وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ممزَّقةً فى صعدةٍ أو مُهنَّدِ
ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهمَ[2] واحدا جرى مُلبِدٌ يشتدُّ فى إثرِ مُلبِدِ
نَصبتَ له لم تستعن بمؤازرٍ عليه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعدِ
وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ متى تُمثّله الفرائصُ تُرعَدِ

(١) الحاسر: من لا مِغفر له ولا درع، والمسرد: لابس السَّرْدِ وهو الدرع. (٢) الأدرع الجهم: الهجين العابس.

فأوْجَرْتَه(١) نجـلاءَ أبقتْ بجنبِه ... فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَـدَّدِ
تحـدَّرُ منها لَبَّتاه وصـدرُه ... على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّدِ
فلم تُغنِـهِ إذ خان وثبـةُ غاشِمٍ ... ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصِـدِ
رأى الموتَ فى كفَّيك رأْىَ ضرورةٍ ... فأوردَ منـه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ
وأحرزتَهـا ذكرا يخصُّـك فخرُه ... تَنَاقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشـهَدِ
جمعتَ الغريبينْ: الشجاعةَ والنَّدى ... وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِـدِ
وقمتَ بإحكام السـيادةِ ناظما ... عُراها فما فاتتك خَلَّةُ سـيِّدِ
أتانى من الأنبـاء أنك مغـرمٌ ... بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى
حبيبٌ اليك أن تُزَفَّ عرائسى ... عليك تَهادَى بين شادٍ ومُنشِدِ (١٢٥)
متى ما تَجِـدْ لى عنـد غيرك غادةً ... مخـدَّرةً تَغبِطْ عليهـا وتَحسُدِ
فقلتُ: كريمٌ هزّه طيبُ أصله ... وواحدُ قومٍ شاقه مـدحُ أوحدِ
وليس عجيبا مثلُها عنـد مثلِهِ ... اذا هبَّ يقظانا لهـا بين رُقَّدِ
فأرسـلتُها تُلقِى اليـك عنانَهـا ... وغـيرُك أعيتْـه فلم تتقـوَّدِ
لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائسٌ ... بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفـدِ
يرى كلَّ شىءٍ فانيـا وِرداؤه ... على عُنُقٍ باقٍ فى الزمان مخـلَّدِ
متى تَجزِها الحسنَى بحقِّ ابتـدائها ... تَزُرْكَ بعينٍ تملأُ السـمعَ عُوَّدِ
فوفِّرْ على عجـز البُعول صَـداقَها ... وعرِّسْ بها أمَّ البنيـن وأولِدِ
وصُنْها وكَمْ نُزْلهـا إنَّ بيتَهـا ... كبيتك فى أُفُق السماء المشـيَّدِ
وكن "كعلىٍّ" أوفكن لى "كثابتٍ" ... وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

---

(١) أوجرته: طعنته، وفى الأصل "أوخزته".

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها – على أنّ المزارَ بعيدُ – خيالٌ سَرَى والساهرون هُجودُ؟
طوى "بارقا" طىّ الشجاعِ "وبارقٌ" خِطارٌ يفلُّ القلبَ وهو حديدُ
يجوبُ الدجى الوحشىَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكسرُ البيتِ عندك بِيدُ!
نعم! تُحمَلُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ ويَمشى الهوى والناقلاتُ قُعودُ
وتَسع البلوى فيمضى مصمّما جبانٌ عن الظلِّ الخفوقِ يحيدُ
من المبلغى؟ والصدقُ قصدُ حديثِه وفى القول غاوٍ نقلُهُ ورشيدُ،
عن الرمل "بالبيضاء": هل حِيلَ بعدنا وبانِ "الغضا" : هل يستوى ويميدُ؟
وهل ظبياتٌ بين "جوّ" "ولعلعٍ" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟
سوانحُ للرامين، تصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةَ تَصيدُ
ويوم "النقا" خالفنَ منّا فعاذلٌ خلىٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ
سفكنَ دمًا حُرًّا وأهونُ هالكٍ دمٌ حكمتْ عَيْنٌ عليه وجِيدُ
حملن الهوى منّى على ضُعف كاهلٍ وَهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ
تطلعتِ الأشرافَ(١) عينى ريادةً لقلبى سفاها والعيونُ ترودُ
وما علمتُ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ
وقالوا: غدًا ميقات فُرقةِ بيننا فقلتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ
غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟
وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

(١) الأشراف جمع شَرَف وهو: ما شَرُف وارتفع من الأرض .

وقد كنتُ أبكي والفـراقُ دعَا بِهِ (١) … دلالٌ أدارِي عطفَـه وصـدودُ
فما أنا من بَينٍ رجاءُ إيابِهِ … وعـودٌ (٢) تُقضّى دونه وعهـودُ
هل السابقُ الغضبانُ يملكُ أمرَه ؟ … فما كلّ سير اليعملاتِ (٣) وخيدُ !
رويدا بأخفافِ المطيّ فإنما … تداسُ جباهٌ تحتها وخدودُ
عذيرى من الآمال أمّا ذراعها … فرحبٌ وأمّا نَيلُها فزهيدُ
يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّه … وأنّ زمامَ الليث حيث تقودُ
ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ … دفوعٌ، وسهمٌ للزمان سديدُ
سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعدّلٌ … متى يُبْدِ قبلَ السكر فهو معيدُ
فمستبردٌ يهنَى بأولِ شربةٍ … ومستكثرٌ يثنى له ويزيدُ
ونَحّى "ابنَ أيوبٍ" فأصبح صاحيًا … وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليدُ
فلو لم يُبرّزْ يومَ كلِّ فضيلةٍ … كفَى أنه يومَ الحِفاظِ وحيدُ
حوانى وأيامُ الزمانِ أراقمٌ … وهَبهَبَ عنّى والخطوبُ أسودُ
ولبّى دعائى والصدَى (٤) لا يُجيبنى … بيقظتِهِ والسامعونَ رُقودُ
وأنهضنى بالدهرِ حتى دفعتُه … وجانبُه وعرٌ علىّ شديدُ ١٣٦
وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختها … وقلّصَ عنى الظلُّ وهو مديدُ
تكفّلَ لى بالعيشِ حتى رعيتُه … على وخَمِ الأيامِ وهو رغيدُ
وأطلقَ من ساقىَّ حتى أنافَ بى … على أرَبِي والحادثاتُ قيودُ
فما راعنى من عقّنى وهو واصلٌ … ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ

(١) فى الأصل "دعابة" . (٢) فى الأصل "عهود" . (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . (٤) الصدى : رجوع الصوت وترديده .

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصـلٌ | اذا ضلَّ عن طُرْقِ العلاء بليـدُ
عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيـدُ صرَّحتْ | به عن صفاياها غَطارِفُ صِيدُ
كِرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم | ويُنظَمُ شمـلُ المجـدِ وهو بديدُ
يَسُـودُ فتاهم فى خيوطِ تميمِهِ | ويشأى(١) كهولَ النـاس وهو وليدُ
إذا نزلوا بالأرضِ غبراءَ جعـدةً | أماه(٢) حصًا فيهـا وطابَ صعيـدُ
كأنَّ نصوعَ الروضِ حين تسحبتْ | مآزِرُ منهـم فوقَهـا وبُرودُ
سخا بهـمُ أنَّ السـخاءَ شجاعةٌ | وشجعهـم أنَّ الشجاعةَ جودُ
لهـم بابنهـم ما للسحابةِ أقلعتْ | من الروضِ يومَ الدَّجْنِ وهو صَخود(٣)
وماغابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ | مضَى وبنوه الصالحون شُهودُ
"أبا طالبٍ" لايُخلف الفخرُ دوحةً | وأنتَ لهـا فرعٌ وبيتُـك عُودُ
بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فطيرتْ | رياحُك عَصـفًا والبُغـاةُ رُكودُ
وشالَ بكَ القِـدحُ المعلَّى وحظُّهم | وليس لهـاوٍ بالطباعِ صـعودُ
فلو كلَّمتْكَ الشمسُ، قالتْ: لحقتَ بي | عـلاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟
أقرَّ لك الأعداءُ بالفضـلِ عَنوةً، | ومعـترِفٌ من لم يسَـعْهُ جُحود
وكيف يُمـارِى فى الصباحِ معاندٌ | وقـد فلَقَ الخضراءَ منـه عمودُ؟
تسمَّعْ من الحسادِ وصفَكَ واغتبطْ | فأعجبُ فضـلٍ ما رواه نديدُ
وإن نكلوا شيئا فإن فصـاحتى | وراءك كـثرٌ فى الكلام عتيدُ
وبين يدَىْ نُعماك منِّى حيَّـةٌ | لهـا مَـدَدٌ من نفسها وجُنـودُ
اذا رامحتْ حربًا رأيت كماتَهـا | تلاوذُ من أطرافها وتحيـدُ

(١) يشأى: يسبق. (٢) أماه: كثر ماؤه. (٣) الصَّخود: الشديد الحر.

أذودُ بها عن سَرحِ عِرضك كلّما … تطلَّعَ فيه للفريسةِ سِيدُ (١)
اذا نَشَطتْ من عُقلةِ الفكرِ أرسلتْ … بها طَلَقاتٍ وثْبهنّ شُرودُ
مطايا لأبكار الكلام اذا مشى … على حَسَكِ (٢) السَّعدانِ (٣) منه رديدُ
نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى … على دِينها بين الجِنانِ خُلودُ
ويحسدنى قومٌ عليها وحظُّها … شقىٌّ وحظّ المقرفاتِ سعيدُ
تمنَّوا على إخصابهم جدبَ عيشِها … وأنهُمُ خُصُّوا بها وأُفيدوا
ولم أحسبِ البلوى عليها مُزاحِمٌ … ولا أنّ ضنكَ العيش فيه حسودُ
لها النسبُ الحرُّ الصريحُ، اذا طغت … عليك إماءٌ غيرها وعبيدُ
يزورك منها ــ والنساءُ فوارِكٌ ــ … كواعبُ تُصْفيك المودّةَ غِيدُ
لهنّ جديدٌ من نوالك كلّما … أتى طالعاً يومٌ بهنّ جديدُ
ففى كلّ يومٍ مهرجانٌ مقلَّدٌ … بهنّ ونيروزٌ لديك وعيدُ

⁂

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنَّاها بجهلِ الظنِّ "سعدُ" … وما هى من مطايا الظنّ بعدُ
وخالَ ظهورَها قُعُدا ليانا … فرحَّلَ وهى مُزلِقةٌ تكُدُّ
وراوحَها القِعابَ (٤) ليعتشيها (٥) … فضرعٌ زلّ أوخِلفٌ يَنِدُّ

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتغتشيها" ولم نعثر لها على تفسير يتفق ومعنى البيت .

براثنُ أَوْسَقَتْهُ دما صبيبا	وفى قــوم لها أُقُطٌ[١] وزُبْدُ
لعلّك "سعدُ" غرّك أن تراها	على الجِرّاتِ[٢] تأكلُ أو تَرِدُ
وأنّ العام أخلفها فجاءت	حبائلَ فى حبائلها تُمَدُّ
مفلّلةً[٣] على الأعطانِ فوضى،	هببتَ تظنُّ أنّ الفَلَّ[٤] طردُ
وما يُدريكَ من يَحمى حماها	ويحضُرُ[٥] ذائدا عنها ويبدو[٦]
وإنّ وراءها لقنًا تلظّى	وأسيافًا وألسنةً تُحَدُّ (١٢٧)
ومنتقَضَ الطبائع إن أخيفت،	لشدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُدُّ
اذا صاح الإباءُ به تنزّى	يُطيع الغيظَ أغلبُ مستبدُّ
ومشحوذا! من الكَلِم المصفّى	به الأعراضُ تُفرَى أو تُقَدُّ
اذا عصبَ اللهاةَ الريقُ ناضت	دوافقُ منــه واديها مُمَدُّ
تحاشدُ "يعربُ" إن قال: نصرا	وتغضَبُ بالطباع له "مَعَدُّ"
فما لك — لا أبا لك — تتّقيها	وفيها السيفُ والخصمُ الألدُّ
طغى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى	وخافَ فتورَها دأبٌ ووخْدُ
لئن دَرِدَتْ فلا يَغرُرْك منها	أراقمُ يزدرِدنَ وهنّ دُرْدُ
وإن نأت البلادُ برافديها	فقومٌ آخرون لها ورِفْدُ
ولم يَقعُدْ عن المعروف جُندٌ	من الكرماء إلا قام جُندُ
وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى	رجالا لَفَّهُمْ سَفَرٌ وبُعْدُ
ولم أعــدَمْ نوالَهُمُ ولكن	وجوهٌ بعدَها ألَمٌ ووجدُ

(١) الأقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض . (٢) الجرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية . (٣) مفللة : مهزومة . (٤) الفلّ : الانهزام . (٥) يحضر : أقام بالحضر . (٦) يبدو : ينزل البادية .

سقى الله "ابن أيوب" سماءً ... تروح سحابُها ملأى وتغدو
وإلا ماءُ خديه حياءً ... وإلا خلةٌ منه وودُّ
وأىّ خلاله كرمًا سقاه ... كفى وسقى نميرُ منه عِدُّ
أخوك فلا تغيّره الليالى ... اذا لم يُرعَ عند أخيك عهدُ
ومولاك الذى لا الغلُّ(١) يسرى ... به ظَهرًا ولا الأضغانُ(٢) تحدو
تضيّفهُ وأنت طريدُ ليلٍ ... رمى بك فيه إقتارٌ وجهدُ،
وقد ألقت بكلكلها "جُمادى"(٣) ... لخيط سمائها حلٌّ وعقدُ،
وهبّتْ من رياح "الشام" صرٌّ(٤) ... عسوفٌ(٥) لم ترضها قطّ "نجدُ"،
وأبوابُ البيوت مقرّناتٌ(٦) ... فلا نارٌ ولا زادٌ معدُّ،
تجدْ وجهًا يضيء لك الدياجى ... كأنّ جبينَه فى الليل زندُ
وكفًّا تهربُ الأزماتُ منها ... ترقرقُ سبطةً والعامُ جعدُ
وبتْ وقراك ميسرةٌ وبشرٌ ... وزادُك نُجعةٌ وثراك مهدُ،
تمامَ الليلِ واغدُ بصالحات ... من الأخلاق إن تركتْك تغدو
شمائلُ أصلُها حسبٌ وخيرٌ(٧) ... وزهرةُ فعلِها كرمٌ ومجدُ
تقلّبها أبًا فأبًا مؤدٍّ ... كما أخذَ العلا إرثا يُردُّ
تتمّ به اذا حُسِبَ المساعى ... عن الآباء عِدّةُ ما يُعدُّ
تفرّدَ بالمحاسن فى زمانٍ ... تنكّرَ أن يقالَ : البدرُ فردُ

---

(١) فى الأصل "الغيل". (٢) فى الأصل "الأظعان"، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت، ومعناه : أن مولاك من لا يتخذ الحقد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضغن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى. (٣) يقال للشتاء عند العرب : جمادى. (٤) الصرّ : الريح الشديدة الصوت والبرد. (٥) العسوف : التى تمر فلا يثنيها شيء. (٦) مقرّنات : مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها ، وفى الأصل "مقرمات". (٧) الخير : الشرف والأصل.

وجاراه عـلى غَرَرٍ رجالٌ … لهم شـدٌّ وليس لهم أشُـدُّ
فقصَّر كلُّ منتفخٍ هجينٍ … ومرَّ أقبُّ(١) يطوِى الشوطَ نَهدُ(٢)
ثقيـلٌ والحلومُ مشعشَعاتٌ … نصيعُ العِرضِ والأعراضُ رُبْدُ
ملكتُ به المنى وعلى الليالى … ديونٌ بعدُ لى فيـه ووعدُ
وكان نوالُ أقـوامٍ ضمانا … أسوِّفه وجودُ يديه نَقْـدُ
أحـدَّ بنصره نابىَّ حـتّى … فَرَسْتُ به الخطوبَ وهنَّ أُسْدُ
وعاد أشلَّ كفُّ الدهرِ عنّى … بأنك(٣) لى به سـيفٌ وزندُ
فلا يعدَمْك معتمِرٌ(٤) غريبٌ … له بك أسوة(٥) : صَبرٌ وحَشْدُ
ولا يَفْقِدْك منّى مستضىءٌ … بهَدْيِك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ
وردَّ عليك رائحـةً شانى … عزائبُ(٦) مثلُها لك يُسـتَرَدُّ
خمائصَ أو يَجِدنَ اليك مرعًى … خوامسُ(٧) أو لهنَّ نداك وِرْدُ
حواملَ من نتاجِ الجود ملءَ ال … جيوب فما لُها شكرٌ وحمدُ
من الكلِم الذى إن كان حدٌّ … لغاياتِ الفصاحة فهو حـدُّ
سبقتُ به المَقاولَ(٨) مستريحا … ففتُّهمُ وقد نَصِـبوا وكدُّوا
تكُرُّ عليـك واحدةً ومَثنَى … بهنّ وفودُها ما قام "أُحُدُ"
ليوم المهرجان وكان عُطْلًا … وشاحٌ من فرائدها وعِقْـدُ
سلبتُ الناس زينتَهـا ضنينا … بهـا وبرودُها لك تَستجِدُّ (١٢٨)
وأعتقَنى من الحِرصِ آقتناعى … بما تُولِى، ومولى الحرصِ عبدُ

---

(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .
(٣) فى الأصل " بأنه " . (٤) المعتمر : الزائر والقاصد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعد عن المرعى ، وفى الأصل " غرائب " .
(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته ، وأنفذها اليه

أمكَنَتِ العاذلَ من قِيادِها فانــتزع الرحمــةَ من فؤادِها
ولوَّنت أخــلاقَها فقــد غدا بيــاضُها يشِــفُّ عن ســوادِها
والغانيــاتُ عَطفةٌ وصدْفــةٌ[1] يُجنَى لك الحنظلُ من شِهادِها[2]
لا يملأُ الراقــدُ من أحــلامِهِ إلا كما يملك من ودادِها
أعلَقُ ما كنت بها طماعةً أنصلُ ما تكونُ من إسعادِها
متى تُكلَّفْ من وفاء شيمــةً تعــدْ الى شيمتهــا وعادِهــا
آهِ عــلى الرقّــةِ فى خــدودها لو أنهــا تسرى الى فــؤادِها
"بالبــان" لى دَيْنٌ على ماطلةٍ يميس غصنُ البان فى أبرادِها
سلَّطتِ الوجــدَ على جوانحى تسلَّطَ الخُلفِ عــلى ميعادِها
يا طَــرَباً لنفحــةٍ "نجديّةٍ" أعدِلُ حرَّ القلب باستبرادِها
وما الصَّــبا ريحى لــولا أنهــا اذا جرت هبَّتْ عــلى بلادِها
قل لمُحِيضِ العيسِ أغباسَ[3] السُّرَى[4] تأكلُ عَرضَ البيــدِ فى إسآدِها[5]
موائرا ترى السَّــلامَ[6] رمَضاً[7] بينَ سُلاماها[8] الى أعضادِها
ذُبالهُــا تحت الدجى عيونُهــا لا تستشــيرُ النجمَ فى رَشادِها
تبغى النــدَى وأين من مُرادِهِ طىُّ الفــلا وأين من مُرادِها

(١) الصدفة : الإعراض والصدّ ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشِّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباس جمع غَبَس وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السلام : شجر . (٧) الرمض : حرقة الحرّ . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرْسِن البعير أو عظامٌ صغارٌ طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنـدَكَ روضٌ وسحابٌ مغـدِقٌ إن صدَقَتْ عينُك فى ٱرتيادِها
أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحـرٌ أعـذبُها اللهُ عـلى وُرّادِها
أيدٍ تَساوى الجودُ فيها فٱكتفى أن يسألَ المُعْتامُ(١) عن أجوادِها
سـلالةٌ من طينةٍ واحـدةٍ مجموعُها يوجَـدُ فى آحادِها
إرْمِ بهـم على الليالى تَنتصِفْ بهِـمْ على ضعفك من شِدادِها
وشِمْهُـمُ على الخطوب تَنتضِلْ(٢) بيضَ "السُّرَيْجِيّاتِ"(٣) من أغمادِها
أُنظرْ اليهـم فى سماواتِ العلا مرفوعـةً منهـم على عِمادِها،
ترَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههـم ثابتـةَ السـعودِ فى أوتادِها
لهـم سناها ثمّ ما ضرّهُـمُ نقصانُ ما يكثُرُ من أعدادِها
أسرةُ مجـدٍ شـهِدَ الفضلُ لما عُقِّبَ عنها بعـلا أشـهادِها
حسـبُك من آياتها دلالةً أن "كالَ الملك" من أولادِها
حَيّ وقـرْبٌ غُرّةٌ أبيّـةٌ كانَ النـوى يألَمُ من بعادِها
ما سكنَتْ أرضٌ الى حضـورِها إلا بكتْ أخرى عـلى ٱفتقادِها
تـودُّ حبّاتُ القـلوب أنها — ما سافرتْ — تكون من أرفادِها
عاد الى الدولة ظـلُّ عزّهـا وقـرّت الأرواحُ فى أجسـادِها
وٱمتلأتْ من شُهبِها أفلاكُها وضُمّت الغيـلُ عـلى آسـادِها
يخطبُها قومٌ وفى حِبالكم نكاحُها وهـم بنـو سِـفادِها
يا عجـزَ من يطمعُ فى قنيصِها والليثُ جثّامٌ عـلى مِرصادِها
أنت لها بعـدَ أبيـك ثُغـرةٌ غيرُك لا يكون من سِـدادِها

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين اسمه سريج .

وجهك فى ظلمائها سراجها … وكفك الذائب فى جمادها
صدعت بالفضل وكنت معجزا … تطيعك النفوس باجتهادها
وأذعنت طائعة مختارة … بميلها إليك وانقيادها
إن ضلت الآراء باجتماعها … كفتك آراؤك بانفرادها
أو عبدت أموال قوم ، شرفت … نفسك أن تكون من عبادها
كفتك كسب العز نفس حرة … أحرزت العزة من ميلادها
وقدمتك – فاجتبيت سيدا – … أرومة طرفك من تلادها (١٣٩)
تعدى معاليها الى أبنائها … على زمان "هودها" و"عادها"
لكم قدامى الأرض أو سلافها … كنتم ربا والناس فى وهادها
وجمة الملك تجم لكم … ما طاب واستغزر من أورادها
اذا نطقتم سكت الناس لكم … على قوى الأنفاس وامتدادها
كأنما ألسنكم لهاذم[1] … على القنا تشرع فى صعادها
ميمونة النقبة[2] أين وجهت … حلت المزن عرى مزادها
وإن سئلتم لم تروا أموالكم … نامية إلا على نفادها
هنا المعالى منك يا خير أب … يكنى بها جمعك من بدادها
ذاك ، وسل مذ غبت عن نفسى وعن … ضراعة لم تك فى اعتيادها
ونبوة الأعين عنى فيكم … كأننى صيرت من سهادها
أخرت نفسى بل قعدت حجرة[3] … مزملا بالذل فى بجادها[4]
مخفضا قولى متى قيل : صه … خشعت بين هائها وصادها

---

(١) اللهاذم جمع لهذم وهو السنان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) حجرة : ناحية .
(٤) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

بين رجال كمنت فضائلى عنهم كمون النار فى زنادِها
لم أرجُهم وليتنى لم أخشهم، قلوبهم تئنُّ من أحقادِها
تسلُقنى باللوم فيكم ألسنٌ أقوالُها تصغُر فى اعتقادِها
فكيفَ ـ معْ قناعتى ـ ظنُّك بى هل كان إلا المصُّ من ثمادِها
خلّقتنى جوهرةً ضائعةً بقلّةِ الخبرةِ من نُقّادِها
لا حظَّ لى أرجوه عند غيركم من عُدّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائى الى حِفاظكم سكونَ أجفانى الى رقادِها
أنتم لنفسى فى الحياة وبكم أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى من عَركها الصبرَ ومن جهادِها
وهل ـ وقد أمرضها بعادكم ـ كنتم بعَطفِ الذِّكْرِ من عُوّادِها؟
بلى! لقد واصلَها ما بلّها من عَونِ أيديكم ومن إرفادِها
وقمتمُ على النوى بلفتةٍ من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِى نقصِها فى سَعةِ الأيام وازديادِها
وعند نعماك لها إن قُضيتْ دَينٌ عليه جُملةُ اعتمادِها
مؤجّلا قبل النوى وبعدَها من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكّل الجودَ على نفسك فى قضائها ومُرْهُ بافتقادِها
واعلم بأن الحالَ فى تسويفها تَضيقُ حتى الوعد فى إبعادها
واسلم لها واسع بها سوائرًا(١) بعفوها منك وباجتهادها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها تصوّبتْ أو هى فى إصعادِها

(١) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا "سوا".

رَجْلَى ولا يعلَقُها ركبُ الفـلا ... بإبِـلِ البيـدِ ولا جِيادِهـا
تَسـترقِصُ الأسماعَ أو تخالُنى ... أستخلفُ "الغريضَ"[1] فى إنشادِها
كأنّها عـلى الطـروس أنجمٌ ... لألأتِ الخضـراء[2] بآتقادِهـا
يكاد أن يبيضّ من نُصوعِها ... ما سوَّد الكاتبُ من مـدادِها
تنفَّسُ الأيّامُ عن صـوابِهـا ... فى وصـف نُعماكم وفى رشادِها
ما دمـتُمُ حَلْيـا لمهـرجانهـا ... فينـا وتيجـانا عـلى أعيادِهـا

وقال وكتب بها الى ناصر الدين بن مُكرَم يشكر ما تقدّم من إنعامه، ويتنجّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائدٍ ... يقتافُ آثارَ الصباحِ الشاردِ؟
هيهات تلك نَشـيدةٌ ممطـولةٌ ... عند الغـرام على المحبِّ الناشـدِ
وكفاك عجزا من شجىٍّ ساهرٍ ... يرجُـو الرِّفادةَ[3] من خلىٍّ راقـدِ
يا إخوةَ الرجلِ الغـنىِّ أصابَ ما ... يبـغى وأعداءَ المُقِـلِّ الفاقـدِ
صاحبتُ بعـدكم النجومَ فكلُّكم ... إلبٌ[4] عـلىَّ وكلهنّ مساعدى
فاذا ركدن فمن تحـيُّرِ أدمعى ... واذا خفقن فمن نُبُوِّ وسائدى
دُلُّوا علىَّ النـومَ، إنّ طريقَـهُ ... مسـدودةٌ بعـواذلى وعوائدى
وعلى الثنيّـةِ "باللوى" متطلَّعٌ ... طِلْعِى بمَـربأة الرقيب الراصـدِ
يَقِـظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطّأتْ ... عيناه عن قلبٍ مُريدٍ عامـدِ

---

(١) الغريض: هو مغنٍّ آسمه عبـد الملك وكنيته أبو زيد ولُقِّب بالغريض لأنه طرىُّ الوجه غضُّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطرىّ من كلّ شىء. (٢) الخضراء: السماء. (٣) الرفادة: المعونة. (٤) الإلب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان.

متجاهــلُ ما حالُ قلبي بعــده … جهــلَ العلـيم وغائبٌ كالشاهدِ
والى جَنوب "البانِ" كلّ مُضرَّةٍ … بالبان بين موائسٍ ومـوائد
يمشين مشى مَهَا "الجواءِ" تخالَّتْ … عنهنّ غيطانَ النقا المتقاودِ (١)
متقلداتٍ بالعيون صلاتَها … وطُلًى ولم يحملن ثِقلَ قلائدِ
نافثهنّ السحرَ يوم "سويقة" … فاذا مَكايدهنّ فوق مكايدى
كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ … أنّ الحبالة عُقلةٌ للصائدِ
أنكرتُ حلمى يومَ "بُرقةِ عاقلٍ" … وعرفتُه يوم اللقاءِ "بغامدِ"
وجعلتُ سمعى من نبال عواذلى … غرضَ الغرورِ لكلّ سهم قاصدِ
القلبُ قلبُكَ فامض حيث مضى الهوى … بك من مضلٍّ سعيُهُ أو راشدِ
ما دام يدعوك الحسانُ فتًى وما … دام الذوائبُ فى قرابِ الغامدِ
فوراء يومك من صِباك ضُحَى غدٍ … وعدٌ يسوءُك منه صدقُ الواعدِ
ولقد سريتَ بليلهِ وبصبحه … فَحْماً وفى لهبِ البياض الواقدِ
فاذا المشيبُ مع الإضاءة حيرةٌ … واذا الشبابُ أخو المضلّ الواجدِ
ومطيّةٍ للهوِ عزّ فَقارُها … وصليفُهَا (٢) عن راكبٍ أو قائدِ
مما احتمى من رحله بقِماصه … ومن الخشاش بأنفه المتصايدِ
أعيا على ركب الصِّبا أن يظفروا … بمَغالقٍ من غَرْزِها (٣) ومَعاقدِ
قد رُضْتُها فركبتُ منها طَيِّعاً … ينصاعُ بين مَراسنى ومَقاودى
وأخٍ رفعتُ له بحىّ على السُّرى … والنجمُ يسبحُ فى غدير راكدِ،
فوعَى فهبَّ يحُلُّ خيطَ جفونه … بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العاقد
غيرانَ قام على الخطار مساعدا … نصرَ الحسامِ رفدتهُ بالساعدِ

(١) المتقاود : المستوى ٠ (٢) الصليف : عرض العنق ٠ (٣) الغرز : ركاب الرحل ٠

حتى رجمتُ الليلَ منه بكوكبٍ فتق الدجَى وأضاء وجه مقاصدى
فردينِ سَومَ الفرقدين تمايلا مستأمنين على طريق واحدِ
ومحجَّبٍ تدع الفرائصَ هيبةً أبوابُه من خافقٍ أو راعدِ
تتسابقُ الجبهاتُ دون سريرِه للفوزِ بين معفَّرٍ أو ساجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آستنزاله بضعائفٍ منها ولا بجلائدِ
أذِنَتْ عليه وسائلى وترفَّعتْ أستارُه لمقاصدى وقصائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى أبوابَه فكأنهنّ مقالدى
"كمانَ" أو مَلِكٍ "عُمانُ" دارُه دانى النوالِ على المَدى المتباعدِ
رانٍ علىّ على آرتفاع سمائه بَرٌّ بوفدِ مدائحى ومحامدى
بعثتْ بصيرتُه نَفَاقَ عندَه[1] والشعرُ يَبْضَعُ فى أوانٍ كاسدِ
وقضَى على أبى الوحيدُ بعلمهِ فكفَى بذلك أنه من شاهدى
سبق الملوكَ فبذَّهم متمهلا جاروا ومرَّ على الطريق القاصدِ
ومضَى على غُلَوائهِ متسنِّما[2] لم تَرتفِقْ[3] مَساعِيَه بمُعاضدِ
طيّانَ[4] لم يقضِ البوازلَ قبلَه جَذَعٌ ولم يُطِلِ القيامَ بقاعدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أين فخارُها منه، فباهلَها بفخرٍ زائدِ
وسما بماجدُ قومَه بنجومها فثنَى ولم يظفرْ بنجمٍ ماجدِ
غرسَ المعالىَ "مُكرمٌ" فى تربها فجنت حلاوةَ كلِّ عيشٍ باردِ
حجَراً على الأقدارِ فيما نفَّذتْ أحكامَها من صادرٍ أو واردِ
لن تعدَم الآفاقُ نجماً طالعاً منها ينوّر إثرَ نجمٍ خامدِ

---

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعن .
(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

فالسيفُ منهم فى يمين المنتضِى ... كالسيف منهم فى يمين الغامدِ
هم ما هُمُ ! وتفرّقت آياتُهم ... فى المجد ثم تجمّعتْ فى واحدِ
أحيت لهم أيامُ محيي الأمةِ الـ ... معافِي وهبّتْ بالرّقود الهاجدِ (١٣١)
وتسنّمتْ دَرَجَ السماء بذكرهم ... أيامُ آثارٍ لهم ومشاهدِ
وإلى "يمين الدولة" افتقرت يدٌ ... فى الملك لم تُعضَدْ سواه بعاضدِ
نظمَ السياسةَ مالكٌ أطرافَها ... لم تستعِنْ عَزَماتُه بمُرافدِ
وأقامَ ميلَ الدولتين مؤدّبٌ ... بثقافهِ خَطَلَ الزمانِ المائدِ
سبقَ الرجالَ بسعيه وبقومه ... والمجدُ بين مكاسبٍ ومَوالدِ
جَرت البحارُ فما وفت بيمينه ... فكأنّ ذائبَها يُمَدُّ بجامدِ
ضنّتْ بجوهرها وما فى حِرْزها ... من مُنفساتِ ذخائرٍ وفوائدِ
فاستخرجتْها كفُّه وسيوفُه ... فسخَتْ بها لمؤمِّلٍ ولرافدِ
نامَ الرعاةُ عن البلادِ وأهلِها ... عجزا وعيناه شِهابًا واقدِ
وحَمَى جوانبَ سَرحِهِ متنصِّفٌ ... للشاءِ من ذئبِ الغضا المستاسِدِ
وإذا الأسودُ شممن ريحَ عرينه ... كانت صوارمُه عِصِيَّ الذائد
ما بين "سَرَبْزَة"(١) الى ما يَستقِي ... "وادى الأُبُلَّةِ" هابطا من صاعدِ
يقظانُ يضرب وهو غيرُ مبارِزٍ ... عزما ويطعن وهو غيرُ مُطارِدِ
كفٌّ له تَحمِي وسيفٌ يُنتضَى ... ولحاظُ راعٍ للرعيّةِ راصدِ
وإذا بغَى باغٍ فباتَ يرومُه ... باتت صوارمُه بغيرِ مَغامدِ
ومطوّحٍ ركِبَ الخطار فردَّه ... أعمى تحيّرَ ماله من قائدِ
كفَّ الرَّعاعَ وجاء يطلبُ حاجةً ... عسراءَ فى كفِّ الهمامِ اللابدِ(٢)

(١) سربزة : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل " اللائد ".

يَرمى الكواكبَ وهى سـعدٌ كلُّها ... بمَناحِسٍ من جَـدّه ومَناكِدِ
جُنَّتْ به الأطماعُ فآستُغوِى بها ... يصـبو الى شيطانها المتـمارِدِ
خُـبْرتُه يبغِى "عُمانَ" وأهلَها ... فعرفت مَصـدرَه بجهـل الوارِدِ
لم يُنجِـه والمـوتُ فى حَيزومِـه(١) ... ما ضمَّ من حَفْـلٍ له ومَحاشـد
جمحتْ به غرّارةٌ من حَيْنـه ... قذفتـه فى لَهَواتِ صِـلٍّ زاردِ(٢)
نُسِفَتْ بأطراف الرماح جنـودُه ... طَوْحَ السنابِلِ(٣) عن شفارِ الحاصـد
من راكبٌ – وفؤادُه من صخـرةٍ – ... جَـوفاءَ(٤) أمْ فواقِـرٍ وأوابدِ(٥)؟
حدباءَ تسـلك من عثار طريقها ... حُـدْباً ذواتِ نواقِصٍ وزوائـِدِ
فتظـلّ طورا فى عنانِ سمائها ... صُعُدا وطورا فى الحضيض الهامـِدِ
تختبُّ قامصـةً ولم تطأ الـثرى ... وتظـلُّ لا فى سبسبٍ وفدافـِدِ
يظمَا بها الركبانُ وهى سـوابحٌ ... فى غامـرٍ تيّارُه متـراكدِ
شـنعاءَ لو طَرقَ الخيـالُ بمثلها ... عينى لما أطبقتُ مقـلةَ راقدِ
بلِّغْ – وليتَ رسائـلى تقتصّها ... شفتى وغائبِىَ المؤخَّر شاهـدى –
أو ليت قلبى كانَ قلبَك أصمعاً(٦) ... فى أضـلعٍ صُمِّ العظـامِ أجالدِ
فأخوضَ بحـرا من حميمٍ آجنٍ ... يُفضِى الى البحـرِ الزُّلالِ البـاردِ
قلْ إن وصلتَ "لناصر الدين" آستمع ... قِمّـرًا تُجمِّعُ كلَّ أنسٍ شاردِ
يا خـيرَ من حَمَلتْ ظهورُ صواهلٍ ... فى المُلك أو ضمّتْ صـدور وسائدِ
وتعصَّبَتْ بالنـور فوق جبينـه ... عَـذَبُ(٧) اللواء تَحُفُّ تاجَ العاقـدِ
أنا عبـدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا ... ما نعمـةٌ نيطت بآخرَ جاحـدِ

(١) الحيزوم: وسط الصدر . (٢) زارد: اسم فاعل من زرد الشىء: بلعه . (٣) فى الأصل "السـنابك" . (٤) يريد بالجوفاء السفينة . (٥) الفواقر والأوابد: الدواهى .
(٦) الأصمع: الذكىّ . (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلفّ على رأس الرمح .

أغنيتني عن كلّ مذمومِ الجَدا	ألقاه مضْطَرًا بوجهٍ جامدِ
ونفضتَ عن ظَهرِى بفضلك ثِقلَ ما	أوعيتُ من نُوبٍ علىّ شدائدِ
كان الزمانُ يُسِرُّ لى ضِغْنا فقد	أصلحتَ لى قلبَ الزمان الفاسدِ
وحفظتَ فىّ تكرُّما وتفضُّلا	ما أذكرتْكَ قدائمى وتلائدى
ذِمَمٌ لو آعتَصَمَ العُداةُ بمثلها	عقدوا بهنّ لديك خيرَ مَعاقِدِ
ومن الذى يُرعَى سواك لنازحٍ	عن لحظه نائى المحلّ مُباعِدِ
متناقِصِ الخطواتِ عنك ذكرتَهُ	فى سَكرةِ المُلكِ العظيم الزائدِ
أوليتَنى فى آبنى ونفسى خيرَ ما	أوليتَ فى ولدٍ شفاعةَ والدِ
فلذاك كرَّ على مشقّة طُرقِهِ	وكررتُ أطلبُ من نداك عوائدى
تُعطى المنى ونعود نسألُ(١) ثانيا	فتعود حبّا للسماح العائدِ (١٣٢)
وتموتُ حاجتنا وينفَدُ فقرُنا	وسؤالُنا ونداك ليس بنافدِ
فاحكم بسنَّتك التى شَرَعَ الندى	لك شرعَها حُكمَ القديرِ الواحدِ
كَفِّلْ علاك بحاجتى واكفف يدى	عن كلّ جَعد الكف جَعد الساعدِ
فالناسُ غيرَك من تضيق مجالتى	فيه وتُقتل بالمِطالِ مَواعدى
صُنْ عنهمُ شَفَتى ودعنى واحدا	فى الدهر أشربُ من قَليبٍ واحدِ
حاشا لمجدك أن تُسدَّدَ خَلّتى	بمُشارِكٍ لك فىّ أو بمساعدِ
وآنصتُ لها غُررًا لمدحك وحده	يُنظمنَ بين قلائدٍ وفرائدِ
من كلّ مخلوعٍ لصادقِ حسنها	فيها عذارُ العابدين لعابدِ
عذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ،	ما كلُّ عذراءٍ تُزَفُّ بناهدِ
تجلو عليك بيوتُها ما أنشِدت	حوراءَ ذات وشائحٍ وقلائدِ

(١) فى الأصل " وتعود نسال " .

كعقيلة الحىّ الحُـلولِ تمشّت الـ ـخُيلاءَ بين وصائفٍ وولائـدِ
مما سبقتُ بخاطرى أمّاتِها وحويتُـهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجـزى فى نظمِها فعنا لها من راكعٍ أو ساجـدِ
قد آمنَ الشـعراءُ بعـد فسوقهم بدلائلى فى فضلها وشـواهدى
وأطاع كلُّ منافق إن سَـره أو ساءه وأقـرَّ كلُّ معانـدِ
فاعطفْ لمهديها وحامـلِ تربِها وآحمـلْ له حقَّ السفيرِ الرائـدِ
وآردده عن عَجَـلٍ كما عوّدتَه برواجِعٍ من نعمتيك ردائـدِ
وآشـددْ يدًا بالخافقين مملـكا عنقيهـما من أتهـمٍ ونجائـدِ
فى دولةٍ أختِ السـعودِ وعـزّةٍ أمِّ النجـوم وعمـرِ ملكٍ خالدِ

⁂

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

تهوى ـ وأنت مُحلَّأٌ (١) مصدودُ ـ ماءَ "النَّقيب"، وإنه موروردُ
ويُقرّ عينَك ـ والوصالُ مصوّحٌ ـ غصنٌ يرفُّ على الحمى ويميـدُ
واذا رغبتَ الى السحاب لحاجةٍ لك ما يصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهـدَك لم يحُـلْ أفما لحىٍّ فى "النخيـل" عهودُ ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنّبٌ يقضى عليـه غادرٌ مـودودُ
قَسَمًا ـ ولم أُقسمْ بسكّانِ الحمى عن ريبـةٍ لكنه تأكيـدُ ـ
لهمُ ـ وإن مَنعوا ـ مكانُ مَطالبى وهُمُ ـ وإن كرِهوا ـ الذين أريدُ
أتنسّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ منهم وتُجـدِبُ أرضُهم فأرودُ
وأكذّبُ الواشى الىّ بغـدرهم وعلى الحـديثِ دلائلٌ وشُهودُ

(١) المحلأ : الممنوع عن الماء .

فهم الصديقُ ولا مودةَ عندهم — وهم الأقاربُ والمزارُ بعيدُ
و" بأيمَنِ العلَمين " من أبياتهم — ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصيدُ
لاهٍ اذا جمع الرجالُ حلومَهم — حل العزائمَ خصرُهُ المعقودُ
يَرمِي القلوبَ وما دمٌ بمطوَّحٍ — ما لم تُرِقه مقلةٌ أو جيدُ
وعدَ الوفاءَ وليس منه فغرَّنى — ومن السرابِ اذا اغتررتَ وعودُ
أعنو له وأنا العزيزُ بنفسه — وألينُ عمدا والفؤادُ جليدُ
واذا عزفتُ فتُبتُ من دِين الهوى — جذبَ الغرامُ بمقودى فأعودُ
ولقد أحنّ الى " زرودَ " وطينتى — من غير ما فُطرتْ عليه " زرودُ "
ويشوقُنى عَجَفُ[1] " الحجازِ "، وقد ضفا[2] — ريفُ[3] " العراق " وظلُّه الممدودُ
ويُطرِّبُ الشادى فلا يهتزُّنى — وينالُ منّى السائقُ الغِرِّيدُ
ما ذاك إلّا أنّ أقمارَ الحمى — أفلا كُهنّ اذا طلعنَ البيدُ
طفِق العذولُ — وما ارتفدتُ برأيه — فيهن — يُبدئُ ناصحا ويعيدُ
فأنا الذى صدعَ الهوى فى أضلعى — ما لا يَلُمُّ العذلُ والتفنيدُ
ياصاحِ، هل لك من خليلٍ مؤثرٍ — راضٍ بأن يشقى وأنت سعيدُ؟
متقلقلٍ حتى تقرَّ، وربما — بَقَّ رقادَك ساهرٌ مجهودُ
يَلقَ القواذعَ[4] أو يقيك لسانُه الـ — مشهورُ فيك وعزمُه المشدودُ (١٣٣)
كذُبالةِ[5] المصباحِ أنت بضوئها — فى الليلة الظلماء وهى وَقودُ
من دون عِرضك نَثْلةٌ[6] منضوضة[7] — منه وإن لم يقضها " داودُ "[8]

(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضفا : فاض وسبغ .
(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القواذع جمع قاذعة وهى الهجر والشتيمة .
(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفى الأصل " ثَلّة ". (٧) فى الأصل مغضوضة . (٨) داود هو داود النبى عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع و إحكامها .

قـلَّ الثقاتُ فإن عَلقتَ بواحـدٍ … فاشدد يديك عليه فهو وحيـدُ
لا يُبعِـد اللهُ الألى حفظ العلا … بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشِـيدُ
وإذا اقشعرَّ[1] العامُ أغدقَ من ندى … أيديهـم الوادى ورَفَّ العـودُ
وإذا ترى نقصُ القبائل أقبلتْ … تَنمِى المكارمُ فيهُـمُ وتـزيدُ
لا يعـدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُـمُ … شخصٌ على وجـه الثرى موجودُ
بيتٌ ، بنو عبدِ الرحيم طُنوبُهُ … وأبوهُـمُ سـاقٌ له وعمـودُ
تطغى رياحُ البِرِّ فيـه عواصـفًا … ولهـا بأثنـاء[2] البيوت ركـودُ
مِن حولِه غُرَرٌ لهم[3] وضّاحةٌ … تبيضّ منهن الليالى السـودُ
وإذا أناخ به الوفـودُ رأيتَهـم … كرماء قياما والوفودُ قعـودُ
فإذا أردتَ طُـروقَهُ لملمّـةٍ … " فأبو المعالى " بابُهُ المقصـودُ
جاراهُـمُ فأراك غائبَ أمسهم … رؤيا الزيادة — يومُهُ المشهودُ
ومضَى يُريدُ النجمَ حـتى جازه … شوطا، فقال النجمُ : أين تريدُ؟
شرَفٌ " كمالُ المُلك " فى أطرافه … حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ
فَصَـحَ[4] البوازلَ وهو قارحُ عامه … وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ
يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ … تسرى به وبنـو الطريق هُجـودُ
عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها … متروِّحا وحسـودُهُ مكـدودُ
ووفَى بأشراطِ الكفاية داخلا … من بابها ورِتاجُها[5] مسـدودُ
عَبِقٌ بأرواح السـيادة عِطفُـه … فكأنه فى حِجرها مولودُ
لو طاول الغُمْرُ[6] المغفَّلُ خُلقَـه … شيئا تعلَّم منـه كيفَ يسودُ

(١) اقشعر : لم يصب ريا . (٢) فى الأصل " بأبيات " . (٣) فى الأصل " له " .
(٤) فَصَح : من قولهم : فصحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءه . (٥) الرتاج : الباب العظيم .
(٦) الغمر : الجاهل الأبله .

هَشٌّ لصدر اليوم إمّا مالُه … فيه وإمّا قربُه المنقودُ
لا قبلَ نائله اذا سُئل الندى … وعدٌ ولا قبل اللقاء وعيدُ
واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ … فهى الشجاعةُ أو أخوها الجودُ
أفنَى الثراءَ على الثناءِ وعلمُهُ … أنّ الفناءَ مع الثناء خُلودُ
ولربّما بُلِى البخيلُ بموقِفٍ … يُخزيه فيه مالُهُ المعبودُ
لك من خلائقه اذا مارستَه … جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شديدُ
فمع الحفيظة قسوةٌ وفظاظةٌ … حتى كأنّ فؤادَه جُلمودُ
ومع المودّة هِزّةٌ وتعطّفٌ … فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ
يا أُسْرةَ المجدِ التى لم تنتبهْ … عن مثلها الأيامُ وهى رُقودُ
كُفِىَ الزمانُ العينَ فى أعيانكم، … إن الزمانَ عليكمُ محسودُ
لولاكُمُ نُسِىَ الثناءُ ولم يكن … فى الناس لا رِفدٌ ولا مرفودُ
ولكان قُلُّ الفضلِ أو ميسورُهُ … يفنَى فَناءَ كثيرهِ ويَبيدُ
بكُمُ رددتُ يدَ الزمانِ، وباعُهُ … متوسّعٌ بمساءتى ممدودُ
وحملتُ مضعوفًا ثقائلَ خطبه … وهى التى تُوهِى القُوَى وتؤودُ
وخلطتمونى بالنفوس فمن يقعْ … جُنُبًا(١) فإنى منكمُ معدودُ
واذا تلوّنَ معشرٌ بتلوُّنِ الدُّ … نيا فعهدِى فيكم المعهودُ
وعُنيتَ أنت بخَلّتى فسددتَها … ونظمتَها بالجودِ وهى بديدُ
واذا تقاعدَ صاحبٌ عن نُصرتى … فالنصرُ حظّى منكَ والتأييدُ
فلأجزينّك خيرَ ما جازَى امرؤٌ … وجَدَ المقالَ فقالَ وهو مُجيدُ
مما يُخالُ قوافيا ومعانيا … بالسمعِ وهو حبائرٌ وبُرودُ

(١) جُنُبًا : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ(١) فى ليل الطَّوى ويقادُ تتبعه المهارى القُودُ
من كلِّ مخلوعِ عِذارُ محبِّها فيها ومعذورٍ بها المعمودُ
وكأنها بين الشفاهِ قصائدًا فوق النحورِ قلائدٌ وعقودُ
عذراء تحسُدها ــ اذا أنصفتَها أوقاتَها منك ــ الكعابُ الرودُ
يحثّها شوقا لك النيروزُ أو يأتى فيُطلِعها عليك العيدُ ١٣٤
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ تمضى بها الأيَّامُ ثم تعودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها إلَّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاسدون علاكُمُ، لا خيرَ فيما ليس فيه حسودُ

✧

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرّض بذكر بعض من جهلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أنشُدُ(٢) من عهد "ليلَى" غيرَ موجودِ وأقتضيها مُعارا غيرَ مردودِ
رِضًا "بليلَى" على ما كان من خُلُقٍ جَعْدٍ ونَيلٍ كثيرِ المنِّ معدودِ
من العزيزات(٣) أنسابًا وأخبيةً فى صفوةِ البيتِ حلَّتْ صفوةَ البيدِ
محبُّها قد قضى فى كلِّ معركةٍ(٤) قصيَّةٍ عن بلاغ الأينُقِ القُودِ
تُقَلُّ من غيرِ ذُلٍّ عند أُسرتها بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ(٥)
كم ليلةٍ قد أرتنى حشوَها قمرا وجوهُها البيضُ فى أبياتِها السُّودِ

(١) السفر: المسافرون. (٢) دخل على هذه الكلمة الزحاف المطوى وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لمهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله
* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *
(٣) فى الأصل "العريرات". (٤) لعله يريد كلَّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية. (٥) الأباديد: المتفرقة.

من كلِّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ ... غصنا من البان معقودا بجُلمودِ
ما مستقيماتها للريح مائلةٌ ... لكن براهينُ عِزٍّ لى المواعيدُ
لُثْنَ العناقيدَ(١) فوقَ الخُمْرِ(٢) واختلفت ... شِفاهُهنَّ على ماءِ العناقيدِ(٣)
ورُحن يَرمِين بالألحاظ مقتنصًا ... فما تصيَّدنَ إلا أنفُسَ الصِّيدِ
يا ليلَ(٤)، لو كان داءٌ تقتُلين به ... داويتِه كان داءً غيرَ مقصود
اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى ... من نومِ ليلكِ عن همّى وتسهيدى
ما ماء "دِجلةَ" ممزوجا بغدركمُ ... وإن شفَى باردًا عندى بمورودِ
ولا صَبا أرضكم هبَّت تروِّحنى ... وفاءَ وعدٍ لكم بالمطلِ مكدودِ
حسبى! سمحتُ بأخلاقى فما ظفِرت ... فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ
وصاحبٍ لينُ أيّامى وشدّتُها ... فَرقٌ له بين تقريبى وتبعيدى
يمشى ابنَ دأيةَ(٥) فى ظلِّ الرجاءِ معى ... وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ(٦)
وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهمنى ... خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضود
يهوَى الأناشيدَ أن يكذِبْنَ سُمعتَه ... ولا يَهشُّ لأعواضِ الأناشيدِ
أغشاه غِشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما ... رأى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ
يجودُ مِلءَ يدى بالوعد يمطُلُه ... والمطلُ من غير عُسرٍ آفةُ الجودِ
فَدَى الرجالُ ـ وإن ضنّوا وإن سمحوا ـ ... فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ
لا يحسب المالَ إلا ما أفاد به ... ثناءَ محتسِبٍ أو ذِكرَ محمودِ
كم جَرَّبَ المدحُ أملاكا وجرّبه ... فصبَّ ماءً وحَثّوا من جلاميدِ
أملسُ لا عِرضُه الوافى بمنتقَصٍ ... يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

(١) يريد بالعناقيد الغدائر . (٢) الخمر جمع خمار وهو شبه النقاب . (٣) يريد بماء العناقيد الخمر . (٤) يريد يا ليلى . (٥) ابن دأية : الغراب . (٦) السيد : الذئب .

مَن سائلٌ بالكرام السابقـين مَضَوا … وخلّفـوا الذّكرَ من إرثٍ وتخليـدِ؟

هذا "الحسينُ" نخذ عينًا ودعْ خبرًا … من الروايات عنهـم والأسانيـدِ

من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ … وعامريها وما ذلّت لتشييدِ

كم حاملٍ منهـمُ فضلًا، حمائلُهُ … تَحُلُّ عن عاتق بالتـاج معـقودِ

لم يبرحوا أجبُـلَ الدنيا وأبحرَها … أصلين من شاهقٍ منها وممـدودِ

وخسّنوا فى الندى أخلاقَ حلمِهمُ، … إنّ الندى فى النُّهى(١) كالماء فى العودِ

يا آل "عبدِ الرحيم" آختار صُحبتكم … تأنُّـق فى آختياراتى وتجـويدى

أُحِبُّكم وتُحبُّـونى وما لَـكُمُ … فضـلٌ وربَّ ودودٍ غيرُ مودودِ

قرابةٌ بيننا فى "فارسٍ" وَصفتْ … عنّى وعنكم طهاراتِ المواليـدِ

لا زال مـدحِىَ مـيراثا يقابلكم … عـنّى اذا الشعرُ فى آذانكم نُودى

بكلّ حسـناء لو أحفشْتُها(٢) برزتْ … للخاطبين بروزَ الغادةِ الرُّودِ(٣)

من نسج فكرى تردّ العارَ دونكمُ … ردَّ السهام نبتْ عن نسج "داودِ"

ما أنبتتْ لِىَ شَجْراءُ الرجاء بكم … خصبا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيـدِ

وما تباحُ المُدَى مشـحوذةً أبدا … صبيحةَ النحـرِ(٤) من نحرٍ ومن جيـدِ

⁂

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرَتْنى أمُّ "سعدٍ" أنَّ "سعدا" … دونها ينهَـدُ(٥) لى بالشّرّ نَهْـدَا

غَيرةً أن تسمعَ الشَّربَ تُغنّى … باسمها فى الشّعر والأظعانَ تُحدَى

---

(١) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعلها "اللَّها" جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لا يتفق ومعنى البيت. (٢) أحفشتها: ألزمتها الحِفْش وهو البيت الصغير من الشَّعر. (٣) الرود: الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل "الغيد". (٤) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى وبالثانية أعلى الصدر. (٥) ينهد: يسرع.

قلت : يا للحبِّ من ظبيٍ رخيم ... صدتُه فاهتجتُ ذؤبانا (١) وأُسْدا

ما على قومِك أن صار لهم ... أحدُ الأحرار من أجلكِ عبدا !

وعلى ذى نظرةٍ غائرةٍ ... بعثتْ سُقما الى القلب تَعدَّى !

قتلتْ حين أصابت خطأً، ... وقصاصُ القتلِ للقاتلِ عمدا

أُتُرانى طائعًا أضرمتُها ... حُرَقًا تأكلُ أضلاعى ووجدا !

سبّبتْ لى فيكِ أضغانَ العدا ... نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا

وعلى ما صفحوا أو نقموا ... ما أرى لى منكِ يا " ظبيةُ " بُدّا

أَجتلى البدرَ فلا أنساكِ وجها ... وأرى الغصنَ فلا أسلاكِ قدّا

فاذا هبّتْ صَبا أرضكمُ ... حملتْ تُربَ " الغضا " بانا ورندا

لامَ فى " نجدٍ " وما آستنصحتُه ... بابلىٌّ لا أراه الله " نجدا " !

لو تصدّى رشأُ " السّفحِ " له ... لم يلُم فيه ولو جارَ وصدّا

يصلُ الحولُ على العهد وما ... أنكرَ التذكارُ من قلبىَ عهدا

أفيروَى عندكم ذو غُلّةٍ ... عدِمَ الظَّلْمَ (٢) فما يشربُ بَرْدا ؟

رُدَّ لى يوما على " كاظمةٍ " ... إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا

وحمانى من زمانٍ خابطٍ ... أبدا فى عَطَنى شَلًّا وطردا

كلّما أبصر لى تامكةً (٣) ... كدَّها أو ردَّها عظما وجلدا

يصطفى الأكرمَ فالأكرمَ من ... نُخَبى أنفسَ ما كنتُ مُعِدّا

كلّما شُدّتْ بظهرى هجمةٌ (٤) ... ركب الشرَّ لها ركضا وشدّا

واقعا فى كلّ مَن كثّرنى ... بيدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (٣) التامكة . الناقة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى هُنَيدة .

أُكلَةَ الصُّعلوكِ ، لا أُسنِدُ ظهرا في الملمّاتِ ولا أشتدُّ عَضْـدا
غاب أنصاري فمن شاء آتقاني حذَر الإثمِ ومن شاء تعـدَّى
شَقِيَتْ من بعـدهم نفسي وهم أيّ برج نزلوه كان سـعدا
قل لأمـلاكِ نأى عنّي بهـم ناقلُ الأقمار قُربا ثُمّ بُعـدا :
يا سـيوفي يوم لا أملِك عزًّا وعيـوني يوم لا أُورَد عِـدًّا
وشـبابي إن دنوتم كان غضًّـا واذا رحتم مع البين آستُرِدَّا
عجبا لي كيف أبقى بعدكم غير أن قد خُلِقَ الإنسان جَلْدا !
غلَبَ الشوقُ فما أحمِلُ صبرا وجفا الناسُ فما أسألُ رِفـدا
أنا من أغراسكم فانتصروا لي قبـل أن تهشِمَني الأيامُ حصدا
يا رسـولي ، ومتى تَبلُغْ فقـلْ خيرَ ما حُمّـل مأمونٌ فأدّى :
يا "كمالَ الملكِ" يا أكرَمَ مَن يمّمتْـه ظُعُنُ الآمالِ تُحـدَى
يا شهابا كلّما قال العـدا : كاد يخبـو ، زاده الرحمنُ وقـدا
يا حساما كلّما ثلّمـه الضـ ـربُ راق العـينَ إرهافا وحَـدًّا
ما بـراكَ اللهُ إلا آيـةً فَتن الناسَ بها غيًّا ورُشْـدا
وثَباتُ الليثِ إن أُنكِر في شَدّةٍ كان مع الأخرى أشـدَّا
كلّما عاند فيها حاسـدٌ ظهـرتْ باهرةً مَن يتحدّى
ولَكَمْ أنشرتَ إعجازا بهـا من فِعالٍ طُويتْ لحـدا فلحدا
وبخيـلٍ خامـلٍ أعديتَـه كرما نال به الحمـدَ ومجـدا
وزليـقٍ منتهى شاهقـةٍ حيثُ لا يصـعَد إلا مَن تردّى
طأْمنَ[1] الجوُّ لهـا وٱنحـدرت قُلل الأجبال حتى كنّ وُهْـدا

(١) طأمنَ : آنخفض .

حَرَصَ الكوكبُ أن يطلُعَها … فهوَى عنها وما سدّ مَسَدًّا
وإذا الكيدُ مشَى يَسْمُتُها(١) … طامعًا عاد وقد خاب وأكدى ١٣٦
خفَّ من خطوك فيها ناهضٌ … لم يسرْ فى التيه إلا سار قصدا
يأخذ المجلسَ من ذِروتِها … مالكا تدبيرَها حَلًّا وعَقْدا
طرتَ فيها والعدا واقعةٌ … تأكل الأيدى(٢) لها غيظا وحقدا
يُلعَنُ الناسُ على عجزهمُ … وتُحيّا بالمساعى وتُفَدَّى
فَرَّعت للمجد منكم دوحةٌ … كنتَ من أنضرها عُودا وأندَى
تربةٌ بورك فى صَلصالها … أنجبَتكم والدا طاب وولْدا
طينةٌ – أعجِبْ بها – مجبولةٌ … أخرجتْ سَلْمى وثَهْلانَ وأُحْدا(٣)
يا عيونَ الدهرِ، لا زالتْ بكم … قَذِياتٍ أعينُ الحسّاد رُمدا
وتقاضَى الملكُ عنكم بسيوفٍ … منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غِمدا
كلّما سُوِّد منكم بأخيهِ … صارمٌ يَمَّمَ أمضَى وأحدّا
وبَقيتم لبقايا كرَمٍ … بكمُ يلحمُ فى الناس ويُسدَى
لم تكن لولاكُمُ أرماقُها … أثرًا يخفَى ولا عينا تَبدَّى
يا نجومى، لا يَرُعْنِى منكمُ … غائرٌ باخٍ(٤) ولا حَيدانُ ندّا
نوّروا لى وآسرجوا فى طُرُقٍ … أقطعِ الأرضَ بكم جَمْزًا(٥) ووَخْدا
أجمعِ الحصباءَ فى مدحكمُ … بلسانى وأعدَّ الرمل عَدّا
وكما أرغمتُ من قبلُ بكم … آنُفًا(٦) آبيةً أجدعُ بَعْدا

(١) يسمتها: يقصدها، وفى الأصل "يسمنها". (٢) قوله "تأكل الأيدى" كناية عن عضِّهم أيديَهم من الغيظ. (٣) أحد وما قبله أسماء جبال. (٤) فى الأصل: "غابر"؛ وباخ: خمد وانطفأ. (٥) الجمز: الإسراع فى العَدْو. (٦) آنُف جمع أنْف.

أبدا أنصبُ نفسى دونكم علَما فردا وخَصْما ألدّا
غير أنى منك يا بحرَ الندى أشتكى حظّى فقد خاب وأكدى
عادةٌ تُمنَعُ أو تُقطَع بتّا وحقوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِدّا
ووعودٌ يجمحُ المطلُ بها أن يرَى ميقاتُها عندك حدّا
بعد أن قد كنتَ أحفاهم وفاءً (١) لى وأوفاهم لما أسلفتَ عهدا
حاش للسُّحبِ التى عوّدتُها منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثةٌ من مذكرٍ لم يألُ فى الصبر للحاجةِ والأوطارِ جهدا
بعث النيروزُ يستعجلكم سائلا فى الوعد أن يُجعلَ نقدا
وهوَ اليومُ الذى من بعده سوف تُفنون مدى الأيام مدّا
فاقبلوه شافعا وآرضوا به زائرا عنِّىَ بالشعر ووفدا
أنتمُ أكرمُ من يُهدَى له، والقوافى خيرُ ما يُحبِى (٢) ويُهدَى

⁂

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدّتْ "بنعمانَ" على طول الصدَى دعها فليس كلُّ ماءٍ مَوردا
لحاجةٍ أمسَّ من حاجاتها تخطّاتْ أرزاقَها تعمُّدا
ترى وفى شروعها ضراعةٌ حرارةً على الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جَذبَتْ بخطْمِها (٣) وكلُّ ذى عزٍّ وما تعوَّدا
لا حَمَلتْ ظهورُها إن حملَتْ رِجْلا على الضيم تقرُّ أو يدا
إن لم يلقَها جانبٌ مقاربٌ فارمِ بها الجنبَ العريضَ الأبعدا

(١) فى الأصل "أخفاهم". (٢) فى الأصل "يجبى". (٣) الخطم: مقدّم أنف الدابة وفمها.

خاطرُ ولو أردى انخطارُ، إنه   لا يأمن الذلّةَ من خاف الردَى
لا يُحرزُ الغايةَ إلا بائعٌ   بغلظةِ العيش الرقيقَ الرغَدا
يَطوى الفلا لا يستضيفُ مؤنسا   والليلَ لا يسأل نجما مرشدا
اذا رأى مَطعمةً خافضةً   عوّذَ بالله ومالَ الحَيَدا
يُعطِى جِذابَ الشهواتِ عُنُقًا   شمساءَ(١) لا تَعرف إلا الصَّيَدا(٢)
تمارسُ الأيّامُ منه كلّما   حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا
يعزُفُ(٣) إلا عن فُكاهاتِ الهوى   وقد رأى فيه الحبيبَ المسعدا
أقسمَ بالعفّةِ : لا تيّمهُ   ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوّدا
ولا قَرَى(٤) صَبابةً فؤادَه   إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا
شأنَك يا بنَ الصَّبَوات فالتمسْ   غيرى أخًا، لستُ لهنّ وَلَدا
مولاك من لا يَخلُق الشوقُ له   وجدا ولا طولُ البعاد كمدا (١٣٧)
كأنما يَشهدُ من عَفافه   على المشيبِ يافعًا وأمردا
موقّرا متّعظا، شبابُهُ   كأنما كان مَشيبا أسودا
تحسبه نزاهةً وكرمًا   ومجدَ نفسٍ "بابن أيوبَ" اقتدَى
فِدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌ(٥)   لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى
يرضَى بما ساق اليه غلَطُ الـ   ـحظّ ولم يسعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالةِ الأيّام فى   وِجدانه ما لم يكن لينشُدا
تحسبه جاء يريد غيره   فضلَّ عن طريقه وما اهتدى
وحاسدٍ، فخارُه معْ نقصِه   فى الناس أن عادى العلا وحسَدا

(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيَد : رفع الرأس كبرا وزهوا . (٣) فى الأصل "يعرف". (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر .

تُلهِبُ نارُ الغيظ فى ضلوعه ... جمراً يقول حرُّها : لا بَرَدا
زال[1] بنصرِ مجدِهِ غيرانَ ما ... نازَلَ إلا ظافرا مؤيَّدا
مدّ الى أخذِ العلا فنالها ... يدا تبوعُ ساعدا وعَضُدا
تَقضى له الأقلامُ من حاجاتها ... ما آستقضت الذابلَ والمهنَّدا
ما زال يرقَى فى سماواتِ العلا ... بروجَها الأسعدَ ثم الأسعدا
مصاعدا نجومَها حتى اذا ... تطاولتْ خلّفَها وصعِدا
رأى المعالى بالمساعى تُقتضَى ... والشرفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى
فصاعبَ الأُسودَ فى أغيالها ... صرامةً وجاودَ الغيثَ جَدَا
وكلّما قيل له : قِفْ تسترحْ ... جزتَ المدَى، قال : وهل نلتُ المدَى ؟
ناهضَ ثِقلَ الدولتين فكفى الـ ... ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتلَدا
وكان للأمرينْ منه جُنَّةً ... مسرودةً وصارما مجرّدا
فاغترسَ "القادرُ"[2] يومَ نصره ... وآستثمرَ "القائمُ بالأمر"[3] غدا
قام بأمرٍ جامعٍ صلاحَهُ ... فضمَّه بنفسه منفردا
فلستُ أدرى ألِوَحيٍ هابط ... أم آختيارا لقَّباهُ الأوحدا ؟
وزارةٌ وفَّرها لدَستِهِ ... أنَّ أباه قبلُ فيه آستندا
دبَّرها مستبصرا فلم يكن ... مفوَّضا فيها ولا مقلَّدا
يُسنِد عن آبائه أخبارَها ... صادقةً اذا آتهمتَ المُسنِدا
وأعتقُ الناس بها من لم يزل ... مكرَّرا فى بيتها مردَّدا
يا من مخضتُ الناسَ فاستخلصتُه ... بعدَ آجتهادى فاليا منتقدا

(١) زال : نهض. (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله. (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله.

والبازلُ العَوْدُ وقد نبذتُهم　　بَكِيَّةً (١) معرورةً (٢) أو نَقَدا
ذلّلتَ أيامى وٱستقربتَ لى　　غُلُبَّةً (٣) وفاءها المستبعَدا (٤)
هوّنتَ عندى الصعبَ من صروفها　　نَخلتُ أفعاها الوُثوبَ مَسَدا
أعديتَها بحفظك العهدَ فقد　　صارت صديقا بعد أن كانت عِدا
ولم تضيِّع حُرَما أحكمها　　قديمُ حقٍّ فيكُمُ وأكّدا
أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلا　　بحيثُ قد زدتَ فصرتَ سيِّدا
فٱسمعْ أقايِضْك بها قواطنا　　سوائرا معقَّلاتٍ شُرَّدا
عوالقا بكلِّ سميعٍ صَلِيفٍ　　يلفِظُ أن يقبلَ إلّا الأجودا
ممّا قهرتُ فجعلتُ وعرَه　　مُدَيَّنًا (٥) وحرَّه مستعبَدا
مَطارِبا اذا ٱحتبى الراوى لها　　شككتَ هل غنَّى بها أم أنشدا!
تُخالُ أرجازا من ٱستقصارها　　وقد أطال شاعرٌ وقصَّدا
يَمضى الفتى الموسومُ فى فخارها　　صفحا وتُبقِى عِرضَه مخلَّدا
تَحمِلُ أيامُ التهانى تُحَفًا　　منها اليك بادئاتٍ عُوَّدا
ما دامت الغبراءُ أو ما حَمَلَتْ　　مدحوّةً من الجبال وتِدا
سنينَ تطوِيهنّ حيًّا سالما　　مُنوَّرِزا فى العزِّ أو معيِّدا
لا الشعرُ تَبلَى أبدا رسومُه　　فيك ولا تُعدَمُ أنت سَنَدا

---

(١) البكيّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها، وفى الأصل "بلية". (٢) المعرورة : التى أصابها العُرّ وهو الجرب. (٣) غُلُبَّة : قهرا، وفى الأصل "غَلِيَة". (٤) فى الأصل "المستعبدا".
(٥) مديّنا : مملّكا مذلّلا.

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنئه بالمهرجان

(١٣٨) رَدَّ عليها النومَ بعد ما شَرَدْ إشرافُها على شَرافٍ[(١)] من "أُحُدْ"
وضمّها منشورةً مجرى الصَّبا وعَطَنَ الدارِ وطينةَ البلَدْ
فعطفتْ كلَّ صليفٍ ناشزٍ على الخشاشِ وعلى لين المَسَدْ
يقودها الحادى الى حاجته وهمُّها أخرى اليها لم تُقَدْ
وإنما تيمَّها "بحاجر" أيامُها "بحاجرٍ" لو تُستَرَدْ
وصالحاتٌ من ليالٍ أخلقتْ[(٢)] عهودُها وهى مع الذِكْرَى جُدُدْ
يادِينَ من أهل "الغضا" سقامُها ووجدُها بمدّعٍ ما لم يجِدْ
وحفظُها عهدَ ملولٍ ماطلٍ يذكر ما آسترعَى وينسَى ما عَهِدْ
وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ يحكم فيها بسوى العدل الكَمَدْ
ومن فؤادٍ بدَدٍ تلقطُه ولائدُ الحىّ مع الحصا البَدَدْ
وصارمٍ ما شَقِىَ القَيْنُ به مذ سلَّه غُنجُ اللحاظِ ما غُمِدْ
ومن غزالٍ لا يُقِلُّ رِدفُه ضعفا وفى حباله عُنُقُ أَسَدْ
وقامةٍ لو لم يكن لشكلها فعلُ القناة لم تمِلْ ولم تمِدْ
باناتُ وادٍ مذ حَمَتْ شجراءَهُ رماحُ "قيس" ما آختُلِى[(٣)] ولا عُضِدْ[(٤)]
تلاوذُ الريحُ بكلِّ مرهفٍ غصنٍ اذا قام وحِقْفٍ إن قعدْ
حبائبٌ "بالخَيْف" فى مَلاعبٍ هنّ النعيمُ وهى جنّاتُ الخُلُدْ
سقتْ دموعى حَرُّها ومِلحُها عيشا بها بالأمس طاب وبَرَدْ

---

(١) الشَّراف : اسم موضع . (٢) فى الأصل "أخلفت" . (٣) ما آختُلِى : لم يُقطع ما به من خَلًى وهو الرطبُ من النبات . (٤) ماعضد : ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر .

لو كان لى على الزمان إِمْرَةٌ — بطاعــةٍ قلتُ : أعــدْها لى أعِدْ
يا راكبا ، تدوسُ للرزقِ به — حرَّ الثرى والليــلَ وجناءُ أُجُدْ (١)
ترى الطريقَ عَرضَــهُ وطُولَه — لقُطبهــا بين ذراعٍ وعَضُدْ
تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرَى — سائلةً : أين المَدَى وما الأمَــدْ
كأنها من خِفَّــةٍ من مسّها الـ — ـأرضَ على أربعِهــا لا تعتَمِدْ
تطلب نُجْحَ حاجها بجَهْــد من — أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يَجِــدْ :
ارجِعْ وراءَ فاســترحْ وأعفِها — ما كلُّ حظٍّ لك منــه أن تَكُدّْ
مَطــرَحُ عينيكَ غِــنًى مقترِفٍ (٢) — كفى بنى الحاجاتِ شُقَّاتِ البُعُدْ
بجانب " الزوراء " قصرٌ قصدُهُ — بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِــدْ
أيدى بنى " عبد الرحيم " مدُّه الـ — ـدائمُ والبحــرُ يَغيضُ ويَمُــدّْ
قــد أفعمــوه وأباحوا وِردَه — مخــلَّدا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ
قــومٌ اذا لم تَلْقَ منهــم واحدا — وإن لقِيتَ النــاسَ لم تَلْقَ أحدْ
صانوا حمى أعراضِهم، ومالُهم (٣) — وذِيَّةٌ (٤) عــلى الطريق تُنتقَــدْ
وعَقَدوا لكلّ جارٍ ذمّــةً — وذمّــةُ المــال بهــم لا تنعقدْ
هم دبَّروا الأرضَ فلم يُعيهــمُ — بثقلهــا تدبيرُها ولم يَــؤُدْ
ملوكُهــا اليــومَ وآباؤهُمُ — ملوكُها وما عــلى الأرض وَتَدْ
تمطَّقوا (٥) الســؤدُدَ فى مهــودهم — من حَلَمٍ ما أرضعتْ من لم يَسُــدْ

---

(١) فى الأصل "جدّ الثرى"، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلق . (٢) المقترف : المكتسب . (٣) المال عند أهل البادية النَّعَم يذكر ويؤنث، يقال : هو المال وهى المال .
(٤) وذيّة : حقيرة مبتذلة وفى الحديث « أمن أجل دنيا دنيّة وشهوة وذيّة » وفى الأصل "ودية" .
(٥) تمطقوا : تذوّقوا .

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصُلٌ[١] بالقارح البازل والقَرْم[٢] الأشَدّ
وكلّما نازعهم منازعٌ سلَّمَ مختارا لهم أو مضطَهَدْ
ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لهُمُ وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِدْ ،
وأظهرَ الآيةَ فى آشتباههم بأسا وجودا وعناءً وجَلَدْ ،
ما تَلِدُ الأرضُ ولو تحفَّلتْ مثلَ "كمالِ الملكِ"، والأرضُ تَلِدْ
رعَى بنى الدنيا على آختلافهم منفردا بما رعاه مستبِدْ
لا مستشيرٌ يُبصر الشورى له رأيا ولا منتصِحٌ فَرتَفِدْ
وَحْدَةُ ذى اللِّبدةِ، لا يُفقره غَناؤه بنفسه الى العَدَدْ
تُحرِّم النومَ المباحَ عينُه إزاء كلِّ خَلّةٍ حتى تُسَدْ
لا مُغلَقُ[١] الرأىِ ولا مضطربُ الـ أحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤْدْ[٢]
اذا أصاب فرصةً لعزمه صمَّمَ لا يسوِّفُ اليومَ بغدْ
مبارَكُ النظرةِ، مَن أبصره مصطبحا بوجهه فقد سَعَدْ
لو صيغت الأيامُ من أخلاقه لم يعترضْها كدَرٌ ولا نَكَدْ (١٣٩)
لم يُسمِه الملكُ "الكمالَ" أو رأى عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهِدْ
ولا أرادته العلا أباً لها إلا وقد أفلحَ منها ما وَلَدْ
أقرّ بالفضل له حاسدُه ولو رأى وجهَ الجحود لجحَدْ
أفقره الجودُ وإن أغناه أن ساد به، ولم يَسُدْ مَن لم يجُدْ
فلا يزلْ على الزمان منكمُ مسلَّطٌ يَفرِى الأمورَ ويقُدْ
ولا تَبدَّلْ بسواكم دولةٌ أنتم على أرجائها سِترٌ يُمَدّ

(١) فُصُل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع ، وفى الأصل "فضل" . (٢) القرم : الفحل .
(٣) فى الأصل "معلق" . (٤) الزؤد : الفَزَع .

ولا رأى سريُرها وسرجُها — مِن غيركم مَن يمتطى ويقتعِدْ
وكنتَ أنت باقيا مساوِقا — بعمره وعزِّه شمسَ الأبَدْ
تَسبِى العطايا لك كلَّ حُرَّةٍ — لولا نداك لم تكن لتُعتَبَدْ
بِنْتِ الخدور فى الصدور رضَعتْ — ثدىَ النُّهى ونشأتْ من الكَبِدْ
لم تُمتَهنْ بلفظةٍ يلفظُها — من شرِّها السمعُ ولا معنًى يُردّْ
يَرقِى بها ودَّ القلوب ساحرٌ — ما شاء بالنفثةِ حلَّ وعقَدْ
كل لسانٍ شوىً مشرِكٌ — وهو لكم فى شعره فردٌ صمَدْ
ما دار — مذ دار الكلامُ — ناطقٌ — بمثلها ولا جرتْ فى الصحْفِ يدْ
تغشاك منها كلَّ يومٍ تحفةٌ — نخبةُ ما قال الخبيرُ أو نقَدْ
رآك دون الناس أولى بالذى — بالغ فيهِ من شاء وآجتهدْ
ما نافقتْك مِدحةٌ ولم يَقلْ — فيك غلوَّ الشعرِ إلا ما آعتقدْ

وقال فى سرير

قام برِجْلٍ ومشى على يدِ — ممتريا للرزقِ من سيب يدِ
أهيفُ وهو فى السِّمانِ معرِقٌ — وواحدٌ وهو كثيرُ العَدَدِ
يمدُّه حبلٌ ضعيفٌ فتلُه — حتى يعودَ مُحكَما ذا جلَدِ
يُشِتُّ شملا كلّما فرّقه — أَلَّفَ منه بين شملٍ بددِ
تُبصر من عِظامه وجِلدِهِ — اذا آكتسى اللُّجَيْنَ فوق العسجد

وقال فى رمّانة حمراء

ما أمُّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــددْ (١) تُروِى رِضاعا وهى بِكْرٌ لم تلدْ ؟
تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ باردِ لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : بردْ (٢)
أعجِبْ به ماءً زُلالا شَبِما (٣) تجمعُـــه فى أُهُبٍ (٤) نارٌ تقِـــدْ !
يا حسنَهـا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تحسُنُ والشملُ بددْ

وقال فى الغزل

" بالخَيْف " مُخطَفَةُ الحشا (٥) تهوَى الغصونُ لها القدودا
أخذَ الغـــزالُ نِفـارَها وأعارها عَينا وجِيـــدا
ألِفتْ مِطـال عِداتهـا (٦) يا ليتهـا تعِـــدُ الصدودا
نثرتْ مـــدامعِىَ الفـــريـ ـدَ لنظمِ (٧) مَضحكِها (٨) الفريدا
قد كان رُبَّ (٩) هواى فابـ ـتسمتْ فردَّته جـــديدا

وقال فى غرضٍ من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعِلّةً فأُنكره مسًّا وأعرفُه قـــدّا
وأعدِلُ لثمَ الأُقحوانِ بثغرها فأُرزَقُه برقا وأُحرَمُـــه بَرْدا
فللهِ مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أر منـــه ظالما أبدا بُدّا

(١) إشارة الى ما بالرمّانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجلد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر . (٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبسمها . (٩) ربَّ : بَلِىَ .

(١٤٠)

قافيـــة الـــراء

وقال فى غرض وهى أول قوله

بِدِين الهوى إن صحَّ عَقدُك فى الهوى ... أعن مَلَلٍ(١) فى الهجر أم كاشحٍ أغرَى؟
ألا قَلَّما يقضِى من الحبِّ حاجةً ... مُعَنًّى بنفسٍ عُلِّقتْ حاجةً أُخرَى
حلفتُ لئن كان الجفاء لغَدرةٍ ... لقد أبصرتْ عيناىَ من عينكِ الغدْرا
أقول لطيفٍ منك وَسَّدتُ خدَّه ... يمينِىَ لَمَّا جلَّ عن يدِىَ اليسرَى:
نحولى الذى عاينتَ من هجر ليلةٍ ... فما ظنُّها بالجسم لو هَجرَتْ عشرا

وقال فى مثله

ترنَّمتْ ترنُّم الأسيرِ ... وَرْقَاءُ فوقَ وَرَقٍ نضيرِ
تنطِقُ عن قلبٍ لها مكسورِ ... كأنها تُخبِرُ عن ضميرى
لَبَّيكِ يا حزينةَ الصفيرِ ... إنِ آستجرتِ فبمستجيرِ
مثلكِ فى تبلُّدِ المهجورِ ... قَصَّ جَناحى زمنى فطيرى
لكِ الخيارُ أنجدى أو غورى ... وحيثما صار هواكِ صيرى
وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى ... فيمِّمى "بغدادَ" ثمَّ سِيرى
أو حَوِّمى(٢) بربعها المعمورِ ... مذ غاب فيه قمرى بالنورِ
عسى تقولين لأهل الحُورِ: ... وَا وَحْشتِي بعدك للسرورِ

---

(١) فى الأصل "ملك". (٢) فى الأصل "أوحوى".

* * *

وقال يُعزِّى الشريفَيْن السيِّدَيْن الرضىّ والمرتضَى ٱبنَى الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالهما أبى الحسين بن الناصر العَلَوِىّ، وكان تُوفِّىَ بغتةً

خُدَعُ الزمانِ مودّةٌ من ثائرِ ... ومُنَى الحياةِ وتيرةٌ (١) من غادرِ
نغتَرُّ بالباقين منّا، والذى ... فَرَسَ (٢) المقدَّمَ رابضٌ للغابرِ
واذا ذوَى من دَوحةٍ غصنٌ فيا ... سَرْعانَ ما يُودِى (٣) بآخرَ ناضرِ
يا عاشقَ الدنيا، النجاءَ فإنّها ... إن ساعدتْ وصلَتْ بنيّةِ هاجرِ
لا تَخدَعنَّك بالسرابِ فلم تدع ... ظنًّا يُرجَّم فيه وجهُ السافرِ
واردد لحاظَك عن زخارفها تفُزْ، ... إنّ البلاءَ موكَّلٌ بالناظرِ
خَذَلَ المحدِّثَ نفسَه بوفائها ... تصريحُها بالغدرِ فى "ٱبن الناصر"
مشت المنونُ اليه غيرَ محصَّنِ (٤) الـ ... ـجَنَباتِ وٱغتالته غيرَ محاذرِ
ولو ٱنتحته لأنذرتْه وإنّما ... شبَّ الفجيعةَ أن أُصيبَ بعاثرِ
صَرعتْه مسبِلةَ الكِمامِ (٥) وإنّما ... يقع التحفُّظُ من ذِراعَىْ حاسرِ (٦)
لم يُنجِه البيتُ المطنَّبُ بالكوا ... كِبِ والمعمَّدُ بالهلالِ الزاهرِ
والنسبةُ العلياءُ إن هى شُجِّرتْ ... زلقتْ معارجُها بكلِّ مُفاخرِ
وعصائبٌ مضريّةٌ قرشيّةٌ ... خُلقوا لحفظِ وشائجٍ (٧) وأَواصرِ (٨)
يتراكضون الى تنجُّزِ ثأرِهم ... ولو ٱنه عند الغمام السائرِ
من كلِّ أبلجَ منجاهُ لواؤه ... بضفيرتيه السمهريّةَ ضافرِ

(١) الوتيرة: التريّث والإبطاء، وفى الأصل "وثيرة". (٢) فَرَس بمعنى ٱفترس، والغابر: الحاضر. (٣) فى الأصل "يولى". (٤) فى الأصل "محض". (٥) الكمام جمع كم. (٦) الحاسر: المكشوف الذراعين. (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصلة. (٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر.

بَرْدُ النسيم اذا تربَّع عنده   حَرُّ الهجير اذا عرا فى "ناجرِ"
أَنِسٌ بأسبابِ الطلابِ كأنه   ولو آمتطى النكباءَ(١) غيرُ مُخاطِرِ
كَلّا ولا أغنته عفَّةُ نفسه   عن عاجلٍ يُرضى سواه حاضرِ
ولقاؤه شهواتِهِ ببصيرةٍ   معصومةٍ عنها وذيلٍ طاهرِ
نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمره،   تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقرِ
لو خُلِّدَ آبنُ البرِّ أو أَمِنَ الردَى   لعفافه لم يولَد آبنُ الفاجرِ
أو كان يَسلم بالشجاعة ربُّها   لم تَطوِ مقبورا حَفيرةُ قابرِ
بالكُرهِ فارق سيف "عمرٍو"(٢) كفَّه   وتقلَّصت عن رمحه يدُ "عامرِ"(٣) (١٤١)
سقت الغيوثُ "أبا الحسين" تراك ما   سقت "الحسينَ" أباك عينُ الزائرِ
ومن الغرام وفيه ماءٌ هامعٌ   منه دُعاىَ له بماءٍ قاطرِ
أبكيك لا ما تستحقُّ، وجهدُ ما   تسعُ الصبابةُ أن تسيلَ محاجرى
وأُشاركُ النُّوَّاحَ فيك بأنّنى   أرثيك فالتأبين(٤) نوحُ الشاعرِ
وأمّا وبدرَىْ "هاشمٍ" ولَدَيْكَ ما   مبقيهما ذكرا له بالداثرِ

---

(١) النكباء: الريح آنحرفت عن مهبّ الرياح. (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم آرتدّ بعد وفاة النبيّ ثم أسلم وقد سأله عمر آبن الخطاب عن الحرب فقال: مرّةُ المذاق، اذا قلّصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرِف، ومن ضَعُف عنها تلِف؛ وسأله عن السيف فقال: ثمّ قارعتْك أمّك عن الثُّكل. (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسمَّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمّى بذلك لقول أوس آبن حَجَر:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامرٌ"   فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هذا البيت لابأس من إيراده وهو

وأُشاركُ النُّوَّاحَ فيك بأنّنى   فى الشعرِ فالتأبينُ نَوحُ الشاعرِ

إن لا يكونا نسلَ ظهرِكَ فالذى نشراه بابنِ الظّهر ليس بناشرِ (١)
وإذا الفتى ضَعُفتْ مؤازرةُ ٱبنـه فى الأمرِ فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ
أبواك وٱبنـاك الفخارُ بأسرِهِ والمجــدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ
لا تحسبَنَّ الموتَ راع حماهمـا فالسارقُ المغتالُ غــيرُ القاهرِ
أقسمتُ لو لِحقَاك قبـلَ وصوله ما كان بينهما عليـك بقادرِ
مَنْ مُبلِغٌ حَيًّا يُجمِّعُ عِزّه (٢) غُرَّ بَنِى حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،
صـبرا ، وإن فُركَ (٣) العــزاءُ فإنّه كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصـابرِ
هو حُكمُ عــدلٍ لا يُردُّ وكان ما يَبِنُ (٤) القلوبَ لو انّه من جائرِ
حفِظَ العـلا لكما مشيِّدُ عرشها بكما فلا معمـورَ بعـد العامرِ
واذا جَرَتْ ريحُ الحوادث عاصفا فلتنحرِفْ عن ذا الخضمِّ الزاخرِ
وكَفَى حسـودَكما الشقىَّ علاجُهُ غيظ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ
لا غرَّنى منــه السكوتُ فإنه خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

✦
✦ ✦

وٱتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتّابِ فى داره بيتا للخَيْش (٥) فى وسطه بركة مثمَّنةٌ ، قد نُصبتْ فيها صومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ ، لها أربعُ منائرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعـة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه المـاءُ من حَوضٍ

(١) ناشر بمعنى منشور ، وهذا البيت ورد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل ظهرك فالذى نشراك يابن الطهـر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر ورد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى بجمع غره *

(٣) فرك : كُرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلِّقها أهلُ العراق فى سقف البيت مبلولةً بالمـاء ، و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبُّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذى الحرِّ .

مُشرِفٍ مرفوعٍ بناؤه على سماء البيت ، مصوّب اليـه بالحركاتِ ، حتى اذا ٱستقرّ الماءُ فى قرارِ البركة فاضَ منه ثمّ من الأربعةِ الجوانبِ فيضا يعلو حتى يكادَ بفضلِ قوّته يلحَقُ بسقف البيتِ ، وقد عُملتْ لها تماثيلُ من الصُّفْرِ(١)، يُسمَّى كلُّ واحدٍ منها باسمٍ ، فتؤخذُ آلتُهـا فتركَّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركةٍ من الحركاتِ فترُشُّ المـاءَ على سائرِ من يحويه البيتُ أو يقاربهُ ؛ فمن التماثيل صورةٌ تُسمَّى "الخَرْكَاة"(٢)، اذا نُصبتْ وأُديرتْ تَشَكَّلَ الماءُ عليها بشكلِ "الخركاة" وبقىَ معلّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمَّى "العَروس" يُجعلُ لها ذلك العمودُ كالكرسىِّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصَّلُ فى دورانها المـاءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمَّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالماءِ ١٤٢
المحرِّكِ لهـا ، ومنهنّ صورة سَمَّوها "الطَّنْبَلَنْب" فى هيئةِ رجلٍ ناشبٍ(٣)، اذا نُصبتْ وأُريد بعضُ حاضرى البيتِ بالبلَلِ ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منـه كان المـاءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَةِ البيتِ ، ثم يخرج المـاءُ من هـذه البركة الى بُستانٍ فى صحن الدارِ متناهٍ فى الحُسْن ، فيه صنوفُ النخلِ والسَّرْوِ وغير ذلك من الشجرِ وأنواع الرياحين والزَّهرِ ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنْج"(٤) قد شُيِّد على سطحه مفتوح الجناحيْنِ لمهبِّ الجَنوبِ والشَّمالِ ، فدخل

---

(١) الصُّفْر : النحاس . (٢) الخركاة [كما ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية ويقال فى تعريبها : خَرْقَاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشَّابَ وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راووق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارى :

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا وجدتُ لروحهـا بَرْدَ النعيم
صفا جَرْىُ الهوا فيـه رقيقا فسمَّيناه "راووقَ النسيمِ"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ ، فسأله التعريجَ الى هـذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل ، ولمـا نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروفِ "بالطنبلنب" رُكّبَ نحوهُ وصُوّبَ إليه فبلّ ثيابَه ، وكان فعلُه فى قلّة نفع الفرارِ منه على ماقدّمناه؛ فعند ذلك سئل ذِكرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبسـتانِ والبركةِ والبادهنج ، فقال واصفا الحال بمـا يزيد حلاوةً ، ويروق موضعُ الإصابة فيـه عند مُشاهـدةِ الموضع ، وممازحا للرَّجُلِ بغرامة ما بلّه من ثيابه

نديمى وما الناسُ إلا السُّكارَى … أدِرْها ودعنى غـدًا والخُمـارا
من العجـزِ تركُ الفتى عاجلًا … يَسُـرُّ لأمرٍ يُخافُ آنتظارا
وعَطِّلْ كؤوسَـك إلا الكبيرَ … تجِدْ للصـغيرِ أُناسا صِـغارا
وقـرِّبْ فـتَى مائةٍ[1] أو يزيـ … ـدُ قد أُكمِلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِـرُّ المَسَـرَّةَ أحشاؤه … ويُـبْرِزُ للعينِ طِينا وَقارا
لصونِ سـواه رأيتُ الغـلا … مَ ينفُضُ عن كتِفَيْه[2] الغُبارا
وذى مِـبزَلٍ[3] كزنادِ المكبِّ … يَقـدَحُ بالبَزْلِ منـه شرارا[4]
فسلَّ من النار فى وجهه … لسانا ، فأمسك فاهُ حِـذارا
وخادعةٍ عن خَلوقيَّـةٍ[5] … تُذوِّبُ فى كأسها الجُلَّنارا
جَنتْ فقرَ شُرَّابِها المسلمين … وأغنت "بعُمَّى"[6] اليهودَ التِّجارا
عَقرْنا البُـدورَ[7] لهم فى المهو … رِ حـتى جلوها علينا عُقارا
يطوف بهـا عاطـلُ المعصَمينِ … يُلبِسـهُ الجامُ منهـا سِوارا

(١) يريد بفتى مائة : الدَّنّ . (٢) فى الأصل " كفيه " . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككِتاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط و فى أقرب الموارد ، وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار .
(٥) خلوقية : نسـبةٌ الى الخَلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) عُمَّى : قرية من نواحى بغداد .
(٧) البدور جمع بَدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .

شفيقٌ على الحبّ من غيره ... اذا قلت : ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبَّلِهِ ما فَرَقْتُ ... أريقتُه الخمرُ أم ما أدارا
هنيئا للَهْوِى إنّى خلعتُ حلمِى له وتركتُ الوقارا (١٤٣)
وصرتُ فتى غَبَقاتِ (١) الملوكِ ... عشِيًّا ، أخا النشواتِ آبتكارا
ودادِى والدهرُ ما دامَ [دام] (٢) ... وشِعرِى والنجمُ ما سارَ سارا
وفيحاءَ من دورهم (٣) زرتُها ... وأخلِقْ بها جنّةً أن تُزارا
تَلجلَجَ فى وصفها المحدّثون ... وحُدِّثَ "رضوانُ" عنها فحارا
تعرَّبَ قاسمُها عادلا ... نخطٌّ وتحسبه العينُ جارا
صُحُونا طِوالا كما تقتضِى ... شجاعتُنا وحصونا قِصارا
وشَقَّ لبستانها عن ثرًى ... اذا طلَعَ النبتُ فيه أنارا
وقد بثَّ (٤) فى ظلِّ شجرائه ... عُيونَ الأذى رِقبةً (٥) وآستتارا
تخفَّرَ (٦) منها بمسلوبةٍ ... سوى ورَقٍ ألحفتْهُ (٧) إزارا
من الهيفِ حين يجورُ النسيمُ ... على غصنها لا تُطيق آنتصارا
نحولُ عَرَضْتُ له بالسّمانِ ... وصُغرَى تجنّبتُ منها كِبارا
ومنشورةٍ سترتْ نفسَها ... نخاطت قميصا ولاثت خمارا
وعزّتْ فصانت سوى ساقها ... وما إن أباحته إلا آضطرارا
تُشمِّر عنه جلابيبَها ... لعادته أن يخوض الغمارا
فكادت تُواريه ضنًّا به ... ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

---

(١) غبقات جمع غَبْقة وهى شُرب العشىّ . (٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق . (٣) فى الأصل : "دونهم" . (٤) فى الأصل "بات" ولا نظنها تؤدى المعنى . (٥) فى الأصل "فيه" وهو تحريف . (٦) تخفّر : آستجار ، وفى الأصل "تحمّر" . (٧) فى الأصل "ألحقته" .

تُشكِّكُنى وهى طـوع الريا ح نَتْبعُها يَمنَــةً أو يَسـارا
أتدنــو لتُســعفَنى بالجَنا ق فى مثلها أم تصدُّ آزورارا ؟
وتجلو عليـك بنـاتِ الفسيلِ (١) اذا كَستِ السَّـعَفاتُ الثمارا
غــدائرُ غيــدٍ يُضفِّرنَها وتأبى عليهنّ إلا آنتشارا
جلبنا له (٢) الماء من شاهقٍ جزانا بحسْبِ الصعود آنحدارا
وما سال حـتى أسلنا اللُّجينَ ولا عَزَّ حـتى أهنّا النُّضـارا
اذا ما تحـلَّق مسـتعليا تَعلَّقَ بالطبـع يبـغى الفـرارا
فثــوَّرَ خمسـا اذا ما نطقنَ بأخبارِهِ خِلتَ نقعا مُثارا
اذا جادهنّ ندًى جُـدْنَهُ وإن فـرَّ طِرْنَ إليه نِفارا
هوِينَ الأمانةَ حـتى آجتهـدْ نَ ليقضينَهُ ماءَه المسـتعارا
تَروسُ (٣) عليهنّ فى وسْطِهِنّ كُبرَى تعـولُ بنـاتا صِـغارا
برزنَ يُخيِّلْنَ للنـاظرين صوامعَ من حولها أو مَنارا
اذا سـدّدتْ لطعانٍ قَنًا (٤) حذفْنَ اليها نُصولا طِـرارا
حوتْهنّ معجـزةُ الآيتينِ تجـودُ الحيـا وتُمـدُّ البحارا
فمن بين نَحْركاءَ مضروبةٍ على تلعـــةٍ حمّلتها آغـترارا
تَــولَّى مَجاريَهـا فوقهـا من المـاء سمحٌ كريمٌ نِجارا
اذا ما أُديـرَ لهـا مرّةً لتُعجبَ جادت فدارتْ مِرارا
لهـا آيةٌ لم تكـن قبلَهـا ولكن ظَهَرنا عليهـا آقتـدارا
ترى ظِلَّهـا جامـدًا مائعا وتحمِـلُ ضدّين ماءً ونارا

---

(١) الفسيل جمع فسيلة وهى الصـغيرة من النخل ويريد بنات الفسيل النخل . (٢) الضمير فى "له" عائد الى البستان فى قوله * وشقّ لبستانها عن ثرًى *

(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) فى الأصل "فنى" .

ومثلِ العروسِ "عروسٌ"[1] تُديمُ ... يداها على منكبيها النِّثارا
اذا ما جَلَوها أبتْ حِشمةً ... بكرسيِّها أن تُطيق القَرارا
طلبنا لها الكُفءَ من قومها ... فعزَّ وكان سوى الكُفءِ عارا
فعدنا نزُرُّ[2] عليها السُّجوفَ ... فترضَى بها عفّةً وٱختفارا[3]
وكالظبي يُظلَمُ باسم الجمال ... فيطغَى إباءً ويُغضِى ٱغتفارا
ويُزبِدُ فوه لُغاما[4] اذا ... تفرّق عن شَفتيْه ٱستطارا
يسير رويًّا[5] اذا ما ٱغتدت ... كبودُ المطايا عِطاشا حِرارا
ولولا الذى فعلَ "الطُّنْبَلَنْبُ" ... لقد أنجدَ المدحُ فيه وغارا
ولكنّه خافرٌ للذما ... مِ جاورتُه فأساءَ الجِوارا
بغانى فلم أنجُ مع نهضتى ... ورحبِ خِطانىَ[6] منه فِرارا
رمانى فأصمَى بسهمٍ له ... يدور مع المتّقِى كيفَ دارا
اذا هو فوّقه للثيا ... بِ ألقَى جروحا تُضلُّ السِّبارا
فأردَى ردائى وجاءت اليد ... لَك دُرّاعتى[7] تبتغى منك ثارا
قتيلى لديكَ فلا تذهبنَّ ... عليكَ دماءُ ثيابى جُبارا[8]
وبيتٍ اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ ... تعوَّذَ منه به فٱستجارا
صحِبتُ[9] الخريفَ به فى المصيف ... وذكّرنى الليلُ فيه النَّهارا (١٤٤)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ويقتضيها السياق لقوله فى النثر الذى تقدّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة : "ومنهن صورة تسمّى العروس" . (٢) فى الأصل "نزيها" . (٣) فى الأصل "وٱحتقارا" . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) فى الأصل "عويا" . (٦) الخطاء جمع خطوة ، وقد ورد فى الأصل هكذا "ورحت خطاى" . (٧) الدُّرّاعة : جُبّة من صوف .
(٨) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا

فتلى بدلك فلا تذهبن ... عليك وما ماى حبارا

(٩) فى الأصل "صبحتُ" .

وأهـدَى الهواءَ له ناشـرٌ … جناحَين لو حمّـلاه لطارا
تنصّتَ للـريح مستفهما … بأذنَين لا يحملان السِّرارا
اذا عَـبرتْ مطلَقاتُ الريا … ح يسلُكْنه ظِلْنَ فيه أسارى
فتلفظُ منها السُّمومُ[1] الشّرارَ … ويُلقِى الينا النسيمُ الجِبارا[2]
غرائبُ روَّضتَ يا ٱبن الكرام … برأيك منها الشُّموسَ النَّوارا[3]
وباهلتَ بالأرض فيها السما … ءَ فٱعـترفت خجلا وٱنحصارا
وقبّحتَ فى جنب تحسينها[4] … بأعين أربابهن الديارا
فلو "صاحبُ السدّ"[5] لاحتْ له … تبيَّن فيما بناه العَـوارا
وقيستْ "لكسرى" بإيوانه … قلَاهُ ولم يُعطَ عنهـا ٱصطبارا
أرتـك بدائعها هِمّـةً … تُهين عليك العظيمَ ٱحتقارا
وفضـلٌ يُحلّيك[6] يومَ الرِّها … نِ مَنْ لا يبـذُّ[7] ومَنْ لا يُجارَى
فأُقسِمُ بالله لو أنصفو … كَ قِسْما وردّوا الى اَلخِيارا
لـما كنتُ أرضَى لك الخافقيْ … نِ مُلكا ولا جَنّةَ الُخلد دارا

✦ ✦ ✦

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هدّيةً مقترنةً بهديّةٍ من أبيه، وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلّغتْ صبرا فقـالت : ما الخبرْ … قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذُلّا فنفـرْ
لا تعـودى فى هَوًى ظالمـةً … ربّمـا عاذ بحِـلمٍ فانتصرْ

---

(١) السُّموم جمع سَمّ وهو الثقب. (٢) الجِبار: الأثر. (٣) الشموس النوار: الممتنعة النافرة. (٤) فى الأصل "تحصيابها" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها. (٥) فى الأصل "البيد". (٦) فى الأصل هكذا "وفضل تحلك". (٧) فى الأصل "يند".

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ … غضبا آذنَ للقلب النظرْ
أرهفتْ سيفينِ فى أجفانها … كلَّ مَنْ غرّا يبتْ على غَرَرْ (١)
أقسمتْ مَن جَرحاه لا براء (٢) … يا طبيبى متْ ودائى فى الحَوَرْ
أرسلتْ ليلةَ صدّتْ طيفَها … ناظرا أين رقادى من سَهَرْ
قال : حيّانى ، فقالت : نائما … طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غَدَرْ
يا هَوَى حسناءَ! ما شئتَ لها … من فؤادى ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ
رُبَّ يومٍ باهلتْنى بالصِّبا … وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ
وتنكَّبتُ (٣) مُدِلًّا وَفْرةً (٤) … نَشَرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ
فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ … قلتُ : ما كلُّ شبابٍ فى الشَّعَرْ
غُيِّرت بيضاءَ فى سودائها … قلتُ : مهلا! آيةُ الليلِ القمرْ
ما لغِزلانٍ تصافينى الهوى … ما ٱستطاعتْ وأُجازيها (٥) الكَدَرْ
أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصى … فٱستوى ما قرَّ منها ونفَرْ
وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ … يخدعُ الشوقَ وفى أخرى الوطَرْ؟
يا نداماىَ بها النِّسيانُ لى … ولكم منِّى حِفاظى والذِّكَرْ
كلَّ يومٍ أنا أبكى منكمُ … صاحبا بالأمس بقّانى ومَرّْ
إنّ فى "الرَّىِّ" و"سعدٍ" عِوضًا … كلما قايستُ طابَ وكَثُرْ
سوف أنجو راكبا إحسانَهُ … كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ
ساريا أجنبُ كُبْرَى هِممى … أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ
خاب من رام المعالِيَ حاضرا … والأمانِى فى كَفالاتِ السَّفَرْ

(١) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفُّ" وهو واقعٌ فى كلمة "علَى" والكفُّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ . (٢) يريد لا برأ . (٣) تنكّبتُ : ألقيتُ على منكِبى وهو مجتمع رأس الكتف والعضد . (٤) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .
(٥) فى الأصل "وإجارتها" .

ما الغِـنَى والمجـدُ إن زرتَ فتىً ... ذا تنـاهٍ وهـــو ناءٍ لم يُزُرْ؟
لا تباعـــدْهُ الليـالى إنّه ... أملُ بين "جُمادَى" و"صَفَرْ"
بأبى السـاقى وبالغيثِ صـدًى ... والفتَى الحلوَ الجنَى والشُّهدُ مُرْ
١٤٥ عَلِمتْ أعـــداؤه أمـــوالَه ... لَمِمًّا(١) يمنعها(٢) أن تَســتقِرْ
يافعٌ مكتهلٌ من حلمـــه ... للصِّـبا السنُّ وللرأىِ(٣) الكِبَرْ
يا أبا "القاسِم"(٤) صابتْ(٥) نِعمةً ... لك لم يعـدُ بهـا الغيثُ الزَّهَرْ
لم أزلْ أصـبرُ علمـا أنه ... أبدا يُعقِّبُ خيرا من صَـبَرْ
ناظـرا عادكُمُ(٦) فى مثلهـا ... جَنَّـــةٌ لى من عذابٍ منتظَرْ
كانَ جُرحا جائفا(٧) فآندملتْ ... قرحـــةٌ منـــه وكَسرٌ فجُـبِرْ
يا ملوكَ "الرَّىّ" هـل داركم الـ ... أرضُ طُرًّا أم تعولون البَشرْ؟
وَسِعَ النـاسَ جميعا جـــودُكم ... فآستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ
واصلَتْ شاعرَهم نُعمَى لكم ... لم تدعْ مفحَمَهم حتّى شَـعَرْ
حلَّ(٨) يا "سعدَ العلا" بهماءَها(٩) ... مِن قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ
وآجلُ لى أُخرَى على الكافى متى آحْـ ... ـتشمتْ منـــه حياءً وخَفَرْ
عرفَتْ مَنَّـكَ فيا قبلَهـا ... فأتتْ واثقـــةً تقفـو الأثَرْ
حاجـــةٌ تمتْ ووافَى حظُّها ... حين نبَّهتُ لهـا منك "عُمَرْ"(١٠)

(١) اللمم : الجنون . (٢) فى الأصل "تمنعها" . (٣) فى الأصل "والرأى" .
(٤) فى الأصل هكذا "يا باقسم" . (٥) صابت : مطرت . (٦) عاد جمع عادة .
(٧) جائفا : بالغا الجوف . (٨) فى الأصل "خلّ" . (٩) البهماء : السوداء .
(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَرَ بن العلاء :

اذا دهمتك عظامُ الأمور ... فنبّهْ لها عُمَـــرا ثمّ نَمْ

وفى رواية : اذا أيقظتك حروبُ العدا ... فنبِّـهْ لها عُمَـرا ثمّ نَمْ

* * *

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميّةَ التى أوّلُها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطلبِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعضِ ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أميرِ المؤمنين القادر بالله رِضوانُ الله عليه مستخرِجا خلعةً ولواءً لملك سلطان الدولة ، فقُدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التميز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه بآسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له ، فقال يَذكُرُ ذلك، ويهنّئه بمكان المِنحةِ، ويَذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاوَدة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُكَ أيّها القلبُ الأسيرُ ... غدًا، لوقال حادى الركبِ: سِيرُوا
عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا ... هلالًا كان تكفُره الخدورُ
وإن أخذوك أنتَ وخلّفونى ... فسِرْ معَهم فذاك لهم يَسيرُ
تَعلّقهم عساهم أن يُذِمّوا(١) ... عليك من الصبابة أو يُجيروا
لِمَن شَدَنِيّةٌ(٢) سبقتْ عِجالًا ... فما تدرى أتقصِدُ أم(٣) تجورُ؟
يخوض الليلَ سائقُها أنيسا ... بآيةِ : لاحَ بين يديه نورُ
وكيف يخاف تيهَ الليلِ ركبٌ ... تَطلّعُ من هوادجه البدورُ
يناجزُ فى الوَداعِ معاتباتٍ ... لهنَّ كبودُنا ولنا الزفيرُ
أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ ... "برامةَ" والعيونُ إلىَّ صُورُ(٤)؟

---

(١) أن يذمّوا عليك : أن يأخذوا عليك الذمّة . (٢) الشدنيّة : الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل . (٣) فى الأصل "أو" . (٤) صور : مائلة .

غداةَ أقولُ – وآبتهجتْ جِباهٌ[١] عطفنَ عليّ وآبتسمت ثغورُ – :
أمَا من قُبلةٍ فى الله؟ قالوا: متى حلّتْ لشاربها الخمـورُ؟
وقارَكَ وآلتفتْ ترَهُنَّ بِيضًا، كَبِرتَ! فقلتُ: مِسكينُ الكبيرُ
ألَا يا صاحبيَّ تمليّانى، أطاعَ إِباىَ[٢] وآعتدلَ النُّفـورُ
أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا، أمات الهمُّ أم عاش السرورُ؟
أم الأيامُ خافتنى لأنّى "بفخر الملك" منها أستجيرُ؟
ذرانى، عاد إملاحى نَـضِيرًا ويُفعِمُ بعـد ما نضب[٣] الغـديرُ
طغَى أمـلى وطال قصيرُ باعى ويَنمى الشىءُ أولُه حقـيرُ
ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فَرَبعى بعضُ ما جاد الوزيرُ
ولكن بإيعاهُ[٤] عن لسانى فإنّى حين أَعجِـزُ أستشيرُ (١٤٦)
ظهـورُك آيةٌ لله صحّتْ بها الأديانُ وآشتفت الصدورُ
وزالت شُبهةُ المرتابِ[٥] فى أن تُكشَّفَ عن ضمائرها القبـورُ
رآك وميّتُ الآمال حىٌّ بجودك والنـدَى الأعمى بصيرُ
فآمنَ "بالمسيح" وآيتيه وأنْ نشأتْ من الطِّين الطُّيـورُ
وأيقنَ أنّ "موسى" شقّ بحرا بأن شُقّت بكفّيك البحـورُ[٦]
ولمّا أن أتيتَ على فتـورٍ وبابُ ضـلالةِ الأمم الفتـورُ[٧]،
وأبصرَ قبلك الماضين مرّوا ولمّـا تنتظمْ بهم الأمـورُ،

(١) فى الأصـل "حياة". (٢) يريد إبائى. (٣) فى الأصـل "نضت".
(٤) فى الأصل "بانعاه". (٥) فى الأصل "المرتات". (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِى). (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ).

صبا "لمحمّدٍ" وأطاع فيـه　　وقال : الرُّسْلُ خيرهم الأخيرُ
أقول بمعجـزاتك لا غُلوًّا　　وكاتمُ نعمـةِ المعطِى كفورُ
إذا الأسماء أُزمتِ المعانى　　فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأيناهم وكلُّهُمُ شُكولٌ　　مُصلِّيهم (١) لسابقهـم نظيرُ
بِكَ ٱنتصر الملوكُ [وأنتَ] (٢) فيما　　دَعوْكَ لنصـره نِعمَ النصيرُ
فأنت الليـلةُ القَمراءُ بانت　　على الأخَواتِ واليـومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهـم إذ حُمَّ وقتٌ　　تحوطُ بهِ وقـد كَبِرَ الكبيرُ (٣)
وماتت دولةٌ فأقمتَ أخـرَى　　فلا موتٌ عصاكَ ولا نشـورُ
و باشرتَ الخلافـةَ فاطمأنَّتْ　　علـى أمرٍ ومطلبُـه عسيرُ
ويومَ (٤) العـهدِ والوافى قليـلٌ　　أطاعـك منـبراها والسـريرُ
ألِنَ عليـك مُعجَمُها المُعاصِى　　وخَفَّ اليـك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفِهرىُّ" حين أسفَّ قومٌ　　وطِـرتَ بأىّ قادمـةٍ تطيرُ
رآك بهَـدْيِهِ لخِـزاك خـيرا　　وقـد يتفرَّسُ الرجلُ البصـيرُ
وأعطاك التى نشرتْ (٥) قـديمـا　　وإنْ هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشَـك الكرامةَ لم يدُسْها　　جبانٌ (٦) فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى ٱصـطفائك وٱعتقادا　　يُحيـلُ على اللسان به الضميرُ
وقلَّد سـيفَه بيـدَيْه سـيفا　　طويـلُ نجادِه عنـه قصـيرُ
حساما كان "للنصور" حِصنا　　ولم يكُ للمدينـة بعـدُ سورُ

(١) المُصَلِّى : الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا . (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجحناها ليستقيم بها المعنى والوزن . (٣) كبر : أسنَّ وهرم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا
حميت كبيرهم أو حمّ وقتٌ　　تحـوط أو كبر الكبيرُ
(٤) هذه الكلمة فى الأصل "يو" . (٥) فى الأصل "نشرت" . (٦) فى الأصل "جنان" .

وصاحَبَ بعــده الخلفاءُ تِرْبا | رفيقا حين يجلِسُ أو يثورُ
تــذِلُّ له المنابرُ يرتقيهـا | وتألفُـــه المناكبُ والنحورُ
وما كفؤٌ له لولاك كفؤا | ولكنّ الذُّكورَ لها الذُّكورُ
أميرُ المؤمنينَ يقول : خــذْهُ | فإنّــك فى تقــلُّده الأمــيرُ
ولو عقلتْ "عُقَيْلُ" شاورتنى | فكنتُ برأيِ ناصحِها أشيرُ
فررتِ مكانَ لم تجِـدِى ثباتا ، | ويقتُـلُ ذِكرُهُ البطلَ الفرورُ
إذنْ فتزحزحى عن دارِ مُلْكٍ | لغيـرِك ضَرعُها ولكِ الدُّرورُ
أغرَّكِ "بالجزيرة" ما أغرنا ! | نظارِ(1) فقربَ ما ارتجع المغيرُ
فلا تتوهّمى بالشرّ لينا | فقــد يتألّقُ النصلُ الطريرُ
تخطّتْها ـ وإن وسِعتْكَ ـ مرعًى | فكم دارٍ تُبيرُ(2) كما تُميرُ(3)
ويقطَعُ عُضوَه المرءُ اضطرارا | وإن ألِفتْ مَنابتَها الشُّعورُ
سمعتَ بشائرَ الظفَرِ استمعْ لى | أُعِــدْ خبرًا وأنت به خبيرُ
أنا المولى صنعتَ اليــه نُعمَى | أنحى فيها حسـودٌ أو غيورُ
جذبتَ من القُنوع بها ذراعى | فطارت دون أخمَصِىَ النسورُ
نفائسُ لم ينلْهنّ اقتراحُ الـ | ـمُنَى فيما تُسَدّى أو تُنيرُ(4)
بَرَدْتَ على الزمان بها فؤادى | وكان عليه مِرجلُه يفورُ
وها هى نالت الأيامُ منها | بجدّدْ ، أخلَقَ الظِّلَّ الدُّثورُ
يزورُ المهرجانُ برسم قومٍ | ولى رسمٌ يشوق ولا يزورُ
وقوم يكرمون على الأسامى | فترتخى الحُجْبُ عنهم والستورُ

(1) نظار كقطام بمعنى انتظرى .
(2) تُبير : تُهلك .
(3) تُمير : تُطعم .
(4) تُنير : تُلحم .

يقول الشعرُ ـ إن حضروا وغبنا ـ فدى الغُيَّاب[1] ما قال الحُضُورُ
يكرِّرُ غابرٌ[2] ما قال ماضٍ وقِدْمًا أخلق المعنَى الكُرُورُ (١٤٧)
وأحلَى القوسِ أسلمُه منالا فما هذى الشقاشِقُ والهديرُ
تَطَبَّعتِ القرائحُ واطمأنَّتْ فلم يتكفئونك يا صبورُ
بهذا الحكمُ حين تحالباها[3] نقائضَ[4] حاز زُبدتَها "جريرُ"

⁂

واتصلتْ من مجد المعالى مؤيّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن اعتمد أذيّتَه، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤثَر بعضُها من مثله ويُكبَر، وما زال مؤثِرا على قديم الوقت لأن يخصّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ولا يُظلَم الحرُّ فيه انتصارُ
علَىَّ لعينِى اختيارُ الحبيبِ وإن خاننى فإلىَّ الخِيارُ
ملكتُ فؤادى على "بابلٍ" وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ
وفيمن سمحتُ به للحُمو ل أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ
اذا شكرتْ حُقْبُه[5] خصره تظلّم من معصمِيه السِّوارُ

(١) فى الأصل "قدا". (٢) الغابر: الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد: بهذا كان الحكم. ويريد بالتثنية فى "تحالباها" جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ اسمه "نقائض جرير والفرزدق".
(٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه "كتاب نقائض جرير والفرزدق" المارّ ذكره وفى الأصل "نقائص". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلى.

وبدرٌ وما عُدَّ من شهره ... سوى هجره والتجنّى سِرارُ
تطالعَ يُتبِعنى مقلتيـ ... ـه مختمرا من حُلاه الخِمارُ
وكنتُ الحليمَ وفى مثلها ... تخفُّ الحلومُ ويهفو الوقارُ
أحبُّ الجفاءَ على عزّةٍ ... ولا أحملُ الوصلَ والوصلُ عارُ
قَضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفتى ... بطيفٍ يزور وربعٍ يُزارُ
وهبّتْ تلوم على عفّتى ... وتحذر لو قد كفاها الحِذارُ
تقول : القناعةُ موتُ الفتى ... اذا أُلِفتْ والحياةُ اليسارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا ... بَ — والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما آرتبتُ حتى رأيتُ اليمي ... نَ تُعقَد فى الحقِّ عنها اليسارُ
وَتطمعُ بالشعر لى فى الغنى، ... متى نَصَح الطمعَ المستشارُ؟
ولم تدرِ أنّ المساعى الطوا ... لَ آفتهن الحظوظُ القِصارُ
وما علمُ طبَّك من علّتى ... وصبرىَ والكرمُ الإصطبارُ
اذا لم يبيّنْ(١) أَسَى أو أُسًى(٢) ... فكيف يَبينُ غنًى وآفتقارُ
خَبرتُ رجالا فما سرّنى ... على الودّ ما كشفَ الإختبارُ(٣)
ولمّا غلِقتُ برهن الوفاء ... لهم تركونى "بنجدٍ" وغاروا
فلا يُبعِد اللهُ من ظلمهم ... أخلّاءَ حَصُّوا جَناحى وطاروا
وجرّبتُ حظّى بمدح الملوك ... مِرارا وكلّ جناها مُرارُ(٤)
وكم من مُقامٍ توقّرتُ فيـ ... ـه طاروا له فرحا وآستطاروا

(١) يبيّنْ : يبِنْ، من قولهم : بيّن الصبح لذى عينين بمعنى بان . (٢) الأسى بالفتح : الحزن، والأسى بالضم جمع أُسوة وهو ما يتعزّى به الحزينُ . (٣) فى الأصل "الأختيار" . (٤) المرار : شجر مُرٌّ اذا أكله الإبل قلصت شفاهُها .

وخفَّتْ مسامعُ هنَّ الجبالُ *** وجفَّتْ أناملُ هنَّ البحارُ
وأُخرَى ولم يأتنى نفعُها *** ويا ليت لم يأتِ منها ضِرارُ
اذا ما دعوتُ "زعيمَ الكفا *** ةِ" أدركنى الماءُ والحطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكبيْن *** يُقلّصُ عن قدميْه الإزارُ
اذا خاض نَقْعًا حِمًى أو حِجًا *** تفرَّج عن حاجبيْه الغمارُ
كريمٌ تبرَّعَ بالنصر لى *** وبالخيل من دون نصرى انتشارُ
أبَى أن أضامَ وردَّ الفِرارَ(١) *** علىّ وأقصى سلاحى الفِرارُ
بلا قَدَمٍ لتتقاضاه لى *** فتُرعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه *** علىَّ، وجارُك بالجنس جارُ
عجبتُ لباغىً أن استرقَّ *** "وكسرَى" أبى ولسانى "نِزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلَّهُ *** وربحى فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ(٢) أصابت له فى سواى *** وخابت معى والأمانى قِمارُ (١٤٨)
دمُ الفضلِ ثارَبِه أن يُطَلّ *** فتًى لا ينام وللمجدِ ثارُ
قؤولٌ اذا الألسنُ المطلَقا *** تُ قيَّدَها حَصَرٌ وانكسارُ
يُرى فَوْرُهُ واصفا غَوْرَهُ *** وهل يصفُ النارَ إلا الشَّرارُ
كفى الدولتين عناءُ "الحسيـ *** ـن" مَن يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلِّبتا وإليه مصيـ *** ـرُ أمريهما وعليه المَدارُ
وقمتَ ودونَ المَقام الحميد *** مزالقُ يصعبُ فيها القرارُ
وقبلَكَ قد جرَّبوا واجتنَوا *** وبعدَك وانتصحوا واستشاروا
وحلَّوا بسيماك مَن جرَّدو *** ه لو قُطِعتْ بالحُلِيِّ الشِّفارُ

(١) فى الأصل "القزار" . (٢) فى الأصل "أما إن" .

فــذاكَ مُدِلٌّ عــلى عجــزه يُــؤمَّرُ وهـــو عِيالٌ يمُارُ
طريرُ العِيانِ صدىُّ اللسانِ خُطَا لفظِـهِ خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَـه طوت بشرَه الغَـرَماتُ(١) الصِّغارُ
لثــوب الرياســةِ ضيقٌ عليـ ـه معْ وُسْعِ أثوابِه وآنشِمارُ
غريبٌ اذا أنت فيهـا آنتسبـ ـتَ أدلَى به نسبٌ مسـتعارُ
جزَتك عن المُلك يومَ الجـزاء وعن فخره يومَ يُجزَى الفخارُ،
غوادٍ من الحمـدِ والإعترافِ غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجــودك(٢) نَعماءَ تزكو النفـو سُ(٣) فيهـا وتَغْـنَى عليها الديارُ
وعــنِّى ســوائرُ إما تحــطُّ الرّ واةُ وقاطنــةٌ حيث ســاروا
عــذَارَى يُحـلَّى لهنَّ الجمـالُ ويُخلَعُ فى حبِّهنّ العــذارُ
يُخَيَّـلُ ما نشرَتْ من علاك عيابًا(٤) مــتى نشرتْهـا التِّجارُ
اذا حــبَّرتْ أمّهاتُ القــريـ ـض أخبارَها وبنــوه الكِبارُ،
تمنَّــوا بجهـدِهِـمُ عفــوَها على ما سَبَوا غيرَهــم أو أغاروا
يُقــرُّ لمجــدك إكثارُهـا بمـا(٥) سـلفَتْ أنّه الإقتصارُ
فإن شفَع العبــدُ فى مذنبٍ نجت وجروحُ الأمانى جُبارُ(٦)
وإن بلَغ الشكرُ حــقَّ آمرئٍ فغايتُهـا معَــك الإنتصارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغُرْم . (٢) فى الأصل "يجودك" . (٣) فى الأصل "النوس" . (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب . (٥) فى الأصل "ما" .
(٦) جبار : هدر وفى الأصل "حبار" وهو تحريف .

وبلغهُ عن أبى منصور بن ما سرجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوّقٌ شديدٌ، وتشوّفٌ الى الوقوف على شىء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودّه، ويرغبُ اليه فى غِشيانِه، فأحبَّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصُّه، فكتب اليه هـذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فِصح النصارَى بعد الخجل وتكرُّر الرغبة

شواردُ حظّ لا يَقِرُّ نَفُورُها ‏ ‏ ورِبقةُ همّ لا يُفكُّ أسيرُها
وصحبةُ أيّام تُعَدُّ حظوظُها ‏ ‏ قِصارا اذا عُدّتْ طِوالا شهورُها
ونزعٌ بأطماعٍ ضعافٍ تمدُّها ‏ ‏ أمانىُّ لم يَقبَلْ يمينا مُعيرُها
أمرُّ على عَميائها أستدلُّها ‏ ‏ وآوِى الى بَلهائها أستشيرُها
بوارقُ ما للعين إلا وميضُها ‏ ‏ ولا للثرى العطشانِ إلا غُرورُها
تعجّبُ من صبرى وعندى خَلوبُها ‏ ‏ ومُصعِقُها وعند غيرى مَطيرُها
أجِدَّك لم يأنس فمى بثديّها ‏ ‏ فأسئلُ عن أخلافها ما دُرورُها
وجاذبتها ثم آستمرّ ضرورةً ‏ ‏ مَرِيرى[1] على ما ساءنى ومَرِيرُها
كأنّى اذا لم أقضِ منها لُبانةً ‏ ‏ وقد نضبتْ أوطارُها ونُذورُها،
وأنّى ترانى أغسلُ الدمَ موجَعا ‏ ‏ أو العارَ فآعلم ثَمَّ أنى عقيرُها
عطاءٌ على التقتير إلا غديرةً ‏ ‏ تزاحَمَ حول الأربعين قَتيرُها[2]
غرابيبُ[3] من لون الشبيبةِ وُقَّعٌ ‏ ‏ أسَفَّ[4] من الأيّام بازٍ يُطيرُها

(١) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وآشتد ويقال: استمرّ مريره أى آستحكم عزمه. (٢) القتير: الشيب أو أوّل ما يظهر منه. (٣) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب فى تشبيه الشيب. (٤) أسفّ: دنا فى طيرانه من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها.

تُقَسِّى القلوبَ بعدها وحشةٌ لها ... كأنَّ قلوبَ الغانيات وُكورُها
تُرِى بوجوهٍ أنها بجمالها ... تصيدُ وما الأَشراكُ إلا شعورُها
أجاور فى شيبى عيونا قويّةً ... على جَزَلِ الشَّيبِ المغالطِ حُورُها ١٤٤٩
وكلّ بياضٍ فضلةٌ لا يليقُها ... اذا لم يكن إلا السواد يَضيرُها
سلا جمراتِ البين بى: كيف دُستُها ... يوقَّدُ بالأنفاس تحتى سعيرُها
حملتُ بقلبى منهمُ وهو حبَّةٌ ... ومن عِيسهم ما لا تُقِلُّ ظهورُها
تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا ... تعوَّجُ لى أو تستقيمُ سطورُها
بعشواءَ من فرطِ البكاء كأنما ... تواعدَ نارُ الحىِّ بَيْنًا ونورُها (١)
وفيمن نكرتُ الحلمَ من جزَعٍ له ... صبورٌ مقاماتِ الوداع شكورُها
اذا أفحمتنى قولةٌ فصُحتُ له (٢) ... وأقتلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها
يدير كئوسا مُرَّةً من لحاظه ... وفى فيه أُخرَى حُلوةٌ لا يُديرُها
من العربيَّاتِ الكرائمِ درّةٌ ... تُخاض اليها من "تميم" بحورُها
تلوم أمشاعى فى القناعة جالسا ... فهل ثورةٌ تُرضِى المَعالى أثورُها؟
وأوحدنى كما ترَيْنَ وعفَّ بى ... فسادُ مودّاتٍ أرَى وفجورُها
وأبناءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّها الـ ... ـصريحُ ومولاها الهجينُ فقيرُها
وجوهٌ يصفِّيها النفاقُ وتحتَها ... بطائنُ من غِشٍّ يشِفُّ (٤) كُدورُها
أضمُّ القوافى لى تمىءُ عليهمُ ... وليس وراءَ الخِدر إلا نُفورُها
وأوحشها ممَّن تقلَّدُ أنه ... سواءٌ حصاها عنده وشذورُها
وأن قياما بالفِناء لذَودِها ... أعزُّ اذا لم يرعَ خِصبا مسيرُها

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشواء فى أول البيت. (٢) فى الأصل "فضحت". (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمّهاتٍ شتّى وأبٍ واحدٍ، الواحد: عَلّة. (٤) فى الأصل "يسف".

أفى نُصرة الأعرابِ من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !
وفى قومها من "فارسٍ" للسانها عدوٌّ، فسل فى "قيصرٍ" مَن نصيرُها
لعلَّ غلامًا أدَّبَ الملكُ رأيَهُ تئطُّ (١) بـه أرحامُها فيُجيرُها
وما ضرَّ فى غير "الكُفاةِ" ارتخاصُها (٢) اذا ما غلت عند "ابن عيسى" مهورُها
اذا ما دعتْ أفضى اليه افتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها
سعى للمعالى سعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها
وهِيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولى النصولِ أن يُهابَ طريرُها
أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهدُ زُورُها
تخالَفُ أقوالٌ عليك اتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها
لقد نخر النادى أبٌ عدَلَ ابنَهُ اذا خاف نجلاتِ الرجالِ نخورُها
وفى شَطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوس غُرورُها
لمدَّ على العلياء منك فنالها يدًا يذرعُ (٣) الرمحَ الطويلَ قصيرُها
لكُم وفضةُ (٤) الآراءِ تبتدهونها (٥) فتُصمِى (٦) اذا الآراءُ أشوى (٧) فَطيرُها (٨)
وما وهنتْ فيما تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم (٩) جُبورُها (١٠)
لقد علمتْ كيف اطرادُ نظامها ليالِىَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها
اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيامه منكم وحنَّ سريرُها

---

(١) تئط : ترقّ وتحنّ . (٢) فى الأصل "تحاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع ، وفى الأصل "يدرع" . (٤) الوفضة : المرّة من الوفض وهو العدْو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) الفطير : الرأى الذى يبدو من غير تروٍّ ومنه "إياك والرأىَ الفطير" . (٩) فى الأصل "الافيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بما يحى الحجيز أحلَّه ويوقدُ مما قلَّدَتْهُ ضُفورُها، (١)
رَعوها الربيعَ فالربيعَ وعطَّنوا (٢) عليها الى أن ضاق عنها سيورُها، (٣)
تساقُ الشهورَ والليالى هديّةً الى ساعة تُوفّى "بجَمْعٍ" أُجورُها،
"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً لروِّض من جارى طُلاها (٤) صخورُها،
لقد سرَّ سمعى ما آستطاع مخبرّى بودِّك، والأخبارُ نَزْرٌ سرورُها
سلاما ووصفا وآشتياقا بغَيبة (٥) ذكتْ لوعتى منها وشبَّ زفيرُها
فإنّك للآداب والودِّ خاطبٌ بشيرُ العلا فيما خَطبتَ بشيرُها
فقل: كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً جدَا الماءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟
محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابها فقد (٦) نام هاديها وقام ضريرُها
فليتك — إن كان المبلّغ صادقا — أجابك عفوا سهلُها وعسيرُها
فتحتَ لك الأبوابَ عنها وقد أبَى زماناً حفيظاها (٧) وحُصِّنَ سورُها
لئن كانت "الزَّبَّاء" عِزًّا (٨) ومنعةً فأنت لها من غير جَدْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا: والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِمَ بالبُدْن التى تُهدَى وقد حاولنا تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفّق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقل . (٢) عطّنوا : اتخذوا لها العطَنَ وهو المناخ . (٣) سيورها : جلودها . (٤) الطُّلَى : الأعناق . (٥) فى الأصل هكذا "بعيبه" ومنه بدلا من منها . (٦) فى الأصل "فقل" . (٧) حفيظاها : حارساها . (٨) الزباء : ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والجاه عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدى" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" وآحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدى" حتى قدم عليها، فلما سألته عن سبب جدع أنفه قال لها : زعم "عمرو بن عدى" أنى غرّرتُ خالَه وغششته ومالأتُكِ على قتله فصدّقته وأكرمته، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلما رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصّت خاتما فى يدها به سُمٌّ وقالت : بيدى لا بيد عمرو؛ وقصتها طويلة .

ولولا الودادُ ما بَرزنَ سـواهما … وقد برَزتْ بالغانيات خدورُها
ولا عاقها فى عَرضِها[1] لمعاشِرٍ … معارفَها عُجْمُ البصائر عُورُها (١٥٠)
اذا اتسعتْ أيمانُها لعطيّةٍ … وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها
ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقُها … على حُكمها فيها ويُعصى أميرُها[2]
تَمَلَّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها … اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها
أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً … تـرود لِيَ الأخلاقَ ثم أزورها
وفَسِّحْ لها فى زينة الفِصْحِ[3] موضعا … تقـوم به، تُتْلَى عليك عُشورُها
ونَـلْ وأبوك العـزَّ ما حنَّ فاقـدٌ … وقام علـى السَّبْع الطِّباقِ مديرُها
وأوفَى بها شُعثٌ لكم يُدرسونها … "مزاميرَ" يستوفى اللُّحونَ "زَبورُها"
مُكبِّين للأذقانِ يحتضنونها … يصانُ عن الصفح العنيف سُفورُها
تفوتكُمُ بالسمع، والعينُ ما رأتْ … ودلَّ عـلى ما فى القلوب نذيرُها
فأُقسمُ لو قُضَّتْ[4] ضلوعِىَ بعدها … لما التأمتْ إلا عليكم فُطورُها[5]

***

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذى السياستين أبى محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيّامَ مصاحبته إيّاه فى الصِّبا، ويتشوّق قربَهُ، ويصفُ استيحاشَه لمكانه، ويحثّه على زيارته، ويرغّبه فى فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما اشتمَلَ على وصف العذر فى التأخّر والارتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدةِ يمدحه، ويعرّض بذكر إنسانٍ عتَبَهُ على المودّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبّرى الأمور، ويصف السفينةَ البحريّةَ وأنفذها اليه

(١) فى الأصل "تعرضها" . (٢) فى الأصل "وبعض" . (٣) فى الأصل هكذا "رتبة الفسح" . (٤) فى الأصل "فضت" . (٥) فطور جمع فَطْرٍ وهو الشَّقّ .

بين "النّقا" "فثنيّة الجِزْ" سمـراءُ تُرقبُ بالقنا السُّمرِ
رصفتْ قلائدها بما سفكتْ من فيضِ دمعٍ أو دمٍ هَـدْرِ
ماشئتِ من حَبِّ القلوب أوالـ أجفان فى بيضٍ وفى حُمـرِ
نزلتْ "منًى" أولى ثلاثِ "منًى" فقضت نجيزة ليلة النَّفـرِ
وجلتْ لأربع عشرة قمـرا والشهرُ ما أوفَى عـلى العَشْرِ
ترمى الجمارَ وبين أضلعنـا غرضٌ لها ترميه بالجمـرِ
من لى على عَطَـلَى بغانيـةٍ شبّتْ وشبتُ وعمرُها عُمرى
لم تنـوِ فى قَسَمٍ تحلّتَـهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجـرِ
قالت وليمت فى ضنا جسدى: طَـرْفى علىَ إسقامه عُذرى
وٱستُسقيتْ لظَمِاى ريقتَهـا فاستشهدتْ بالآى فى الخمـرِ
وتقـول للعـذّالِ مُغضَبةً: شيّبتُـه من حيثُ لا يدرى
قبّلتُ عصيـانًا عوارضَـه عمدا فأعدى شَعرُه ثغـرى

⁂

وأخٍ مع السرّاء من عُـدَدى وعلىّ فى الضـرّاء والشـرّ
تطوى حشـاه عـلى تبسُّمِهِ أضلاعَ مُشرجةٍ(١) على الغِمـرِ(٢)
مولاى والأحداثُ مغمَـدةٌ فاذا ٱنتُضِينَ فَرَى كما تفـرى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ مَيسَرتى حتى يعـدّدَهـا على العُسرِ
الدهرُ ألينُ منـه لى كنفـا لو كان يتركنى مع الدهرِ
ومَغَمّمِ المعـروف يخـدعنى إيماضُ واضحتيـه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاعَ(٣) وشبَّ مَوقِـدَه نارا يغُـرُّبهـا ولا يَقْـرى
ذى فطنـةٍ فى الشكر راغبـةٍ وغبـاوةٍ بجوالب الشكـرِ

(١) مشرجة : مضمومة . (٢) الغِمر : الحقد والغلّ . (٣) اليفاع : نقيض الحضيض .

فاذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً ... واذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ
لا طاب نفسًا بالنـــوالِ ولا ... مَحَضَ المودةَ زُبدةَ الصَّـــدرِ
وأرادنى من غـــير ثروتهِ ... أن أستكين لذلَّة الفقــرِ
يجو بعــرضى أن يضام له ... عَرْضُ الفلاةِ(١) وغضبةُ الحُــرِّ
وتحجُـزُ الأيّام ما وعـــدتْ ... فى مثـله وعواقبُ الصـــبرِ (١٥١)
"ومؤيّد السلطان" عاليـــةٌ ... يَدُه بتأييـــدى وفى نصرى
لو شئتُ فُتُّ سُرَى النجوم به ... وخفِيتُ(٢) عن ألحاظها الزُّهرِ
ولبلَّغنى المجـدَ سابحـــةٌ ... بالظَّهر(٣) ليست من بنى الظهرِ
ترتاح للضَّحضاح(٤) خائضـــةً ... [وتكدُّ](٥) بالمتعـمّق الغَمـرِ
تجــرى الرياح على مشيئتهـا(٦) ... فتُخالُ طائرةً بمـا تجـرى
واذا شراعاها لهـا نُشِـرَا ... خفقَتْ بقادمتيْن من نَسْرِ(٧)
فى جانبٍ لينٌ يُدَفِّعُهـا ... وخِطـارُها فى جانبٍ وَعْرِ
يحـــدو المطىَّ الزاجرون له ... وتُسـاقُ بالتهليـــل والذِّكْرِ
من لى بقلبٍ فوقها ذَكَرٍ ... مُضْيغ لعـــذلى تابع أمرى
قالوا : الشجاعـــةَ ! إنّه غَرَرٌ ... متقاربُ الميقاتِ والقـــدْرِ

---

(١) فى الأصل "الفلاء" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها وهو جِرمُها الذى فى الماء، وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر . (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها لاتزان البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "مشيتها" . (٧) فى الأصل "نشر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنّة قَرْهَبٍ ✻ وإن أدبرتْ راقت بقادمتَىْ نَسرِ

قوله : بقنــة قرهبٍ أى برأس ثور وحشىّ مسنّ ، ويراد بقوادم النسر المقاذيف .

يومان فى لُجٍّ فإن فَضُلا ... بزيادةٍ فبليلة العِبْرِ (١)
هيهات منّى ساحلٌ يَبَسٌ ... والبحرُ يُفضى بى الى البحرِ
القصدُ والمقصودُ من شَبَهٍ ... فى الجود أو حدٌّ من الغَزْرِ (٢)
ما أنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌ ... مِلحٌ وذاك زلالةُ القَطْرِ
جارَى الملوكَ فبذَّهم ملك ... سبق القوارحَ فى سِنى مُهُرِ
وأرَى بنى الستين عجزَهُمُ ... فى الرأى وهو ابنُ اثنتَىْ عَشْرِ
لا طارفُ النعماءِ منتزعٌ ... فيها ولا مستحدثُ الفخرِ
من وارثى العلياء ما اغتصبوا ... مجدا ولا ملكوه بالقهرِ
أرباب بيتِ مكارمٍ عقدوا ... أطنابَه بأوائل الدهرِ
ضربوا على الدُّوَلِ استهامَهُمُ (٤) ... وتقاسموا بالنَّهْى والأمرِ
فى كلّ أفقٍ منهمُ عَلَمٌ ... مَرعَى العفاةِ وسَدَّةُ الثَّغْرِ
أبناء "مُكْرَمَ" وهى معرِفةٌ ... نصروا اسمها بإهانة الوفرِ
قَطَنوا (٥) وسار عطاؤهم شَبَها ... بالبحر قامَ ومُلْكُهُ (٦) يسرى
فى كلّ دارٍ من مواهبهم ... أثرُ الحيا فى البلدة القفرِ
وملكتَ ياذا المجد غايتَهم ... ما للبِهامِ (٧) فضيلة الغُرِّ
زيَّدتَهم شرفا وبعضُهُمُ ... لأبيه مثلُ الواوِ فى "عمرو"
سدُّوا بك الغاراتِ منفردا ... فملأتَ صفَّ الجحفلِ المَجْرِ (٨)
ودجا ظلامُ الرأى بينهُمُ ... فوضحتَ فيه بطلعةِ الفجرِ

---

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتى أشبه صوته الأنين ويريد البحر . (٤) الأستهام : الأقتراع . (٥) فى الأصل "فطنوا" . (٦) مُلْكه مثلثة : ماؤه وفى الأصل "ملكته" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوك يومَ "البصرةِ" اعترفت   قِمَمُ العدا لسيوفه النُّكرِ
ألقَى عصًا من عزمةٍ بَترتْ[1]   آياتُها حدَّ الظُّبا البُترِ[2]
لقَفَتْ على "الكرجىّ" ما أفكتْ   كفَّاه من كيدٍ ومن مَكْرِ
فمضى يخيِّر نفسه خَوَرا   ذلَّين من قتلٍ ومن أسرِ
يجدُ الفِرارَ أحبَّ عاجلةً   لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفَرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما   أغنى الفقيرَ وأمّنَ المثرى
صارت بجودك وهى موحشةٌ   أُنسَ الوفودِ وقِبلةَ السَّفْرِ
يفديك مبتهجٌ بنعمته   أسيانُ[3] فى المعروف والبِرِّ
ألهاه طيبُ المالِ يُحرِزُهُ   عن طيبِ ما أحرزتَ من ذِكْرِ
يبغى عِثارَك وهو فى تعبٍ   كالليل طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لما عقَّ: دع مِدَحى   زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّعرِ
أُتركْ مقاماتِ العلاءِ له   متأخِّرا فالصدرُ للصدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتهِ   منِّى مكانَ السَّحْرِ[4] والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فىَّ نذرَك لى؟   فلقد قضت فيك المنى نذرى
أيامَ لى وحدى الوفاءُ وكلّ   الناس من نَكْثٍ ومن غَدرِ
وأرى نداك اليومَ فى نفرٍ   لم يُشرَكوا فى ذلك العصرِ
أُردد يدى ملأى وحاش لمن   يعتامُ جودَك من يدٍ صِفْرِ
١٥٢ واعطف علىَّ كما صددتَ[5] أُذُقْ   طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ
والبسْ من النعماء سابغةً   لا تدَّريها[6] أسهمُ الدهرِ

---

(١) بترت: قطعت. (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف. (٣) الأسيان: الحزين.
(٤) السحر: الرئة. (٥) فى الأصل "بما". (٦) لا تدريها: لا تجعلها غرضا لها.

تَعمَى النـوائبُ عن تأمُّلِها ... وتُطيلُ فيها نَومةَ السُّكرِ
مهما تَعُدْ (١) خَلَقًا بِجِدَّتِها ... تـزداد بالتقليبِ والنشـرِ
وٱسمعْ أَزُرْكَ بكلّ مالئةٍ ... عينَ الضجيعِ خريدةٍ بِكْرِ
نَسْجُ القريحـةِ ثوبُ زينتِها ... وحُلِيُّها من صنعة الفكرِ
من سحر "بابلَ" نفثُ (٢) عُقدَتِها ... سارٍ و"بابلُ" منبِتُ السِّحرِ
وكأنما ساقَ التِّجارُ بها ... لك من "صُحارَ" (٣) لطيمةَ العطرِ
تُمسى لها الآذانُ آذنـةً ... ولو ٱنهنّ حُجِبنَ بالوَقْرِ (٤)
حتى أراكَ وأُخصاكَ معًا ... قُرطانِ "للعَيّوق" (٥) و"النَّسرِ"
هذى الهَدِىُّ (٦) على جَلْوَتِها ... وعليكم الإنصافُ فى المَهرِ

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

لعلَّ لها مع النَّسرَينْ (٧) سِرًّا ... فدعها طائراتٍ أن تُمَرَّا
ركائب واثقين من الأمانى ... وأظهِـرها بما قتلتـه خُبْرًا
تـلوح خواطفًا فتظُنُّ أمرًا ... بها فى السـير وهى تُريد أمرا
سـواءٌ عنـد أعينها سِرارا (٨) ... قطعنَ الشهرَ أو سايرنَ بدرا
ولولا أن يخضن مع الدرارِى ... سوادَ الليـل لم يُخلَقنَ (٩) حُمرا
يُحطُّ المَيْسُ (١٠) منها عن جُنوبٍ ... محلّقـةٍ وكنَّ رحلنَ شُعْرا (١١)

(١) فى الأصل "بعد". (٢) فى الأصل "نفث". (٣) صُحار: قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه؛ واللطيمة: العيرُ تحمل الطيب. (٤) الوقر: الصمم. (٥) العيوق والنسر: اسما كوكبين. (٦) فى الأصل "هادى"، والهدى: العروس. (٧) النسران: كوكبان يقال لأحدهما: النسر الواقع وللآخر النسر الطائر. (٨) السرار: ليالى آخر الشهر. (٩) فى الأصل "يحلقن". (١٠) الميس: الرحل. (١١) شُعرا جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها.

اذا أرسلنَ فى الحاجات خَطْبًا[١] حَبَوْنَكَ ثيبًا منها وبكرا
يَكُنَّ الى فواركِها[٢] شفيعًا يُقَرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا
وراءَ العزِّ نطلبُهُ فإما وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا
وماء تُحبسُ[٣] الأنفاسُ منه وتُستشرى[٤] به اللَّهَواتُ حَرَّا
وردت مع القطا الكُدرىِّ منه أجُونًا[٥] من بقايا الصَّيف كَدْرا[٦]
أسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا اذا قايستُهُ بالذلّ مُرَّا
وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه يَفاعا يَقسِرون العيشَ قَسْرا
نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا
وكالمُهُراتِ فى فَتَياتِ حىٍّ حكَيْنَ رماحَه نَخطِرنَ سُمرا
يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا يُظنُّ المستريبَ بهنَّ شرّا
خلوتُ بنومهنَّ فلم أوسَّد يدى جنبًا ولا جنىَّ نُكْرا
ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا بما أودعتُها وملأتُ صدرا
وقافيةٍ على الراوى بَحوجٍ خدعتُ نِفارَها حتى آستقرَّا
تموتُ بموتِ قائلها القوافى وتبقَى لى وللمدوح ذِكْرا
فصُحتُ "ليعرُبٍ" فيها كأنّى عَجُمتُ "ببابلٍ" فنَفَثْتُ سِحرا
طلبتُ لها من الفتيان فَذًّا[٧] يكون لِعقدها المنظومِ نَحرا
فلم يعْدُ "آبنَ أيوبَ" آختيارى وقد عَمَّقتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

(١) خطبا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس" . (٤) تستشرى : تُفسَد بما يصيبها ، من قولهم : استشرى البعير عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكَدِر . (٧) فى الأصل "قدا" .

وما طـــوّفت فى الآفاق إلا وجـــدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جَنَبتُ بك الهـــوى كهلا كأنى جنبتُ يدى الشبابَ المسبكَرّا (١)
وعلّقتُ المـــودّةَ منك كفّى على زَلِقٍ متينِ الفتـــلِ شَزْرا (٢)
دعوتُك والحـــوادثُ ذاهباتٌ بسَرحٍ (٣) تصـــوُنى طردا وطـــرّا
وقد طَلَقتْ بنـــاتُ الصبرِ منّى كأنى لم أكن للصّـــبرِ صِهرا
فكنتَ أخى هوًى وأبى حُنُـــوًّا ونفسى نُصـــرةً وبُنَىَّ بِـــرّا
حملتَ حمـــالةَ الأيامِ عـــنّى قُلُوصا (٤) فكُنْى منهـــا وكَـــرّا
مغارمُ أشكَلَتْ، أقضَيْتَ حقَّ الـ ـمودّةِ أم قضَيْتَ بهنّ نَذْرا ؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَّ (٥) عفـــوًا وقد أتعبت أيدى المزن غَفْـــرا
ولمـــا ثلّمتْ منّى الليـــالى أريتُك خَـــلّةً فسددتَ عَشْرا ١٥٣
مَكارمُ لم تُسـابَقْ فى مـــداها وقد حَرَصَتْ عليهـــا الريحُ حَضْرا
وأخــــلاقٌ صفت من كلِّ غِشٍّ سكرتُ بهـــا وما عوطيتُ خمـــرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـــلالا فصرنَ لديك حقًّا مســـتقرّا
أبًا فأبًا من الأعـــلام فيها نعـــدّهُمُ اليك هـــلمَّ جـــرّا
لَعَمْرُ الحاســـديك، وهـــل يُبَقّى لهم حَســـدُ الكمالِ عليك عُمْـــرا؟
لقـــد ليموا بمـــا نقمـــوا وإنى لأوسعُهم بمـــا حســـدوك عُذرا
أقلّنى العجـــزَ إن قصّرتُ وصفا لمـــا أوليتَ أو قصّرتُ شكرا
فإنّ علىّ جَهْـــدَ الفكرِ قـــولا وليس علىَّ عنـــد الغيثِ قَطْـــرا

(١) المسبكر : التام المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبـــل عن اليسار وهو أحكم لفتله .
(٣) السرح : المال السائم، وفى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت
من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل، وفى الأصل "قضيت" .

على أنّ القوافى الغُرَّ عنى — كوافلُ بالذى أرضَى وسَرَّا
تروح عليك أو تغدو التهانى — بهنّ حوافلَ الأخلافِ غُزْرا
اذا مَطَرَتْ ترى الأحسابَ بيضا — بما يُثنِينَ والأعراضَ خُضْرا
كأن لطيمةً منها أُنيخَتْ — ببابك، فارتدعْ (١) ما شئتَ عِطرا
تعدّ الدهرَ نيروزا وعيدا — وصوما راجعا أبدا وفطرا
فتصحَبُه بأنفذَ منه أمرا — على الدنيا وأطولَ فيه عُمرا

✦ ✦ ✦

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز

هل عند ريح الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ — أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك من "أمّ الوليد" أتت — تعلو الرياحُ بها والمزن تحدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطريّاً مجاسدُها (٢) — منفوضةً وكأنّ البارقَ الأُشُرُ (٣)
هوًى ترامت به الأيّام تُبعدُه — وقرّبته لك الآياتُ والذِّكَرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صورتَه — تيهُ الطريق وينسيك آسمَهُ الحذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقا وما فُقِدتْ — عينٌ له "بلوى خبتٍ" (٤) ولا أثرُ
يُجشِّمُ البدرَ أن يشقَى برؤيته — ويلبَسُ الليلَ زوّارا فيعتكرُ
ما آستوطن البيدَ لولا أنه رشأٌ — وما آمتطى الليلَ لولا أنه قمرُ
يا مِنّةً للكرى لولا حلاوتُها — ما ذُمّ — وهو وفاءٌ فى الهوى — السهرُ
مدّ الظلامُ بها قبلَ الصباح يدا — بيضاءَ باتَ بها من أمسه السحَرُ

(١) يقال: آرتدع بالطيب بمعنى تضمّخ.
(٢) المجاسد جمع مُجسَد وهو القميص يلى الجسد.
(٣) الأُشُر: حدّة ورقّة فى أطراف الأسنان.
(٤) لوى خبت: آسم موضع، وفى الأصل "خبث" وهو تحريف.

في الضاربين على "البَلْقاءِ" باديةً ... يَسبِي لها الحرَّ من أبنائه الحَضَرُ
تُصبِي الأحاديثُ عنها وهي نازحةٌ ... والسمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ
سمراءُ غارتْ عليها — وهي تُشبهها[1] ... في القدّ واللون — تحميها القنا السُّمُرُ
تلينُ خَلْقًا ويجفو خُلْقُها فكأنْ ... في جسمها الماءِ[2] أُلقِي قلبُها الحَجَرُ
"سعديّة" تدّعي أن الوفاءَ لها ... من صُلب "حاجبَ" حبلٌ ليس ينبتر[3]
فما لها وفؤادي في خفارتها ... والشوقُ يرعاه ظلما ليس ينتصرُ
لوشاء بعدُ جوارِي وهو مطّرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون" قد غدروا
ما أنكرتْ "أمُّ خير" وهي معرضة؟ ... أغيرَ أنْ لونتْ من لِمتي الغِيَرُ؟!
وفي الصِّبا للهوَى إذْ[4] كان حالفه ... لا يُحلَقُ الحبُّ حتى يُحلَقَ الشَّعَرُ
أرى المنى بعدُ تُملِي لي سوالفَها ... وفي المشيب الذي آستقبلتُ مزدجَرُ
أشتاق حاجاتيَ الأولَى وتجذبني ... الى آتباع النُّهى حاجاتيَ الأُخَرُ
ما أشرفَ الحلمَ لولا ثِقل محمِلِهِ ... وأجملَ الصمتَ لولا قولهم: حَصَرُ
وما أعزَّ الفتى في ظلّ عفّتِهِ ... لو شُوورَ الحزمُ أو لو صحّتِ الفِكَرُ
ما لكَ[5] في الحرص إلا فضلُ ذلّتِه ... والرزقُ يفعل فيه ما آشتهى القدَرُ
خُلْقانِ في هذه الدنيا مُعاسرةٌ ... ما طولبتْ، وبها إن توركت يُسُرُ
قنعتُ منها بما بلِّ الصدَى كِبَرًا ... من همّتي ظنَّ قومٌ أنه صِغَرُ
أسوّفُ العيشَ حسنَ الظنّ أجبُرُه ... على فسادٍ وجَبْرُ الظنّ منكسرُ
مرقِّعا بالمنَى أرجو غدا فغدا ... تأتي الحظوظُ وحظّي بعدُ منتظَرُ
رضًا بنفسيَ أو ودّ آمرئ ثقةٍ ... أغنَى به، وغنيُّ المالِ مفتقِرُ ١٥٤

---

(١) في الأصل "تشب". (٢) يريد في جسمها الذي هو كالماء. (٣) ينبتر: ينقطع، وفي الأصل "ينتشر". (٤) في الأصل "إن". (٥) دخل الطيّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كرر كثيرا في هذه القصيدة.

وإن مدحتُ فمفخـــرٌ (١) لا أعابُ به ... ولا يكذّبُ إخبـارى به الخُـبُرُ
اذا غلوتُ بقـوبٍ فيـه لم ترنى ... الى المـروءة فيما قلتُ أعتـذرُ
حدّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِـدَمِ الدنيا وما كثُروا
وآستشهد الصُّحُفَ الأولى بما نقلت (٢) ... عنهـم وما قصّتِ الآثارُ والسِّيَرُ
المكتفين اذا غابوا بشُهرتهـم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا
أبنـاء ذِروة هـذا الملكِ قد فَرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما آنحـدروا
تملّكوا قَـرَبَ (٣) الدنيـا وشِرعتَهـا ... لا يَرِدُ النـاسُ إلا كلَّ ما صـدَروا
لا تستخفُّهـم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهـم البطَـرُ
اذا بـلوتَ تُقـاهم أو بصـائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا
تكلّموا وأَرَمَّ (٤) النـاطقون لهـم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أَمَروا
يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ (٥) جامدةً ... فيفعلون بهـا ما يفعـلُ المطـرُ
غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وآنبعثتْ ... فى المـزنِ تَعصُرُ أيديهـم فتنعصِرُ
لو ركّبوا فى أعاليهـم أناملَهـم ... [يوم] (٦) الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ
إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممـترياً ... منهـم فعنـدك من منشورهم خَبَرُ
هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهـمُ ... ليسوا بأوّل موتَى بابنهـم نُشِروا
صَـلَّى (٧) فزادت على السُّبّاق حَلبتُـه ... محـلِّقُ العُرفِ جارٍ خطـوُهُ حُضُرُ (٨)
كالسهـم أحرزَ ذكرا يومَ تُرسِـله ... لم يُعطِـه أبواه القـوسُ والـوتَرُ
عُصـارة فضَلتْ فى الطِّيب طينتَهـا ... والخمـرُ أطيبُ شىء منـه يُعتصَرُ

(١) فى الأصل "لخز". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا.
(٤) أرمّ: سكت. (٥) الشهب: البيض، و يكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جلّى. (٨) الحُضُر: آرتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمّت الضاد للضرورة الشعرية.

لا يعدَم "الصاحبَ" ٱبنُ الليل قوّسهُ ... طـولُ السُّرى وتَنَقّ[١] عظمَه السَّفرُ
فـوّزَ فى البيـدِ لا ظـلٌّ يَفِىءُ له ... ظُهْرًا ولا يتّقيه من ندى سَحَـرُ
تَرمِى به غرضَ الأخطارِ حاجتُه ... يحـلو له الملحُ أو يصفو له الكَدِرُ
يُحسُّ أو يــتراءى[٢] كلَّ مُخلِفَــةٍ[٣] ... لا سمعَ يَصـدُقُه فيها ولا نظـرُ
يَرى سماوتَه[٤] فى المـاءِ يُنكِرُها ... من طول ما ٱختلفتْ فى عينه الصُّوَرُ
حتى اذا ملّتِ الأقـدارُ شِقوتَه ... وحان من سعيه أن يُدرِكَ الظفـرُ
آنَسَ من جوده نارا مبشـرةً ... بــبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعـرُ
بجاء يقتافُها حتى أصاب قِـرًى ... يأخذُ منـه ٱشتطاطَ النفسِ أو يَذَرُ
بينا تكونُ البـدورُ الطائفاتُ به ... ولائذا وتُذَكّى للقِـرى البِدَرُ[٥]
فلا خلا منه ربعُ الفضـلِ يَعمُرُه[٦] ... بالمـال يُقسَمُ والأقـوالِ تُدَّخَرُ
وبَيْضـةُ الملكِ يحميها فما كَرَبت[٧] ... مـذ قام يَشعَبُها بالرأى تنفطـرُ
تيمّنوا بٱسمـه حتى لقـد وثِقـوا ... لو سار فى غير جيشٍ أنهـم نُصِروا
طلقُ النقيبـةِ لم يعقِـل سِعايتَه[٨] ... عن مطلبٍ "رجبٌ" يُخشَى ولا "صَفَرُ"
غرَّرَ فى العـزِّ حتى نال غايتَـهُ ... وجانبُ العزِّ مركوبٌ له الغَرَرُ
لو عِيبَ ما عابه شىءٌ يُزَنُّ[٩] به ... من النقيصـةِ إلا أنه بشـرُ
حلا له الحمـدُ حتى ما له ثمـنٌ ... يغـلو عليـه وحتى مالُه هَـدَرُ

(١) تنقّ : استخرج النِّقْيَ وهو المخّ . (٢) يتراءى بمعنى يرى ، وفى الأصل "تنزأ" .
(٣) المخلفة : السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تَنكُصُ عنه . (٤) سماوته : شخصه . (٥) يريد ذوات البِدَر جمع بَدرة وهى جلد السخلة . (٦) فى الأصل "يعموه" . (٧) كربت : يقال كرب يفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة ويكثر تجريد خبرها من أن ويقلُّ ٱقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء ويُقال كسرُها . (٨) فى الأصل "سعادته" . (٩) يزنّ به : يظنّ به أو يتّهم به .

لو وَهَبَ المـرءُ يوما نفسَـهُ سَرَفا ... لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصـرُ
عَجمتُ أيامَ دهرى صعبةً بكُمُ ... فسالمتْنى وفى أيامها خَـوَرُ
وكان لى عنـدَ حظى قبلَ ودِّكُمُ ... ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثّـئِرُ(١)
فلتأتينَّكُمُ عـنِّى وبى أبـدا ... غرائبٌ وهى فى أوطانها فِقَـرُ(٢)
تسرى مراكبَ للأحساب، تَعرِضُها ... على العيون شِياتٌ(٣) كلُّها غُرَرُ
اذا تحـلَّتْ فمعناها قـلائدُها الـ ... ـضـار أو لفظُها أقـراطُها(٤) الدُّرَرُ
ممّا ولدتُ وإن خالفتُ منصبَهـا ... "كِسرَى" أبى وأبوها نِسبةً "مُضَرُ"
تسرُّكم وتسوء الحاسـدين لكم ... ونفعُ قـومٍ لقـومٍ غـيرِهم ضَرَرُ
فى كلِّ يومٍ جديدِ العهـد مبتكرٍ ... تسـوقُهـا لكم الرَّوْحاتُ والبُـكَرُ
لها بأحسابها طُولٌ وما قطَعتْ ... سَـيْرا وفيها عن آستحقاقكم قِصَرُ
وقـد سمعتم سـواها قابلين له ... فكيف يحلو لجانى النحلةِ(٥) الصَّـبِرُ
وإن تشابهتِ الألفاظُ وآتفقتْ ... فرُمّة(٦) الحبـل شـكلا حَيّـةٌ ذَكَرُ

✧

(١٥٥) وقال فى غرض له

ياليـلةً ما رأتها أعينُ الغِـيَرِ ... لم ينجُ لى قبلَها صفـوٌ من الكَدَرِ
كأنها ساهمتنى فى السرور بمـا ... أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ
يئست من صبحها حتى آلتفتُّ الى ... وجهِ العِشاء أعزِّيه عن السَّحَرِ
كم يوم سُخطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا ... حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمرِ

(١) أثئر: أُدرِك ثأرى، وأصله أثتئر قلبت التاء ثاء. (٢) فِقَر جمع فقرة وهى العَلَم من جبل، ويريد بذلك أن قصائده أعلام فى مواطنها. (٣) شيات جمع شية وهى العلامة. (٤) فى الأصل "قراطها". (٥) فى الأصل "النخلة". (٦) الرمة: القطعة من حبل بال.

وكتب الى حضرة مؤيّد الملك أبى علىّ الرّخجىّ فى المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد آستبطأ خدمته، وأنكر تأخُّرها عنه، ويذكر وقوفَ أمره فى أشياءَ أنعم بترتيبها من معيشته خلفاءُ له، وتولّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغَـرَّبْ فبالدار الحبيبـةِ دارُ — وفُـكَّ المطـايا فالمُناخُ إسارُ
ولا تسأل الأقـدارَ عمّا تجرُّه — مخافةَ هُـلْكٍ والسـلامـةُ عارُ
اذا لم يَسَعْها الأمنُ فى عُقـر دارِها — نخاطِرْ بها، إنّ العـلاءَ خِطارُ
أرى إبلى تَعصِى الحُـداةَ كأنّما — بـوازلُها تحتَ الحبـالِ بِكارُ
تَقامصُ من مسّ الهوان جُنوبُها — كأنّ الأذى طـردٌ لها وعَوارُ
تَحَسَّى (١) القذى المتزورَ من ماء أهلها — وتأبى النّميـرَ العِـدَّ (٢) وهو بحارُ
ومـذ علمتْ أن الخَشاشـةَ (٣) ذِلّةٌ — ففى خَطْمها من أن تُخَشّ نِفارُ
لغـيرى قِـرَى ألبانِها ولحومِها — ولاقحـةٌ (٤) من أُدْمِها (٥) وحُـوارُ (٦)
متى دبَّ ماءُ الضيم فيها فلم تعُـدْ — مطىٌّ قفـارُ الأرض وهى قِفارُ
وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِها (٧) — نصـولٌ نعى سيبَ اللِّصابِ (٨) تَبارُ (٩)
ظِرابُ (١٠) الغضا من تحت أخفافها سَفًا (١١) — يطيشُ وأحقافُ "الغوير" حِفارُ

(١) تحسّى محـذوفة التـاء الأولى بمعنى تشرب، وفى الأصـل "تحاشى" ولا تتّفق والمعنى .
(٢) فى الأصل : "وهى" . (٣) الخَشاشةُ : العود يوضع فى أنف البعير . (٤) اللاقحة : الناقة تقبل اللقاح، وفى الأصـل "لاقحة" . (٥) الأدم جمع أدماء، وهى التى فى لونها سمرة .
(٦) الحُوار : ولد الناقة من حين يرضع الى أن يُفطم . (٧) نسوع جمع نِسع وهو سَيرٌ أو حبلٌ من أدم تشدّ به الرِّحال . (٨) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى، ويقال : "أعذب من ماء اللصاب" .
(٩) التَّبار : الهلاك . (١٠) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفى الأصـل "طراب" . (١١) السفا : التراب الذى تَسفيه الريح .

كأنّ السياطَ يقتلعنَ اذا هوت ... سفائنَ منها ، والسرابُ بحارُ
مُقامى على "الزّوراء" وهى حبيبةٌ ... مع الظُّلم غبنٌ للعُلا وخسارُ
وكم حلّةٍ مجفوّةٍ ولها الهوى ... وأخرى لها البغضاءُ وهْى تُزارُ
وفى غيرها المجدُ الذى كان مرّةً ... لها شرفٌ فى قُربه وفخارُ
اذا حملتْ أرضٌ تراب مذلّةٍ ... فليس عليها للكريم قرارُ
وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قد ركبتُها ... نخضتُ بها الحاجاتِ وهْى غمارُ
وذى سِنةٍ بجّعتُ بالنوم عينَه ... وأجفانُه عطفًا عليه طَوارُ (١)
صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى ... وقد دار فى عينيه منه عُقارُ
تنجّزتُ أقصَى جوده وهو كارهٌ ... ولم يك للمولَى علىّ خِيارُ
وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جناحه ... وحُصّ فلم يرفعْهُ عنه مَطارُ
هجمتُ عليه قادحا ببصيرتى ... دُجاهُ، وليلُ الزِّبرقانِ (٢) نهارُ
ومُشترِفٍ (٣) من العفافِ آطلعتُهُ (٤) ... وقد نام واشٍ وآستقام نوارُ (٥)
فلم يتنوّصْنى وسادُ علوته ... بعيبٍ ولم يشهدْ علىّ إزارُ
وقافيةٍ أسهلتُ مجرى طريقها ... لها فى حلوقِ القائلين عِثارُ
نُضارٌ من القول الذى لم يُرَدْ به ... لُجينٌ ولم يوجد عليه نُضارُ
اذا ما آستبقْن الحسنَ يُبسطْن عن فمى ... شَردْنَ فلم يعلَقْ لهن غُبارُ (٦)
يعيّرنى قومٌ خلوٌ معاطنى ... وفيهم رُغاءٌ (٧) ما آشتهوا ونُعارُ (٨)

---

(١) الطَّوار: ما كان على حَدّ الشىء أو بحذائه. (٢) الزبرقان : البدر. (٣) المشترف : المكان يشرف عليه . (٤) آطلعته : طلعته وعلمته . (٥) النَّوار : النُّفورُ من الرِّيبة .
(٦) فى الأصل "عمار" ولعلها "عِصار" وهو أيضا الغبار الشديد. (٧) الرغاء : تصويت الإبل، وفى الأصل "دعاء" . (٨) النعار : الصياح والتصويت بالخيشوم، وفى الأصل هكذا " بعار" .

ولا عيبَ أن أهزلتُ وحدى وأسمَنوا اذا أنا أنجدتُ العلاءَ وغاروا
ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ نواحلُ إلا والنفوسُ كِبارُ
خفيتُ ونُورى كامنٌ فى قناعتى وما كلُّ ما غمَّ الهلالَ سِرارُ
وكيف أذود النومَ أخشى خَصاصةً ولى من كلاءاتِ الوزيرِ جوارُ
ونعماه ، إن دهرى أغار حُماتَه على الحُرِّ من مسِّ الهوانِ، تَغارُ
اذا ضمّنى "مؤيّد الملك" مانعا فما لدمِ الأيّام عندىَ ثارُ
نُكولى اذا أمسكتُ أطرافَ حبله قُوًى وآفتقارى فى ذَراه يَسارُ (١٥٦)
سقى اللهُ ماءَ النصر كفًّا بنانُها(١) غصونٌ لها دُرُّ البحار ثِمارُ
وحيَّا على رغم الكواكب غُرّةً(٢) أسِرّتُها للمعتفين مَنارُ
ترى الرزق شَفّافا وراء آبتسامِها كما شَفَّ عن لَمعِ البروق قِطارُ(٣)
وزاد آنبساطا فى الممالك راحةً يمينُ الحيا إن جاودتْه يَسارُ
من القوم لو(٤) طار الفخارُ بمعشرٍ الى غايةٍ فوق السماء لطاروا
بَنِى الملكِ ، والدنيا بماءِ شبابها وأيّامُها زُغْبٌ(٥) تدبُّ صِغارُ
خيامٌ على أطنابها "زُنْجيّةٌ" لها فى سماواتِ الفخار ديارُ
وزيريّةٌ جَدًّا بجَدًّا يَعُدُّها على المجدِ عرقٌ ضاربٌ ونِجارُ
يُراحُ عليها بالعشىّ لَبونُها(٦) اذا رُوِّحتْ على البيوتِ عِشارُ(٧)
وشَقَّ دُجُنّاتِ الخطوبِ برأيه بصيرٌ له سرُّ الغيوبِ جِهارُ

---

(١) فى الأصل "بناتها" . (٢) فى الأصل "الكواعب" وليست بوجيهه ولعلها محرفة كما رجّحنا . (٣) قطار جمع قَطر وهو المطر . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه الخفيف . (٦) اللبون : غزيرة اللبن . (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر ، وعُشراء وعِشار كنُفساء ونِفاس ولا ثالث لهما .

اذا ردّ فى أعطافه لحظاته ... تشعشع سربالٌ له وصدارُ (١)
قريبُ الجنى حلوٌ لأيدى عفاته ... وأشوسُ بين العاقرين مُرارُ
اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ ... عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ
فيُطمِعُ فيه ثغرُه حين يُجتدَى ... ويؤيِسُ منه الأنفُ حين يغارُ
له الله من مُلْك حميت سريرَه (٢) ... وغاياتُه للطامعين وجارُ (٣)
وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ ... خَباياه للأبصار وهى عَوارُ (٤)
مددتَ بباعيْه فلم يُرَ معصمٌ ... له بارزًا إلا وأنتَ سِوارُ
وغرَّ بك الأعداءَ خُلْقٌ مسامحٌ ... لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ
وما علموا أنّ النصولَ شوارعٌ ... على عَلَقِ (٥) الأكبادِ وهى طِرارُ
فإنّ رقابَ الأُسْدِ دون عراكها ... مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ
وقد جرّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ ... على السِّلمِ والنقعُ الأغمُّ (٦) مُثارُ
وكم لك من يومٍ يخيم (٧) شجاعةٌ ... ولا يَصِمُ المهزومَ منه فِرارُ (٨)
تناكَرَ عنه المدّعون فلم يكن ... سوى آسمك للأبطالِ فيه شِعارُ
وقفتَ له والمرهفاتُ كأنّها ... دَبًى (٩) فوق بَيْضِ (١٠) الدارعين مُطارُ
ولو أنّ حدَّ السيف خانك دونه ... وَفَى لك جَدٌّ لم يعقْه عِثارُ
أسِلْ (١١) مزنتَيْ كفّيك يَغْرَقْ بها العدا ... وسِمْ (١٢) باسمك الأعداءَ فاسمُك نارُ

(١) الصدار : قيص صغير يلى الجسد . (٢) فى الأصل " لك الله " ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "غلق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل " الأعم " . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا " يخيم " . (٨) فى الأصل " قرار " . (٩) الدبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بيضة وهى الخوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل " أسا " .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه الميسم وهو الحديدة التى يكوى بها ، وفى الأصل " شم " .

ولا تَلْقَ يــومَ الرَّوعِ إلا مُصالتا   بحـدِّك إن كلَّت ظُبًا وشِـفارُ
فإنّ لجُرحِ السـيفِ لا بـدَّ ثائرا   [له](١) وجراحات الجدود(٢) جُبارُ
قضى اللهُ فى حُسَّادِ ملكك أنهـم   وَقودٌ وأنّ الغيـظَ منك شرارُ
فألسـُنهم غيظًا بواردُ(٣) رطبةٌ(٤)   وأكبادُهم خلفَ الضـلوع حِرارُ
تناهوا(٥) حـذارا أن يُعلَّى حديثُهـم   فما بين كلِّ اثنين فيـك سِرارُ
ولاموا نجـومَ السعدِ جهلا وإنما   تدورُ لك الأفـلاكُ حيث تُدارُ
تُواقِفُ أقدامَ الأسـودِ كأنما   جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغارُ
وتخجلُ من دفع الحقـوقِ كأنما   لثامُك من فـرط الحياء خِمارُ
أجبْ دعوةً ياسـيِّد الوزراء لم   تُجبْها قريبا إذ دعتْـك مِرارُ
تناديك عن شوقٍ، مواقدُ نارها(٦)   فـؤادى، وأنفاسى الحِـرارُ أُوارُ(٧)
أُدارِيه خوفَ الشامتين، وظاهرى   قِياسٌ لما فى باطنى وعِيارُ(٨)
الى كم يُقِـلُّ البعدُ ظهرى وكم يُرى(٩)   لجنبى على جمـر الفراق قـرارُ
كأنى حيـالَ البعـدِ بينى وبينكم   يُقـدُّ أديمى أو حشاى تُعارُ
وليتَ الزمانَ المطـربى باقترابكم   كما زال سُكْرٌ منـه زال خُمارُ
يكاد نزاعى نحوكم أن يطـيرَ بى   وهـل لقصيصٍ فى السماء مطارُ
وأُطمِعَ قـومٌ بعدكم فى تهضُّمى   فشـنُّوا على أحسابكم وأغاروا

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الجدود". (٣ و ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا "بوارد طبه". (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "ساهرا" وقد صحفناها الى تناهوا وتباهوا فوجدنا الأولى أحقّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا "مواقد نار". (٧) الأوار: حر النار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل "ترى".

ولم يعلموا مقــدارَ عَطفةِ جودكم ... عليَّ فــلى نقصٌ بهــم وضِرارُ
اذا حبسوا المـاءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أين تُســقَى سَرحتى وثمارُ
وقد علمــوا أن لا ارتجاعَ لنَيْلكم ... ولا الثوبُ مما تلبَسون(١) مُعـارُ
عسى اللهُ أن يقتـادَ لى بإيابكم ... فيُدرِكَ من باغى انتقاصى ثارُ (١٥٧)
بكلِّ عزيزٍ بذلُهـا عنـد قومها ... لهـا مَنصِبٌ مَعْ حُسنها ونِجارُ
اذا خطَــرتْ بين الرُّواةِ حسبتَهم ... يمانينَ فيما يحمــلون عِطارُ
تَنِمُّ بمـا فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْهـا اليـك "صُحَارُ"(٢)
تَضوَّعُ رَندًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" فيهـا حَنوةٌ(٣) وعَرارُ(٤)
اذا جُلِيَتْ عَطْــلَى(٥) عليك تخَلَّيْهـا ... عُـلاك وحُسنُ الإستمـاع نِثارُ
على المهرجان وسمــةٌ من جمالها ... "عَرُوبةُ"(٦) منهـا فاصلٌ وشِيارُ(٧)
لئن قَصَّرَ المقــدارُ خَطوِىَ عنكمُ ... فــلى غايةٌ فى بعثها وقُصارُ(٨)

* * *

وقال وقد جَرتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم بالحضرة ونُفورٌ مع سلطانه فى خطاب، فاقتضت اعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليـه رتبةً وارتقاءً وتمكّنًا من الحضرة وانبساطا، وأفيضت المكارمُ عليه(٩)، وضُوعِف الإحسانُ اليه، وكتب بهـا اليه يُعلِمه بمـا تجدّد، ويذكر التهنئة وذِكرَ الحالِ، ويحثّه على إبانة مسرّته بمـا كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمان وهى مدينة ليس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائها وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرىّ أو هو بهارٌ ناعمٌ أصفرُ طيّبُ النكهة. (٥) عطلَى: غير متحلية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أُرُبا" النبطية أو "عَرُوبتا" السريانية. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لجلال مقامهما عند المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبلون إنابةَ الدهرِ ... أم تُنصِتون له الى عُـذرِ[1]
أم تَعرفون لقُربِ رَجعتِـه ... ما كان همَّ بـه من الغـدرِ
فلقـد أتاكم يستظِلُّ[2] بكم ... من حَرِّ سخطِكُمُ ويَسـتذرى[3]
متنصِّلا من هفوةٍ ، يدُهُ ... كادت تَشَلُّ[4] بها وما يدرى
خزيانَ يُقسِمُ : لا سعَى أبدا ... لمجـد فى وَهْنٍ ولا عَقْـرِ
وَسْمُ الندامـةِ فوق جَبهتِه ... ويداه بالإقـرارِ فى أسرِ
يَلقَى الجراحـةَ بالدواملِ[5] من ... إقلاعِـه والكَسْرَ بالجَبْرِ
فاستعملوا البُقيا التى فُطِرتْ ... فيها حلومُكُمُ من الصخرِ
واستعبدوه بعفوكم فلَكَمْ ... بالجود من عبـدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهـدتِه[6] ... ووفائِه وشفيعُهُ شِـعرى
قد كان غمرا لم يجـد خورا ... وأظافرا خدشت ولم تفـرِ
ونوافـذًا حرِشت[7] فما لقيت ... حَرِجًا[8] ولا منقبِّضَ الصَّـدرِ
أذُنٌ تمجُّ الهُجْـرَ تسمعه ... ولسانُ صِـدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أبَى ... فى الضيم أن يُعزَى الى صَبْرِ
ومـودّةٌ كَمَلتْ فعـوَّرها[9] ... نَبَذٌ من الإعراض والهَجْرِ
عتْبٌ تخلّص فى تراجمـه ... من عثرة الفحشاءِ والهُجْـرِ
لم يحترِش[10] ضَغَنًا ولا حُنيتْ ... عُوجُ الضلوعِ له على غِمـرِ
مَـدَّ الوشاةُ له رقابَهُـمُ ... يتطلعون عواقبَ المكرِ

(١) فى الأصل "العذر" . (٢) فى الأصل "يستطيل" . (٣) يستذرى : يستظل و يلتجى .
(٤) فى الأصل "كانت تسل" . (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح . (٦) العهدة : الرجعة الى الإصلاح . (٧) حرِشت : خشنت . (٨) الحرجُ : الضيق و فى الأصل "تجرّحا" .
(٩) عوّرها : جعل بها عوارا . (١٠) لم يحترش : لم يجمّع ، وفى الأصل "تحترس" .

يرمون بالأبصار رائــــدةً أنَّى تَصُــوبُ سحابةُ الشرِّ
ظنّوا اليــدَ اليمنَى اذا بطشتْ قعــدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران و إن هما آختلفا فالشمسُ لا تُرتاب بالبــدرِ
يا خاب سعيُ مرقَّشين[1] مشَوا بالغشّ بين الماء والخمرِ
ومسوِّلين نفوسَهم حسدا أن القِطارَ تُظَنُّ كالبحــرِ
خبطوا من التمــويه فى ظُلَمٍ أســفرن عن مُستَبْهَمٍ وعرِ
لا يســتقرُّ به الدليــلُ على قصٍّ ولا يحنــو على السَّفْرِ
قــد عانقوا فيــه رحالَهمُ من قائفٍ أثَرًا ومســتقرِى[2]
يَغلى الهجيرُ بهم اذا آنغمسوا فى الآل غلْىَ الماءِ فى القِــدرِ
نجواهُمُ فيــه اذا آشتوروا : ياليتَ لم نركبْ من ظَهْرِ
قد طَأمنَتْ فقعوا لها وضَعوا الـ ـجَبهات موجةَ ذلك العِــبْرِ ١٥٨
وأفاقت الأيّام وآعترفت بمكانِ جهلتها على السُّكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَــدَفٍ[3] هاوٍ على ممطــولةِ القــعرِ
ملساءَ لا تجد الاكفُّ بها عَلقًا[4] بأنملــةٍ ولا ظُفْــرِ
عَضُّوا[5] الحصا إن لان من كمَدٍ لضروسكم وآمشُوا على الجمــرِ
الله أحسنُ للعــلا نظــرا وأبرُّ بالمعــروفِ والــبرِّ
وأشــدُّ ضَنًّا[6] بالمحاسن أن يُقوِينَ من عيْنٍ ومن أثْرِ[7]
أو أن تُعطَّلَ[8] بالذى زعمــوا سُنَنُ الهــدَى ومواسمُ الشكرِ

(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل ”صدق“ . (٤) العلق : مصدر بمعنى التعلق . (٥) فى الأصل : ”غضّوا“ . (٦) فى الأصل ”صبا“ . (٧) يريد ”أثَر“ وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل ”تعطى“ .

والمُلكُ يعلم أيَّ (١) سيفٍ وغًى يَمضى وسهمٍ رميَّـةً يَبرى
وترى الرجالَ وفوتَ (٢) بينِهِـمُ مثلَ البِهامِ (٣) تُقاسُ بالغُـرِ (٤)
فيُعَدُّ للجُلَّى أتمُّهـمُ باعا وأحفظُهم قُـوَى أَسْرِ (٥)
وأخفُّهم فى صدرِ موكبه سَرْجا وأثقلُهم على الصـدرِ
ورأوا ظلامَ الأمرِ منذُ خبا عنهـم سراجُ النُّهى والأمرِ
قبضوا الذراعَ الرَّحبَ وآعتقدوا أنّ السماءَ تُقاسُ بالفِـترِ
وآستصغروا عفوَ اللبيبِ فما آستغنوا بجهـلِ الغافلِ الغَـمْرِ
حتى اذا أبَتْ (٦) حلومُهُـمُ فرًّا طليعـةَ رأيِهـم تَسرى ،
عادوا وقـد خَفَّ البُغاثُ بهم يستطعمون مخالبَ النَّسرِ
فاقبلْ عِثارَهُمُ فإنهُـمُ رجعوا اليك رجـوعَ مضْطَرِّ
وآحملْ - كما عوَّدتَ - ثقلَهُمُ وآنهض لهم بالنفعِ والضَّرِّ
وأعِـدْ مناكبَهم كما أَلِفتْ بك من ثيابِ العزّ والفخـرِ
وتمـلَّ ما أُلبِستَ من نِعَمٍ تكسو الزمانَ بها ولا تعرى
هذى ثمارُ الحلمِ مُجْلَبَـةٌ (٧) فتهنَّها ونتيجـةُ الصَّـبْرِ
وعواقبُ الحسنى ، وواحدةُ الـ حسناتِ عنـد الله بالعَشْرِ (٨)
قد كايلوك بقـدرِ وُسعِهِمُ من رفعِ منزلةٍ ومن قـدرِ
فآقنع ولا تُخجلْ مكارمَهـم بظـلالِ عالٍ مالُهُ يَجْـرِى (٩)
ومتى ترِمْ ما تستحقُّ فقـد كلَّفتَهُمْ ما ليس فى الدَّهرِ

(١) فى الأصل " أن " . (٢) فى الأصل " وفوت " . (٣) البهام : السود .
(٤) الغرّ جمع أغرّ أو غرّاء ، وفى الأصـل " العر " . (٥) الأسر : شـدّة الخلق .
(٦) أبّت : تهيأت للسير وتجهزت ، وفى الأصل " أنت " . (٧) مجلبة : مجموعة . (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) . (٩) فى الأصل " تجرى " .

شمخت بأنفك عزة قعست[(١)] أن تستقاد بمخطم القسر[(٢)]
صمّاء من "عبد الرحيم" لها عرق يمدّ إلى "منوجهر"[(٣)]
درج القرون وبيت مفخرها على العماد مخلّد الذكر
طابت أحاديث[(٤)] الملوك ولا كالعرف من آبائك الغرّ
الناضلين بكل صائبة في الرأى ضافية[(٥)] على النفر[(٦)]
سيّارة فى الأرض سنّتها بالعدل سير[(٧)] الأنجم الزهر
والباسطين لمنع جانبهم بوعا تطول على القنا السمر
واذا الكماة دعوا فصدّهم حين يغالط عنه بالوفر
شدّوا الفجاج الى صريخهم[(٨)] يتكاثرون تكاثر القطر
لهم الجفان البيض ضاحكة تحت الليالى الكلّح الغبر
يتنازعون على الحديث، بها يقوى مقالهم على المثرى
كرماء معترفون إن طرقت أمّ السنين بحادث نكر
صبروا على البؤسى تعمّهم فكأنهم أثروا من الفقر
أنشرتهم بعد الدثور كما ولدوك بعد الطىّ والنشر
بك أورقت للمجد دوحته واهتزّ فى أفنانه الخضر
وأضاء للأقوال مسلكها فمضى النجاح بركبها يسرى
حلف السماح عليك: لا وصل الأسباب بين يديك بالوفر

(١) قعست : علت وعزّت . (٢) المخطم : حبل يقتاد به البعير ويثنى على خطمه أى أنفه .
(٣) منوجهر : أحد ملوك الفرس . (٤) فى الأصل "أحادث" . (٥) ضافية : سابغة تقوم مقام الدرع ، وفى الأصل "صافية" . (٦) النفر : القوم ينفرون معك ويتنافرون فى القتال . (٧) فى الأصل "بالعدّ" . (٨) فى الأصل "ضريحهم" .

ومن العجائب أن تطيعَك فى … قَبْضٍ(١) يدٌ هى جدولٌ يجرى

أنا ذلك المـولى المقيمُ على … صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ

محفوظةٌ عنـدى ودائعُكم … فى الودّ حفظَ نفائسِ الذخرِ

خَـلَّى الأقاربُ عنكمُ ويدى … معصومةٌ بكُمُ الى الحشـرِ (١٥٩)

لا نبـوةُ الدنيـا تغـيِّرنى … عنكم ولا متغـيِّرُ الأمرِ

ناديكُمُ ظِـلِّى ودولتُـكم … عِزِّى وعمرُ سعودِكم عمـرى

جاهرتُ فيكم بالعـداوةِ مَنْ … تُخشَى العـداوةُ منه فى السِّرِّ

ولقيتُ قـوما دونكم كرهوا … أيّامَكم بقـواصمِ الظهـرِ

كم قـولةٍ جرَّعتُ قائلَهـا … غُصصا بتكذيبٍ له مُرِّ

وحملتُ أخرى خفتُ صاحبَها … أطوى الجناحَ له على الكَسْرِ

حتى تَسرَّى الخطبُ وانفرجتْ … كُرَبُ الدُّجى بتبلُّجِ الفجـرِ

فالانَ يانفسى لهـا انفسحى … جذَلا وياعينى لهـا قَـرِّى

وانهض بجهدكَ يالسانِىَ فى الـ … ـبُشرَى لهـا وتَصَفَّ يافكرى

وابعث ضوارعَ(٢) عنك نائبـةً … إن أحرجتْك عـوائقُ الدهرِ

ولّاجةً، تطأ الصـدورَ بهـا … كَلِـمٌ توسِّعُ ضيقَ العُـذرِ

نفّـاثةَ العُقَـداتِ تحسبُهـا … هبطتْ الى "هاروتَ" بالسحرِ

وكأنمـا نَفَضَ التِّجارُ بهـا … بين البيوت حقائبَ العِطـرِ

يَشْقَى بهـا المتحرِّشـون(٣) كما … تَشقَى يدُ المشتارِ(٤) بالدَّبْـرِ(٥)

فاستقبلوا غُرَرا مُوحَّـدةً … سيقتْ لكم من واحدِ العصرِ

---

(١) فى الأصل " قص " . (٢) ضوارع : مبتهلات ، وفى الأصـل " صوادع " .

(٣) المتحرشون : المتعرضون ، وقد وردت هـذه الكلمة فى الأصـل هكذا " المحوسون " .

(٤) المشتار : جانى العسل . (٥) الدبر : جماعة النحل .

وتمسّكوا منى بجوهرة الـ ـغوّاص وٱحموا معـدن التبر
وٱقضوا نذورَ الشّعر فى فقـد قَضّيْتُ فيكم شاكرا نَذْرى

✦
✦ ✦

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفِعَتْ من "شِرافِ" الخدور فصبرَك إن قلتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَـلُّ القتيـ ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصِرا فاستقِـدْ بثأرك والعيسُ عَجْلَى تسيرُ
وإلّا فلِنْ جانبا للفـراقِ فما كنتَ أوّلَ جَلْدٍ يخورُ
ألا تُسعـدانى بعينيْكما وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظِىَ بين ٱثنتين : هوًى منجدٍ وخليط يغـورُ
ترى العيـنُ ما لا يراه الفؤادُ فيقصِـدُ قلبى وطرفى يجورُ[1]
وقفتُ وقـد فاتنى بالحُمـو لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصيرُ
عنيفٌ اذا ساقَ لم يلتفتْ لساقٍ تَطيحُ ومُخٍّ يَريرُ[2]
كفاه مع العيس حسنَ النشاط حنينىَ فى إثرها والزفيرُ
ولما تعيّفتُ فاستعجمت مَيامنُ كانت بخيرٍ تطيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى اليَقيـنَ إلى أىّ شِقّ طريقَ أصيرُ[3]
تَنَبّـهَ، من هاجعاتِ الرياحِ فـدلّ عليكم، نَسيمٌ عطيرُ
وخاطَفَ عينىَ برقٌ تُشا مُ فى حافتَيْه الطُّلَى والنحورُ
وفى الظُّعْنِ مشتبِهاتُ الجما لِ تَشَقَ بأعجازهنّ الصدورُ[4]

(١) فى الأصل "يحور" . (٢) يرير : يذوب . (٣) فى الأصل "إلى" .
(٤) فى الأصل "مشبهات" والبيت بها لا يتزن .

حملنَ الى قتلنا فى الجفون   سيوفا حمائلهن الشعورُ
وقُلّدنَ دُرًّا تحدَّيْنَ عنه   كأنّ قلائدهنّ النحورُ
بكيتُ دمًا يوم "سفح الغويرِ"   وذاك لهم ـ وهو جهدى ـ يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما   ءِ من مقلتى وفؤادى العقيرُ
وليلٍ تعلّقَ فيه الصباحُ   فما يستَسِرُّ وما يستنيرُ
يعود بأوّلِ نصفيْه لى   اذا قلتُ : كاد وجاء الأخيرُ
كأنّ سنا الفجر حيرانَ فيه   أعمَى تقاعدَ عنه بصيرُ
نسيرُ به ونحطُّ الركابَ(١)   وغيهبُه جانح لا يسيرُ
كأنّ الثريّا على جنحه   يدى من مَقام الهوى تستجيرُ(٢)
سريتُ أشاورُ فيه النجومَ   ومالِىَ بالصبح فيها بشيرُ
إلى حاجةٍ فى العلا همّتى   إليها تطول وحظّى قصيرُ
وهل ينفعُ الرمحَ ، ما لم يُنَطْ   بكفٍّ تُطاعِنُ ، نصلٌ طريرُ ١٦٠
عَذيرِىَ من وجه دهرِى الوَقاحِ   وأين من المتجنِّى عَذيرُ
ومن غَدرِ(٣) أيامه العادياتِ   على ما أذمّتْ عليه تُغيرُ(٤)
ألم يكفِها أنّ غصنَ الصِّبا   ذوَى وآستردَّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظرتْ حسَنا لم تَمِلْ   علىَّ ومالِىَ فيها نظيرُ
ومولًى اذا أنا قلتُ : آحتكم   تفاحشَ يحيسنى(٥) أو يجورُ(٦)
رمانى وقال : آحترِسْ من سواىَ   ليشعَبَ قلبىَ منه الفُطورُ

---

(١) فى الأصل " يسير به ويحطّ الركاب " . (٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعيذا من الحبّ . (٣) فى الأصل "تذر" . (٤) فى الأصل " تعير" . (٥) فى الأصل يحسنى . (٦) فى الأصل "يحور" .

ألم يأتــه أنــه لا يُحَس[1] غَورى ولا يَطَّبينى الغـؤور[2]
وأن حِمى "هِبــةِ الله" نى من الضيم لو رام ضيمى مجير
ومن يعتصمْ بمعالى "أبى الـ ـمعالى" يبتْ كوكبا لا يغور
يبتْ للغـزالةِ من دونه ذراعٌ قصـيرٌ وطرفٌ حسير
حمَى سَرحَ سـؤدَدِه أن يرا عَ أشوسُ دون حِماه هصور
وقام بنُصـرة إحسانه فتًى لا يُخَـذَّلُ وهو النصير
طليقُ المحيا اذا ياسـروه وجَهمٌ اذا حاربوه عسير
له خُلُقـانِ من المـاء ذا كَ ملحٌ وهذا فُـراتٌ نمير
وطعانٍ إن طَمِعَ الحلوفيـ ـه قام يدافعُ عنــه المرير
اذا انتُهكتْ للعــلا حُرمةٌ تمَّـرَ منــه أبيٌّ غيـور
وإن جئتَ محتلبا كفَّــه سق من أوامك ضرعٌ دَرور
وفَى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ[3] ولم تتعاقبْ عليــه العصور
ورُشِّح عاتقُــه للنِّجاد ولم تُـلقَ أخزازُه والسيور
حمولٌ قـويمُ قناةِ الفَقـارِ[4] اذا ركعتْ للخطوبِ الظهور
رحيبُ الأضالِـع ثبْتٌ اذا تنفَّس من ضِيقهن الضَّجور
غـنىٌّ بأولِ آرائــه اذا ما آستبـدَّ فما يستشير
سمـاتُ آبنِ عشرين فى وجهه وفى حلمـه عشَراتٌ كثير
كريمٌ تفـرَّعَ من أكرمينَ كَوْرُ[5] نجارِهم لا يحور[6]

(١) فى الأصل "يحس". (٢) الغؤور: الدخول فى الشئ. (٣) لدن القضيب: كناية عن غضارته وصغر سنه. (٤) قناة الفقار: كناية عن العمود الفقرى. (٥) الكَور: الزيادة.
(٦) لا يحور: لا ينقص، ومنه الحديث "نعوذ بالله من الحَور بعد الكَور"، وفى الأصل "لا يخور".

وسومهم فى جباه الدهـــو ر بالعـــزّ تبقَ وتفنى الدهورُ
اذا مات منهـــم فتًى فابنُـــه حياةٌ لسؤدده أو نشـــورُ
بَنى البيتَ لا ترتقى الفاحشاتُ اليـهِ ولو حملتها النّســورُ
رفيعُ العمادِ تـــرى بيتَـــه مكانَ ٱبتنى منكبيْــه "ثَبيرُ"(١)
تَزَلَّقُ عنـــه لحـاظُ العيونِ فترجعُ عن أفقِــهِ وهْى زُورُ(٢)
ولو لم يكنْ فى العلوّ السماءَ لما طلَعتْ منه هذى البدورُ
لنـــيرانهـــم فى مُتونِ اليَفاعِ لحاظٌ الى طارق الليل صُورُ(٣)
مواقـــدُ تُضرَمُ بالمنـــدلىّ(٤) وتُنحـرُ من حولهنّ البُـــدورُ
عُلًا شادَها مجدُ "عبد الرحيم" على خُطّةٍ خطّها "أرْدَشِيرُ"
فروعٌ لهـــمْ قَــلَمُ المُلك من أصولٍ لهـــم تاجُهُ والسريرُ
فـــداكم شقىٌّ بنُعماكُمُ تلَمَّ عجْـــزا وأنتم سُــفورُ
له حين يبطُشُ باعٌ أشـــلُّ من دونكم وجَناحٌ كسيرُ
ضعيفُ جناحِ الحشا بائحُ اللّسان بما ضمّ منه الضمــيرُ
يغيض بأذرعكم فـِـتُره وكيف ينالُ الطويلَ القصيرُ
تدورُ عليـــه رَحى غيظــهِ بكم وعليكم تدورُ الأمـــورُ
على صـــدره حسَدٌ أن غَدَتْ بأوجهكم(٥) تستنيرُ الصـــدورُ
لكم كلّ يـــومٍ بما ساءه بشـــيرٌ ومنكم اليـــه نذيرُ

---

(١) ثبير : اسم جبل ، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف . (٢) زور : جمع زوراء وهى المائلة فى عوج وفى الأصل "صور" . (٣) صور ، مائلات . (٤) المندلى : العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهند . (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فللسيف والسَّرج منكم فتًى أمـيرٌ وللدَّست منكم وزيرُ
وليس له غـيرَ عضّ البنان وذمّ الزمان عليكم ظهـيرُ
بكم وضَحتْ سبُل المكرُمات وبات سراجُ الأمانى ينُـيرُ
ومالتْ الىَّ رقابُ المـديـ ـحِ تُصحِبُ[1] وهى عَواصٍ نُفُورُ[2]
وكان جبانا لسانُ السـؤالِ فأصبح وهو جرىءٌ جسـورُ
ملكتم نواصِىَ هـذا الكلام فليس بهنَّ سواكم يطـورُ[3]
لذاك وأنتم فحُـولُ الرجا ل يهواكمُ الشعرُ والشعر زِيرُ[4]
وهَبْتُ لسانى وقلبى لكم فيوما ودادٌ ويوما شُكـورُ
وأصبحتُ منكم فمن رامنى سـواكم فذاك مَرامٌ عسـيرُ
لك الخيرُ، إنى فتًى منك شِمْتُ نداك فأسـبَلَ نـوءٌ غزيرُ
وجوهرة، لم تـلِدْ مثلَها على طول غوصِىَ فيها البحورُ
وربَّ ندًى لك مسـتملَحٍ صغيرُك عنـدِىَ فيه كبيرُ
يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ رضاى وغيرُك عنـه صبورُ
لئن قمتَ فيـه بشرط الوفاء على فَـوْرةٍ لم يعقها فتـورُ،
فما كان أولَ ما يعجزو ن عنـه وأنت عليـه قديرُ
وكم أملٍ لى حَصيصٍ[5] وثقتُ بأنّ جناحك فيـه يطـيرُ
وعنـدِىَ من أمّهات الجزاءِ وَلودٌ وأمُّ القـوافى نَزورُ
تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ بحقٍّ من المـدح ما فيـه زُورُ

---

(١) تصحب : تذلّ وتنقاد . (٢) فى الأصل "عراض" . (٣) يطور : يحيط .
(٤) الزير : الرجل الغزِل الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٥) الحصيص : القليل الشعر، وفى الأصل "حضيض" .

أوانسُ، جودُك من كفئها إذا أبرزتْها اليك الخدورُ
وأمدحُ قوما ولكننى اليك بما قلتُ فيهم أشيرُ

✦ ✦ ✦

وكتب اليه فى النيروز

لِمَنِ الطُلولُ تراقصتْ(١) نَجْوى حشاكَ قِفارُها!
قفرٌ نبا بك ودُّها وتعلّقتك ديارُها
إن كنتَ أعينَها عدمـ ـتَ فهذه آثارُها
دِمَنٌ كمسحبة الأزِ ـمّة مُسْحَلا إمرارُها
ماتت حقائقُها وخُـ ـلِّدَ زُورها ومُعارُها
وٱمتدَّ ليلُ السافيا تِ يجوُها ونهارُها
عندى لها إن أجدبتْ وَكّافةٌ تمتارُها
أُنِستْ بإسبال الدمو عِ كأنها أشفارُها
ونعم بكيت، فهل تبـ ـلُّك سائلا أخبارُها؟
واهًا لها من حاجةٍ لو قُضِّيتْ أوطارُها
يا دارُ تُرْبُكِ والعبيـ ـرُ وأضلعى وأُوارُها
حفظا "برملة" إن ألـ ـطَّ(٢) بذمةٍ غدّارُها
لا ضاع ما بنى وبيـ ـنك عهدُها وذمارُها
خانَتِ الليالى من بدو رِكِ تِمُّها وسِرارُها
حتى كأنْ معيشةً لم يحلُ فيكِ مرارُها
ومآربا بربابكِ ما ٱسـ ـترختْ لنا أستارُها

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبينُ طللا ويُخفِى آخرَ وهو من قولهم : ترقّصت المفازة أى ٱرتفعت وٱنخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألطّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ ـك كِناسُها وصُوارُها (١)
ومسائحُ (٢) الأيام بقـ ـلٌ أخضرٌ وعِـذارها
وجهيرة فى الحسن تُكـ ـتَمُ فى الهـوى أسرارُها
كثرت ضرائرها وقـ ـلَّ (٣) بذلك آسـتضرارُها
بلهاء يَرتبِـطُ الحليـ ـمَ من الرجال إسارُها
خبثت أحاديث الوشا ةِ بهـا وطاب إزارُها
خُلِقَتْ معطَّـرةً تَجُـ ـيِّبَ كاسـدا عطّارُها
وتَذَكَّرَتْ ألفاظُها فثَنَى اللثامَ خمـارُها
يا صاحبي، والعينُ تغـ ـنَمُ أو يُظَنَّ عُرارُها (٤)
والليـلة الطولى يُحَـ وَّضُ بالجفون غمـارُها
طرقَتْ "زميلةُ" تجتلى ظلَمَ "اللِّوى" أنوارُها
وعلى الرحال مُمَلْمَـلو نَ (٥) وسادُهم أكوارُها
فى ليلهٍ لم يَنْثُ (٦) غـ ـيرَ حديثها سُمّارُها
عجبا لهـا نفِضتْ إلـ ـىَّ سحيقـةً (٧) أقطارُها
"بالغوطتين" جبالُهـا و"ببطن وجرةَ" دارُها
باتت تعاطيـنى "بنحـ ـلةَ (٨)" نخـلةٌ أشتارَها (٩)

(١) الصوار : القطيع من البقر. (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدغين الى الجبهة، وفى الأصـل "مسايح". (٣) فى الأصـل "كبرَتْ" وهو تحريف يعينه قوله "قلَّ". (٤) العُرار : الإثم والجناية. (٥) مملمون : متقلبون. (٦) ينثُ : يذيع، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة عب غير * الخ (٧) فى الأصل "سحيقة".

(٨) نخلة : اسم قرية بينها و بين بعلبك ثلاثة أميال، وفيها يقول المتنبي

ما مقامى بدار "نخلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود

(٩) أشتارها : أجنيها وفى الأصل "أستارها".

وتبسّمت عن برقـــة   عسلُ الرُّضابِ قِطارُها
جمـــدَ الحيـــا بَرَدًا بها(١)   وجرتْ يذوبُ عُقارُها
لم يألُ ناظمُ عِقـــدِها   نَصحا ولا تَجّارُها
طرقتْ بسهلٍ والمسـا   لكُ صـــعبةٌ أخطارُها
حَلَبَ البكيّـــةِ ثم جَـــ   ـدّ من الصباحِ نِفارُها
فاذا يدى لم تعتـــلِقْ   بســوى المنَى أظفارُها
ولقـــد رفعتُ طلائحا   جُرْدُ(٢) البطون قِصارُها
ضاقت مباركها وجا   لت فوقَها أســتارُها
"نجدا" تُغرّبُ، والهوَى   "بمحجّــرٍ" أقمارُها
وعلى الربيئـــة أشعثٌ   سَدٌّ عليـــه غُبـارُها
ذو شَمْـلةٍ سَمَـلٍ(٣) يُخا   لُطُ جـــلدَهُ أطمارُها ١٦٣
طابتْ [له](٤) صحراءُ "صا   رةَ(٥)" أثلُهـــا وعرارُها
يرعى قلائصَ تُنتـــقَى   وحصى(٦) "الأُبيرِقِ" دارُها
إن ما طلبتـــه بغُزْرِها(٧)   نهضت بهِ أعيارُها(٨)
نظـــر الربيعَ بجُهّـــدٍ   لبقـــوله(٩) أوتـارُهـا
يا راعىَ البَكَـراتِ(١٠) ما   "نجدٌ" وما أخبـارُها؟
أوقِدْ بذى السَّمُراتِ(١١) لى   فقـــد آستغمَّ مَنارُها

---

(١) فى الأصل "بردائها" وهو تحريف .   (٢) فى الأصل "حرر" .   (٣) سمل : بالية .
(٤) ليست موجودة بالأصل ويقتضيها المعنى والوزن .   (٥) صارة : اسم جبل فى ديار بنى أسد .
(٦) فى الأصـــل "حصى" بغير واو .   (٧) الغزر : النياق ذوات الدَّر .   (٨) أعيار جمع عَيْر وهو الحمار .   (٩) بالأصل "لبعوله" .   (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل .
(١١) ذى السمرات : ناحية من نواحى العقيق . والسَّمُرلغة : العضاه .

ولو أنها بضلوعيَ الـ   ـعوجاءِ تُذكَى نارُها
إن ينتقِضْ كرُّ الخطو   بِ قُواى وٱستمرارُها،
ويردّنى نقدُ العيو   نِ تصادفتْ أبصارُها،
وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ   ـبِ مفارقى أعذارُها، (١)
فلربَّ نَضرةِ عيشةٍ (٢)   لى صفوُها ونُضارُها
وعَزيبةٍ (٣) من لذّةٍ   راحتْ علىَّ عِشارُها
وقضيّةٍ فى الحبّ لم   يُملَلْ علىَّ خِيارُها
وصقيلةِ الأنيابِ (٤) تُشْـ   ـرَبُ حُلوةً أسآرُها
تقع الأمانى دونَ ما   تَثنى بهِ أسحارُها (٥)
بانت (٦) وذكرِى طيِّبًا   دونَ الفراشِ شِعارُها
عرّجتُ عنها مُعرِضا   وقد آستقام مَزارُها
وسلافةٍ كدمِ الغزا   لِ تُخال مِسكًا فارُها
ممّا أعانَ عليه "طِيـ   ـبةَ بابلٍ" أنهارُها
غالَى بها السابونَ وٱفـ   ـتقدَ (٧) البُدورَ (٨) تِجارُها
فى بيتِ نَصرانيّةٍ   باسم "المسيح" عِيارُها (٩)

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوبى بيدى بشيـ ـب مفارق أعذارها

(٢) فى الأصل "نظارة". (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة". (٤) فى الأصل "الأنبات". (٥) أسحار جمع سَحْر وهو الرئة ويراد بها الصدر. (٦) فى الأصل "بانت". (٧) فى الأصل "واقتعد". (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسع عشرة آلاف درهم. (٩) العيار: ما جُعل نظاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدَّر، وفى الأصل "عبار".

وَكَتِ[1] القِرافَ[2] بحجرِها وو كاؤُها زُنَّارُها
ما كستْ كفَّ مديرِها وعلى هواى مَــدارُها
لما حلتْ رشفاتُهــا لم تحــلُ لى أوزارُها
وســواىَ واثِبُ[3] لذةٍ تفــنَى ويبــقَ عارُها
ما للرجال تروم أشـ ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[4] رُسُغَ جيادها وتَــوءُ بى[5] أعيارُها
سل ناخسا إبلى بأ ىّ تدنَّس عَــوارُها
وحِمى بنى "عبد الرحيـ ـم" يحوطُها وجِوارُها
فاذا ذراهم بُزْلُهــا مرحــولة وبِكارُها
أهوِنْ بباغى ضيمِها[6] يوما وهــم أنصارُها
والهضــبةُ الملســاءُ تمـ ـنعُ أن يداس خَبارُها[7]
والدوحــةُ العينــاءُ[8] تحـ ـلو للجُناة ثِمــارُهــا
ما بات يُفقِرها الندَى إلا "وَتْمٌ"[9] يَســارُهــا
لولا تُــقَ سُــؤَّالهــا لأُستُهوِنَتْ أعمــارُها
حلمــاء والكلمُ القــوا ذِعُ[10] مُغضِبٌ عــوّارُها

---

(١) وكت كأوكت بمعنى شــدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصــل هكذا "رب". (٢) فى الأصل " الفراق " ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا " القراف " وهى أوعية من جلود واحدها قَرْفٌ و إلا " الغراف " وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنًى لا بأس به فى السياق . (٣) فى الأصل " وأبث " .

(٤) فى الأصل " أخفيت " . (٥) فى الأصل هكذا "ولوى" . (٦) فى الأصل "ضمها" .

(٧) الخبار : ما لان من الأرض . (٨) العيناء : الخضراء . (٩) فى الأصل "وتم" .

(١٠) القواذع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومغامرون إذا الكما ةُ تواكلتْ أغمارُها
عُرْبُ[1] الأكفِّ نمتهمُ من "فارس" أحرارُها
سالت أناملهم وشا لت[2] أنفسٌ ونجارُها
فحكاك[3] آفاقُ المعا لى منهمُ وبحارُها
طاروا بمجدهمُ وقد قصر بالنجوم مطارُها
ركبَ الصعابَ من ابنهم ركّاضُها مِغوارُها
وحمى حقيقةَ مجدهم سَلِسُ القناةِ ممارُها[4]
لاتستباحُ مصونةٌ "وأبو المعالى" جارُها
يقظانُ أسهرَه اذا ذَكَرَ العيوبَ حِذارُها
قلقُ العزيمةِ إن حمى[5] صِغَرَ النفوسِ قرارُها
حمّالُ ألويةِ السيا دةِ ثبّتها صَبّارُها
سبقَ الكهولَ وسِنُّه ما استُدْرِعتْ أشبارُها[6]
وجرى فقدَّمه على أقرانه إقرارُها
عجبوا — وقد لفَّ الجيا دَ الى المدى مضمارُها —،
أنّ القوارحَ أُخّرتْ وتقدّمتْ أمهارُها
لا تعجبنَّ فإنّه امضى النصولِ طِرارُها!
أعلى الكواكبِ فى المنا زلِ والعيونِ صِغارُها
هى دوحةُ المجدِ التى لا يُخلِفُ استثمارُها

(١) فى الأصل "غرب" . (٢) شالت : ارتفعت ، وفى الأصل "سالت" .
(٣) فى الأصل "بخال" . (٤) الممار : المتردد فى المطعون . (٥) فى الأصل "حكى" .
(٦) فى الأصل "أستارها" .

غدت الرياسةُ مِعصما ... فيها وأنتَ سِـوارُها
هى خيرُ أهلِ زمانِهـا ... بيتـا وأنتَ خِيـارُها
إن السماء اذا سـرتْ ... معـدودةٌ أنوارُهـا
كثُرَتْ كواكبهـا ولـيـ ... ـس كثيرةً أقمـارُها (١)
بك عمّ وَدْقُ سحابِهـا ... جـودا وتمّ (٢) نخارُهـا
وتشبّثتْ (٣) غيظـا بأعـ ... ـناقِ العـداة شفارُها
قادحتِهـا (٤) بمحاسنٍ ... ما أصلدتْ (٥) أيسارُها (٦)
وخـلائقٍ مَلَكَ الهوى ... لك باقيـا سُحّارُهـا (٧)
شقّتْ قلوبَ الحاسدين وما يُشَـقُّ غُبارُهـا
كم من يدٍ لك كالغما ... م وكالسحابِ غِزارُها
تُرْوَى بهـا حالى ويُدْ ... رَكُ من زمانى ثارُها
وحصينةٍ من حسن رأ ... يك لا يُقَصُّ صِدارُها
تضـفُو علىَّ ذيولُهـا ... وتضـمُّنى أزرارُهـا
ولطيفـةٍ باتت وقـد ... حفَّى النـدى آثارُها
أعيتْ إصابتُهـا وإنْ ... لم يُعيِـنى إكثارُهـا
والأعطياتُ بمالُها الـ ... ـمشكورُ لا أقـدارُها ١٦٣
ففِداك مُعْطٍ يبذُلُ الـ ... ـنُّـ عمَى ولا يختارُهـا

(١) فى الأصل هكذا
كبرت كواكبها وليـــس كبيرة أقمارها
وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله . (٢) فى الأصل "تم" . (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وسدت عيظا" . (٤) فى الأصل "قادحتها" . (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" . (٦) الأيسار جمع ياسر أو يَسَر وهو السهلُ اللّيّن . (٧) فى الأصل "سخّارها" .

ووقتك ريبَ الدهرِ أيدِ عُرفُها إنكارُها
دينارُ جودكِ أو وداكَ لى ولا قِنطارُها
وآستأنفت لك عُونُها ما أسلفتْ أبكارُها
تطوِى البلاد ولم تَرِمْ(١) فقطينُها سُفَّارُها
من كلّ طائرةِ الشُّعاعِ اذا آستطار شَرارُها
تصلُ الكبيرَ ولا يخافُ ملالةً زُوَّارُها
عذراء يُخلَع فى هواكَ مع العفاف عِذارُها
فى أىّ بيتٍ شئتَ منها قلتَ : ذا سيَّارُها
سعتِ القوافى خلفَها وعنَا لها جبَّارُها
لو ما تقدّم عصرُها وتردّدتْ أدوارُها
ودّتْ فحولُ الجاهليّةِ أنّها أشعارُها
لو أُنصِفَتْ فوق الطُّروسِ لأُذهِبتْ(٢) أعشارُها
فى كلّ يومٍ هديّةٌ مستحسَنٌ تَكرارُها
يُروَى لكم بفم التهانئ صفوُها وخيارُها

✧

وقال فى غرض له

يالنوازِى كبدٍ هاجها "بالبان" من "خنساءَ" تَذكارُ
عاد لها من بعد إقلاعها دينٌ من الحبّ وإصرارُ
يا قوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيلٍ ما له ثارُ؟

(١) تَرِمْ : تفارق : (٢) لأُذهِبت : لذُهِّبت .

أرى دَمِي يقطُــرُ من أنمـلٍ شـفارُها مُؤُقٌ(١) وأشــفارُ(٢)
ظَبْيٌ رخيمٌ، لفظُــهُ ناسكٌ وطرفُــه الفــاتكُ عَيَّارُ(٣)
ضُعُفتُ تحت الغمز من عاجمٍ يَصرَعُ لُبِّي وهــو خَــوَّارُ
أصبحتُ عبـدا بٱختياري له "وفارسٌ" قومِي أحـرارُ
يا موتَ نفسي لك إنْ أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ
خوّفني بالنارِ في وصلهـا قــومٌ وفي هجـرانها النارُ

وكتب الى صـديق له من الكُتَّاب يشكره على موقفٍ وقفه في حاجةٍ له رضيَ سعيَه فيها، ويتألّم لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنّئه بالمهرجان

حيِّـا أوجُهًا على "السَّفح" غُرّا وقِبابا بِيضا ونُوقا حُمْـرا
ورماحا دون الحبائب يهــززْ نَ ويُحطِمنَ في الكتائبِ كسرا
وسراحينَ(٤) كالحصونِ جيـادا تملأُ الحُــزْمَ(٥) مُهرةً أو مُهْـرا
يتمارحنَ في الحبـالِ فينقضْ نَ فتيلًا(٦) منهـا ويقطعنَ شَزْرا(٧)
وقِرّى بعضُــه الوصالُ اذا أمْـ ـسى طما جَفنــةً وزمجرَ قِـدْرا
آهِ للشـــوقِ(٨) ما تأوّهتُ منــه لليـالِ "بالسفح" لو عُدْنَ أخرى
كنّ دُهمـا من الدآدي وقد كُنَّ بتلك الوجــوه دُرْعًا(٩) وقُمْــرا(١٠)

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلي الأنف. (٢) أشفار جمع شَفر وهو أصل منبت الشعر في حرف الجفن. (٣) العيّار: الذي يخلّي نفسه وهواها لا يروّعها ولا يزجرها. (٤) السراحين: الذئاب واحدها سرحان وتشبّه بها الخيل في سُرعة العدْو. (٥) الحُزم جمع حِزام. (٦) في الأصل "فينقصن". (٧) الشزر: فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله. (٨) في الأصل "الشوق": (٩) الدرع جمع الدرعاء وهي الليلة يطلع قمرها عند الصبح. (١٠) القمر جمع قمراء وهي الليلة المقمرة.

حيثُ لا تظفَــرُ الوشاةُ بأسرا … رِى اذا ما الصــباحُ أعلنَ سِرًّا

فاذا ما العــذولُ قال : عِقـابًا … فى ذنو بى، قال الصِّبا : بل غَفْرا

أجتنيهـا رَيْحـانةَ العيشِ خضرا … ءَ وتُمسى فيهـا المُــنَى لِىَ خُضْرا

يا مَغانِى "الحمى" سُقيتِ، وما ينـ … ـفعُنى الغيثُ أن يجــودَكِ قَفْرا

أىُّ عينٍ أصابتِ الدارَ؟ أقذَى … اللهُ بعــدى أجفانَهـا وأضرّا

عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ الـ … ـبِيضِ] وآعتاضتِ الظِّبـاءَ العُفْرا (١)

لا تراها تُطــيلُ بعد النوى غصـ … ـنًا ولا جــوُّها يُتمِّمُ بــدرا (٢)

غيرَ حُمٍّ (٣) من القطا جاثماتٍ … كنَّ جُونًا (٤) فعدنَ بالرَّهْجِ (٥) كُدْرا (٦)

وبقـايا مواقفٍ تصــفُ الجو … دَ أباديدَ (٧) فى يدِ الريحِ يُذْرَى (٨)

قَلِّبــوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا … فيــه قلبى إن لم تُصيبوا الجمــرا

ما لدهرى قضَى الفــراقَ عليها ! … عــذَّبَ اللهُ بالفــراقِ الدهرا

أُنظرا لى ــ وقبلُ كنت بصيرا ــ … يا خليلَىَّ بين "جو" و"بُصْرى" (٩)

أوميضٌ سَرَى فشقَّ قميصَ الـ … ـليلِ أم [ذاك] (١٠) طيفُ "سُعْدَى" تَسَرَّى ؟

زار وهْنا ــ لا يُصغِرِ اللهُ ممشا … هُ ــ وحَيَّـا فــزاده اللهُ بِرًّا

بشَّرتنى مقــدِّماتٌ بــه يحـ … ـملُ فيهـا ذيلُ النسيمِ العِطــرا

وآعتنقنا وليس همّى سوى مسـ … ـألةِ الليـلِ أن يُميتَ الفجرا

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

عريت من ظبائهـا الأُ نُـ ـس وآعتاضت الظباء العفرا

وقد آحتفظنا بمعناه حين آضطررنا الى آتزانه . (٢) فى الأصل "تذرا" . (٣) حم جمع حمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها غبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يذرى : يبدد، وفى الأصل "تذرا" . (٨) جو : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبراء، وفى الأصل "بين جو بصرى" .
(١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

زورة لم تكن بخط بنانى(١)   فى كتاب الآمال إلا سطرا
سرقتها لى الحظوظ "وخنسا   ء" آستلابا من الزمان وطرا(٢) (١٦٤)
وأبيها ما حفظها الدهر أنكر   تُ ولكن أنكرتُ بُعدَ المسرى
جشمتها الأشواقُ فى ساعةِ شُقّـ   ـةَ ما تخبطُ السحائبُ شهرا
فرحــةٌ طار لى غرابا بها اللير   ـلُ وطارت عنّى مع الصبح نسرا
ارتجعها يادهرُ لا زلتَ تسترْ   جِعُ لؤما(٣) ماكنتَ أعطيتَ نزْرا
وتعلَّمْ أنّى بمكرك لا أحـ   ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا
أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى   ثم صارت سجيّةً فاستمرّا
لا حمى اللهُ حازما غرّه منـ   ـك سرابٌ شعشعتَهُ فاغترّا(٤)
كُلّ بنابيك ملءَ جنبيك لحمى(٥)   وتخدَّلْ عنّى متى قلتُ : نصرا
قلَّ صبرى على آقتنائِىَ للمجـ   ـد وأمّا عنك الغداة فصبرا
أنت ذاك الذى أمتَّ شبابى   عَبطةً(٦) وهو ما تملَّى العمرا
ورددتَ العيونَ عنّى وقد كنـ   ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ(٧) خُزْرا(٨)
صار عهدنا تحتَ المراحل ينقا   دُ وقد كان عاصىَ النّبت شَعْرا
ومشيتَ الضَّراءَ(٩) كيدا لأحبا   بى فريعُوا فى الأرض شلَّا(١٠) ونَفْرا(١١)
صُدِعُوا مطرحَ الزُّجاجِ تشظَّى   وتداعَوْا عطَّ(١٢) الأديمِ(١٣) تفرّى(١٤)

(١) فى الأصل "يكن بخط" . (٢) الطرّ : السوق الشديد . (٣) فى الأصل "لوما" . (٤) فى الأصل "فاعتمرا" . (٥) فى الأصل "تمحى" . (٦) عَبطة : نحرا من غير علّة ، وفى الأصل "غبطة" . (٧) حائصات : حائدات ما ئلات ، وفى الأصل "خائضات" . (٨) خزرا جمع خزراء وهى العين بها صغر وضيق . (٩) الضراء : الأستخفاء ، من قولهم للرجل يختل صاحبه : هو يدب له الضَّراء ويمشى له الخَمَر . (١٠) الشلّ : الطرد ، وفى الأصل "سلّا" . (١١) النفر : النفور . (١٢) العطّ : الشقّ . (١٣) الأديم : الجلد . (١٤) تفرّى : انشقّ .

قَسمتْهم يــدُ الشتاتِ فشطرا للتنائى وللنـــوائبِ شطـــرا
فكأنَّ الأرضَ الخمولَ أبتْ أن يجِـــدوا(١) فوقهـا لرِجلٍ مَقَـــرَّا
خولسوا من يدِى غصونا رطيبا تٍ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أَقتضيهــم مطلَ الإيابِ وقـــد وفَّى الفـــراقُ الوشيكُ فيهـــم نَذْرا
صحِبَ اللهُ راكبين الى العـ زّ طريقًـا من المخافةِ وَعْرا
سمعـــوا هَتفةَ الخُمـــول فطاروا يأخذون الأرزاقَ بالسيف قهـــرا
شربوا الموتَ فى الكريهـــة حُلوًا خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرًّا
طَرحوا حاجَهـــم وراءَ متـــونِ الـ خيلِ ركضا والسمهريّةِ(٢) جَرّا(٣)
كلُّ عجـــلانَ خَطُّهُ لأخيـــه : العَـلاءَ العـــلاءَ إن كنتَ حُرَّا
يمـلا ون الحُبا جُلوسًـا فإن ثا روا ملأتَ الفضاءَ(٤) بِيضا وسُمرا
واذا آســتُصرخوا لعضّــةِ عامٍ ركبوا الجودَ يطـــردون الفقـــرا
لا يبالى الحيرانُ ما أَطلقوا الأيـ ـمانَ(٥) أن تُمسكَ السماءُ القَطـــرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى يومَ أغزو الملوكُ من آلِ "كسرى"
غادرونى فـــردا ومرُّوا مع الأ يـ ـامِ ، والحظُّ بعدَهم أن أمُرَّا
أتشكَّى القــذَى بمقـلةِ حيرا نَ عليهـــم الى ضـــلوعٍ حَرَّى
ليتَ شِعرى بمــن أُعوِّضُ عنكم يومَ آبى ضيمـا وأدفعُ عُســـرا ؟
فسـدَ الناسُ بعدكم فآستوى فى الـ عيش مَن سرَّنى نفاقا وضَرَّا
ونجا بى ـ ما شئتُ ـ يأسِىَ منهم ، نال خيرا من ظنَّ بالنـاس شرَّا
وبلى! قـــد أنادنى الدهرُ خِلًّا لَمَّ شَـعثِى وشَـدَّ منّىَ أزْرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهرية : الرماح . (٣) فى الأصل "حرا" .
(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطلقوا أيمان" .

واحـــدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأيـ ـام منــه حبــلَ الوفاءِ الُمَمرَّا[1]

ألمعيًّا رأى بعـــينِ ابنِ ليـــلٍ[2] خافيًا من محاسنى مستسِـــرّا[3]

فاقتنـانى تغنُّما وافــتراطا واستبـانى قـــولا لطيفـا وبِرَّا

وتحــرَّى تفضُّلا أن يرى الفضـ[4] ـلَ مضاعا، والحرُّ من يتحرَّى

صدَقَتْ فى "أبى طريفٍ" مياميـ ـنُ ظنونى وقـــد تعيَّفن زَجْرا

وتجلَّت غشاوةُ الدهرِ عن قلـ ـبى وفكَّتْ عنِّى الليالى الحَجْـــرا

وأتانى يتـــوبُ من ذنبـه الدهـ ـرُ احتشـاما له وكان مُصـــرَّا

ألحقَتْنى به غريبا من الآ مال قُــربَى تُعَـــدُّ صِنْوا وصِهرا

فتحـــنَّى لها ورقَّ عليها ورأى الدهرَ عقَّ فيها فبَـــرَّا

وصَـــلَ الـــودَّ لى بآخيَّة الجا[5] ـه فكانا عُجالةً[7] لى[6] وذُخْـــرا

وأتاه صـــوتى فنبَّـــه منـــه "عُمَرًا" حين نبَّهَ الناسُ "عَمْرا"

شيمةٌ منك يابن "باسلَ" فى السؤ دُدِ لم تُعتَسَــفْ عليها قَسرا

وعروقٌ زكَى ثراهنَّ فى المجـ ـدِ فأرعَى نبـاتُهن وأثــرى ١٦٥

طاب مَجْنـاكَ فاهتصرتُكَ وَرْدا لَـــيِّنَ الغصنِ واعتصرتُكَ خَمــرا

كان نصرى عليـك دَيْنا فما كنـ ـتَ بغــير القضاء منـــه لِتَبرا[8]

نَدبتْـــك العُـــلا له فتجـــرَّدْ تَ حســاما فيه وقمتَ هِزَبرا[9]

(١) الممر: الحبل المفتول فتلا شديدا. (٢) ابن ليل: تقوله العرب لصاحب الغارات والذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته، قال الراجز

ما ذا يريبنى الليل من أهواله ✻ انى أنا ابن الليل وابن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق.

(٣) مستسرا: متواريا. (٤) فى الأصل "يرى". (٥) الآخية: العروة ومن معانيها أيضا: الحرمة والذمة. (٦) يريد بهذه التثنية: الود والجاه. (٧) العجالة: ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز. (٨) يريد لتبرأ. (٩) الهزبر: الأسد.

مِـلَّةٌ في الـوفاء ضيَّعها النا ... سُ وأحييتَها سَناءً(١) ونخـرا(٢)
ولسانٌ في الحمـد كان عقيما ... قبـلُ أولدتَهُ ثناءً وشُكرا
فتأهَّبْ لوافـداتِ القـوافى ... يعتملنَ الدُّجى وما كُنَّ سَفْـرا
ضاربات في الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تـلقَ جانبا مغبَرَّا
حاملاتٍ لحُـرِّ عرضك من بحـ ... ـرِ ضميـرى ملءَ الحقائب دُرَّا
كلّ غراءَ تجتليها عـلى شر ... طك فى الحسن ثيّباً أو بِكرا
لم أكلّفك أن تسوقَ مع الرغـ ... ـبة فيها سوى المودة مَهـرا
وبحقٍّ لم ينشرح لك صدرى ... بـمديح حتى ملأتَ الصدرا
ورآكَ الشِّعرُ العـزيزُ على غيـ ... ـرك كُفئاً فـلانَ شيئا وقَـرَّا
كم عظيمٍ أبى عليـه وجبّا ... رٍ ثنَى عنـه جيـدَه وأمرّا
فتهنَّ انقيادَه لك واعـلمْ ... أىّ طِرْفٍ جعلتَهُ(٣) لك ظَهـرا
والبس المهـرجانَ حُـلّةَ عزٍّ ... لستَ من لُبسِها مدى الدهر تعرَى
طاعنا فى السـنين تطوى عليهـ ... ـنّ [طوالَ](٤) السنين عصرا فعصرا
واعلُ حتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهى وأنبـهَ ذِكرا

⁂

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبةِ الله بن علىّ بن ما كولا ذكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوُّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطِيحة، يتقلّدها وواسطَ حَرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغَور" ما شاء المطايا والمطـرْ ... بَقـلٌ تخـينٌ ونمـيرٌ منهمـرْ
وسـرحةٌ ضـاحكةٌ وبانةٌ ... غنَّى الربيعُ شأنَهـا قبـلَ السَّحَرْ

(١) السنا: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شنا". (٢) فى الأصل "بخرا". (٣) فى الأصل "جلعته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وآثرُ من ظاعنين أحمدوا ... من عيشهم على "الأُثيلات" الأَثَرْ
فَراخ من حبالها وخلّها ... تأخذُ من هذا اللُّبَاخ(١) وتَذَرْ
كم المنى تُرعَى لها وكم تُرَى ... يُمسك من أرماقها رجعُ الجِرَرْ(٢)
أمَا تُجَمّ(٣) لمساقطٍ لها ... يطرحُهنّ بالفلا طول السفرْ
اللهَ فيها(٤) إنها طُرْقُ العلا ... وعُدّةُ المرء لخيرٍ ولشرّْ
ظهورُها العزُّ وفى بطونها ... كنزٌ لليل الطارقين مدّخَرْ
نعم لقد طاولها مِطالُنا ... وحان أن يُعقِبَها الصبرُ الظفَرْ
"فالغورَ" يا راكبها(٥) "الغورَ" إذنْ ... إنْ صدق الرائدُ(٦) فى هذا الخبرْ
لسًّا(٧) وخضمًا(٨) أو يعودَ تامكا ... الغاربُ التامك(٩) والجنب المُعَرّْ
وإن حننتَ "للحمى" وروضه ... "فبالغضا" ماءٌ وروضاتٌ أُخَرْ(١٠)
هل "نجدُ" إلا منزلٌ مفارَقٌ ... ووطنٌ فى غيره يُقضى الوطَرْ
وحاجةٌ كامنةٌ بين الحشا ... والصدر إن ينبِضْ لها البرقُ تُثِرْ
يادِين قلبى من صَبًا نجديةٍ ... تجرى بأنفاس العِشاءِ والسَّحَرْ
اذا نَسيتُ أو تناسيتُ جَنَتْ ... علىَّ "بالغور" جناياتُ الذِّكَرْ

(١) اللباخ بضم أوله : شجر عظيم معروف باللبخ . (٢) الجرر جمع جِرّة وهى ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . (٣) تجم : تُترك ولا تُركب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى آتقوا الله فيها . (٥) فى الأصل " يا راكبنا " . (٦) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنه قولهم : " الرائد لا يكذب أهله " . (٧) اللّس ، أن تأخذ الدابة الكلأ بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . (٩) التامك الأولى : بمعنى الناقة العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هنا بمعنى الغائر أو الذاهب ، والجنب المعر : الذى أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذى ذهب سنامه لهزاله والذى أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) فى الأصل " أخر " .

آهِ لتلك الأوجهِ البيضِ على — "رامةَ" فى تلك القُبَيْباتِ الحُمُرْ
يسترو بجنىّ متى غنّى بها — قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سَكِرْ[١]
كنّا وكانت والليالى رطبةٌ — بوصلنا والدهرُ مقبولُ الغِيَرْ
أيّام لا تُدفع فى صدرى يدٌ — ولا يُطاع بى أميرٌ إن أمَرْ
وعاطفُ العيونِ لى وشافعى[٢] — ذنبى اليها اليومَ من هذا الشَّعَرْ
وَثَمّا رجعتُ مهملا غَفلاتِه — اذا البهامُ نَصَّعتهنّ[٣] الغُرَرْ
ما خيلَ[٤] لى أن الدرارى[٥] قبله — يُنكرها سارى الظلام المعتكِرْ
قالوا : تجمّلتْ[٦] بها غديرةٌ — مَردعةٌ عن الخنا ومُزدَجَرْ
١٦٦ رُدّوا سفاهى وخذوا وقارَها — بَيْعَ الرضا، وندما لمن خسِرْ
رحتُ بها بين البيوتِ أزوراً[٧] — مواريا شخصىَ من غيرِ خَفَرْ
أحملُ منها بقلةً ذاويةً — بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العُمُرْ
ياقَصُرتْ يدُ الزمان شدَّما — تطول فى ثَلْمى وفى نقضِ المِرَرْ[٨]
عَصًا شظايا ومشيبٌ عَنَتٌ — ومنزلٌ نابٍ وأحبابٌ غُدُرْ
وصاحبٌ كالداء إن أبديتُه — عَوَّرَ وهو قاتلٌ اذا أُسِرّ[٩]
أحملُه حَمْلَ الشَّغا[١٠] نقيصةً — وقِلّةً ما زاد أَلًّا[١١] وكثُرْ
يُبرزه النفاقُ لى فى حُلَّةٍ — حبيرةٍ من تحتها جِلدُ نَمِرْ

(١) فى الأصل "شكر" . (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ . (٣) نصّعتهن : جعلتهن نواصع ، وفى الأصل "تضعتهن" . (٤) فى الأصل "حيل" . (٥) فى الأصل "التشاكى" ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ ، وقد رجحنا كلمة "الدرارى" لأن الشاعر يريد تشبيه ما ابيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس ، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى . (٦) فى الأصل "تحملت" . (٧) الأزور : المائل ، وفى الأصل "أزوزا" . (٨) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٩) فى الأصل "سر" . (١٠) الشغا : الزيادة فى الأسنان . (١١) الألّ : صفاء وبريقا .

مبتسمٌ والشرُّ فى حِملاقِهِ ... خَفّ كيف شئت أرقها اذا كَثَرْ
لأنفضنَّ الناسَ عن ظهرى كما ... قَطَّرَ(١) بالراكبِ مجلوبٌ عُقَرْ
فَرْدًا شِعارى لا مساسَ بينهم ... منفرِدَ الليثِ وإن شئتَ القمرْ
نفسى حبيبى وأخى تقنّعى ... وربّما طرّقتِ الدنيا بحُجَرْ
إن يكُ يأسٌ فعسى غائبةٌ ... تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجرْ
قد بشّرتنى بكريم هَبّةٌ ... بمثلها ريحُ الجنوبِ لم تَثُرْ
تقول لى بصوتها الأعلى ضُحًى ... وبالنسيم فى الدُّجى الحلوِ العَطِرْ:
إنّ فتى "ميسانَ" دون داره ... [قد](٢) بَقِىَ المجدُ وحيدا وغَبَرْ
يعرفُ ما قد أنكر الناسُ من الـ ... ـفضل ويحيى فى العلا ما قد دَثَرْ
وأنه – جرى بخيرٍ ذكرُهُ – ... حتّى وقد عُرِّض باسمى وذُكِرْ
وعَلِقَتْ بقلبه ناشطةٌ ... مرّت عليه من بُنَيّاتِ الفِكَرْ(٣)
فمن هو الراكبُ ملساءَ القرا(٤) ... مُصْمَتَةَ الظهرِ ببطنٍ منقعرْ؟(٥)
رفّعَ ذُناباها وخفّضَ صدرَها ... مُشرِفةَ الحارِكِ(٦) وقصاءَ(٧) القصَرْ(٨)
تحدو بها أربعةٌ خاطفةٌ ... تُحمى عليها أربعٌ منها أُخَرْ(٩)
اذا المطايا خِفنَ إظماءَ السُّرى ... فربّها من شَرَقٍ على حَذَرْ
يعدُّ أبراجَ السماء عَنَقًا ... فى مثلها تصعُّدا ومنحدَرْ
يرفعُ عنها حدَبَ الموج اذا اسـ ... ـتنّتْ(١٠) صناعُ الرِّجْلِ(١١) فى خوضِ الغَمَرْ

(١) قطّر : ألقى ، وفى الأصل "فطر" . (٢) ليست بالأصل . (٣) بنيّات الفكر : الخواطر . (٤) القرا : الظهر . (٥) يشير بذلك الى السفينة . (٦) الحارك : أعلى الكاهل . (٧) الوقصاء : القصيرة وهو وصف خاص بالعنق . (٨) القصر : أصل العنق اذا غلظت . (٩) يشير بذلك الى المجاديف . (١٠) استنّت : اضطربت . (١١) صناع الرجل : الحاذق فى العمل برجله ويقابلها "صناع اليد" ، وفى الأصل "صناع الرخل" .

لو لم يلاطفها علـى آعتسافه ... بُخُدعةٍ من اللّيان لم تسِرْ:
إسـلمْ وسِرْ وليس إلا سالما ... مَن راح فى حاجةٍ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ "لأبى القاسم": يا أكرمَ مَنْ ... طُوِى اليـه دَرْجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخـيرَ من مُوطِلَ جفنٌ بكَرًى ... فى مدحـه فلم يضِعْ فيـه السَّهرْ
وآبنَ الذى قيل: إذا ولَّى عن الـدنيـا تولّتْ بعـده على الأثـرْ
وآستشرفَ الملوكُ من عطائه ... والخلفـاءُ ما آسـتعزَّ وآحتقـرْ
ومَنْ تكونُ "الكَرَجُ"(١) الدنيـا بأن ... أوطنَها "وعِجْـلٌ"(٢) ساداتُ البَشَرْ
لو لم يكن إلا "آبنُ عيسى"(٣) لكُمُ ... فخـرا كفى ملء لسان المفتخِرْ
ساقِى العـوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ ... وعاقرُ البُـدْنِ وعاقِرُ البِـدَرْ
ناصبتم الشمسَ بمجدٍ سيفه ... ودستُمُ بسـعيه حدَّ القمـرْ
وصارت الشمسُ تُسمّيكم بـه ... أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقّى سؤرةَ(٤) المجـد لكم ... ملآى(٥) اذا ما شرب النـاس السُّؤَرْ
لكرماءَ آلتقموا(٦) طريقـةً ... وألقوا بينهمُ تلك السِّـيَرْ
وشـغلوا مكانَهُ من بعـده ... كالشمس سدَّ جوّها الشُّهْبُ الزُّهُرْ

(١) الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممدّحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والغناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف * بين مغـزاه ومحتضره
فاذا ولّى أبو دلف * ولّت الدنيا على أثرِه

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله .

وآبن الذى قيل: اذا ولّى عن الـد*نيا تولت بعـده على الأثر.

(٢) عجل: اسم قبيلة . (٣) ابن عيسى: أبو دلف المارّ ذكره . (٤) السؤرة: البقية .
(٥) فى الأصل "ملى" . (٦) التقموا طريقه: نهجوا منهاجه .

زكيّةٌ طينتهم، حديدة ... شوكتهم، طاب حصاهم وكثر
لا يمشّون الضَّرّاءَ(١) غيلةً ... لجارهم ولا يدبّون الخَمَر(٢)
كلُّ غلامٍ ذاهبٌ بنفسه ... مع العَلاء إن بدا وإن حضر(٣)
إمّا زعيمُ فيلقٍ يطرحهم ... في لَهَوات الظلم حتى ينتصرْ،
مغامرٌ مسلَّطٌ بسيفه ... على الردى منتصفٌ من القدرْ،
أو تاركٌ لفضله من دِينه ... ما عزَّ من سلطانه وما قهرْ
عفَّ عن الدنيا وقد تزخرفتْ ... ممكنةً وعافها وقد قدرْ
محكَّمٌ في الناس يقضي بينهم ... بمُحكَم الآيِ ومنصوص السُّوَرْ ١٦٧
فكلّكم إمّا ابن عزٍّ حاضرٍ ... بسبقه(٤) أو ابن عزٍّ مدّخرْ
وحسبُكم شهادةً "لقاسمٍ" ... مجدُ "أبي القاسم" عينًا بأثرْ
حدَّثَ عنه مثلَ ما تحدَّثتْ ... عن كرم الأغصانِ حلواءُ الثمرْ
مواهبٌ في "هبةِ الله" لكم ... أوفى بها على مناكم وأبرّْ
يا مسلفي تبرُّعًا من ودّه ... سلافةَ الخمرِ ووسميَّ(٥) المطرْ
ومُنزِلي من شُرُفاتِ رأيه ... مكانَ يحطُّ السهى ويحدرْ
لبّيك قد أسمعتني وإن يغبْ ... سمعي عنك ففؤادي(٦) قد حضرْ
عوائدٌ من الكرامِ عاد لي ... ميّتُهن بعلاك ونُشِرْ
كم فيَّ من جُرحٍ قد التحمتَهُ ... بها ومن كسرٍ عصبتَ بجُبُرْ
ملكتَ رقّي وهواي فاحتكمْ ... مِلكَ اليمين لم أهبْ ولم أُعِرْ
لثمتُ ما خطّت يدُ الكاتب من ... وصيكَ لي لثمَ المطيفين الحجرْ

(١) الضراء: الاستخفاء. (٢) الخمر: الخفية، يقال: "هو يدبّ له الضراء، ويمشي له الخمر" لمن يختل صاحبه. (٣) بدا وحضر: أقام في البادية أو في الحضر. (٤) في الأصل "بسيفه". (٥) الوسميّ: أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع. (٦) في الأصل: "فعوادي".

وقلتُ : ياكامنَ شوقي ثُرْ، ويا ... قلبيَ إمَّا واقعًا كنتَ فَطِرْ
ويا ظَمائى هذه شريعةٌ ... يدعو اليها الواردين من صَدَرْ
فلو عِلقتُ بجناحِ نهضةٍ ... حوّمَ بى عليك سعىٌ مبتدِرْ
ولرأيتَ معْ فرط حشمتى ... وجهى عليك طالعا قبلَ خَبَرْ
لكنّها عزيمةٌ معقولةٌ (١) ... تَثْنٌ من ضغط الخطوبِ والغِيَرْ
وهمةٌ عاليةٌ يحطُّها ... أَسْرُ القضاء لا يفكُّ من أَسَرْ
وربّما تلتفتُ الأيام عن ... لحاجها أو يُقلعُ الدهرُ المُصِرّ
وإن أقمْ فسائراتٌ شُرَّدٌ ... يَزُرْنَ عنّى أبدا من لم أَزُرْ
قواطعٌ (٢) اذا الجيادُ حَبَسَتْ ... اليك أمراسَ (٣) الحبالِ والعُذُرْ (٤)
كلُّ ركوبٍ رأسَها الى المدى ... لم تزجُرِ الطيرَ ولمَّا تستشِرْ
نهارُها مختلطٌ بليلها ... ترمِى العشيّاتُ بها على البُكَرْ
تحمِلُ من مدحكمُ بضائعا ... يمسى الغبينَ فى سواها من تَجَرْ (٥)
كأنّما حلَّ "اليمانون" بها ... عِطارَ "دارين" وأفواقَ "هَجَرْ"
لم يمضِ من قبلى فمٌ لأُذُنٍ ... بمثلهنّ موعَبًا ولم يَطِرْ
سلَّمها فحولُ هذا الشعر لى ... ضرورةً، ما سلّموها عن خِيَرْ
شُهْدٌ لمن أحبّكم وأقِطُ (٦) ... وفى أعاديكم سِمامٌ وصَبِرْ
لتعلموا أن قد أصاب طَوْلُكم (٧) ... مَن عرفَ النعمةَ فيه فشكرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجاوزها كالطيور القواطع . (٣) أمراس جمع مَرَس (جمع مَرَسة) وهى الحبل . (٤) العذر جمع عذار وهو اللجام . (٥) تجر : باع واشترى ، وفى الأصل "نحر" . (٦) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ حتى يمصل . (٧) الطول : العطاء .

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر فى قرية على شاطئ الفرات من أعمال هِيت (١)

مَنْ حاكمٌ وخصومِىَ الأقـدارُ؟ كثُر العـدوُّ وقلّت الأنصارُ!
أشْجى من الدنيا بحبّ مقلّبٍ وجهين ، عُرُفُ وفائه إنكارُ
سـوْمَ الدعىّ اذا تضرّع ردَّه للؤم عرقِ الهُجنـةِ (٢) النّعّارُ (٣)
واذا وَفَى لمناىَ يـومٌ حاضرٌ فأجارَ أسـلمنى غدٌ غـدّارُ
أفصخرةٌ يا دهرُ هـذا القلبُ أم هو للهمـوم الساريات قرارُ؟
فى كلّ يـومٍ للنوائبِ شَـلّةٌ (٤) من جانبٍ وللهمـومِ غوارُ (٥)
ومصائبٌ متحكّماتٌ ليس لى معهنّ فى بيع النفـوس خِيارُ
تُنحِى فأحملُها ثِقالا مُكرَهًا وكأننى بتجلّدى مختارُ
جُرحٌ على جُـرحٍ ولكن جائفٌ (٦) ضـلَّ الفتائلُ (٧) فيـه والمسبارُ (٨)
نُخِرَتْ عمائقُه العروقَ وغادرتْ قَصَبَ (٩) العظامِ وهنّ مُخٌّ رارُ (١٠)
فاغمـزْ قناتى يا زمانُ فإنّه ذاك المماكسُ طائحٌ خـوّارُ
كُشِفَتْ لنَبْلك غامضاتُ مَقاتلى وترفّعتْ عن صَفحتِى الأستارُ
وأكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ سـلامتى ذلًّا ولا يحمى حماىَ جِـوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النعّار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، و فى الأصل "سلة" . (٥) الغِوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، و فى الأصل "مارف" . (٧) الفتائل جمع فتيلة وهى الخرقة تفتل وترات ، و فى الأصل "القبائل" . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل "فصب" .
(١٠) الرار : الذائب .

ذهب الذى كانت تجاملنى له الد نيا وتسقطُ دونىَ الأخطارُ

ويُردُّ فارسةَ[1] الخطوبِ نواصلًا منّى مخالبُهنَّ والأظفارُ (١٦٨)

من يشترينى بالنفائسِ مُغليًا بعدَ "الحسينِ" ومَنْ علىَّ يغارُ؟

ويُظِلّنى واليومُ أغبرُ مشمسٌ[2] أتجاَّلُ النكباتِ وهى أُوارُ

أم من يضُمُّ بدائدَ الآمالِ لى ويُفَلُّ عنى باسمه الإقتارُ[3]

واذا اقشعرّتْ[4] أرضىَ استصرختُه فاذا بِجَينٌ تُربُها ونُضارُ

المخذمُ[5] البتّارُ أُسقِطَ من يدى والغيثُ أقلَعَ عنىَ المدرارُ

والصاحب انتزعَتْ قوادمُ أسرتى منهُ وهِيضَ جَناحُها الطيّارُ

فاليوم لا أبتِ الصّغارَ ولا اعتزتْ إلا عبيدًا "فارسُ" الأحرارُ

وتطأطأتْ ذلًّا فطالت ما اشتهتْ شرفًا عليها "يَعرُبُ" "ونزارُ"

كلًّا وإن كَرُمتْ نفاخرُها [به][6] فالآنَ ما بعدَ "الحسين" فَخارُ

لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقدثوى فى التُّرب منه النافعُ الضرّارُ

سائلْ بهذا الذَّودِ[7] يرغو[8] بَكرُهُ[9] فى الحىّ : أين المُقرمُ[10] الهدّارُ

ومتى أخلَّ أبو الشبول بغيلهِ فتناهقتْ من حوله الأعيارُ

يا مُدْرَجا فردا تُسَدَّى[11] فوقه بالقاع أرديةُ الثرى وتُنارُ[12]

---

(١) فى الأصل "فارسه" . (٢) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

﴿ ويظل من واليوم مشمس أغبر ﴾

وتصحيحه بما رجّحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة . (٣) الإقتار : قلّة المال والافتقار .

(٤) اقشعرّت : أجدبت . (٥) المخذم : السيف . (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل .

(٧) الذود : من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد وجمع كالفُلك . (٨) فى الأصل "يرعوا" .

(٩) البكر : الفتىّ من الإبل . (١٠) المقرم : الفحل يترك عن الركوب والعمل للفِحلة .

(١١) تسدّى : يجعل لها سَدًى وهو ما مُدّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمتِه . (١٢) تنار : يجعل لها نير وهو اجتماع الخيوط بخلاف السدى ، وفى الأصل "تثار" .

مُلقىً وراءَ نسيَّةٍ ومَضَلّةٍ تُخفِى ضريحك والقبورُ تُزارُ
أذللتَ قلبى للأسى وتركتنى أتبرّدُ الزفراتِ وهى حِرارُ
وحطمتَ آمالى فهنّ ضعائفٌ وقَصَرتَ من هممى فهنّ صِغارُ
أنا من شِفار القاتليك متى ٱلتقتْ من مقلَتىَّ مع الكرى الأشفارُ
أو قاتُ معتاضا بجارٍ مثله جارٌ ولا بالدار بعدك دارُ
ومتى صحبتُ العيشَ بعدك باردا والناسُ صاروا بى الى ما صاروا
نبذوا عهودَك آنفا وتقسَّموا رُمَّما بحبل الخُلف وهو مُغارُ
ظنُّوا بفقدك أن يَلُمُّوا شعثَها يا رُبَّ نقض جرَّه الإمرارُ
ورجَوْا بهُلكك أن يخلد ملكُهم فاذا سلامتُهم بذاك بَوارُ
فعلامَ لم تُشْكَمْ[1] وقد فغرتْ لهم فلجاءُ[2] يُنكرنا بها الفرَّارُ
وتفجّرتْ بالشرّ بعدك والأذى جنباتُها وتداعت الأقطارُ[3]
حذِروا السجالَ[4] يخابطون قَليبَها[5] والحبلُ[6] واهٍ والجَبا[7] منهارُ
ودّوا لو آنك حاضرٌ فكفيتَها لما تولّى أمرَها الأغمارُ
ورعَى الندامةَ حيث لم يشبع بها غاوٍ رماك وآخرون أشاروا
ولّى يفرُّ ولم يعفْها سُبّةً تَسرى وليس من الحِمامِ فرارُ
سرعانَ ما ٱستعروا بجمرة بغيهم ولربَّ باغٍ غرَّه الأنصارُ
طرحوا الفراتَ الى الفراتِ فما درى مُلقوك أيُّهما له التيَّارُ[8]

---

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهى حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السِّجال جمع سَجْل وهو الدَّلو . (٥) القليب : البئر (٦) فى الأصل "والحال" . (٧) الجبا : ثَمِيلة البئر وهي التراب الذى حولها تراه من بعيد ، وفى الأصل "الحيا" . (٨) فى الأصل "البتار" .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى   ليثا يُحَطُّ [له الثرى](١) مِحفارُ(٢)

"وأبي العلا" ما كنتُ أعلم قبلَها   أنّ البحورَ قبورُهنّ بحارُ

ذلًّا لبيض الهند بعدك شدّ ما   غدرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ

ما كان أنكلهنّ عنك لو أنّه   عند السلاح حفيظةٌ وذمارُ

قتلوك محصورا غريبا لا ترى   مولًى يُعِزُّ ولا بجنبك جارُ

من خلف ضيّقةِ السماء بهيمةٍ   يَنزو بقلبك بابُها الصَّرّارُ

حفروا الزبى(٣) لك فارتديت وإنما   سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ(٤)

هلا وفيك الى وثوبٍ نهضةٌ   ولديك مُنتفَدٌ(٥) وعندك زارُ(٦)

وخطاك واسعةُ المَدى تحت الظُّبا   لا الخيطُ يحبسها ولا المِسمارُ(٧)

أعزِزْ عليّ بأن تصابَ غنيمةً   في القِدِّ(٨) يجمعُ ساعديك إسارُ

في حيث لا يُروى على عاداته   بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ(٩)

وبمصرعٍ لك لم تشابر دونه   فوق الأكفّ صوارمٌ وشِفارُ

والخيل صائمة على أشطانها   قَرْحى(١٠) تقامَصُ خلفها الأمهارُ

بشياتها لم يُختَضَبْ بدمٍ لها   عُرفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ •

أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنا   واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ

ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم   في الرَّوع من مهج العدا ما اختاروا ١٦٩

يتهافتون على المنون كأنّهم   حِرصًا فَراشٌ والمنيّةُ نارُ

(١) هاتان الكلمتان ليستا في الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفر بها . (٣) الزبى جمع زبية وهي الحفرة ، وفي الأصل "الربى" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء . (٥) المنتفد : السعة ، وفي الأصل "منتقد" . (٦) يريد زأر فسهّلت الهمزة . (٧) يشير بذلك الى القيد كما يدل عليه البيت التالي . (٨) القد : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) في الأصل "مرحى" .

حلماءُ فى الجُلَّى فإن هم أُغضِبوا … طاشوا ولحَنَّت فيهم الاوتارُ [١]
لوصحتَ تُسمعهم وصوتُك فى الثرى … لحصوا عليك وفى السماء لطاروا
خذلوك مضطرين فيك وجمجموا … من بعد ما فَصُحت بك الأخبارُ
وتناذروا أن يندبوك تقيَّةً [٢] … فالحزنُ بينهمُ عليك سِرارُ
إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربّما … فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ
أو يجلسوا نظرا ليوم تشاورٍ … فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِدارُ
ولربّما نام الطَّلوبُ بثأره … لغدٍ ولكن لا ينام الثارُ
وقد آشتفى بعد البسوس "مهلهل" … زمنا وما نَسِىَ الدَّمَ "المَرّارُ"
وعلى "الطّفوف" دمٌ أطيلَ مِطالُه … حتى تقاضَى دَيْنَه "المختارُ" [٣]
لا بدّ من يومٍ مريضٍ جوُّه … للخيلِ فيه بالرءوس عِثارُ
متورِّدِ الطرفين يكفُرُ شمسَهُ … دَجْنٌ له عَلَقُ الكماة قِطارُ
تَصلاه باسمك آخذين بحقّهم … عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ
فهناك يعلم قاتلوك بأنه … ما عُقَّ مَن أبناؤه أبرارُ
ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — … أنّ البقاءَ وإن أطيلَ مُعارُ
وإن آشتفى وحلا بفيه غدرُهُ … أنَّ آعتقابَ حلاوتيه مُرارُ
ولقد يُشاكُ [٤] المجتنى بمكان ما … عجِلتْ يداه ويُلدغُ المشتارُ
ولّى بها شنعاء تَذهبُ نفسُهُ … فيها ويَبقَى لومُها والعارُ

(١) لحنت : فصوّتت ، والأوتار جمع وتَر وهو شرعة القوس ومعلّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو آبن عبيد الثقفىّ وقد قام بأخذ الثأر من قَتَلة الحسين فدعا الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

دَرستْ بك السُّنن الحميدةُ وٱغتدى   نَقْــدُ المكارم وهو منك ضِمارُ (١)
هل سائلٌ بك بعـدها أو قائلٌ ؟   هيهات لا خَــبرٌ ولا ٱستخبارُ !
حتى كأنك لم تَقُــدْ ملمــومةً (٢)   يُومَى اليــك أمامَها ويُشارُ
خرسـاءَ إلا ما تكلّم صارمٌ   فى قَوْنَسٍ (٣) أو طَنَّ عنــه فَقارُ
تهفــو عليك عُقابُها (٤) ويضمُّها   منشــورةً لفنائك التَّكرارُ
وكأنَّ رأيك لم يلُحْ قَبَسًا اذا   عَميتْ عشايا الرأى والأسحارُ
واذا خِلاط الأمرِ سُــدَّ طريقُه   فلديك واضحــةٌ له وقــرارُ
وكأنَّ بابَك لم يكن لعُفاته   حَرَمًا يُجــير ولا حمًى يُمتارُ
يأوى اليــه المسنتون (٥) ويلتــق   بِفنائه السُّفَّارُ والحُضَّارُ
وتبيت تَلْغَــطُ من وصائلِ ناقةٍ   عُشَراءَ عنــدك بُرمةٌ (٦) أعشارُ
تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتنى   فيما يليك بما ٱنتــقى (٧) الجزّارُ
وكأنّ كفك لم تَبِنْ فى ظهرها   قُبَــلُ الملوكِ وتشــهدُ الآثارُ
ويخفُّ بين بنانها إن حُمّلتْ   ضَــبطُ الحسامِ ويثقُلُ الدينارُ
بالكره منــك وبالمَســاءة رَوَّحت   لسوى العُقور على البيوت عِشارُ
وتراجعتْ وخــدودُها ملطومةٌ   بُزْلٌ لقصــدك وُجِّهتْ وبِكارُ
وغفلتَ لم تَسأل ـولستَ بغافلٍ (٨)ـ   أنّى تنكَّب بابَك الزُّوّارُ
وتسلّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ   تلك السروجُ اليــك والأكوارُ

(١) الضمار : الوعد المسوّف . (٢) الملمومة : الكتيبة . (٣) القونس : مقــدّم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين . (٤) العقاب : الراية وكانت راية النبيّ صلى الله عليــه وسلم تسمى "العقاب" . (٥) المسنتون : المجدبون . (٦) البرمة : القِدر . (٧) انتقى : استخرج النِّقْىَ وهو مخ العظام . (٧) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل ولست بعاقل *

ومـتى أرمّ(١) المادحون وأكسدت ... من بعـد ما نفقتْ بك الأشعـارُ
أو أن أقولَ فلا تصيخ لقــولتى ... لو كنتَ متروكا وما تختـارُ(٢)
وترى الزمانَ يَضيمنى(٣) فيفوتنى ... من راحتيك حميَّـــةٌ وغيـارُ(٤)
قد كنتَ حصنا من وَرَاىَ وكان لى ... بك من أمامى جُنَّةٌ وصِـــدارُ
أيامَ شـــيبى تحت ظلّك نضرةٌ(٥) ... وصِبًا وليــلِى فى ذَرَاك نهارُ
وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ ... أمشى وتَتبعنى لهـا الأبصارُ
قد كنتُ أحسبُ أن بأسَك هضبةٌ ... لا يســتطيع رُقِيَّها المِقــدارُ
وأقولُ أنّ(٦) لسقف بيتك فى العلا ... عَمَــدًا حبالُ الموت عنـه قصارُ
وإخالُ جودَك نَثْـلةً دون الردى ... حصــداءَ تمنع فَرْجَهـا الأزرارُ(٧)
ناذا الشجاعةُ والسماحــةُ مَتْجَرٌ ... تزكو بـــه الأعمـالُ والأعمارُ
غـدرا من الأيَّام تُفتِــقُ(٨) شمسُها ... والأرضِ تورقُ فوقَها الأشجارُ
ومذلَّة فى السُّحبِ وهى صواحب ... ليديك تَنزِل بعـــدك الأمطارُ
كم قـــد تعلَّتِ المنى بك ، تارةً ... أمنٌ وطورا خِيفــةٌ وحِذارُ
وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرّنى ... وتلوّنت بحـــديثك الأخبارُ
ولقـــد ظننتُ بها وراءَ لثامها ... خــيرًا فكشَّفَ قُبحَها(٩) الإســفارُ(١٠)
إن تفتقدْ عينى مِثالَك فى العـــلا ... فبنوك من عَين العـــلا آثارُ

---

(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصـل "مختار" . (٣) فى الأصـل "يضمّنى" .
(٤) الغيار : الغيرة من الحميّة والأنفة ، وفى الأصل "عثار" . (٥) فى الأصل "نصرة" .
(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل "الإزار" . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل "فتحها" . (١٠) فى الأصل "الأشفار" .

سدُّوا مكانك والشموسُ اذا هوتْ ... مـلأت مَطارحَ نورِها الأقمارُ
طِبْ فى الثرى نفسًا فكلٌّ منهُمُ ... ثَمَّ آقـتراحُك فيـه والإيثارُ
هم، أنفسا تُدوِى(١) عداك وألسنا، ... ن جمـرتيك سـلائطُ وشِرارُ
كانوا السَّراةَ وقد عدِمتَ وبعضُهم ... لأبيـه إن طـرَقَ الحِمامُ عَوارُ
متلاحقين الى العـلاء كأنّهم ... مُجـرَوْنَ يجمعُ بينهـم مِضمارُ
الوفـدُ وفدُك طائفٌ ببيوتهـم ... والحامـلُ العبقاتِ والسُّمّارُ
تُتلَى عليهم فيـك كلُّ فضيـلةٍ ... للميْتِ فيها النشرُ والتَّـذكارُ
أيدٍ طُبعنَ على السماح وأوجـهٌ ... فى عتقها من دوحيتـك نِجارُ
هم ما هُمُ! ويزينُ مجـدَ أبيهمُ ... خالٌ لزَندِ المجـدِ منه سِـوارُ
ما غِبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرِهم ... لك منه فيهـم كافلٌ وطَـوارُ
فليبـقَ وليبقـوا له ما طبّق الـ ... آفاقِ طِيبُ ثنائك السـيّارُ
واذا العـزاءُ أتى فـذَلَّ لهم به ... فيك العزيزُ وأسهـلَ المِعسارُ
ولقـد أُسلِّيهـم(٢) وفى عِظتى لهم ... جَزَعٌ ورَجْعُ كلامِىَ آستعبارُ
ساهمتُهـم عِبءَ المصابِ وكلُّنـا ... تحت التجمُّـلِ حامـلٌ صبّارُ
لا تبعُـدَنْ بِلًى، فقـد فات البلى ... بك أن يُظَنَّ تقاربٌ ومَزارُ
وسقاك إن عطِش القليبُ وماؤه ... متبجِّسٌ(٣) وقَـرارُهُ خَـرّارُ(٤)

(١) تدوى: تُمرض. (٢) فى الأصل "أسليهم". (٣) متبجّس: متفجّر، وفى الأصل "متنجس". (٤) خرّار: له خرير وهو صوت الماء، وفى الأصل "جرّار".

متهـــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... مما تراكمَ ذيـــلُهُ الجـــرَّارُ
صُخبُ الرُّعودِ تَهيــجُ فى جَنباتِهِ ... للعــاصفــاتِ جَراجِرٌ (١) وخُـــوارُ
فجَـــرى يحلِّلُ بالحيا حِيطـانَهُ ... حتى الجـــداولُ تحتهــا أنهــارُ
يَسقِى بأعذبِ ماسَقَى حيث ٱلتقتْ ... فِلقُ الصفيحِ عليــكَ والأحجــارُ
حتى يُظَنَّ ثراكَ نَشـــوانا به ... دارت عليـــه من السحابِ عُقارُ
ويضوعَ منك بطيبِ مافى ضمنه ... فكأنَّ ضارحَ تُربِه عطَّــارُ
ونزلتَ حيث تُحَطُّ أملاكُ العــلا ... شـــوقا اليـــك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأول

ويليه الجزء الثانى ، أوله قصيدة مطلعها

رعَتْ بين "حاجرَ" والنعفِ "شهرا" ... جَمــيمًا (١) وعبَّتْ (٢) شآبيبَ غُـــزْرا

---

(١) الجراجر : الأصوات . (٢) الجميم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت ، فى الأصل " غبّت " .

إصلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاطٌ قليلة نرجو تصحيحها فى صُحُفِها وهى :

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١	١١	وقذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزاح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَربُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أُهبة وهى العدّة	(٩) الأُهُبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثُرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الرُّجَبى	الرَّجَبى
٤٥	٢١	حجراتهم	حجزاتهم
٤٧	٧	رافدتْ	رادفتْ
٤٧	٩	تُدَمَّل	تَدَمَّل
٤٧	١٦	شبهُ الأيامَ	شبهةَ الأيامِ
٤٨	٢	حُسنَها	خمسَها
٤٨	١٠	رأمتْ أبواءَها	رُيمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	محداجُها	مخداجُها
٥٠	١٧	دُبوبها	دَبوبها
٥٠	٢٢	(٩) تزمّ : تصوّتُ	(٩) تُرِمُّ : تسكُتُ
٨٨	٨	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الحِرَّة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود
١٥٧	٢١	(٦) لأذقمتْ : لأعيت	(٦) لأرمَّتْ : لسكتت
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء

(مطبعة الدار ٩٢/١٩٢٤/٣٠٠٠)